

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: عقيدة



كلية أصول الدين

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

ورقة قيم العقيدة الإسلامية في معالجة قضايا التطرف

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د تخصص: عقيدة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أحسن برامة

إعداد الطالب:

عمر بغدادي

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة العلمية	أعضاء اللجنة
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-	أستاذ	أ.د. الزهرة لحلج
مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-	أستاذ	أ.د. أحسن برامة
عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-	أستاذ محاضر-أ	د. ياسين بريك
عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي	أستاذ	أ.د. عبد الرحمن توكي
عضوا مناقشا	جامعة يوسف بن خدة الجزائر 01	أستاذ	أ.د. ليليا شنتوح

السنة الجامعية: 2021-2022/1442-1443هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبد الأمير
١٤٢٢

جامعة الأمير عبد

الإهداء

إلى والدتي الكريمة التي ضحت لأجلي ورافقتني طوال مساري الدراسي
ماديا ومعنويا.

إلى زوجتي الكريمة التي وقفت إلى جانبي وساندتني

وإلى ابني شهاب الدين

وجميع أفراد أسرتي إخوتي الأفاضل وكل الأهل والأقارب

إلى جمع أصدقائي وأحبابي وكل من ساندي.

إلى أساتذتي الأفاضل على وجه الخصوص أستاذي الأستاذ الدكتور احسن

برامة وكل أسرة جامعة الأمير عبد القادر

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذه الأطروحة

عمر بغدادي

شكر وتقدير

أخيرا وبعد أن استقام هذا العمل، أشكر الله العلي القدير الذي وفقني في إنجاز هذه الأطروحة، وأتوجه بجزيل الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذي الفاضل الذي أشرف علي في مرحلتي الماجستير والدكتوراة الأستاذ الدكتور احسن برامة، الذي أفادني بنصائحه وتوجيهاته العلمية القيمة، وحرصه الشديد على إنجاز هذه الرسالة.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء اللجنة الموقرة وجميع أساتذتي الأفاضل من جامعة الأمير عبد القادر، وأخص بالذكر أساتذة كلية أصول الدين خاصة أساتذة قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

كما أنه بمجهودات كل الأسرة الجامعية من عمال وإداريين وعمال المكتبة الذين أبلوا البلاء الحسن في تحسين وتجويد ظروف التعليم والبحث العلمي في جامعتنا الموقرة.

وجميع زملائي الطلبة وإلى كل من قدم لي يد العون لإتمام هذا البحث وإخراجه في هذه الصورة.

عمر بغدادي

مقدمة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن العقيدة الإسلامية هي المنبع الرئيس الذي يستمد منه المسلم قيمه ومبادئه، بل هي الأساس الذي يرجع إليه المسلم في جميع مناحي حياته سواء الاجتماعية أو السياسة أو الاقتصادية وغيرها، إذ تعمل على ضبط الفرد سواء على المستوى السلوكي أو الفكري، مما يكسبه الحصانة اللازمة التي تمكنه من نفسه وواقعه.

ولقد تميزت العقيدة الإسلامية عن سائر العقائد والمذاهب الأخرى، بخصائص ومميزات جعلتها تعتلي صدارة الإصلاح في المجالين الفردي والاجتماعي، فهي شاملة في قيمها و مبادئها إذ تخاطب البشرية بأسرها وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾¹، فيوم التزم المسلمون بقيمها و ترسخت معانيها في عقولهم وقلوبهم، وفعلوها في واقعهم فصارت منهج حياة، صنعوا منها الحضارة الإسلامية التي أبهرت العالم في ماضيها الزاهر، ولا تزال إلى اليوم محل تقدير واحترام حتى من خصومها، إذ رسمت الصورة الحضارية للإنسانية جمعاء، وما إن ابتعد المسلمون عن قيمها ومبادئها حتى بدأ منحني الرقي الحضاري في تراجع على جميع المستويات والأصعدة.

والتأمل في واقع البشرية اليوم يجد بأنها تعيش في حالة من الفوضى والانكسار، الناتج عن البعد عن الأخلاق والقيم والمبادئ، فقد أضحت جسدا بلا روح، فمالت وانحرفت باتجاه المادة على حساب الروح، ففشت فيها مختلف الانحرافات والمظاهر السلبية التي أثرت على بنيتها الفكرية والسلوكية على وجه الخصوص ناهيك عن الجوانب الأخرى، وعلى غرارها الأمة الإسلامية التي يفترض بها أن تكون في طليعة الأمم بقيمها وأخلاقها المستمدة من الإسلام عقيدة وشريعة، باتت هي الأخرى تعيش جانبا مظلما من تردي الأخلاق وانحراف السلوك، فنفشت فيها الكثير من الأمراض والمظاهر السلبية، التي تعبر عن الحالة التي آلت إليها من انحراف عن القيم والأخلاق.

وعلى غرار تلك الأمراض التي تواجهها الأمة الإسلامية وما تعانيه في واقعها اليوم من ويلات الحروب والاقتتال وشتى مظاهر التخلف والانحطاط، إنما يوحى بشكل أو بآخر عن وجود سبب رئيس وجوهري ساهم في هذا التفهقر والجمود، وهذا السبب لا يعدو أن يكون التطرف المقيت الذي أتى

¹ سبأ: 28

على الأخضر واليابس.

ولم يعرف الجيل الأول من المسلمين هذه الظاهرة كما هي عليه اليوم، لا سيما ورسول الله بينهم يغرس فيهم قيم العقيدة ويرشدهم إلى الفهم الصحيح للإسلام، وعليه كان علاج هذا المرض يبدأ بالعودة إلى قيم العقيدة الإسلامية ونشرها في واقعنا وتفعيلها في جميع مناحي الحياة، لبناء جيل وسطي وأمة وسطا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽¹⁾.

وبالنظر إلى خطر التطرف الذي أصبح واقعا معاشا يهدد الإنسانية فضلا عن أمتنا الإسلامية، إذ يتصادم مع ما تمليه قيم العقيدة الإسلامية التي تدعو إلى التسامح والتعايش واحترام الإنسان، وعليه بات من الضروري الوقوف عند هذه المشكلة التي تهدد أمن واستقرار الإنسان والإحاطة بجميع جوانبها، من خلال الخروج بالدراسة من الدائرة الضيقة التي كانت تعنى بالتطرف الديني فقط إلى نطاق أوسع يشمل تناول التطرف بكل أبعاده وقضاياها.

وقد جاءت هذه الدراسة لبيان الدور الهام لقيم العقيدة الإسلامية في معالجة قضايا التطرف، لنؤكد على نقاء العقيدة الإسلامية من كل ما يشوبها من أفكار الغلو والانحراف، وفي نفس الوقت لنبرهن على فاعليتها في واقعنا المعاصر، وقد عنونتها ب: " دور قيم العقيدة الإسلامية في معالجة قضايا التطرف".

أهمية البحث

بما أن التطرف أصبح واقعا يفرض نفسه في عصرنا الحاضر، وتهديدا حقيقيا للأمن الإنساني من خلال الانعكاسات التي خلفها، بأن لحق ضرره الإنسان انطلاقا من الفكر مروراً بالسلوك وصولاً إلى تهديده الحضارة الإنسانية بأكملها، وما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم التي هي جزء من المجتمع الإنساني من تفرق وانتشار لمظاهر العنف وتردي الأخلاق والقيم ومظاهر التخلف إنما ينم على خطر هذا المرض، الذي يستدعي الوقوف عليه من جهة الدراسة والمعالجة.

(1) - البقرة: 143

وعليه فأهمية البحث تتمحور في نقطتين رئيسيتين هما أولاً: دراسة ظاهرة التطرف الذي يعد موضوع الساعة، لما خلفه هذا الأخير من آثار سلبية على المجتمع، ثانياً: من حيث البحث في موضوع القيم التي نستخلصها من العقيدة الإسلامية، والتي تشكل في مجملها ومن خلال تفعيلها وسائل معالجة لقضايا التطرف.

ومنه فإن أهمية هذه الدراسة في مجملها تتجلى في الكشف عن ظاهرة التطرف من خلال إبراز أسبابها ومظاهرها وانعكاساتها، ومن ثم المعالجة والتصدي بالعودة إلى قيم العقيدة الإسلامية وتفعيلها، بهدف القضاء على التطرف وتحقيق الأمن والسلم داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية وحتى الإنسانية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- 1-الكشف عن أهمية قيم العقيدة الإسلامية في مواجهة التطرف والحد منه.
- 2-بيان مميزات وخصائص العقيدة الإسلامية ودورها في النهوض بالإنسان والمجتمع الإنساني.
- 3-تفنييد التصور القائم على أن العقيدة الإسلامية منبع التطرف من خلال الكشف عن القيم التي جاءت بها هذه الأخيرة والتي تظهر خلاف ذلك.
- 4-إبراز القيم التي جاءت بها العقيدة الإسلامية والتي تمثل منظومة متكاملة من شأنها إحداث التغيير في واقع الأمة الإسلامية.
- 5-بالنظر إلى ما أحدثه التطرف من آثار سلبية مست الفرد والمجتمع، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند هذه الظاهرة من حيث دراستها بالكشف عن أسبابها وقضاياها ووسائل معالجتها.
- 6-لفت الانتباه إلى أن التطرف ظاهرة لا تخلو منها أمة من الأمم إذ طالت الإنسانية بأسرها في مختلف الميادين والمجالات.
- 7-يهدف البحث أيضا إلى إبراز الملامح العامة لشخصية المسلم بسلوكه الحضاري والإنساني، الذي بدوره يكرس لقيم العقيدة الإسلامية.
- 8-بيان الدور الهام الذي تلعبه مؤسسات المجتمع بكل مكوناتها في مواجهة ظاهرة التطرف

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن تقسيم أسباب اختيار الموضوع إلى سببين رئيسين هما:

أ- الأسباب الموضوعية:

- حساسية وامتداد موجة التطرف على مختلف المستويات، حيث أصبحت ظاهرة عالمية تشكل خطرا على الإنسانية جمعاء.

- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذه الدراسات الأكاديمية المتخصصة ذات الطابع العلمي، وعلى وجه الخصوص مكتبة العقيدة، من خلال إبراز قدرة العقيدة الإسلامية على النهوض بالإنسان والحياة.

- الحاجة الماسة لمثل هذه الدراسات التي تعالج قضايا الواقع، لاسيما وقد أصبحت قضية التطرف من أكثر القضايا تأثيرا في عصرنا.

- تنفيذ تلك الشبهات التي تثار حول العقيدة الإسلامية والتي ألصقت بها قضية التطرف والغلو.

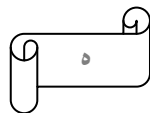
ب- الأسباب الذاتية:

ملاحظات الشخصية حول قضية التطرف والرغبة في دراسته من مختلف الزوايا، أين أصبح هذا الأخير مشكلة الإنسان في العصر الحديث بأن تجاوز ضرره من الفرد إلى الدولة، وأصبح يشكل خطرا حقيقيا على أمن المجتمعات واستقرارها، كل هذا شكل دافعا لدي في الإمام بالموضوع والعمل على إيجاد حلول جذرية من خلال تفعيل قيم العقيدة الإسلامية وإبراز دورها في معالجة الظاهرة.

إشكالية البحث:

إن تفاقم وتعدد وانتشار مظاهر التطرف في مختلف مستوياته ومجالاته دفع إلى البحث عن كيفية معالجته واستتصاله وعليه نطرح الإشكالات التالية:

- 1- ما مدى قدرة العقيدة الإسلامية في القضاء على التطرف؟
- 2- ما هي القيم التي يمكن استخلاصها من العقيدة الإسلامية؟
- 3- هل التطرف ينحصر في الجانب الديني أم يتعداه إلى جوانب ومستويات أخرى؟ .



4- ما هي العلاقة التي تربط التطرف بالجوانب النفسية والاجتماعية والإيمانية؟

5- ما هي أهم أسباب التطرف وما هي نتائجه وكيف نفعّل قيم العقيدة الإسلامية لمعالجته؟

6- ما هو واجب المجتمع ودوره بمختلف مؤسساته (الدينية والسياسية والتربوية والإعلامية...) في مواجهة مشكلة التطرف.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على منهجين هما: الوصفي التحليلي والمنهج الاستقرائي وذلك للأسباب الآتية.

-أولاً: طبيعة الدراسة التي تتناول قضية التطرف التي تعد من أخطر القضايا التي تواجهها الأمة الإسلامية، مما يتطلب وصفاً شاملاً للمشكلة مع تحليل أسبابها ونتائجها وإيجاد الحلول.

-ثانياً: ارتباط الدراسة بوضع راهن تعاصره البشرية ألا وهو التطرف بمختلف أشكاله، مما يبرر اعتماد المنهج الوصفي لدراسة الظاهرة.

-ثالثاً: ولوجود ظواهر أفرزها التطرف داخل المجتمع الإنساني مما استدعى استقرائها للوقوف عند أسبابها وحلولها.

الدراسات السابقة

من خلال استقراء المصادر والمراجع الخاصة بالبحث تبين أن الموضوع غني بالمصادر والمراجع على اختلافها، والتي لها صلة بالبحث سواء ما تعلق بالقيم، أو ما تعلق بالتطرف وقضاياها، وفيما يلي نبرز بعض أهم الدراسات السابقة التي تعرضت للبحث من مختلف زواياه.

1- "منظومة قيم حياة الإنسان بين عقيدة التوحيد والعلمانية الشاملة" لعبد الحليم لالوسي:

وهي رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر، السنة 2014/2015م، وهي دراسة معتبرة مؤلفة من جزأين تناول فيها الباحث موضوع القيم من منظورين منظور عقيدة التوحيد، والثاني من المنظور الغربي العلماني، وفي منظور عقيدة التوحيد على وجه الخصوص ركزت الدراسة على جوانب كثيرة انطلاقاً من أهمية القيم في حياة الإنسان، ثم مصادر القيم وخصائصها في

عقيدة التوحيد وأخيراً تصنيفها ومجالاتها، وقد حاول الباحث في نهاية البحث الموازنة بينها وبين قيم العلمانية الشاملة وهو ما أطلق عليه في الفصل الخامس منظومة قيم المشترك الإنساني، وعليه بالنظر إلى ما تناوله الباحث في هذه الدراسة نجد بأنها من أهم البحوث المعاصرة في هذا الجانب، لكنها في المقابل تفتقر إلى كيفية توظيف هذه المنظومة القيمية في علاج قضايا ومشكلات الإنسان المعاصر.

2- "العمدة في فلسفة القيم" للدكتور عادل العوا، الطبعة الأولى لدرا طلاسدار، دمشق، 1986م وهي دراسة حديثة تناولت موضوع فلسفة القيم بكل تفاصيله، حيث بدأ المؤلف تاريخ نشأة فلسفة القيم، ثم تحدث عن ممثلي الفلسفة القيمية من أصحاب الاتجاه الغربي، ثم فاعلية القيمة أو النشاط القيمي، كما تحدث عن خصائص القيمة وتصنيفاتها، وتطرق أيضاً إلى المناهج التي بحثت في موضوع القيم أين عرج على المدرسة الإسلامية ممثلة في الغزالي والماوردي، وأخيراً الوعي القيمي أو ما يمكن أن تقدمه القيمة للحضارة، وبالجملة فإن الدراسة كانت شاملة وموسعة لقضية القيم حيث أحاطت بجميع حثيات الموضوع.

3- "دلائل التوحيد وتأثيره في الحياة في القرآن الكريم -سورة الأنعام أنموذجاً-" لدنيا زاد سابغ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2011م-2012م، يركز مضمون هذه الدراسة على عقيدة التوحيد من حيث حقيقتها ومقتضياتها، وكيف عاجلت عقيدة التوحيد الانحراف الإنسان من خلال تأثيرها على حياة الفرد، والمجتمع، ومختلف التعاملات الكونية التي تعترض حياة الإنسان، في المقابل نجد أنها أغفلت قضية التطرف التي تعد من قضايا العصر المهمة التي تعالجها عقيدة التوحيد من خلال التأثير على الإنسان والمجتمع.

4- "مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر- الأسباب، الآثار، العلاج-" لعبد الرحمان بن معلا اللويحق، رسالة دكتوراه (منشورة)، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نوقشت بتاريخ 1418/02/18هـ: وهي دراسة معاصرة من جزأين تناولت ظاهرة الغلو والتطرف انطلاقاً من دراسة الأسباب إلى الآثار ومن ثم العلاج، وقد ألم الباحث خاصة في جانب ذكره لأسباب الظاهرة بمختلف جذور المشكلة سواء ما تعلق بال نفسية والاجتماعية والتربوية

وحتى المنهجية، أي ما تعلق بالتعامل مع نصوص القرآن والسنة وسوء فهمها واستخدامها، وما ميز هذه الدراسة هو تطرق صاحبها إلى عدة مناهج في معالجة مشكلة الغلو على غرار منهج العلماء المعاصرين، والمصالح الأمنية والقانونية، وكذا الإعلاميين ثم الغربيين والعلمانيين، غير أن الملاحظ على هذه الدراسة أنها ركزت على قضية التطرف الديني وحسب وأغفلت الأشكال الأخرى من التطرف، ومع هذا تبقى من أهم البحوث المعاصرة في هذا الجانب.

5- "ظاهرة الغلو من الكتاب والسنة" لخميسي بزاز، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية أصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م. ساهمت هذه الدراسة في التعريف بظاهرة الغلو في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية، أين تناول الباحث مفهوم الغلو ومرادفاته وحكمه في الشرع، ثم تطرق إلى منهج الشرع في التعامل مع الظاهرة، كما عدد الأسباب المحيطة بظاهرة الغلو، ثم انعكاسات الغلو على الواقع أين تناول قضية التكفير والتبديع، يليها قلب الحقائق والخلط في الأحكام، ثم بعد ذلك الخوض في آليات الوقاية من الغلو وطرق العلاج، كمراجعة التراث، نشر الثقافة الإسلامية، استرجاع الدور الريادي للعلماء، تفعيل دور المسجد، معالجة المشكلات الاقتصادية، تصحيح المفاهيم، تفعيل ثقافة ومبدأ الحوار، ومن خلال استقراء هذه الدراسة وعلى شاكلة بقية الدراسات نجد أن صاحبها ركز على الغلو والتطرف في الدين وأغفل بقية القضايا الأخرى التي تناولناها في البحث.

6- "التطرف خبز عالمي" لراشد المبارك، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2006م، عرض صاحبها مفهوم التطرف وعلاقته بالعنف وأصل نشأته، كما تناول جزئية مهمة غفلت عنها أغلب الدراسات ألا وهي التطرف عند غير المسلمين، على غرار التطرف الأمريكي، والصهيوني، ثم تحدث عن الصلة بين التطرف والثقافة العربية، وأخيرا معالجة التطرف وتقديم الحلول المقترحة في ذلك.

7- "التطرف الديني الرأي الآخر" لصالح الصاوي بحث صاحب الكتاب التطرف من بداياته ونشأته، ثم كان مجمل حديثه عن أشكال وممارسات التطرف الديني في الحياة اليومية، فتناول قضية التطرف في اللباس، والتنطع في العبادة، والغلو في ترك المباح، وغيرها من الصور الأخرى المعهودة في عصرنا للتطرف خاصة عند الفئة المستهدفة وهي فئة الشباب.

خطة البحث

يرتكز البحث أساساً على أربعة فصول وهي:

الفصل الأول: جاء لتحديد المفاهيم (القيم، العقيدة، التطرف) وقد اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تناولت فيه ماهية القيم وأهميتها في حياة الإنسان، وهنا الحديث عن مدلولات

القيم في اللغة والاصطلاح، ومدلولها في القرآن الكريم

المبحث الثاني: البحث في القيم من المنظورين الغربي والإسلامي وذلك من خلال العودة إلى

تصنيف القيم بين المدرستين الغربية والإسلامية، وكذا الحديث عن مرتكزات التصور الغربي والإسلامي للقيم.

المبحث الثالث: عن العقيدة الإسلامية مميزات وأثرها في الحياة الإنسانية، حيث أوقف هنا على

العقيدة الإسلامية من جهة خصائصها على غرار الثبات، المرونة، الريانية، العالمية... التي تجعل منها مؤهلة لعلاج مختلف مشكلات الحياة.

المبحث الرابع: الوقوف على ماهية التطرف ودلالاته النفسية والاجتماعية، وما هي التأثيرات

النفسية والاجتماعية التي تغذي ظاهرة التطرف.

الفصل الثاني: اشتمل على دراسة التطرف من مختلف زواياه، انطلاقاً من دراسة جذوره وأبعاده،

ثم الوقوف على أسبابه وانعكاساته وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: للحديث عن جذور التطرف من خلال الوقوف على الظاهرة عند المسلمين وغير

المسلمين، وهذا للبرهنة على أن التطرف بشكل عام ظاهرة يتسع نطاقها ليشمل كل الأديان والأعراق.

المبحث الثاني: لبيان أبعاد التطرف وأشكاله إذ أن التطرف لا يقتصر على شكل واحد كالتطرف

الديني مثلاً، وإنما هو ظاهرة لها امتداداتها إلى مختلف ميادين الحياة.

المبحث الثالث: في عوامل نشأة التطرف وهي عوامل متعددة تشمل العوامل: العوامل النفسية،

والاجتماعية، السياسية، الدينية... إلخ

المبحث الرابع: الكلام على الانعكاسات التي أفرزتها ظاهرة التطرف على الفرد والمجتمع.

الفصل الثالث: جاء لبيان أبعاد قيم العقيدة الإسلامية ودورها في معالجة قضايا التطرف، وفيه

سنة مباحث

المبحث الأول: وفيه مفهوم التوحيد وقيمته في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم مقاصد القيمة التوحيدية ودورها في مواجهة التطرف

المبحث الثاني: البعد السلوكي من أبعاد العقيدة الإسلامية، وفيه بيان قيمة الوسطية ومجالاتها في الفكر الإسلامي، ثم تفعيلها لمعالجة مشكلة التطرف.

المبحث الثالث: البعد المعرفي من خلال ذكر قيمة العلم بين التصورين الغربي والإسلامي، ثم دورها في مواجهة التطرف

المبحث الرابع: البعد الحضاري وتناولت فيه قيمتين من قيم العقيدة الإسلامية هما: العدل والشورى، وكيف كان لهما الأثر في التأسيس للحكم الرشيد ومواجهة تطرف الاستبداد.

المبحث الخامس: البعد الإنساني جاء لإثبات إنسانية العقيدة الإسلامية وعالميتها من خلال إفرازها لقيمتين مهمتين في الحياة الإنسانية، قيمة التعايش والحرية والتي تضمن من خلالهما التوازن في العلاقات الإنسانية، كما تواجه من خلالهما كل أشكال تطرف الإقصاء والعنصرية

المبحث السادس: ويبين البعد التعبدية كبعد من أبعاد العقيدة الإسلامية، بحثت من خلاله قيمة العبادة في التصورين القرآن الكريم والسنة النبوية، وكيف أسست السنة النبوية للمفهوم الصحيح والمتوازن للعبادة، ثم مقاصد العبادة في الإسلام ودورها في مواجهة التطرف من خلال بناء الإنسان والمجتمع.

الفصل الرابع: وهو الفصل الأخير وهو لبحث دور مؤسسات المجتمع على اختلافها (التربوية، السياسية، الدينية، الإعلامية) وقد اقتصر على هذه الأربع لأهميتها، وهو أربع مباحث

المبحث الأول: الحديث عن المؤسسة التربوية والتي تشمل الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي ودورها في معالجة قضايا التطرف

المبحث الثاني: المؤسسة السياسية ويقصد به العمل السياسي ودوره في حفظ أمن المجتمع واستقراره، وذلك من خلال تفعيل مقاصد السياسة الشرعية، وبناء فكر سياسي نهضوي.

المبحث الثالث: المؤسسة الدينية وذلك بتفعيل دور المسجد والزوايا في مواجهة التطرف، وكذلك عصرنة الخطاب الديني وتحديدده بما يتماشى ومشكلات الحاضر.

المبحث الرابع: المؤسسة الإعلامية على اعتبار أنها من أهم المؤسسات في عصرنا الحاضر تأثيرا في الجماهير، وبالتالي الوقوف على واقع الإعلام الإسلام وأهم التحديات والعقبات، ومن ثم دوره في تنوير الرأي العام بما يخدم معالجة القضايا المصيرية التي تؤثر بشكل سلبي في المجتمع على غرار قضية التطرف.

صعوبات البحث

يمكن إيجاز أهم الصعوبات المتعلقة بالبحث في الآتي:

➤ اتساع دائرة القيم وتداخلها في الفكر الإسلامي وعلى وجه الخصوص في العقيدة الإسلامية كان عقبة في طريق حصرها وتبويبها.

➤ إن تعقد واتساع ظاهرة العنف في المجتمع الدولي في مختلف أبعاده شكل صعوبة في رصد الظاهرة وتتبعها بكل تفاصيلها.

➤ كثرة التحليلات التي لازمت الدراسة والبحث في موضوع التطرف صعبت من مهمة ترتيبها معرفيا.

➤ ليكون البحث أكثر ملائمة للواقع المعاصر وجب طرق باب مختلف التخصصات الأخرى على غرار علم النفس وعلم الاجتماع والإعلام وغيرها، وهذا في حد ذاته صعب إلى حد ما عملية الدراسة والبحث في موضوع التطرف.

المبحث الأول: القيم ماهيتها وأهميتها في الحياة الإنسانية.

المطلب الأول: ماهية القيم

أولاً: المدلول اللغوي

تشتق كلمة "القيمة" من الفعل الماضي "قام" ويحمل هذا اللفظ عدة مباني لغوية تكلمت بها العرب فمن ذلك:

-الفعل الماضي "قام" ومعناه الوقوف، تقول قام فلان أي: نهض من مكانه، وفي مختار الصحاح للرازي، في معنى الفعل "قام" قوله: وقام الماء جهده وقامت، الدابة وقفت وأقام بالمكان إقامة، وأقام الشيء أدامه، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽¹⁾.

وفي المعنى اللغوي للفظ القيمة يذكر الرازي: أن القيمة واحدة القيم وقوم السلعة تقويماً، وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعنى واحد، والاستقامة، الاعتدال، يقال: استقام له الأمر أي: اعتدل، وقوم الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم⁽²⁾.

-والقوام: بالفتح العدل.

-وقوام الأمر بالكسر نظامه وعماده، وقوام الأمر أيضاً ملاكه الذي يقوم به، والقيوم اسم من أسماء الله تعالى⁽³⁾. وفي لسان العرب لابن منظور: والقيام بمعنى العزم، والمقام: موضع القدمين، والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر أي اعتدل والقوام: العدل، ويراد به أيضاً حسن الطول.

والدين القيم: أي المستقيم، وفي قوله تعالى: أي مستقيمة تبين الحق من الباطل.

والملة القيمة: المعتدلة والأمة القيمة كذلك⁽⁴⁾.

وفي "تاج العروس" للزبيدي: أن "القيمة" بالكسر: واحدة القيم وهو ثمن الشيء بالتقويم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت.

(1) _ البقرة: 03.

(2) _ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص 262.

(3) _ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج12، ص 496، 506.

(4) _ المصدر نفسه، ج12، ص 496، 506.

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

ومنه تقويم السلعة أي: تميمها وتقديرها، وقومته: عدلته فهو قويم ومستقيم، والقيم الاستقامة، قال كعب:

فهم صرفوكم حين جرتم عن الهدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيم⁽¹⁾

وأمر قِيم: أي مستقيم.

وخلق قِيم: أي حسن.

ودين قِيم: مستقيم لا زيغ فيه.

والقِيم: السيد وسائس الأمر، وهي قِيمَةٌ⁽²⁾.

وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة" للدكتور أحمد مختار عبد الحميد:

قوم المعوج: سواه وعدله، وأزال عوجه.

أقوم: اسم تفضيل، ومعناه أكثر عدلا وقربا من الصواب، فتقول هذا الرأي أقوم من غيره.

والقوم: هو المعتدل غير معوج فتقول سلوك قوم أي: معتدل⁽³⁾.

ومنه القيم هي: الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، وما ينبثق

عنها من علم القيم: وهو علم يشمل القيم أو الفضائل وبوجه خاص القيم الأخلاقية⁽⁴⁾.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن لفظ "القيمة" يحمل عدة معاني أهمها:

- الاعتدال والاتزان.

- الثمن المقدر للأشياء.

- العدل: فقوام الشيء أي عدله.

- ومن معانيها أيضا الاستقامة.

(1) البيت الشعري من ديوان كعب بن زهير، من قصيدة مطلعها فأعطي حي مات ما لا وهمة وورثني إذ ودع المجد والكرم.

(2) محمد الدين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، دار الفكر، بيروت، 1414هـ، ج17، ص590، 598.

(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتاب، د ع، 2008، ج3 ص1874، 1878.

(4) المرجع نفسه، ص1878.

- كذلك يطلق لفظ "القيمة" ويراد به الثبات والديمومة على الشيء.
- كما يطلق على الخلق الحسن، فالقيمة تعبر عن الحسن.
- يراد بالقيمة أيضا الشيء اليقيني، الذي لا زيف فيه ولا ريب ومنه الدين القيم، أي: المستقيم الذي لا زيف فيه.

والملاحظ أن هذه المعاني كلها تصب في قالب الخصائص العامة للقيم، أو القيم الإسلامية على وجه الخصوص، فالكثير من هذه المعاني نجدتها تتطابق مع تلك الصفات الموجودة في القيم الإسلامية.

أ- مدلول القيمة في القرآن الكريم

ورد لفظ القيم في القرآن الكريم في العديد من المواضع، وبعده صيغ مختلفة في تصريفها، لكنها تعود إلى مصدرها أو جذرها الأول وهو الفعل "قام".

-لفظ "القيم" ورد في أربعة مواضع من القرآن الكريم وهي:

- 1- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (1).
- 2- في قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2).
- 3- في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْمَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3).
- 4- في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْمَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴾ (4).

(1) _ التوبة: 36.

(2) _ يوسف: 40

(3) _ الروم: 30.

(4) _ الروم: 43.

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، قال: «أي الحساب الصحيح والعدد المستوفى وروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس «ذلك الدين: ذلك القضاء، مقاتل: الحق، قال ابن عطية: والأصوب عندي أن يكون الدين ها هنا على أشهر وجوهه أي: ذلك الشرع والطاعة "القيم" أي: القائم المستقيم، من قام يقوم بمنزلة سيد، من ساد يسود أصله قيوم»⁽²⁾.

من خلال تفسير القرطبي للآية من سورة التوبة، وما نقله عن المفسرين يرجع معنى "القيم" هنا إلى ثلاثة معاني.

الأول: الحساب الصحيح.

الثاني: الحق

الثالث: الاستقامة.

وكل هذه الأقوال تحمل معنى الكمال والتمام وهو ما لاحظناه لاحقاً في معنى القيم، سواء عند بعض المدارس الغربية، أو في الفكر الإسلامي إذ تشير في مجملها إلى كمال الشيء ومثاليته.

وفي موضع آخر من سورة يوسف يذكر القرطبي في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي القويم⁽³⁾.

وفي نفس الموضع من سورة يوسف، يذكر ابن الجوزي في معنى لفظ "القيم" قال «أي: المستقيم يشير إلى التوحيد»⁽⁴⁾.

فقد فسر القيم بمعنى التوحيد لهذا عدّ التوحيد من أهم قيم العقيدة الإسلامية بل يعد في قمة الهرم القيمي، فهو دعوة الأنبياء والمرسلين على مر الأزمنة والعصور، فقد كان هدفهم دفع البشرية إلى الاتجاه الصحيح وهو الكمال الأخلاقي والروحي من خلال تحقيق العبودية لله وحده.

والدين القيم معناه الإسلام فقد نقل القرطبي قول الزجاج بأن الدين القيم يراد به: أقم قصدك واجعل

(1) - الروم: 30

(2) - محمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ج10، ص197، 198.

(3) - المصدر نفسه، ج11، ص351.

(4) - عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987م، ج4، ص226.

وجهتك إتباع الدين القيم، يعني الاسلام⁽¹⁾.

- وفي موضع آخر من سورة الروم، الآية الثلاثون ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: هو دين الإسلام، الدين القيم المستقيم⁽²⁾، قال ابن الجوزي: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: التوحيد المستقيم⁽³⁾.

يتضح مما تقدم أن كل هذه المعاني تحمل في مدلولها الكمال والتمام، وهو ما عبّر عنها ب: المستقيم أو التقويم، أو التوحيد... الخ

- "قيما" ورد في موضعين من القرآن الكريم

في قوله تعالى من سورة الأنعام ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رِبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: من سورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾⁽⁵⁾.

في الموضع الأول من سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: «دينا قيما» قال: «معناه دينا مستقيما لا عوج فيه»⁽⁶⁾.

وفي الموضع الثاني من سورة الكهف ﴿قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾. قال القرطبي «وقيما نصب على الحال، وقال قتادة: الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تأخير، ومعناه: ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما، وقول الضحاك فيه حسن، وأنّ المعنى: مستقيم، أي: مستقيم الحكمة لا خطأ فيه ولا فساد ولا تناقض، وقيل قيما على الكتب السابقة يصدقها وقيل «قيما» بالحجج أبدا»⁽⁷⁾.

(1) _ القرطبي، المصدر السابق، ج16، ص 444.

(2) _ المصدر نفسه، ج16، ص 430.

(3) _ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص 430.

(4) _ الأنعام: 161.

(5) _ الكهف 1-2.

(6) _ القرطبي: المصدر السابق، ج9، ص 138.

(7) _ المصدر نفسه، ج13، ص 204، 205.

في هذا الموضع من سورة الكهف أطلق لفظ القِيم موصولا بالكتاب وهو القرآن الكريم، الكتاب الصحيح القويم الذي أنزل من عند الله والذي لا ريب فيه ولا شك، فهو مصدق لما جاء في الكتب الأخرى، وهو المصدر الرئيس الأول للقيم والمبادئ والأخلاق، ومن هنا كان القرآن الكريم منبع القيم الإسلامية ومهداها.

"قيمة" في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾⁽¹⁾.

في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁽²⁾.

في معنى قوله تعالى: «ذلك دين القيمة» يقول القرطبي: «ذلك دين القيمة» أي: ذلك الدين الذي أمروا به دين القيمة أي: الدين المستقيم، وقال الزجاج أي: ذلك دين الملة المستقيمة»⁽³⁾.

كما بين ابن الجوزي قوله تعالى: «كتب قيمة» بأنها العادلة المستقيمة، التي تبين الحق من الباطل⁽⁴⁾.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن لفظ "القيم" في القرآن الكريم، لم يرد بهذه الصيغة، وإنما ورد بصيغ مقاربة لها في المبنى، وكذلك تقاربها في المعنى، فكما مرّ معنى في المدلول اللغوي للقيم بأنها تلك الفضائل الدينية والخالقية والاجتماعية التي تقوم بها حياة الإنسان كذلك هذه التفسيرات تقارب في مجملها معنى القيم في الإسلام.

ثانيا: المدلول الاصطلاحي

يختلف مفهوم القيم من مدرسة فكرية إلى أخرى ومن مذهب إلى آخر، فلا يوجد هناك اتجاه محدد في مفهوم القيم، فكل يعرفها انطلاقا من خلفيته الفكرية أو العقديّة أو بيئته الاجتماعية وما إلى ذلك، لذا سنورد أهم الاتجاهات التي تناولت مفهوم "القيمة".

1- الاتجاه العام في مفهوم القيمة

يجمع هذا الاتجاه بين المفاهيم المختلفة للقيمة، فيعطي تعريفا شاملا للقيم، بناء على اختلاف المعطيات

(1) _ البيهنة: 3.

(2) _ البيهنة: 5.

(3) _ القرطبي، المصدر السابق، ج2، ص 412.

(4) _ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص 196.

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية... الخ، وهو ما أنتجته المذاهب والاتجاهات الأخرى.

-هناك من يرى بأن القيم هي ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء مهتديا بذلك بمعايير اجتماعية تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه⁽¹⁾.

فالقيم بهذا المفهوم تبنى بناء اجتماعيا فهي خلاصة الأحكام التي يطلقها المجتمع على شيء ما ثم تتحول إلى قيم ومبادئ يسير وفقها فيحكم من خلالها على الأشياء بالحسن والقبح.

ومن يرى بأن القيم إيمان وقناعات الإنسان بأهداف مقدسة أو مشروعة تعطيه معايير للحكم على الأشياء والأفعال بالحسن والقبح، أو بالأمر والنهي، أو هي معتقدات كما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه، وانعكاس لثقافة المجتمع كما يمكن أن تصبح هدفا لديه⁽²⁾.

والملاحظ على هذا التعريف أنه يكل القيم إلى المقدس أو المعتقد، حيث تبنى القيم على ما يعتقدده الإنسان ويقدهه ويؤمن به، فيجعله الهدف الأسمى الذي يسعى ويعمل لأجله.

يعرف عبد اللطيف محمد خليفة القيم بأنها: «انعكاس للأسلوب الذي يفكر الأشخاص به في ثقافة معينة، وفي فترة زمنية معينة كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير، وقد تتجاوز الأهداف المباشرة للسلوك إلى تحديد الغايات المثلى في الحياة»⁽³⁾.

بناء على هذا التعريف فإن القيم هي انعكاس للثقافة والأسلوب الذي يفكر به الأشخاص يتناول فترة زمنية معينة إذ قد يتغير المفهوم من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر، فما كان قيمة في زمن مضى، قد لا يكون قيمة في عصرنا الحاضر، وهذا يلفت انتباهنا إلى أن الكثير من القيم التي كانت سائدة في أزمان ماضية، قد اندثرت في هذا الزمن بناء على تغير الثقافة ونمط التفكير.

يعرف عادل العوا القيمة من الناحية الموضوعية بأنها: «صفة الأشياء من حيث أنها جديرة بشيء قليل أو كثير من التقدير، مثال ذلك قيمة الحياة». فالقيمة في هذا التعريف تكتسب أهميتها من ذاتها فهي تعبر عن ذاتها، كلما كانت ذات أهمية في نفسها، كان استحقاقها لاسم القيمة أكبر، وقد دلت على ذلك "بقيمة الحياة".

(1) _ سعاد جبر سعيد، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، ط1، دار الكتاب العالمي، عمان 2008م، ص 17.

(2) _ المرجع نفسه، ص 18.

(3) _ عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، دار عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 14.

ويعرفها في موضع آخر بأنها: «صفة في الأشياء، قوامها أن تكون موضع تقدير إلى حد كبير أو صغير، أو أن يرغب بها شخص أو جماعة من أشخاص معينين وقد تطلق بهذا المعنى على "قيمة الاستعمال"»⁽¹⁾.
فالقيمة هنا تكتسب أهميتها من مدى توظيفها في واقعنا المعاش، مثال ذلك: المجتمع المتعاون والمتكافل، إذا وظف هذه القيمة وسعى إليها، أصبحت ذات أهمية فيعرف هذا المجتمع بهذه القيمة، ويصير في الوقت ذاته المتخلف عنها، متخلف عن قيم ومبادئ ذلك المجتمع الواحد، فيصير في المقابل خارجا عن دائرة المؤلف إلى الانحراف والتطرف، ومن هنا كان التطرف خروجا عن المبادئ والقيم التي يسعى إلى تحقيقها كل مجتمع.

2- الاتجاه الفلسفي في مفهوم القيمة

يبدو أن الفلسفة قد أولت اهتماما كبيرا بمسألة القيم، فقد أخذت القيمة حيزا كبيرا عند الفلاسفة، سواء الغربيين منهم، أو المسلمين فكل أدلى بدلوه في تحديد مفهوم "القيمة" ونذكر هنا جانبا مما عرضه الاتجاه الفلسفي في بيان مفهوم القيم⁽²⁾.

تعريف للفيلسوف جان بول رزقير⁽³⁾: «القيم ليست البتة مثلا عليا متعالية بل إنها تمثل المرجعيات الضرورية للتواصل كما تشكل الأشكال الضرورية للتعبير عن الرغبة»⁽⁴⁾.

تمثل القيمة في نظر صاحب التعريف نقطة التقاء بين الشعوب والمجتمعات يتواصلون من خلالها، وهو ما عبر عنه بأن القيم مرجعية ضرورية، حيث لا يمكن لمجتمع ما أن يتخلى عن قيمه ومبادئه بالكلية، فلا بد له ضرورة من قيم ومبادئ يسير وفقها ويرجع إليها.

وفي موضع آخر يعرف القيم بأنها: «الرموز التي تنسج أفق ثقافة وتصلح بعمل مبادئ ناظمة للتواصل الإنساني»⁽⁵⁾.

(1) _ عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط1، طلاسدار، دمشق، 1987م، ص 273.

(2) _ المرجع نفسه، ص 272.

(3) _ فيلسوف فرنسي من أتباع النزعة الانتقائية ولد في باريس عام 1833م حصل على الدكتوراة من جامعة باريس، من آرائه الفلسفية التأكيد على جوهرية النفس، كما أكد على وجود الله، وفي الأخلاق سعى إلى التوفيق بين مذهب أرسطو في السعادة ومذهب فولف في الكمال ومذهب كانت وفتشه في الشخصية الإنسانية، توفي سنة 1899م، أنظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1984م، ج2، ص 339.

(4) _ جان بول رزقير، فلسفة القيم، ترجمة: عادل العوا، ط1، دار عويدات، بيروت، 2001م، ص 34.

(5) _ المرجع نفسه، ص 35.

فالقيم على حدّ وصفه تعدّ الرمز لكل ثقافة من الثقافات والتي تتحلى بها المجتمعات، فهي تبني ثقافتها ولغتها وعقيدتها بما يتوافق مع تلك الرموز، فلو أخذنا الثقافة الإسلامية التي احتضنتها مجتمعاتنا المسلمة لوجدناها تقوم على رموز لا ينبغي المساس بما كونها هذه الأخيرة تؤسس للعقيدة الصحيحة، كالقرآن الكريم والنبي محمد ﷺ على اعتبارهما رمز من رموز الأمة الإسلامية.

لقد أوماً الفلاسفة القدامى إلى القيم بما يرادفها أو يشابهها، فلم يكن هذا المصطلح شائعاً عندهم، حيث كان يطلق على القيم اسم "المثل" أو "الفضائل".

وعليه يعرف الفلاسفة الفضيلة: بأنها كلمة مشتقة من المصطلح اللاتيني (virtus) وهي تعني القوة، وفي العربية مشتقة من الفضل، وهي بمعنى الزيادة في الخير (1).

يرى أفلاطون بأن الفضيلة هي العلم بالخير والعمل به، أما أرسطو فحدد الفضيلة بأنها الاستعداد الطبيعي للقيام بالأفعال المطابقة للخير، في حين يرجع "كانط" الفضيلة. بأنها صدور الفعل عن إرادة صالحة، وهذا فيه إشارة إلى أن القيم عبارة عن معالم يهتدى بها الإنسان في حياته. والفضائل عند الفلاسفة هي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، وأضدادها من الرذائل وهي: الجهل والشرة، والجبن والظلم، وقد جاء التفريق في العصور الوسطى بين الفضائل الخلقية وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة والفضائل اللاهوتية وهي الإيمان، والرجاء، والمحبة (2).

من بين التعاريف الفلسفية "للقيمة" تعريف آخر يرى بأن القيمة: تطلق على ما تتميز به الأشياء من صفات، تجعلها مستحقة للتقدير بذاتها، كالحق والخير والجمال، كانت قيمة مطلقة، وإن كانت تستحق التقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية مثلاً، أو الوسائل التعليمية، كانت قيمة إضافية (3).

وعليه تمخض لدينا نوعين من القيم، القيم المطلقة وهي ما استحققت التقدير لذاتها، فتكتسب أهميتها من ذاتها، وقيم نسبية وهي ما استحققت التقدير لغيرها وليس لذاتها.

وفي المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة لعبد المنعم الحفني: "القيمة" مرادفة للكلمة الفرنسية value، وهي مرادفة للثمن الذي تقوم به السلعة، وهو ما يقدره العاقدان عوضاً للبيع، ومنه ما قدره أهل الاختصاص

(1) _ حميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2000م، ص 404.

(2) _ المرجع نفسه، ص 404.

(3) _ المرجع نفسه، ص 446.

وقروره فيما بينهم للشيء يسمى قيمة، وتطلق القيمة على عدة معاني.

إذا كانت لذات الشيء فهي قيمته المطلقة، وإذا كانت لما فيه من منافع فهي قيمته الإضافية وعلم القيم يراد به في الفلسفة، مبحث طبيعة القيم وأنواعها ومعاييرها وهو من أبواب الفلسفة العامة، مرتبط بعلم الأخلاق، وفلسفة الجمال، ومبحث الإلهيات (1).

ويعرف الفيلسوف لوتسه (2) القيم بأنها: المعايير التي بها يتحدد معنى العالم يقول: تصوروا عالماً بلا قيم؟ (3). فحسب رؤيته أن العالم لا يمكن أن يعيش من دون قيم ومبادئ تحكمه، فلا بد من قيم في كل مجتمع، يسير في ظلها أياً كانت درجة التزامه بها قليلة أم كثيرة فهي تحول دون أن يتحول هذا المجتمع إلى مجتمع هش ومزعزع الاستقرار، تهزه الفوضى، ويعج بمختلف مظاهر التخلف والانحراف.

ويعرف "العوا" القيمة بأنها «مفهوم نشاط ذهني يتصور أمراً ذا شأو ويسميه قيمة، وهذا التصور الفكري متصل أشد الاتصال بالفعل، وما الفعل الواعي إلا استبصار واختيار» (4).

فهو يرى بأن القيمة تقوم على التصور البشري للأشياء الحسية أو المعنوية، فكل ما يتصوره الإنسان على أنه قيمة أو ذا شأن عدّ كذلك، وما حكم عليه بالعكس فليس بقيمة.

يعرف الربيع ميمون "القيمة" على النحو الآتي: «بأنها خاصية شيء يعتبر قابلاً للرغبة فيه إذا التفتنا إلى ناحية التجريد فيها، أو بأنها الشيء الذي يعتبر قابلاً للرغبة فيه إذا التفتنا إلى ناحية التعيين فيها» (5)، إذ القيمة بهذا المعنى كل ما كان مرغوباً من الناحية الفطرية أو الإنسانية.

وبشكل عام نجد أن القيمة في هذا الاتجاه عبارة عن مصطلح فلسفي يعبر عن فلسفة القيم (6).

(1) _ عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مديولي، القاهرة، 2000م، ص 270-271.

(2) _ فيلسوف مثالي ألماني ولد في 1817/05/21م في باوتسن، درس الطب والفلسفة في جامعة ليبتيك وحصل على الدكتوراه، سعى إلى التوفيق بين المثالية الألمانية والعلوم الدقيقة، حيث يرى بضرورة الجمع بين العلم والفن والقيمة، من مؤلفاته "المنطق" و "علم ما بعد الطبيعة" توفي سنة 1881م أنظر: عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ج2، ص 367-368.

(3) _ عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص 617-618.

(4) _ عادل العوا، المرجع السابق، ص 43-44.

(5) _ الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبة والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 29.

(6) _ موسى معيرش، فلسفة القيم ماهيتها طبيعتها، ط1، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2016م، ص 37.

3- الاتجاه الاجتماعي في مفهوم القيمة

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى تعريف القيمة بناء على التصور الاجتماعي، فالقيمة عندهم في مفهومها لا تنفك عن المبادئ التي تعارف عليها المجتمع، فمن بين تلك التعاريف التي ساقها علماء الاجتماع عن القيم نذكر منها.

أن القيم هي حقائق أساسية هامة في البناء الاجتماعي وهي في ذلك تعالج من وجهة نظر سوسولوجية على أنها عناصر تشتق أساساً من التفاعل الاجتماعي⁽¹⁾، فالمجتمع هو الذي يحدد القيم من خلال تفاعل أفرادها وما نتج عن ذلك من تجارب في الحياة.

وفي قاموس علم الاجتماع لعاطف غيث القيمة: «مبدأ مجرد وعمام للسلوك يشعر أعضاء الجماعة نحوه بالارتباط الانفعالي القوي، كما أنه يوفر لهم مستوى للحكم على الأفعال والأهداف الخاصة، ولذلك تضع القيم مجموعة المستويات العامة للسلوك التي يكون المعايير الاجتماعية التعبير الواضح والملموس لها، وتعتبر العدالة والحرية والوطنية وغيرها، أمثلة على القيم، وجدير بالذكر أن القيم تضع المبادئ التنظيمية والضرورية لتكامل الأهداف الفردية والجماعية»⁽²⁾.

فالقيمة في هذا التعريف مبدأ مجرد يستمد قوته من ذاته، حيث يتجه إليه المجتمع، فيحقق لهم الرابط القوي بين الأفراد والجماعات، مثال ذلك قيمتي العدالة والحرية، حيث كل منها يستمد قوته من ذاته، فمعلوم عند كل المجتمعات ضرورة، أن الحرية والعدالة مبدأ من مبادئ الحياة، فلا يمكن أن ينكر ذلك عاقل، مهما كانت ديانته أو انتماءه أو المجتمع الذي يعيش فيه.

ويرى "زيمل" من علماء الاجتماع أن كل القيم تصدر عن أصل اجتماعي لذلك يعرفها بأنها: منظومة عامة من العلاقات لا منظومة علاقات نوعية، وهذا الاجتماع ينجم عن علاقات أولية بين الأفراد، كالسيطرة، والمنافسة، والتعارض، والتبادل، وهذه العلاقات متجددة باستمرار⁽³⁾. فالقيمة بهذا المفهوم نتاج شبكة من العلاقات المجتمعية، تبدأ بالتواصل الاجتماعي إلى أن تصير مبدأ يهتدي به المجتمع.

وعليه فإن الإنسان في نظر أصحاب هذا الاتجاه مدين للمجتمع بما يكون إنسانيته العليا ومدين له

(1) _ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1996، ص 503، 504.

(2) _ المرجع نفسه، ص 504.

(3) _ عادل العوا، المرجع السابق، ص 646.

بكل ما يوصله إلى أن يفكر أو يخترع، أو يحكم ويستدل وكل ما يمكنه لأن يتجاوز واقعه ويرتفع إلى أشكال المثالية المتعددة، فإذا ألغينا الحياة الاجتماعية زال كل شيء يميز الإنسان عن أوحش الحيوان⁽¹⁾.

يتضح مما تقدم أن القيم مبناه وأساسها المجتمع، فالمجتمع هو الذي يحدد القيم من خلال تفاعل أفرادها فيما بينهم، فكل ما أجمع عليه المجتمع من سلوك أو خلق وحكم عليه بالحسن فهو من قبيل القيم، وكل ما أجمع على رفضه وتناقلته الأجيال بعدم القبول جرد من القيمة.

4- الاتجاه الاقتصادي لمفهوم القيمة:

لقد بدأ الحديث عن القيم عند أصحاب هذا الاتجاه بداية عصر النهضة الأوروبية، وإن طرح هذا الموضوع بشكل عام في الفكر الإنساني منذ القدم أي مع الوجود البشري على هذه الأرض، ويقال أن أول من بدأ الكلام في هذا الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس، خاصة في كتابه "السياسة"، وقد كانت نظريته للقيمة داعمة لموقفه الفلسفي بشكل واضح وهذا ما أدى إلى بروز نظريته في القيمة عند فلاسفة القرون الوسطى⁽²⁾.

5- الاتجاه النفسي لمفهوم القيمة

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم لها رابط قوي بالنفس البشرية، حيث تمثل ما يؤثره ويفضله ويختاره الإنسان من موضوعات تتجه إليها الرغبة وتمليها علينا حاجتنا وهل يمكن أن توجد أو نكون بلا قيم؟ وكيف نتعامل إذن إن لم تكن هناك قيم مع العولميين والليبراليين؟ وكيف نطالب بالعدالة والحق، وندعو الآخرين أن يعاملونا بالخير؟ لذا فإن القيم من المحددات الهامة للسلوك لأنها أشمل من كل رغبة وحاجة واتجاه ودافع، وهي التي تستولد الحاجات والرغبات⁽³⁾، فالقيم من وجهة نظر نفسية هي ما تعبر عنه النفس من ميول ورغبة تجاه ما تختاره وتحده.

فهي الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير، أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي⁽⁴⁾.

فكل ما وافق النفس ومشى مع ميولاتها ورغباتها في إطار القانون الأخلاقي فهو من قبيل القيم، وما استقبلته النفس ورفضته خرج عن كونه قيمة أو مبدأ أخلاقيا.

(1) _ الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 214.

(2) _ موسى معيرش، فلسفة القيم، ص 46-47.

(3) _ عبد المنعم الحفني: الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003، ص 96.

(4) _ لحميل الحاج، المرجع السابق، ص 405.

من خلال ما سبق ذكره في مفهوم "القيمة" نجد بأن هذا المصطلح قد أخذ عدة أبعاد انطلاقاً من تنوع الخلفيات الفكرية والمذهبية لأصحابه، فيتغير مفهومه من مدرسة إلى أخرى، فكل يعرفه من زاوية تخصصه الدقيق غير أنه أخذ حيزاً كبيراً في المجال الفلسفي متماشياً مع خصوصية هذا العلم.

وفي هذا يقول الربيع ميمون: «إنها كلمة يستعملها أصحاب الاختصاصات المختلفة من لغويين وموسيقيين، رياضيين واقتصاديين وفلاسفة وغيرهم»¹

6- الاتجاه الإسلامي في مفهوم القيمة

على غرار المذاهب والفلسفات التي تناولت موضوع القيم، نجد أن الإسلام كانت له نظرة متميزة ودقيقة في هذا المجال، فكانت البداية مع إطلاق علماء المسلمين الأوائل لفظ "الفضيلة" على القيم، ذلك أن هذا المصطلح لم يكن شائعاً في أول الأمر، وجعلوا الفضيلة كل أمر محمود يطلبه الإنسان، فيفرون بذلك بين المحمود والمنبوذ، فأطلقوا على الأولى اسم الفضيلة وجعلوا في مقابل ذلك المنبوذ رذيلة.

يقول الراغب الأصفهاني: «حق الإنسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك، سواء أمكنه أن يبرز ذلك فعلاً أو لم يمكنه، وذلك بأن يكون على هيئة الأسخياء والشجعان والحكماء والعدول وإن لم يكن ذا مال يبذله، ولا عرض له مقام تظهر فيه نجدته، ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيها عدالته»⁽²⁾.

يرى الراغب الأصفهاني أن الفضيلة: هي ما يكتسبه الإنسان من خلق، حيث تنهياً نفسه لهذا الاكتساب، ودللاً على ذلك بالسخاء والشجاعة والحكمة وهي قيم يسعى كل إنسان لاكتسابها سواء أمكنه ذلك أم لم يمكنه.

وجاء في كتاب "معارج القدس في مدارج معرفة النفس" للغزالي: «أن الفضائل وإن كانت كثيرة فيجمعها أربع تشمل شعبها وأنواعها وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة»⁽³⁾. فهو يعبر هنا عن القيمة بالفضيلة، وفي موضع آخر يقول: «اعلم أن أكثر الفضائل والرذائل إنما تنشأ من ثلاث قوى في الإنسان قوة التخيل وقوة الشهوة وقوة الغضب فهذه ثلاث معينات للنفس ومثبطات زيادة تبصرة»⁽⁴⁾.

(1) - الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 29

(2) - أبو القاسم الحسن بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007م، ص 105.

(3) - أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط 2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1975م، ص 85.

(4) - المصدر نفسه، ص 77.

أما عن مفهوم القيمة عند المعاصرين فنورد أهم التعريفات.

تعريف الربيع ميمون: «القيمة تدل على صفة شخصية تعبر صاحبها مقاما مرموقا في مجتمعه مادامت زينة له يتحلى بها في معارك الحياة ولقد صارت تدل على معاني أخرى مع مر الأيام، وانتشر استعمالها في ميادين الفكر المختلفة»¹.

وعرفها علي عبد العزيز موسى بأنها: «المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة، ويتمثلها ويلتزم بها الإنسان المسلم، وبالتالي تتحدد في ضوئها علاقته بربه واتجاهه نحو حياته في الآخرة، كما يتحدد موقفه من بيئته الإنسانية والمادية، وتعبير آخر اتجاهه نحو الحياة الدنيا، فهي معايير يتقبلها ويلزم بها المجتمع المسلم أعضاؤه من الأفراد المسلمين، ومن هنا فهي تشكل وجدانهم وتوجه سلوكهم على مدى حياتهم لتحقيق أهداف لها جاذبية يؤمنون بها»⁽²⁾.

وعرفها مانع بن محمد المانع في كتابه "القيم بين الغرب والإسلام" بأنها: «مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات حياته تتلائم مع قدراته وإمكانياته وتتجسد من خلال الاتجاهات أو الاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العملي بصورة مباشرة وغير مباشرة»⁽³⁾.

وقريب منه تعريف جابر قميحة الذي يرى أن القيمة: «مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة»⁴

وتعرف سعاد جبر سعيد "القيم الإسلامية" بأنها: «نظرة الإنسان المسلم لشيء ما وفق المعايير الشرعية التي تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه وفق الكتاب والسنة، ومن هنا فإن العقيدة الإسلامية هي منبع القيم فهي ثابتة بثباتها، عكس الفلسفة الغربية التي تنظر إلى القيم على أنها متغيرة ومرتبطة بالواقع تتغير بتغيره»⁽⁵⁾.

(1)- الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 29

(2) _ علي عبد العزيز موسى، إحسان خليل الآغا وآخرون، علم النفس الديني، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1993م، ص 199.

(3) _ مانع بن محمد المانع، القيم بين الإسلام والغرب، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 2005م، ص 16.

(4) - جابر قميحة، مدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ص 41

(5) _ سعاد جبر سعيد، المرجع السابق، ص 17.

كانت هذه جملة من التعريفات التي قدمها الاتجاه الإسلامي، تظهر أن مفهوم القيمة في التصور الإسلامي يأخذ اتجاهين رئيسين هما.

الاتجاه الأول: وهو الذي يعرف القيم على أنها الفضيلة، فظهر هذا الاتجاه بصفة خاصة عند فلاسفة الإسلام الأوائل على غرار الغزالي والفراي وغيرهم، والاتجاه الثاني: في تحديد مفهوم القيمة في التصور الإسلامي هو الاتجاه المعاصر وهو أكثر شمولاً وتوسعا في بيان مفهوم القيم الإسلامية ذلك في محاولة لصياغة تعريفات تتماشى والعصر الحاضر، إذ يرى أن القيم الإسلامية لا تبقى حبيسة المفاهيم الأولى، حيث حصرت القيم في تلك الفضائل التي تناولها علماءنا في الزمن الماضي، وإنما يتسع المفهوم ليشمل التصور الإسلامي برمته للحياة، يقول جابر قميحة: «ليس هناك أصعب من البحث في القيم الإسلامية لا لعموض في الموضوع أو انغلاق في مناحيه، ولكن لاتساعه وترامي أطرافه، ورحابة مراميه، فالبحث في القيم الإسلامية يعني البحث في الإسلام كله، ليس الإسلام هو دين القيم الإنسانية والأخلاق النبيلة»⁽¹⁾.

وعليه فالقيم في التصور الإسلامي هي كل ما جاء به الإسلام من عقائد وشرائع ومعاملات للبشرية جمعاء، والتي تركز في مجملها على بناء الإنسان وتحقيق خلافته في الأرض.

المطلب الثاني: أهمية القيم في الحياة الإنسانية

تعتبر القيم عنصرا مهما في الحياة الإنسانية على اعتبار أنها تلعب دورا في إدراك الأفراد لما يدور حولهم وتصورهم للعالم المحيط بهم، فالقيم لها قداستها عند المجتمعات على اختلاف طبيعتها، وتركيبها الاجتماعية والثقافية والدينية... الخ، فهي مرتكزات أساسية تقوم عليها عملية التفاعل الاجتماعي، والإنسان هو الذي يقوم بعملية التقويم، فهو دائما وأبدا وفي كل زمان ومكان يقوم الأشياء فيصدر أحكاما قيمة عليها⁽²⁾.

لذا فالقيم تعد ضرورة اجتماعية لها معايير وأهداف لا بد وأن نجدها في كل المجتمعات، حتى تلك البدائية منها والتي تبدو على أنها متخلفة وقديمة غير أنها في الحقيقة تعيش مع تلك القيم ولو كانت سلبية في حقيقتها⁽³⁾.

(1) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 11.

(2) _ عبد الحليم الالوسي، منظومة قيم الحياة الإنسانية بين عقيدة التوحيد وبين العلمانية الشاملة، رسالة (دكتوراه غير منشورة)، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، قسنطينة، 2014-2015م، ج1، ص 83.

(3) _ المرجع نفسه، ج1، ص 83.

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

فالقيم بصورة أوضح تعد إحدى عناصر الهوية لكل مجتمع، فمجتمع بلا قيم يساوي مجتمعا بلا هوية، ويوم ابتعدت الكثير من المجتمعات الإسلامية عن قيمها، فقدت هويتها ولم يعد هناك ما يفرق بينها وبين المجتمعات الغربية⁽¹⁾.

فكلما سادت المجتمع تلك القيم الخيرة والنبيلة، نتج عن ذلك استقرار ورفي. وكلما غلب على المجتمع تلك القيم الفاسدة. فسد المجتمع بفسادها⁽²⁾.

يقول سيد قطب في كتابه "معالم في الطريق": «تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية، لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها، فهذا عرض للمرض وليس هو المرض...ولكن بسبب إفلاسها في عالم "القيم" التي يمكن أن تنمو الحياة الإنسانية في ظلها نموا سليما وتترقى ترقيا صحيحا»⁽³⁾.

ويؤكد هذا الربيع ميمون بالقول أن: «الإنسان مهما كان مستواه، لا يستطيع أن يعيش بدون قيم، وأن يترك البحث عما هو أسمى في نظره من القيم الحاصلة له، لأن القيمة في النهاية هي كل شيء بالنسبة إليه، وهي في نظرنا كل شيء، وكل فعل أو نشاط، وكل وصف مرغوب فيه أو قابل للرغبة فيه يحفظ وجوده، ويسعده ويثريه، ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى، أنها كل ما يثبت إنسانيته، ويؤكدها، ويسمو بها من درجة إلى أخرى أعلى منها، وباستمرار مع رغبته فيه، أو قابلية للرغبة فيه»⁽⁴⁾.

يقول إريك فروم: «إنّ النوع الإنساني، إذ تعوزه القدرة على التصرف وفقا لما تمليه الغريزة، وإذ يمتلك القدرة على الوعي بذاته والقدرة على إعمال العقل والخيال، وهي صفات تتجاوز كثيرا قدرة أمهر الرئيسيات على التفكير الفعال والعملي، فإنه أي النوع الإنساني بحاجة إلى إطار للتوجه، بحاجة إلى موضوع يكرس حياته من أجله لكي يستطيع مواصلة الحياة»⁽⁵⁾.

فالإنسان في نظر إريك فروم بحاجة إلى ما ينظم حياته ويوجهها التوجيه الصحيح، كما أنه بحاجة إلى أهداف ومعالم يضعها ليعيش لأجلها، وإلا صارت حياته لا تختلف عن حياة غيره من الكائنات.

(1) _ عبد الخليم الالوسي، المرجع السابق، ج1، ص 84 ن 85.

(2) _ عبد الله أحمد حريري، المرجع السابق، ص 73.

(3) _ سيد قطب، معالم في الطريق، ط6، دار الشروق، بيروت، 1979م، ص 34.

(4) _ الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 327.

(5) _ إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعيد زهران، دار عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص 129.

يمكن إجمال أهمية القيم في الحياة الإنسانية في النقاط الآتية:

- 1- أن القيم صمام أمان للمجتمعات من مختلف المظاهر السلبية التي تهدد كيانه الفكري والأخلاقي.
- 2- تحقق التوازن النفسي لأفراده فيدفعهم ذلك إلى البناء والإعمار.
- 4- حاجة الإنسان الماسة للقيم في حياته، فلا يمكن له العيش من دون قيم ومبادئ تحكمه فهو بذلك يتميز عن غيره من المخلوقات بهذه القيم والمبادئ التي تبرز إنسانيته.
- 5- كما تكمن أهمية القيم في أنها تعطي التصور العام للحياة، فيدرك بذلك الفرد أهمية حياته، وما يدور حوله، فيدفعه ذلك إلى العمل والتنظيم بما يتماشى وتلك القيم، حتى لا يختل التوازن والاستقرار.
- 6- القيم تحافظ على هوية المجتمع وثقافته⁽¹⁾.

ويؤكد سيد قطب على ضرورة وجود القيم في حياة الإنسان من خلال حديثه عن قيم العقيدة الإسلامية التي تتبعها الأمة المسلمة كما وصفها بقوله أن:

«...الأمة المسلمة ليست "أرضاً" كان يعيش فيها الإسلام، وليست "قوماً" كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامي، إنما «الأمة المسلمة» جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازنهم كلها من المنهج الإسلامي...»⁽²⁾.

(1) _ ماجد الزبيد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق، عمان، 2006م، ص 26، 28.

(2) _ سيد قطب، المرجع السابق، ص 5، 6.

المبحث الثاني: القيم بين التصورين الغربي والإسلامي

المطلب الأول: تصنيف القيم بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي

لم يتفق الباحثون على تقسيم محدد للقيم، فكل يرى لها تقسيماً مختلفاً عن الآخر، وذلك لصعوبة حصرها والإمام بها وكذلك تصنيفها.

وفي هذا يقول موسى معيرش إن: «إشكالية تصنيف القيم، من الإشكاليات الجديرة بالدراسة، ذلك أن اهتمام الفلاسفة والعلماء بها، في مختلف عصورهم وأمصارهم، وتنوع منطلقاتهم وتخصصاتهم، جعل الجميع في حاجة إلى تقديم تصنيف يتوافق وتخصصه المعرفي من جهة ونزعتة الفكرية من جهة أخرى»¹.

أولاً: تصنيف القيم في الفكر الغربي

سبق الحديث على أن تناول موضوع القيم كان مع بداية ظهور الفلسفة اليونانية، لذا كان تقسيمهم للقيم على أنها: قيم عقلية وقيم جمالية، وقيم أخلاقية، وهي مأخوذة من التقسيم الأول لفلاسفة اليونان الذين يرون بأن القيم تتمثل في المحاور الرئيسية الثلاثة، وهي الحق، والجمال والخير⁽²⁾.

وهو ما أكده مانع بن علي المانع في كتابه "القيم بين الغرب والإسلام" حيث جعل القيم في الفكر الغربي تقوم على:

- قيم عقلية، والمتعلقة بالحق.
- قيم جمالية، والمتعلقة بالجمال.
- قيم أخلاقية، متعلقة بالخير⁽³⁾.

وقد تبعهم في ذلك الكثير من المفكرين والفلاسفة الغربيين المعاصرين، خاصة عند أصحاب النظرة المثالية للقيم، كالفيلسوف كانط (1724-1804) حيث جعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها وليست في الغايات التي يقوم خارجها، وإنه يجب على الإنسان أن يرتفع بحياته إلى المستوى الأخلاقي الذي يدفعه إلى وضع الواجب في قلبه⁽⁴⁾.

(1) - موسى معيرش، تصنيف القيم بين الدين والفلسفة، ط1، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2016م، ص13

(2) - الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 46.

(3) - مانع بن علي المانع، المرجع السابق، ص53

(4) - المرجع نفسه، ص 53.

في حين نجد أن بعض الفلاسفة يتجه عكس ذلك على غرار الفيلسوف ميكافيلي الذي يصنفها على أساس المنفعة، ومنه بدأ نقده اللادع للكنيسة والقيم المسيحية ودعوته الصريحة بالعودة إلى القيم الرومانية والديانة الرومانية التي يرى فيها الخلاص لإيطاليا، وعلى هذا كرس مقولته الشهيرة الغاية تبرر الوسيلة¹.
وعليه فإن القيم في الفكر الغربي تختلف تقسيماتها باختلاف الاتجاهات الفلسفية، من الاتجاه اللاهوتي، إلى الوضعي أو المثالي، فكل يراها من الزاوية التي هو فيها ويحكم عليها بناء على ذلك.

ثانياً: تصنيف القيم في الفكر الإسلامي

مما يصعب تصنيف القيم وبيان أنواعها في الفكر الإسلامي هو صعوبة حصرها والإمام بها، «إذ أنها قد يكون لها من الدلالات القيمية ما يتعدى النطاق المؤلف للقيمة في حد ذاتها فعلى سبيل المثال نجد أن قيمة العلم لا تقتصر دلالتها على النطاق العلمي الذي ألفناه، وإنما تتعداه إلى نطاق واسع رحابه ومداه»⁽²⁾، فالعلم هو ضرب من ضروب العبادة، كما يمكن أن يكون ضرباً من ضروب الجهاد، كذلك هو صدقة لمن علمه، لذا فإن القيم في الإسلام متداخلة بعضها في بعض، وكل واحدة من هذه القيم يمكن أن تتضمن عدة قيم أخرى، ومن هنا جاءت الصعوبة في حصرها وتصنيفها.

وعلى هذا نذكر أهم هذه التقسيمات لبعض المفكرين في هذا المجال ونبدأ مع:

تصنيف الربيع ميمون: الذي يجمع فيه القيم الممكنة في الباب الواحد مثال ذلك: العدل والشجاعة والحلم، على اختلافها وتمايزها، يمكن الجمع بينهما تحت عنوان: القيم الأخلاقية⁽³⁾. والقيم السياسية، كذلك العمل مع بقية القيم جمعها تحت باب واحد.

وعبد اللطيف محمد خليفة أحد المهتمين بمجال دراسة القيم، الذي يوزعها على ستة أصناف، القيمة النظرية والقيمة السياسية والقيمة الاجتماعية والقيمة الاقتصادية والقيمة الجمالية والقيمة الدينية⁽⁴⁾.

تقسيم آخر "للعوا" في كتابه "عمدة القيم" يرى بأن هناك قيم أساسية هي: القيم الاجتماعية والقيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية⁽⁵⁾، فهو يقسمها إلى ثلاث محاور كبرى، وكل قيمة منها يدخل تحتها قيم عديدة

(1) - موسى معيرش، تصنيف القيم، ص 202-209

(2) - علي عبد العزيز موسى، إحسان خليل الآغا وآخرون، المرجع السابق، ص 260.

(3) - الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 31-32.

(4) - عبد اللطيف محمد خليفة، المرجع السابق، ص 14.

(5) - عادل العوا، المرجع السابق، ص 445-527.

فالقيم الأخلاقية على سبيل المثال يدخل تحتها: الواجب والحق، العدل، الفضيلة، الخير... الخ وهكذا يجعل مع كل قيمة ما يندرج تحتها.

أما مانع علي في كتابه "القيم بين الإسلام والغرب" فيرى بأنها ثلاثة أنواع:

1- القيم العليا: وهي القيم التي تسمو بالإنسان وتميزه عن سائر المخلوقات وهي من أرقى القيم وأرفعها كالعبودية والحق والعدل والإحسان والحكمة... الخ.

2- القيم الحضارية: وهي القيم التي تتعلق وترتبط بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية فتلعب دورا مهما في نهضتها ورفقيها من ذلك الاستخلاف والمسؤولية والحرية، والمساواة والعمل والقوة، والأمن... الخ.

3- القيم الخلقية: وهي القيم التي لها صلة بأخلاق المسلم وسلوكه، فتعمل على تقويمه سلوكيا حتى تأسس به لبنات المجتمع المسلم، نذكر منها: البر، الأمانة، والصدق، والأخوة، التعاون، الوفاء، الصبر... الخ⁽¹⁾.

المطلب الثاني: المقارنة بين القيم في الفكر الغربي والفكر الإسلامي

قبل الحديث عن القيم وخصائصها ومصادرها في الفكر الإسلامي، نعرض قبل ذلك على القيم في الفكر الغربي، لنعقد من خلال ذلك مقارنة بين النهجين الغربي والإسلامي، ومنه نثبت مدى فاعلية القيم الإسلامية في ميادين الحياة، وقدرتها على مجابهة نظيرتها من القيم الغربية التي توشك ان تتراجع، وفي هذا يقول سيد قطب: «فقيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال لا لأن الحضارة الغربية قد أفلست ماديا أو ضعفت من ناحية القوة والعسكرية ولكن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيда من «القيم» يسمح له بالقيادة»⁽²⁾.

لذا نحاول في هذا المطلب أن نعرض على الأسس التي بنيت عليها الفلسفة القيمية في الغرب، والتي أحدثت فيما بعد اختلالا واضحا في التوازن الفكري والنفسي عند الإنسان، وكان نتاج ذلك تولد أزمات في الحضارة الغربية امتد صدها وتأثيرها إلى جميع أنحاء العالم.

(1) _ مانع بن علي المانع، المرجع السابق، ص 24.

(2) _ سيد قطب، معالم في الطريق، ص 4.

أولاً: القيم في التصور الغربي

1- اتجاهات تصور القيم في الفكر الغربي

يعتمد الفكر الغربي في تصوره للقيم على العديد من الاتجاهات، التي تعتبر نقاط ارتكاز في بناء تصوره للقيم وهي عدة اتجاهات أسس لها فلاسفة غربيين.

●الاتجاه المثالي: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن القيم تنبع من ذلك العالم المثالي، فهي موجودة فيه، وهو ما انتهى إليه سقراط وأفلاطون من وجود قيم موضوعية مطلقة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ولا تتغير بتغير الظروف والأحوال، يرى أيضاً أصحاب هذه المدرسة بوجوب وجود مصدر آخر يستقى الناس منه القيم، فلا بد أن يكون مصدر هذه القيم عالم آخر غير هذا العالم، أي عالم ما وراء الطبيعة المثالي.

فكل ما يفكر فيه الناس من قيم الخير والحق والجمال، ما هي إلا أفكار باقية من العالم المثالي الذي عاشوا فيه قبل مجيئهم إلى هذا العالم (1).

ومنه القيم عند هذا الاتجاه ليست وسيلة إلى غاية تقوم خارجها، بل هي بينة بذاتها لا تحمل برهاناً ولا تقبل تبريراً، عامة وليست جزئية، ضرورية وليست عارضة لا تقبل شكاً أو جدلاً أو تحتمل تناقضاً، تكاد تشبه بديهيات الهندسة ومصادراتها (2).

وقد انتقل هذا التصور إلى الإنسان إذ يرى فيه أصحاب هذه النظرية بأنه ينزع إلى الكمال إذا استقام فكره، فهو دائماً يحاول التحقق بالصورة العليا من تلك المثل في شخصيته، كما أنه لا يقف في معرفته وتصوره للأشياء عند الصورة المادية القرينة، وإنما يصعد إلى تأمل تلك المثل بعينها، بل ويرغب في مفارقة الحياة للتخلص من أسس المادية، حتى تعود روحه إلى عالم المثل (3).

أما في الفكر الإسلامي فإن المثالية هي التزام أمثل الأشياء وأفضلها وأكملها، كما درج عليه كثير من الناس في عصرنا الحاضر، حيث يقابلونها مع الواقعية والتي تعني التزام الواقع والرضا به، ولذلك نقول: فلان

(1) _ عبد الله محمد أحمد حريري، القيم في القصص القرآني، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م، ص 57، 58.

(2) _ صلاح قنصوه، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، 2010م، ص 104.

(3) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 53.

مثالي وفلان واقعي، وفي القرآن الكريم ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، فجعلت الآية الكريمة المثل السيء، هو عبارة جامعة لكل معاني الشر والفساد، والمثل الأعلى الذي يقاس عليه فعل الخير والصلاح وكل ما هو رشاد واستقامة، وذلك هو الفضائل والصفات الحميدة والأعمال الصالحة⁽²⁾.

ومنه نجد أن المثالية في نظر الإسلام ليست هي الوصول الفعلي إلى هذه المثل، وإنما هي الاتجاه نحوها، أي نحو الفضيلة والحق والجمال، وأن تعشق ذلك كله، وأن تحوي إليه أفئدة الناس، فالإسلام واقعي في مثاليته، مثالي في واقعيته يجمع بين هذا وذاك⁽³⁾.

• الاتجاه اللاهوتي:

يذهب أصحاب هذه النظرية ومن بينهم الفيلسوف الفرنسي نيقولا مالبراس⁽⁴⁾ (1638-1815م) الذي يستبعد أن يكون الإنسان هو الذي أحدث هذه الحقائق الكلية والمعاني العامة للوجود، ذلك لقدرة هذه الأخيرة وتفوقها على العقل البشري، فهي طبيعة لا نهائية، ومن ثم فالعقل البشري عاجز عن إيجادها والوصول إليها، فلا يبقى إلا احتمال واحد وهو وجود هذه المعاني في الله، وبهذا يقول الفيلسوف جوتفريد ليبنتز (1646-1716)⁽⁵⁾ الذي يرى أن الأخلاق الضرورية متعلقة بالعقل الإلهي، مثال ذلك: الخير أو القيم الخلقية، فذهب أكثر الفلاسفة اللاهوتيين إلى أن الخير مردّه إلى الله، فهو الذي أمر به، وصادر عنه⁽⁶⁾.

وعليه فالاتجاه اللاهوتي هو الذي يحكم على مصدرية القيم بأنها من الله، وهو نفس القول عند بعض

(1) _ النحل: 60.

(2) _ محمد المدني، المثالية في نظر الإسلام، مجلة الأزهر، العدد34، السنة م1962، ص 535.

(3) _ المرجع نفسه، ص 537-538.

(4) _ فيلسوف فرنسي من أتباع المدرسة الديكارتية، مع نزعة دينية وصوفية واضحة ولد في باريس في 5 أغسطس 1638م من أسرة برجوازية كاثوليكية، عني بدراسة الكتاب المقدس إضافة إلى علم الفيزياء والميكانيك والرياضيات، فضلا عن الميتافيزيقا والأخلاق، من مؤلفاته كتاب "في البحث عن الحقيقة" كما له آراء متنوعة في الفلسفة والقيم أنظر: عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ج2، ص329-333

(5) _ فيلسوف وعالم رياضي ألماني ولد في 1646م في مدينة ليبسك، درس الفلسفة وكتب المنطق الرياضي، وفن التركيب، والمعرفة، عرف بأرائه عن الكون والمكان والزمان والحرية، كما كانت له إسهامات في الحقل السياسي توفي في 14 نوفمبر 1716 في مدينة هونفر أنظر "عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ج2، ص387-396

(6) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 51، 52.

فلاسفة المسلمين كالفراي، الذي علق على قول أفلاطون بأن المثل القائمة هي خارج الذهن الإنساني وخارج الأشياء، حيث ذهب إلى أن المقصود هو وجودها في علم الله، لأنه الموحد الخالق لها، لا في عالم مستقل (1).

● **الاتجاه الاقتصادي:** يذهب أصحاب هذه المدرسة إلى أن القيم مبناهما هو الحالة الاقتصادية لدى الفرد والمجتمع، وأن مجمل السلوكيات والمفاهيم الأخلاقية إنما تتغير تحت تأثير العوامل الاقتصادية، ومن أشهر أعلام هذه المدرسة كارل ماركس الذي أسس للمذهب الشيوعي، بناء على الفلسفة المادية ومن ثم فإن الاقتصاديين يجعلون مصدر القيم هو العلاقات الإنتاجية وبالتالي فهي ليست ثابتة بل متغيرة حسب الظروف الاقتصادية للفرد والمجتمع (2).

«فالقوى الاقتصادية هي التي توجهها -أي الأفكار- وهي التي تكيف حالة الناس الاجتماعية هي التي تحدد بناهم العليا ويعني هذا أن البنية التحتية هي التي تحرك عجلة التاريخ، فعملية الإنتاج هي التي تكيف عملية الوجود الاجتماعي والسياسي والروحاني، في جملته، فضمير الناس لا يحدد كيانهم الاجتماعي ولكن كيانهم الاجتماعي هو الذي يحدد ضميرهم (3).

فوجهة نظر الاقتصاديين للقيمة تتلخص فيما عبّر عنه ماركس بأن الأفكار السائدة في أي عصر من العصور ما هي إلا أفكار الطبقة المسيطرة فهذه الطبقة تعمل على أن تسود أفكارها ومعتقداتها فتقوض من يسعى إلى التطلع إلى الحرية والعيش الكريم، فيصبح الضعفاء في أيدي الأقوياء يتلاعبون بأفكارهم ومشاعرهم بوعود وهمية يعيشون حياتهم عليها» (4).

● **الاتجاه الاجتماعي:** تركز القيم في المدرسة الاجتماعية على المجتمع حيث يرى أصحابها أن المجتمع هو مصدر القيم، فما يراه المجتمع حسنا فهو حسن وما عدّه المجتمع قبيحا حكم عليه بذلك فالمجتمع هو الحكم على القيم والمبادئ، ومن ثمّ فالقيم تختلف من مجتمع لآخر، بناء على تعدد الأعراف والثقافات فالقيم عند أصحاب هذا الاتجاه من صنع المجتمع وتعبّر عن الواقع لذلك فهي حقائق واقعية تعبّر عن السلوك (5).

(1) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 51 ن 52.

(2) _ عبد الله محمد أحمد حريري، المرجع السابق، ص 62-64.

(3) _ الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 193.

(4) _ عادل العوا، المرجع السابق، ص 636.

(5) _ عبد الله محمد أحمد حريري، المرجع السابق، ص 64-68.

ويعني هذا أن القيمة التي تتضمن الإلزام والقابلية للرغبة فيها والتي يجب أن يكون لها شيء من الموضوعية حتى يمكننا التطلع إليها، لا يوجد لها مصدر إلا المجتمع.

والمجتمع حسب ما يتصوره دوركهايم هو الذي يفرضها وهو الذي نتطلع إليه عندما نتعلق بها إذ أنه ذات قيمة تعبر عن نفسها في الوعي الفردي من جهة وموضوع قيمي يمنح الأفراد مثلاً أعلى يطمحون إليه من جهة أخرى⁽¹⁾.

وعليه نجد بأن القيم عند أصحاب الاتجاه الاجتماعي مصدرها الأساسي هو المجتمع، فمنه تخرج القيم والمبادئ والأخلاق، حيث تتشكل في بدايتها من تفاعل أفراد ثم ترقى إلى قيم.

● **اتجاه الفلاسفة الطبيعيين:** يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن القيم تأتي عن طريق تفاعل الإنسان مع الأشياء ومواقفه تجاهها، فالقيم في هذه المدرسة تقوم على الإنسان، وما ينتج من مفاهيم وقيم جعلها معالم يهتدي بها في حياته اليومية، يحكم من خلالها على الأشياء المحيطة به في هذا العالم، فالأشياء تصبح لها قيمة عندما تتوجه إليها الإرادة الإنسانية، حيث ترغّب فيها وتشوق إليها، وتؤثر بها وتتأثر بها⁽²⁾.

ومنه تفسر الظواهر عند أصحاب هذا الاتجاه في نطاق ما هو طبيعي «فليس وراء الطبيعة شيء، وليس غير الخبرة الحسية مصدر للمعرفة أو القيم، فالخبرة هي مصدر الأحكام العلمية مثلما هي منشأ أحكام القيمة، وتردّ بذلك القيمة إلى الذات أو الفاعل بما له من خصائص معينة»⁽³⁾.

يعني هذا أن القيم في الاتجاه الفلسفي الطبيعي مردّها إلى الخبرة الإنسانية فالخبرة الإنسانية التي تتراكم عند الإنسان من خلال تفاعله مع ما حوله هي كفيلة وحدها بتوليد القيم والمبادئ التي يحيا بها الإنسان في هذا العالم.

والخلاصة أن هذه الاتجاهات تشكل تصور الحضارة الغربية لموضوع القيم، فاللاهوتية ترجع القيم إلى الله، والمثالية إلى العالم الآخر، والمدرسة الاقتصادية جعلت ما ينتج من الإنسان أو المنفعة هي مصدر القيمة، بينما الاجتماعيون يرون بأن القيمة أساسها المجتمع، والفلاسفة الطبيعيين يرون أن الإنسان هو مصدر القيم، فكل هذه الرؤى المختلفة تؤكد على عدم الاتفاق في مبدأ القيم في الفكر الغربي، وهذا ما أثر سلباً على

(1) _ الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 215.

(2) _ عبد الله محمد أحمد حريري، المرجع السابق، ص 68، 69.

(3) _ صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، 2010م، ص 65.

الحضارة الغربية ومنه انتقل تأثيره إلى الحضارة الإسلامية بحكم التصادم الحضاري.

في المقابل نجد أن القيم في الفكر الإسلامي: «هي كل لا يتجزأ ينبع من تصور القرآن للكون والحياة والإنسان، وهي كما يصورها الإنسان جزء من العقيدة وعنصر من عناصر الإيمان»⁽¹⁾. فهي ثابتة بثبات العقيدة الإسلامية وخالدة بخلودها.

2- أسس القيم في الفكر الغربي

تأتي القيم في الفكر الغربي بعيدة كل البعد في تركيبها وأسسها التي بنيت عليها عن حقيقة القيم في التصور الإسلامي، فصورة الغرب الآن ما هي إلا عاكسة لحقيقة التصور القيمي عنده، والذي أثر بشكل أو بآخر على الحضارة الغربية، ومنه فالمتأمل في الفكر الغربي يجد القيم عنده تركز على ثلاثة أسس رئيسة وهي العقل، المادة، المنفعة، وكل واحد من هذه الأسس أحدث انقلاباً على التصور الصحيح للقيم، وهذا مهد فيما بعد لظهور انحرافات مست الدين والعقيدة على غرار الإلحاد، والعلمانية وغيرهما.

الأساس الأول: العقل

وقد بدأ اعتماده كمرجع رئيس في الفكر الغربي بعد الانقلاب الحاصل على الكنيسة فيما يسمى بعصر التنوير⁽²⁾ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي ويعتبر هذا الاتجاه العقلي مضاداً للدين ومناوئاً له فقد ظهر كرد فعل على تطرف الكنيسة التي بسطت نفوذها على أوروبا فعارضت العلم والعلماء وقمعت المفكرين، واتهم كل من خرج عليها بالزندقة ومعاداة الكنيسة ومحور هذه الفلسفة الفعلية، هو أن العقل وحده مصدر للمعرفة اليقينية فالعقل وحده له الحق في إدارة كل اتجاهات الحياة على اختلافها سياسة أو ثقافية أو اقتصادية... إلخ⁽³⁾.

فالفلسفة العقلانية أو المذهب العقلي كما يسمى «مذهب فكري فلسفي يقوم على العقل فقط وينكر الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وينكر المعجزات وخوارق العادات ويخضع العقائد الدينية للعقل، وهنا تكمن

(1) _ عبد الله محمد أحمد حريري، المرجع السابق، ص 69.

(2) _ اتجاه ثقافي ساد أوروبا الغربية في القرن 18م من أشهر أعلامه فولتير، وهولباخ، وديدرو وغيرهم، يجمع أغلب مفكريه على فكرة تجسيد العقل والعلم، فالعلم هو الطريق إلى العلم وكان شعارهم العلم للجميع، كما امتاز هذا العصر بشدة الصراع بين الطبقة المثقفة والكنيسة التي كانت تحت جنح السلطة الحاكمة آنذاك، ساهمت أفكارهم في إحداث ما يعرف بالنهضة الأوروبية فيما بعد أنظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ج1، ص405-406.

(3) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 119-133.

عقله، مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي بل لكل دين سماوي صحيح»⁽¹⁾.

وقد مهد هذا لظهور فلسفات جديدة على غرار فلسفة التفكيك وهي: «تلك الفلسفة التي ترفض المرجعية الفكرية والأخلاقية، هادفة من ذلك نسف أي أساس للحقيقة وإلى تقويض ظاهرة الإنسان، فليس هناك في فلسفة التفكيك حقيقة واحدة، بل مجموعة من الحقائق المتناثرة النسبية وليس في الإنسان إلا بعد واحد، وهو البعد المادي الجرد من القيم الأخلاقية والجمالية والروحية، تسيطر عليه العقلانية المادية وتطبق عليه معايير العلوم الطبيعية والرياضية الكمية»⁽²⁾.

وقد نتج عنه أيضاً ظهور عدة نظريات غريبة لمفكرين غربيين تشبعوا بالمدرسة العقلية، على غرار نظرية دارون. في أصل الكائنات، ونظرية فرويد في الجنس، والنظرية الماركسية لكارل ماركس التي بدأت كمذهب اقتصادي ثم سرعان ما تحولت إلى فلسفة في الحياة تشمل جميع مناحيها⁽³⁾.

وتعد ظاهرة الإلحاد التي اجتاحت العالم الغربي ومنه امتدت إلى بقية أنحاء العالم، أحد أبرز المخاطر التي تهدد العالم في العصر الحديث، وهي من مخلفات طغيان المدرسة العقلية على الحياة في أوروبا. لذا فالدين في الفكر الغربي يعيش حصاراً وتضييقاً عليه، فلا يعدو تلك الكنائس فهو محيد ومبعد عن الحياة ولا يمكن أن يعلو شيء على العقل حتى ولو كان الدين في حد ذاته في الفكر الغربي.

الأساس الثاني: المادة

يعتبر التوجه المادي أحد أنماط التفكير التي يتبعها الغرب أو الحضارة الغربية. وهو تفكير يقوم على إنكار الوجود غير المادي أو إهماله وتهميشه عكس الفكر الإسلامي الذي يجعل من الإيمان بالغيب أحد أركانه. فالتفكير المادي لا يرى حدود لهذا العالم أو نهاية فالعالم عنده ممدود، وقد نتج عن هذا إنكار الإيمان بالله واليوم الآخر وغير ذلك من الغيبات الأخرى.

فالتفكير المادي يبني على الحس والتجربة وأن كل علم وتفكير فهو قائم على ما هو محسوس ومجرب وبه تم استبدال التفكير العقلي الذي يجعل العقل مصدراً للعلم، بالتفكير الحسي الذي يجعل الحس مصدراً للعلم والمعرفة⁽⁴⁾.

(1) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 245.

(2) _ المرجع نفسه، ص 119-133

(3) _ المرجع نفسه، ص 119، ص 133.

(4) _ مانع محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 141-142.

وقد تمخض عن هذا التصور نتائج وآثار ألفت بظلالها على الفكر الغربي ومنه شقت طريقها نحو العالم نذكر منها:

- إنكار الدين وإلغائه من الحياة وتهميشه فلا يدخل في أي ساحة من ساحاتها.
- ردّ الكثير من الأمور الغيبية وعدم الإيمان بها بناء على نظرية كل ما هو محسوس فهو موجود، وكل ما ليس محسوس فليس موجود.
- إنكار المبادئ والقيم الأخلاقية، وعدّها مجرد مسائل عاطفية وأحاسيس وجعل مادة الأخلاق تباين مادة العلوم لأنها محض مشاعر وانفعالات وليس مدركات حسية⁽¹⁾.
- انهيار منظومة المبادئ والقيم الأخلاقية وبالتالي انهيار العلاقات الإنسانية التي تجمع بين الناس وتوحدتهم تحت مظلة الإنسانية.

الأساس الثالث: المنفعة

تعد المنفعة من منطلقات الفكر الغربي في تصوره للقيمة، حيث يربط كل حاجات الإنسان ورغباته باللذة والمنفعة، فغاية الإنسان في هذا الوجود هو تحقيق أكبر قدر ممكن من اللذة والمنفعة، فاللذة في نظره هي الشيء الخير الوحيد في الوجود، ويعتبر هذا الاتجاه اتجاهها فلسفياً قدم الظهور حيث بدأت بوادره في الحقبة اليونانية، ثم انتقل إلى كل أوروبا والعالم في ثوبه الجديد فكان ظهوره في القرن الثامن عشر ميلادي، وسرعان ما هيمن على العديد من مجالات التفكير كالاقتصاد والسياسة والثقافة وغيرها من المجالات الأخرى⁽²⁾.

معلقاً على هذا الاتجاه يقول مانع علي: «أن القيم إنما تقوم على مبدأ المنفعة، سواء كانت فردية أم عامة، وأن جوهر كل الفضائل ينبع من هذا المبدأ ويقوم على أساسه»⁽³⁾.

فالقيم في نظر النفعيين لا تنفك عن اللذة فهي متصلة بها، وكل ما يعتقدونه الناس من القيم، كالأخلاق والعدالة والشرف وغيرها ما هي إلا آراء تواتر عليها الناس، ولا قيمة لها إلا باتصالها باللذة أو المنفعة⁽⁴⁾.

(1) _ صلاح قنصوة، المرجع السابق، ص 26.

(2) _ مانع علي المانع، المرجع السابق، ص 133، 136.

(3) _ المرجع نفسه، ص 137.

(4) _ عادل العوا، المرجع السابق، ص 619.

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

وعن مخاطر هذه الفلسفة البراجماتية على الغرب والعالم يتحدث أنور الجندي أنها فلسفة قامت «على أساس أشد وثاقا بالإلحاد والإباحة من الفكر الغربي نفسه، الذي كانت الفلسفة المسيحية الغربية وخاصة الكاثوليكية ما تزال تؤثر فيه، فالبراجماتية تعارض الدين والعقائد، وتنكر الثبات والخلود واللائهائية وتعارض القانون الأخلاقي وترى أن السلوك الخلقى شيء آخر غير الآداب الاجتماعية القائمة على الدين وأنه يمكن أن يكون المجتمع منظما دون أن تكون روحه خلقه»⁽¹⁾.

ومنه فإن هذه السياسة النفعية التي انتهجتها أوروبا والعالم الغربي، خلفت وراءها نتائج غير محمودة على المنظومة الأخلاقية الإنسانية حيث:

- انتشر الإلحاد وإنكار الدين.
 - شيوع الإباحية والفساد الأخلاقي، وكسر كل القيم والحواجز الأخلاقية.
 - طغيان الرأسمالية المتوحشة على العالم وعلى وجه الخصوص العالم المتخلف.
 - الطبقة الاجتماعية واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، سبب سياسة الأنا والغلبة للأقوى.
- وغير ذلك من الآثار التي خلفتها هذه الفلسفة في الواقع الغربي، وقد امتد صداها إلى العالم الإسلامي، الذي أصبح يتجرع هذه الأفكار ويجسدها في واقعه ويتنازل تدريجيا عن القيم والمبادئ الإسلامية.
- كانت هذه هي الأسس التي بنى عليها الغرب تصوره للقيم، وقد استمدتها من تصوره المشوه عن الدين والحياة والإنسان الذي استقاه بدوره من تلك العقائد المحرفة، وفي ذلك يقول أنور الجندي: «هناك نظرية في تقسيم الفكر البشري تضعه في ثلاث قوالب مستقلة: الفكر الشرقي وهو فكر غيبي (غنوصي) يقوم على أساس الوجدان والبصيرة والإشراق، والفكر الغربي وهو فكر مادي هيليني يقوم على أساس العقل المحسوس وبينهما الفكر الإسلامي وهو فكر قرآني جامع بين العقل والوجدان يربط بينهما برباط التوحيد»⁽²⁾ فالفكر الإسلامي وسط بين تطرفين تطرف مادي وآخر روحي، وكلاهما يعطل الحياة ويشوش على تصورهما الصحيح والمعتدل.

(1) _ أنور الجندي، الإيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، دة، د ت، ص 65-66.

(2) _ المرجع نفسه، ص 15.

ثانيا: القيم في تصور الفكر الإسلامي

1- مصادر القيم في الفكر الإسلامي

تختلف النظرة إلى القيم في الفكر الإسلامي عن غيره من عدة جوانب، سواء من جهة المصادر، أو من جهة المميزات والخصائص ما يؤهلها لتكون قيما عالمية تتماشى والفطرة الإنسانية.

فمن حيث مصادرها نذكر ثلاث مصادر أساسية تعد المنبع الرئيس للقيم الإسلامية، كما تعتبر بمثابة الخزان للقيم، وهي على الترتيب الآتي:

-القرآن، السنة النبوية، أو السيرة العطرة للنبي ﷺ ثم في المرتبة الثالثة، قيم الجاهلية والتي كانت في المجتمعات الجاهلية فحاء الإسلام إما ليوافقها أو ليهدبها ويقرها.

• القرآن الكريم مصدر القيم

يأتي القرآن الكريم في المرتبة الأولى كونه المهد الأول التي تنطلق منه القيم، وذلك أن هذه الأخيرة تستمد منه القداسة والثبات والإطلاق، حيث لا تخضع للتغير الزمان والمكان ولا تبدله، فهي واحدة عند جميع المسلمين، كتقوى الله، والعمل الصالح، مكارم الأخلاق وغيرها⁽¹⁾.

ويقصد بها عند الأشاعرة القيم التي مصدرها النص المقدس أي النقل، وهي مختلف أشكال القيم التي استقاها هؤلاء من القرآن الكريم، أو من السنة النبوية، وعلى هذا الأساس لم يضعوا أصولا للعقيدة الإسلامية بل وضعوا منهجا، وهذا للتصور القائم عندهم على أن القرآن والسنة صريحان وواضحان في هذه المسألة⁽²⁾.

في حين نجد أن القيم ذات الطابع البشري هي ما أنتجه العقل البشري المسلم بناء على تجارب ومواقف وآراء في مختلف العصور والأمصار، مما يجعلها تختلف من بيئة إلى أخرى، وهو ما مهد لظهور الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة⁽³⁾.

وعن مصدرية القرآن للقيم والمبادئ يقول سيد سابق: «إنّ من يبتغي الحق ويريد الوصول إلى التعاليم الإلهية الصحيحة، لا يجد أمامه غير القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي حفظت أصوله، وسلمت تعاليمه، وتلقته الأمة عن محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى، الأمر الذي لم يتوفر لكتاب مثله، وأنه

(1) -موسى معيرش، تصنيف القيم بين الدين والفلسفة، ص50

(2) - المرجع نفسه، ص185

(3) - المرجع نفسه، ص50

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

الجامع لأسمى المبادئ وأقوم المناهج، وخير النظم والحافل لكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد، والعبادات، والآداب، والمعاملات، والنظم، وإنه الكفيل بخلق الفرد الكامل والأسرة الفاضلة والمجتمع الصالح، والحكومة العادلة والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدل، ويرفع الظلم ويدفع العدوان وأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلافة ووراثة الأرض»⁽¹⁾.

وللهبنة على صحة القول بأن القرآن هو مصدر للقيم ندلل ببعض الأمثلة:

- فقيمة الإيمان مثلاً تتجلى في قوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَآ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ﴾⁽²⁾.

فالآية تدل على أعلى القيم وأهمها، ألا وهي قيمة الإيمان، فالإيمان بالله يقتضي الإيمان بما جاء به، من الكتب والرسول والملائكة واليوم الآخر، والقرآن كله جاء ليغرس فينا قيمة الإيمان، والتي تسمو بروح المسلم وعقله أو فكره، حتى يتميز عن غيره، ممن لا إيمان لهم ولا هدى⁽³⁾.

- ومن ذلك قيمة التبعيد في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾⁽⁴⁾.

- وقيمة التقوى في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيدُوْنَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنَّاقِيْنَ﴾⁽⁵⁾.

- وقيمة الحق في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيْمِ﴾⁽⁶⁾.

وغير ذلك من القيم الكثيرة الموجودة في القرآن والتي تدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب هو كتاب قيم بامتياز، فلا يمكن التشكيك فيما يدعو إليه ويأمر به، فكل ما جاء به من عقائد وأحكام ومعاملات وغيرها، إنما يصب في قالب القيم الكبرى والأساسية التي جاء بها الإسلام للعالمين.

(1) _ سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ص 169-170.

(2) _ البقرة: 285.

(3) _ علي عبد العزيز موسى، المرجع السابق، ص 203، 204.

(4) _ النساء: 36.

(5) _ القصص: 83.

(6) _ البقرة: 119.

فهو الجامع للحقائق كلها كما يقول الجرجاني: «هو المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه قلا متواترا بلا شبهة والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها»⁽¹⁾.
وعليه فإن النظر في القرآن الكريم من جهة خصائصه وما يمتاز به عن الكتب الأخرى، يجد بأنه كتاب جمع كل المواصفات والخصائص التي تجعله مصدرا للقيم الإنسانية والعالمية التي تهتدي بها كل البشرية.
فمن مزايا القرآن الكريم نجد:

1- هيمنته على الكتب الأخرى:

والمقصود بالهيمنة على الكتب السابقة هو تأكيد القرآن الكريم على نزول الكتب الأخرى، مع حفظ أصولها، وهي أصول الدعوة التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، وأبرزها وأهم تلك الأصول هو التوحيد قال تعالى:
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾⁽²⁾. فالهيمنة في هذه الآية الكريمة تحمل عدة مدلولات مختلفة ولكنها تتفق في جعل القرآن شاهدا على صدق تلك الكتب وتلك الأصول التي جاءت بها، فهو شاهد على صحة ما جاء فيها كما هو شاهد على ما طرأ عليها من تحريف وتبديل⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ يُرْسِلُونَ﴾⁽⁴⁾. وهنا يشهد القرآن على ما أحدثه الأحرار والرهبان من تحريف وتغيير في كتبهم مع علمهم بهذا الجرم الذي اقترفوه، في حين يجيء القرآن الكريم محفوظا وشاهدا على بطلان ما في تلك الكتب من أساطير قد تراكت عبر الأجيال.

2- خاتمية القرآن الكريم: القرآن آخر الكتب السماوية وذلك لتعلقه بخاتم الأنبياء والمرسلين □ فكون

النبي ﷺ آخر الأنبياء، يقتضي ذلك أن ما أنزل عليه هو آخر ما أنزل.

(1) _ علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط1، مؤسسة الحسيني، الدار البيضاء، 2006م، ص 154.

(2) _ المائدة: 48.

(3) _ أحمد علي الإمام، القرآن الكريم، هيمنته وخاتميته، وعلميته، وخلوده، مجلة كلية القرآن الكريم، العدد: 1، السنة: 1427هـ/2006م، ص 12-15.

(4) _ البقرة: 75.

«ونتيجة لختم النبوة، يلزم أن تكون الرسالة خالدة مجردة عن حدود الزمان والمكان أيصالحة لكل زمان ومكان، وأن تكون لجميع البشر تحقيقا للعالمية»⁽¹⁾.

وللتأكيد على هذه الخاتمة للقرآن يخبرنا ﷺ بأنه آخر الأنبياء حتى لا يدع مجالاً للشك والريب يقول ﷺ «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داره فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع هذه اللبنة، قال ﷺ فأنا موضع اللبنة، جئت وختمت الأنبياء»⁽²⁾.

3- حفظ القرآن من التحريف: من خصائص الشريعة الإسلامية أن حفظ الله عليها مصدرها الأول من التحريف والتبديل، وهذه الخاصية انفرد بها القرآن الكريم عن سائر الكتب بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽³⁾. فقوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ»، فالذكر هنا هو القرآن، ومعنى قوله «لحافظون» فهو محفوظ من الزيادة أو النقصان فيه، وقد نقل القرطبي، قول قتادة وثابت البناني: في أن الله حفظ القرآن من أن تزيد الشياطين فيه باطلاً، أو تنقص منه حقاً فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً⁽⁴⁾.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: «وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»، قال «وشمل حفظه الحفظ من التلاشي والحفظ من الزيادة والنقصان فيه بأن يسر تواتره وأسباب ذلك وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي ﷺ فاستقر بين الأمة فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي ﷺ وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر»⁽⁵⁾.

4- عالمية القرآن الكريم: أما عالمية القرآن الكريم فإنه يستمدّها من كونه يخاطب البشرية جمعاء فلا يخص أمة دون أخرى، ومما يدل على ذلك استخدامه لتلك الألفاظ التي تحمل مدلولاً عالمياً موجهها للإنسانية كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽⁶⁾. فهذا الخطاب موجه للجميع دون استثناء للون أو الجنس أو العرق.

(1) _ أحمد علي الإمام، القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 25، 28.

(2) _ أخرجه البخاري، باب: خاتم النبي ﷺ، رقم: 3535 محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط1، دار طوق النجاة 1422هـ، ج4، ص 186.

(3) _ الحجر: 9.

(4) _ القرطبي، المصدر السابق، ج12، ص 180.

(5) _ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج14، ص 21.

(6) _ الأعراف: 158.

يقول ابن عادل الدمشقي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب: «لما بين تعالى أن من شروط حصول الرحمة لأولئك المتقين، كونهم متبعين للرسول، حقق في هذه الآية رسالة إلى كل الخلق، وقوله إليكم متعلق بـ "رسول" وجميعاً حال من المحرور بـ «إلى» هذه الآية تدل على أن محمد عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى جميع الخلق»⁽¹⁾.

وفي ذات السياق يذكر عبد الحليم محمود: «أن القرآن عام للبشر جميعاً، عالمي للإنسانية جمعاء لأن الله وجه الخطاب في كتابه للناس جميعاً، ولأن المبادئ والأهداف التي نادى بها الشريعة الإسلامية فيها من العموم والشمول ما يجعل البشرية كلها مضطرة إليها ولأنها أخيراً المنهج الوحيد الذي لا منهج سواه للبشرية كلها في كل زمان ومكان»⁽²⁾.

صالح لكل زمان ومكان، إذ يعيش الإنسان به ويتعايش مع غيره، وفق القيم الإنسانية المشتركة المنبثقة عنه.

● السنة النبوية

تأتي السنة النبوية في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر القيم، ذلك أن وظيفة النبي ﷺ بعد الدعوة إلى التوحيد هي نشر القيم والفضائل، وإعادة بعثها في المجتمع بعد أن غيبت عنه طيلة المرحلة الجاهلية، فحياته ﷺ بما فيها من أقوال وأفعال كلها تحكي قيماً ومبادئ يتطلع إليها المسلمون فضلاً عن البشرية على اختلاف ألسنتها وألوانها.

«فالسنة النبوية المطهرة هي مصدر يزخر بالقيم الإسلامية الكثيرة، وحياة النبي ﷺ كلها مواقف نبيلة، والمجتمع الإسلامي الذي عاصر النبي ﷺ لا مثيل له في التاريخ، ولأن السنة النبوية المطهرة مصدر تشريعي لهذه الحياة قامت بالتوجيه ملازمة للقرآن الكريم واعتبارها مصدراً رئيسياً للقيم بعد القرآن أمر لازم وضروري ومهم وواجب اشتقاق القيم منها ومن القرآن الكريم»⁽³⁾.

لذا كان من مقاصد الدعوة النبوية الدعوة إلى القيم والفضائل وفي هذا يقول الندوي: «فتهذيب الأخلاق وتركيب النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية، ومقاصد البعثة المحمدية وفي القرآن ما يدل على أن الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمة، فإن القرآن قد أطلق لفظ الحكمة

(1) _ أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج9، ص345.

(2) _ عبد الحليم محمود، التربية الروحية في الإسلام، دار التوزيع، بور سعيد، 2001م، ص161-162.

(3) _ مانع بن محمد بن علي المانع: المرجع السابق، ص191.

على هذه الأخلاق والآداب بعدما ذكر رؤوسها وأصولها في سورة الإسراء فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (1)(2).

فالحكمة هنا ترادف الأخلاق والقيم من حيث المعنى أو تقاربها وقد ذكرت في القرآن في أعلى المراتب قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (3).

فقد خص الله سبحانه نبيه على غرار سائر الأنبياء بالرسالة الخالدة والعالمية وهي رسالة الإسلام للناس كافة، وأودع فيه من الأخلاق والفضائل والقيم، ما جعله النور الذي يقتبس منه المسلمون في حياتهم بعد القرآن الكريم (4).

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: «كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه» (5).

وفيما يأتي نذكر أبرز خصائص نبوته ﷺ وما تميزت به رسالته لنبرهن على مصداقية هذه الأخيرة للقيم. فمن أهم ما ميز رسالته ﷺ أنها:

-رسالة عامة شاملة للإنسانية تتماشى مع جميع الأمم والحضارات على اختلافها، عكس الرسائل الأخرى التي كانت تأتي لقوم خاصة كرسالة موسى وعيسى عليهما السلام جاءت لقومهما خاصة كذلك بقية الأنبياء، فغالبا ما يشير القرآن إلى ذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (6). وفي إبراهيم يقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (7). وغير ذلك من الآيات الدالة على بعث الأنبياء إلى أقوامهم.

(1) _ الإسراء: 39.

(2) _ أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة في السلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ط2، دار القلم، الكويت، 1983م، ص 133-134.

(3) _ البقرة: 151.

(4) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 99.

(5) _ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 24601، ج 41، ص 148.

(6) _ الأعراف: 59.

(7) _ الأنعام: 83.

وقد بين ﷺ ذلك بقوله: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»⁽¹⁾. فبين ﷺ أنه بعث لجميع الناس فلم يخص جهة دون أخرى ولا طائفة دون أخرى لهذا تحدث بلفظ "الأمة" وهي جامعة لكل الناس من هنا كانت قيمه ﷺ التي جاء بها تمس الإنسانية دون أن تستثني منها أحداً أياً كان لونه أو عرقه أو عقيدته⁽²⁾.

- شمول رسالته ﷺ لكل ما يحتاجه الإنسان من أحكام اعتقادية وخلقية وعملية، فالأحكام الاعتقادية ما تعلق بالإيمان وتوابعه، والأحكام الخلقية: ما اشتملت عليه الرسالة من أخلاق وفضائل والقيم، والأحكام العملية: تمثلت في تلك المعاملات التي قررها الإسلام، وبين الحلال من الحرام في التعامل حتى تستقيم حياة الناس، على قيم العدل والتعاون، وسائر الفضائل، كما يكبح جماح الظلم وحب السيطرة وأخذ الحقوق وسائر الرذائل⁽³⁾.

- كذلك ما تميزت به رسالته ﷺ كونه خاتم الأنبياء قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽⁴⁾. فهو آخرهم ﷺ قال ابن عباس: «يريد لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً»⁽⁶⁾.

وقد أوماً إلى كونه خاتم الأنبياء ﷺ عندما استخلف علياً عند الهجرة فقال له: «ألا ترضى أن تكون

(1) _ أخرجه مسلم، باب: وجوب بيان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم: 240 مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح عن

رسول الله تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دت، ج1، ص 134

(2) _ مصطفى سعيد الحن، محي الدين ديب متو، العقيدة الإسلامية، أركانها، حقائقها، معتقداتها، ط2، دار ابن كثير، دمشق، دت، ص 328-333.

(3) _ المرجع نفسه، ص 333-343.

(4) الأحزاب: 40

(5) _ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج6، ص 393.

(6) _ أبو الفدا عماد الدين ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة، 2004م، ج3، ص 635.

مني بمنزله هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي»⁽¹⁾.

وأن رسالته ﷺ ناسخة لجميع الرسالات، مع الاحتفاظ بالجانب الأول منها، وهو جانب العقائد وهذا أصل ثابت في جميع الرسالات، وعند جميع الأنبياء، وأما الجانب الثاني وهو ما تمثل في أحكام المعاملات والعبادات وغيرها، فهذا إما يطرأ عليه النسخ، أو تأتي الرسالة لتوافقه وتكمله.

وقد ذهب أكثر أهل العلم «على جواز نسخ الشرائع المتقدمة ووقوعه-أي النسخ-وكل أمة صدقت نبيا قالت: بنسخ الشريعة السابقة لتوقفها على نسخها، وأجمعوا على أن شريعة نبينا محمد ﷺ باقية إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

وقد استجمع النبي ﷺ في حياته كل قيم الخير، فكان أنموذجا للإنسان المتكامل في جميع الجوانب، فهو الرسول الزوج، والرسول القائد، والمربي، والمعلم...إلخ.

ومن هنا نجد أن كل ما يصدر عن النبي عليه الصلاة والسلام من أفعال وأقوال وتقارير، إنما هي قيم أسس لها لبناء مجتمع مسلم راشد قادر على تحقيق مبدأ الاستخلاف في الأرض، ومنه إلى قيادة الإنسانية وإخراجها من مستنقع الجاهلية.

1- الرسول الأمين (قيمة الأمانة)

كان ﷺ يلقب في الجاهلية "بالأمين" وهذا لحرصه على ودائع الناس وأماناتهم فلم تكن قريش تستأمن على ودائعها إلا محمدا ﷺ وقد ظهر حرصه عند الهجرة يوم خلف عليا رضي الله عنه وراءه بمكة ليؤدي الودائع لأصحابها، وهاجر هو وصاحبه أبو بكر وتزداد عظمة هذه الأمانة عندما يؤتمن على الوحي الذي أنزل عليه من ربه، وفي ذلك يقول ﷺ: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له"⁽⁴⁾.

فالأمانة من قيم الإسلام، إذ تعود بالنفع على المسلمين وهي الطريق إلى حفظ الحقوق وتحقيق العدل

(1) _ أخرجه مسلم باب من فضائل عليه بن أبي طالب رقم: 2404، ج4، ص 1870.

(2) _ الأحزاب: 40.

(3) _ برهان الدين بن خليل المعبري، رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار، تحقيق: حسن محمد الأهدل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م، ص132

(4) _ حديث حسن، أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 12383، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاکر، ط1، دار الحديث، القاهرة،

1995م. ج19، ص 376.

قال ﷺ: «إذ ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»⁽¹⁾.

فقد بان حرصه ﷺ على الأمانة قبل مجيء الإسلام، ثم أكد عليها وأمر بعدم تضييعها، ودعا إلى ترسيخها في المجتمع الإسلامي، بل وبين أن الأمانة لا تشمل فقط الودائع أو كما هو سائد في مفهومها عند الكثيرين، بل كل ما يحفظ ويرعى كالمال، الدين، العلم... الخ.

2- الرسول القائد (قيمة القيادة)

وتظهر قيادته عليه الصلاة والسلام في شجاعته وتقدمه بين يدي أصحابه في كل الأحوال والظروف، كما تبرز قيمته القيادية في تفقده لأحوال رعيته وجميع المسلمين.

- في إحدى الغزوات افتقد أحد أصحابه فقال لهم: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم فلانا وفلانا وفلانا قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا قال: لكني: أفقد جلييبا فاطلبوه» فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتى النبي ﷺ فوقف عليه فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعد النبي ﷺ فحفر له ووضع في قبره»⁽²⁾.

فجلييب كان من عامة الناس ولم يكن من كبراء القوم ولا أغنياءهم بل كان قصيرا دميما فكان له النبي ﷺ نعم الوفي فطلبه وبحث عنه ورفع قدره وشأنه بين الصحابة⁽³⁾.

3- الرسول الزوج (قيمة العشرة الزوجية)

وقد عرفه المسلمون كأنموذج للزوج الناجح الذي أسس لأسرة مكتملة البناء، فكان مثالا للوفاء لزوجاته وحبه لأبنائه، فأعطى الدروس في كيفية التعامل مع النساء وأوصى بهن وبنساء المسلمين خيرا.

فهذه زوجته خديجة رضي الله عنها التي كان ما يفتأ يذكرها بخير، تقول عائشة رضي الله عنها: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: اللهم هالة بنت خويلد، فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرا منها⁽⁴⁾، فبين وفاءه لها حتى بعد مماتها.

(1) _ أخرجه البخاري، باب: رفع الأمانة، رقم: 6496، ج8، ص 104.

(2) _ أخرجه أحمد في مسنده رقم: 19778، ج33، ص 22، إسناده صحيح على شرط مسلم

(3) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 104-105.

(4) _ أخرجه مسلم في صحيحه، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: 2437، ج4، ص 1889.

4- نبي الرحمة (قيمة الرحمة)

مظاهر رحمته ﷺ لا تكاد تحصى، وصفه ربه بأنه رحمة للعالمين فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾ كما وصفه بقوله: ﴿فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾⁽²⁾، فرحمته مستمدة من الله، لذا فهي شامل لجميع الخلائق دون استثناء.

فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾⁽³⁾.

- وبالأطفال مشفق كما جاء من حديث أبي هريرة قبل رسول الله ﷺ الحسن والحسين بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحد، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: "وما أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك"⁽⁴⁾.

- وبالحيوان، حيث قال ﷺ: «عذبت امرأة في هرة أوثقتها، فلم تطعمها، ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»⁽⁵⁾.

- ورحمته مع المخطئين والمذنبين فقد قبل توبة الغامدية، وغيرها من التائبين.

- تعدت رحمته إلى غير المسلمين، في معاملته وعلاقته الاجتماعية معهم، فقد جعل لهم ما للمسلمين، دون ظلم أو تعسف، على الرغم من هيمنة الإسلام آنذاك، وقوته⁽⁶⁾.

ويوثق أحد الغريبين شهادته عن النبي عليه الصلاة والسلام وهو توماس كارليل في كتابه "محمد المثل الأعلى" مبرزا فيها قيمة النبي عليه الصلاة والسلام ومكانته بين البشرية

يقول: «وإني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت، يسكن حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت

(1) _ التوبة: 128.

(2) _ آل عمران: 159.

(3) _ الفتح: 29.

(4) _ أخرجه البخاري، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، رقم: 5997، ج8، ص 7.

(5) _ أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تحريم قبل الهرة، رقم: 2242، ج4، ص 1760.

(6) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 101-102.

من لبّ وفضل، وإخلاص وحكمة، لا يتناول غرضاً فيتركه إلا وقد أثار شبهته، وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستشار فينته، وهكذا يكون الكلام وإلا فلا، وقد رأينا طوال حياته، رجلاً راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم، كريماً براءً رؤوفاً تقياً، رجل شديداً الجِدِّ مخلصاً»⁽¹⁾.

ويوضح صاحب كتاب "الخالدون المائة" مايكل هارت أن سبب تصنيفه النبي محمد ﷺ على رأس قائمة العظماء كونه:

- الإنسان الوحيد الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستويين الديني والديني.
- قائداً ناجحاً سياسياً وعسكرياً ودينياً.
- استطاع لأول مرة في تاريخ البشرية أن يوحد بين مختلف الأجناس والأعراق تحت مظلة الإيمان بالله الواحد.
- كان دوره أعظم وأخطر في نشر قواعد الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد الشريعة أكثر مما كان لسابقه من الأنبياء.
- قدرته على المزج بين ما هو ديني وديني⁽²⁾

• قيم ما قبل الإسلام (الجاهلية)

إن رسالة الإسلام الشاملة لتؤكد على أنها تدعم كل فضيلة إنسانية صالحة، وإن صدرت من ديانة غير الإسلام كما هو الحال في موقف النبي ﷺ مع قيم المجتمع الجاهلي، أين أقر بعضها لتوافقها والعقيدة الإسلامية، ورفض البعض الآخر لتصادمها مع ثوابته وأصوله.

ويشير مالك بن نبي إلى ذلك بقوله: «لقد أطلق القرآن الكريم تسمية الجاهلية على الوثنية التي سيطرت على الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومع ذلك لم تكن الجاهلية فقيرة في صناعة الأدب، فقد حفلت هذه الفترة بألمع الأسماء لكنها ظلت تسمى الجاهلية أي عصر الجهالة لأن علاقتها المقدسة لم تكن مع أفكار وإنما كانت مع أوثان الكعبة»⁽³⁾.

(1) - توماس كارليل، محمد المثل الأعلى، ترجمة محمد السباعي، ط1، دار طيبة الحيزة، 2008م، ص 66.

(2) - مايكل هارت، الخالدون مائة، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، القاهرة، دت، ص 13-19.

(3) - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص 96.

وجملة من هذه الفضائل التي كانت في المجتمع الجاهلي هي من ديانة إبراهيم عليه السلام، الحنفية السمحاء، وقد تكون من الديانة اليهودية أو النصرانية اللذين كانتا في شبه الجزيرة العربية في ذلك الزمان، وخير دليل على ذلك حادثة نزول الوحي على النبي ﷺ وحديثه مع ورقة بن نوفل الذي كان يدين بالنصرانية آنذاك وهذا يدل على أن العرب كانت لهم صلة بالقيم المستمدة ممن جاورهم⁽¹⁾.

فالإنسان العربي ابن الفطرة، فقد استمد قيمه وأخلاقه من فطرته وطبيعة شعوره الإنساني، وبقايا الحنفية الإبراهيمية وما كان حوله من تلك الشعوب التي تعيش بأديان مختلفة كاليهودية والنصرانية وغيرها، فقيم الإنسان العربي الأصل المتمثلة في الشجاعة والشهامة والكرم والتضحية والعفة والصبر والحق والخير والجمال كلها قيم جاء الإسلام ليتممها ويقرها، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽²⁾.

والملاحظ على تلك القيم التي كان يعيشها مجتمع ما قبل الإسلام، أنها قيم لا تكاد تخلو مما يناقضها فمجتمع الخوف والدم والرعب، هو نفسه مجتمع الشجاعة والشهامة، ومجتمع أكل الربا والسحت، هو نفسه من يكرم الضيف ويحسن إليه فهو مجتمع تلبس فيه الخير بالشر. والفضيلة بالرديلة لذا كان للإسلام نظرة خاصة لتلك القيم.

- منها من قابله بالرفض التام كالربا والزنا وشرب الخمر... الخ
- وأقر بعضها وشجعه ودعا إليه كالصدق وإكرام الضيف... الخ
- وسما بالبعض الآخر ووجهه توجيهها صحيح، فعاد بالنفع على الإسلام والمسلمين كالشجاعة والشهامة وغيرها⁽³⁾.

وفيما يلي نورد القيم والمبادئ التي كانت سائدة عند العرب قبل مجيء الإسلام، والتي أقرها ودعا إليها منها.

-قيمة الحق: فقد كانت العرب تعظم الحق وتمجده، على اعتبار علو مرتبته في القيم، وقد تغنوا به في أسفارهم، يقول قيس بن الخطيم.

(1) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 24، 26.

(2) _ البيهقي، السنن الكبرى، باب: بيان مكارم الاخلاق ومعاليها، رقم: 20782، أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج10، ص 323.

(3) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 37-38.

متى ما تعدّ بالباطل الحق يأبه وإن قُدت بالحق الرواسي تنقد
فالحق عند العرب قبل الإسلام له شأن عظيم، فقد كانوا يعظمونه، مما يدل على أن العربي ينقاد في
بعض القيم إلى الفطرة الصافية، أو الحنفية الإبراهيمية التي كان عليها الخليل عليه السلام.
*قيمة الحياء: يعد خلق الحياء من أنبل الأخلاق التي تحلى بها المجتمع العربي قبل الإسلام، فهو خلق
شائع عند العرب ويراد به الحشمة⁽¹⁾، ومنه قول الشاعر العربي عنزة بن شداد:

وأرى مطاعم لو أشاء حويتها= فيصدني عنها كثير تحشمي.

الوفاء بالوعد: وكان العربي يعتد بالوفاء اعتداد عظيمًا وبالإخلاص، فالوعد مقدس عنده سواء كان
على الصعيد الفردي أو على الصعيد القبلي، لهذا بروا بوعدهم، وقبحوا من يخلف به علانية في الأسواق،
وعبروه أمام العرب⁽²⁾.

فقد كان الجاهلي إذا قال كلمة وفي بها، ولو أدت به هذه الكلمة إلى القتل وذهاب روحه، كما كانت
العرب تعطي العهود والمواثيق لخلقائها وجيرانها فلا تنقضها: بل وكان الغدر معرّة يتحافون عنها، وإذا غدر
أحدهم رفعوا له لواء بسوق عكاظ ليشهروا به⁽³⁾ وفي ذلك يقول الحادرة قطبة بن محسن.

أسمي ويحك هل سمعت بغدرة رفح اللواء لنا بها في مجمع
إننا نعفّ فلا نريب حليفنا ونكفّ شحّ نفوسنا في المطمع.

قيمة الكرم: لم يخل مجتمع ما قبل الإسلام من تلك الصفات والأخلاق الحميدة ومنها الكرم والجدود
بالمال والنفس وكل ما يملكه العربي في سبيل إكرام ضيفه.

فقد حكى الخطيب الشاعر العربي عن ذلك في ميمته المشهورة فقال:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل بيضاء لم يعرف بها ساكن رّسما.

قيمة المروءة: كذلك لم يخل المجتمع الجاهلي من مظاهر النجدة والمروءة والشهامة ومن أبرز ما يدل
على ذلك قصة حلف الفضول، حيث تداعت إليه كل قبائل قريش فتعاقدوا وتعاهدوا على نصره المظلوم،

(1) نوال كريم زرزور، معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ط1، لبنان ناشرون، بيروت، د ت، ص 45.

(2) ديزيزه سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م، ص 89.

(3) محمد حماد الناصر، الوفاء بين الجاهلية والإسلام، الموقع: www.midad.com تاريخ الدخول: 2018/06/05

سواء كان من مكة أو من خارجها⁽¹⁾.

وقد شهد النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحلف في شبابه فقال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به إلى الإسلام لأجبت»⁽²⁾.

إذن كانت هذه جملة من القيم التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام، وعلى وجه الخصوص المجتمع العربي وقد اقتصرنا على البعض منها للبيان والإيضاح.

بذلك تكون هذه الفضائل مصدراً من مصادر القيم الإسلامية، حيث جمع الإسلام بينها وبين الوحي والسيرة العطرة، فشكل منظومة من "القيم الإسلامية" أصبحت فيما بعد معلماً يهتدي به المسلمون وغير المسلمين.

ثالثاً: خصائص القيم في العقيدة الإسلامية

مما لا شك فيه أن قيم العقيدة الإسلامية تختلف اختلافاً جوهرياً عن نظيرتها في العقائد الأخرى، فهي تتصل بالوحي الذي يكسبها خصائص الربانية والإيجابية وقوة التأثير، وهذا يجعلها في الطليعة من تأثيرها في الإنسانية فضلاً عن المسلمين.

1. الربانية: إن القيم الإسلامية على غرار القيم الأخرى تعد ربانية من حيث مصدرها أو المنبع الذي جاءت منه، وهذا المنبع هو القرآن الكريم، أو الوحي المعصوم الذي يجوي سلسلة من الأخلاق والقيم التي يحيا بها المسلم، وهذه القيم غير قابلة للانتقاص أو الطعن في صفاتها ونقائها، على اعتبار أنها قيم جاءت للإنسانية بأسرها فهي من الله الخالق جعلها للبشرية لتهدى بها من الظلمات إلى النور ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾⁽³⁾.

وهذا المنبع الصافي للقيم لا يقيد حركة المسلم الفكرية، ولا يحد من الإبداع وحرية الفكر والرأي، ولكن يرسم الطريق ويضع المعالم للإنسان حتى لا ينحرف، ومنه نجد أن القرآن يثنا على التثبت والتحقق في أخذ العلم والمعرفة، أي في جانب العلوم والمعارف حتى لا تقع في الزلل أولاً وفي الافتراء والكذب ثانياً ﴿يَتَأْتِيهَا

(1) _ جابر قميحة، المرجع السابق، ص 22-23.

(2) _ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب: إعطاؤه الفتى على الديوان ومن يقع به البداية رقم: 13080، ج6، ص 596.

(3) _ الأحزاب: 43

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِإِ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾⁽²⁾.

وربانية «المنبع القيمي» كما يطلق عليه جابر قميحة هي ما «يربط القيم الإنسانية العلمية الحركية بالمنبع العلوي وهو الله سبحانه وتعالى يكتسب القيمة "سموا" من ناحية ومنحها قوة ورسوخا من ناحية أخرى»⁽³⁾.

ومما يثبت ربانية القيم الإسلامية، أنها تتسم بالعدل، فأحكام الشريعة بكل ما تحتويه من أخلاق وآداب ومعاملات جاءت في مجملها حاملة للعدل والقسط، بعيدة عن الظلم والجور، فهي تخاطب جميع البشر على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وأوطانهم، كما تراعى جوانب القوة والضعف فيهم قال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ»⁽⁴⁾. فهو رفع الحرج على كل من لا يطيق مما يدل على تماشي القيم مع متطلبات البشر وحاجتهم، كما أن القيم ترتبط بالإيمان فكلما ازداد إيمان المسلم، ترسخت معه هذه القيم وازدادت ثقته وبقينه بربه وبدينه. ومما يبرهن أيضا على ربانية القيم الإسلامية، هو اكتسابها لصفة البقاء والخلود، بخلود القرآن فهي باقية بقاءه⁽⁵⁾.

2. العالمية

لقد جاءت العقيدة الإسلامية بخطاب عالمي يشمل الإنسانية بأسرها، وما يدل على ذلك أن نصوص الوحي جاءت متظافرة في دعوة الناس جميعا إلى الدين، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽⁶⁾. قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽⁷⁾. فالرسالة المحمدية جاءت عامة لجميع الناس على اختلافهم، يقول ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود»⁽⁸⁾. فقد بين ﷺ أنه لم يأت لقوم بعينهم كالعرب مثلا، وإنما جاء لجميع الناس، يحمل معه قيما وأخلاقا تصلح للبشرية كافة، وفي كل زمان ومكان⁽⁹⁾.

(1) _ الحجرات: 6.

(2) _ جابر قميحة: المرجع السابق، ص 12.

(3) _ المرجع نفسه، ص 13.

(4) _ النور: 61.

(5) _ مانع بن محمد بن علي المانع، المرجع السابق، ص 152-156.

(6) _ الأعراف: 158.

(7) _ سبأ: 28.

(8) _ أخرجه أحمد في مسنده رقم: 14264، ج 22، ص 165.

(9) _ يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط3، دار الحديث، القاهرة، الدار السودانية، الخرطوم، 1997م، ص

يفسر الفخر الرازي قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» يقول: فيها وجهان أحدهما: كافة أي: إرساله كافة أي عامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الانقياد لها والثاني: كافة أي أرسلناك كافة تكف الناس أنت من الكفر والهاء للمبالغة على هذا الوجه»⁽¹⁾.

وعن علمية قيم العقيدة الإسلامية يقول علي عبد الحليم محمود: «لا شك أن علمية الدين الإسلامي وعمومية رسالته للبشر كافة تنبع من أنه دين عاج جميع المشكلات البشرية التي تقف أمام رقي الجنس البشري ووضع لكل مشكل علاجاً وحلاً يعتبر الحل الصحيح الوحيد لتلك المشكلة، وشهد للإسلام بذلك العقل والمنطق، كما تشهد له بذلك المشاهدة والتجربة ويؤيد ذلك كله التاريخ باعتراف غير المسلمين قبل المسلمين، فمبادئ الدعوة الإسلامية كلها، جاء فيها من القدرة على العلاج، ومن النجاح فيه ومن المرونة والفاعلية ومن حسن تقبل الناس لملائمتها لطباع البشر، ما قطع بأنها المبادئ الوحيدة التي هدت الإنسانية ولا تزال قادرة على هدايتها إلى أحسن ما يمكن أن تصل إليه»⁽²⁾.

فعلمية الرسالة في كونها تشمل جميع الناس لا فرق بين أجناسهم وأعراقهم، وهذا ما يتنافى مع شعارات التفرقة باسم العروبة والقومية أو الفارسية وغيرها، التي يراد منها إحداث شرخ في وحدة الأمة وضرب تماسكها.

3. الجمع بين الواقعية والمثالية:

الجمع بين الواقعية والمثالية إحدى خصائص قيم العقيدة الإسلامية، فالواقعية في كونها لا تكلفهم تكاليف فوق واقعهم ونمط حياتهم، وبين المثالية حيث تسمو وترقى بالفكر والتصور البشري إلى مثالية الأخلاق التي حدّها ورسمها القرآن الكريم فتحفز على العمل الأخروي انطلاقاً من تسخير الواقع الدنيوي.

فالعقيدة الإسلامية تراعي للإنسان كونه كائناً حياً مركب من روح وجسد له ميولاته ورغباته ونوازعه الفطرية لذا كانت الشرعية متماشية مع طبيعة الإنسان فهي توازن بين الروح والجسد: قال النبي ﷺ: «إنّ لنفسك عليك حق»⁽³⁾، كما توازن بين مصالح العباد الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾⁽⁴⁾. فلا إفراط ولا تفريط، فالإنسان

(1) _ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م، ج25، ص 259.

(2) _ علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ج1، ص 296.

(3) _ أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 6878، ج11، ص 466.

(4) _ الكهف: 46.

له رؤيتان متوازيتان رؤيا للعالم وللآخر، وكلاهما يتكامل مع الآخر كما حرصت الشريعة الإسلامية على معاملات الإنسان اليومية، فوضعت له منهاجاً متكاملًا يتماشى ووضعية الحياة فجعلت في العبادة رخصاً وتكيفاً وظروف الإنسان كما أسست لمبادئ واقعية صالحة لكل زمان ومكان⁽¹⁾.

وعلى هذا فهي تعطي التصور الواقعي الذي «يتعامل مع الحقائق الموضوعية، ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي والإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة ولا مع «مثاليات» لا مقابل لها في عالم الواقع أو لا وجود لها في عالم الواقع»⁽²⁾.

ويفسر هذا حرص الإسلام على بلوغ الإنسان أعلى درجات الكمال، فرسم للإنسان منهاجاً وجعل له قواعد انطلاقاً من الوحي الذي يؤسس بدوره إلى الكمال مع مراعاة طبيعة الإنسان والكون والحياة⁽³⁾.

كما أنه وازن بين العالم الدنيوي والعالم الآخروي فكلاهما مكمل للآخر، لذا كانت القيم الإسلامية تراعي كلا الجانبين، فمثلاً قيمة العدل، هي قيمة دنيوية كونها تتماشى ومصالح العباد فتدراً عنهم الفساد وتجلب لهم الاستقرار، وفي نفس الوقت أخروية كونها تحقق المشيئة الإلهية في امتثال أوامر الله بالعدل بين الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾⁽⁴⁾.

4. الثبات والتوازن

إنّ من خصائص قيم العقيدة الإسلامية أنها قيم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان فهي ثابتة بثبات القرآن الذي هو مصدرها، فلم تطرأ عليها عوامل التحريف التي كانت في العقائد والتصورات الأخرى، وذلك أن أصول هذه القيم تنبع من القرآن.

فهناك قيم عليا ثابتة لا تقبل التغير أو الاجتهاد، كالقيم العقديّة وقيم العبادات وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما ما عداها فهي نسبية قابلة للاجتهاد والتغيير، فالثبات يعني استنادها إلى نصوص قطعية الثبوت والدلالة لا يجوز فيها التغيير والتبديل، في حين نجد الثانية ظنية الدلالة حيث يبقى مجال الاختيار فيها واسعاً لتواجه ما يتولد في حياة الناس من قضايا العصر ومستجداته⁵

(1) _ رشدي أبو شبانة علي الرشيد، الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، ط1، دار السبعين، المنصورة، 2008م، ص 89.

(2) _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، دط، دغ، دت، ص 274.

(3) _ رشدي أبو شبانة علي الرشيد، المرجع السابق، ص 89.

(4) _ النحل: 90

(5) _ أروى الفقيه، بحث في القيم، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1430هـ/1431هـ

«فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العميلة فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور»⁽¹⁾.

وقد تقرر عن هذا الثبات في القيم، تحقيق للتوازن في مختلف مناحي الحياة، خاصة على صعيد الأفكار والتصورات، فذلك التوازن الموجود في القيم هو نابع في أصله من ثباتها وعدم تغيرها.

لهذا حرص الإسلام على الثبات وكره فقدان التوازن، يقول محمد قطب: «والإسلام يكره فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى، لأنه يحرص على أهداف الحياة العليا، التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازل الأرض وكل ما يعمل به ويهدف إليه هو تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوازه حتى ترتفع الحياة كلها، وتصبح كريمة جميلة خليقة بمعنى التكريم الذي أسبغه الله على الإنسان»⁽²⁾.

والمقصود بفقدان التوازن ولو إلى أعلى هي تلك النزعة التي ترمي إلى الرهينة والانقطاع عن الحياة فيختل بذلك التوازن بين ما هو في مصلحة العباد، وبين ما هو أحروي، كما هو الحال عند الأديان والمعتقدات الأخرى، على غرار رهبانية النصارى، ومعتقدات شرق آسيا كالبودية وغيرها.

لذا فالتصور الإسلامي للحياة «تصور شامل، وهو شمول متوازن وقد صانته هذه الخاصية الفريدة من الاندفاعات هنا وهناك، والغلو هنا وهناك، والتصادم هنا وهناك...، هذه الآفات التي لم يسلم منها أي تصور آخر، سواء التصورات الفلسفية أو التصورات الدينية التي شوهتها التصورات البشرية بما أضافته إليها أو نقصته منها أو أولته تأويلاً خاطئاً وأضافت هذا التأويل الخاطئ إلى صلب العقيدة»⁽³⁾.

فقيم العقيدة الإسلامية جاء متوازنة، جامعة بين المادة والروح، والواقعية والمثالية بما يعطي الفرد منهجاً واضح المعالم في هذه الحياة، فتتحقق له السعادة الدنيوية والأخروية.

5. الشمول وتوافقها مع مصالح العباد: تعد الأفكار البشرية التي وضعها البشر غير قابلة للشمول، ولا الإحاطة بجميع مناحي الحياة، وذلك لما يعترئها من النقص كونها أفكاراً بشرية جزئية وقتية يقع فيها الاضطراب الذي يحتم التغيير، أما القيم الإسلامية بمصدرها الإلهي والرباني فهي متكاملة شاملة عكس ما يراه الإنسان فهو محدود الكينونة من ناحية الزمان والمكان⁽⁴⁾.

(1) _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص 120، 121.

(2) _ محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط11، دار الشروق، القاهرة، 1993م، ص 70.

(3) _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص 193.

(4) _ المرجع نفسه 154-156.

فمهما توسعت أفكار الإنسان وآفاقه العلمية فلن يصل إلى وضع قوانين تتفق عليها البشرية بأسرها، كما هو الحال بالنسبة لقيم العقيدة الإسلامية، حيث لا يمكن أن تشكل في فاعليتها ومدى قدرتها على تغيير واقع الإنسانية في جميع جوانب الحياة.

ويكمن شمول القيم هنا في أنها ترعى مصالح العباد، من تحقيق العدل والمساواة وغيرها من جملة القيم، وهو نفسه ما نصت عليه الشريعة الإسلامية من حماية لمصالح الناس الدنيوية والأخروية فهي شاملة لجميع المصالح وكذلك الأفراد، فالفرد جزء وعضو، والجماعة كل وحسد فالكل في حاجة إلى الآخر كما قال □ أن المسلمين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽¹⁾، وقد بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾⁽²⁾. فأرشد الإنسان إلى مراعاة كلا الجانبين الدنيوي والدنيوي.

فالشريعة كما القيم وضعا لحماية المصلحة العامة للأمة الإسلامية بل والإنسانية جمعاء. ونضرب مثلا على ذلك بالعدل: فالعدل قيمة أو مقصد عام، ولأجله جعل الشارع الحكيم الولاية أو الخلافة كوسيلة لتحقيق هذا المقصد أو الهدف وقس على ذلك بقية القيم الإسلامية⁽³⁾.

6. الإيجابية: من خصائص قيم العقيدة الإسلامية أيضا الإيجابية خاصة في علاقة الإنسان بخالقه كونه يعتقد اعتقادا جازما أن الله هو خالقه ورازقه، وأنه بيده الخلق والأمر، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾⁽⁴⁾. فتلك الإيجابية التي انبثقت في الأصل من تلك القوة الإيمانية لدى الفرد تدفعه ليتفاعل مع الحياة تفاعلا إيجابيا مما يدفعه للعمل والعطاء وبناء الحضارة كذلك إدراكه أن الله خلق هذا الكون ليعمره ويستخلفه فيه، مما يجعله يسعى لتحقيق العبادة والعمارة والاستخلاف⁽⁵⁾.

فالعقيدة الإسلامية بما جاءت به من قيم محرك أساسي لدى الفرد في عملية التفاعل الحضاري الذي يأتي عن طريق تفاعل الإنسان مع هذا الكون بما فيه.

(1) _ أخرجه مسلم في صحيحه، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم، رقم 2586، ج4، ص 1999.

(2) _ القصص:77.

(3) _ يوسف حامد العالم، المرجع السابق، ص 46-47.

(4) _ الأعراف: 54.

(5) _ رشدي أبو شبانة على الرشيد، المرجع السابق، ص 89-90.

لذا فإن في التصور الإسلامي من الخصائص «ما يحفز الإنسان لمحاولة الحركة الإيجابية لتحقيق هذا المنهج في صورة واقعية، فالمسلم يعرف من تصوره الإسلامي أنّ "الإنسان" قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض، وأنه ليس عاملاً سلبياً في نظامها فهو مخلوق ابتداءً ليستخلف فيها، وهو مستخلف فيها ليحقق منهج الله في صورته الواقعة لينشئ ويعمر، وليغير، ويطور، وليصلح وينمي»⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا آيَاتٍ لِيُتْلَىٰ لِقَوْمِكَ وَيُوَدِّعُوا فِيهَا ذُرِّيَّتَهُمْ فَاتَّخَذَ مِنْهُمْ كَلِمَةً تُلَاقَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فِي الْغَايَةِ﴾⁽²⁾. فإيجابية الإيمان والعقيدة هي وحدها القادرة على الدفع بالإنسان ليعمل ويطور واقعه، من خلال تحقيق القيم والمبادئ، لا بسيطرة الأفكار والمذاهب الهدامة التي تناقض العقل والواقع والفطرة.

7. موافقتها للعقل

مما يميز قيم العقيدة الإسلامية أنها جاءت موافقة للعقل، فلا تخالفه ولا تناقضه، كما هو الحال بالنسبة للفطرة، فهي توافق العقل السليم والفطرة السليمة كذلك، ومما يدل على ذلك موافقة التشريع الإسلامي للعقل، فما جاءت به الشريعة الإسلامية من قواعد ومقاصد وضعت للبشرية، وذلك في جلب المنافع ودرء المفاسد، فلا يمكن لصاحب العقل والتفكير السليم أن يناقض هذا التشريع الذي يدعو إلى ذلك، فمثلاً قيمة العدالة التي يدعو إليها التشريع الإسلامي تكون قناعة لدى الفرد المكلف أن هذه القيم لا تفرق بين جنس وآخر، ولا رفعة جغرافية دون أخرى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾⁽³⁾.

وما يدل على توافقها مع العقل هو كونها جاءت على نسق منظم خال من الاضطراب والعبثية، وهذا يؤكد على مصدرها الإلهي.

وفي هذا السياق يقول محمد الغزالي: «يجب أن تتاح فرص كثيرة للدراسات النظرية التي تجعل "الإنسان" موضوعها الفذ، إنّ هذه الدراسات وخصوصاً القائمة على المنطق التجريبي والاستدلال العقلي ينبغي أن نغيرها اهتماماً زائداً، وأن نتوصل بها إلى إثبات الإيمان الحق»⁽⁴⁾.

(1) _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص 268.

(2) _ المزمّل: 20.

(3) _ الحديد: 25.

(4) _ محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط1، دار النهضة، مصر، دت، ص8.

الفصل الأول:تحديد المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

فالاستدلال العقلي هنا يعدّ ركيزة أساسية في بناء إيمان الفرد، وتفنيد الشبهات المثارة حول العقيدة الإسلامية.

بناء على ما تقدم نجد أن قيم العقيدة الإسلامية تقوم على خصائص ومميزات تجعلها تنفرد عن غيرها، وتتجسد هذه المفارقة انطلاقاً من مصدرها ثم مروراً بمواصفاتها، ووصولاً إلى غايتها وهو ما تحققه من تأثير على الإنسان في حاضره ومستقبله.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

المبحث الثالث: العقيدة الإسلامية خصائصها وأثرها على الحياة الإنسانية

المطلب الأول: العقيدة الإسلامية مفهومها، خصائصها

أولاً: مفهوم العقيدة الإسلامية

• المدلول اللغوي

يشق لفظ العقيدة من الفعل الماضي الثلاثي "عقد". والعقد نقيض الحل، عقده يعقده عقدا وتعقدا وعقده¹

والعقد العهد والجمع عقود، وعقد البناء بالحصص يعقده عقدا أي: الرقعة².

وانعقد وأعقدته فهو معقد وعقيد: أي غلظ³

ويطلق اليعقيد على العسل إذا أعقد حتى يخر⁴

والعقد بمعنى العزم كعقد النية، وعقدة النكاح، وعقد اليمين

واعتقد يعتقد اعتقادا أي: ظن وتصور أو آمن وصدق⁵، وعليه يطلق الاعتقاد ويراد به التصور والتصديق مقابل الشك والتردد.

وعليه فإن كلمة العقيدة من المنظور اللغوي تتجه في معناها إلى اليقين والعزم والإحكام والربط، ويأتي هذا ليبين أن العقيدة لا تقبل الشك والاضطراب.

• المدلول الاصطلاحي

العقيدة من جهة الاصطلاح: هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد⁶.

وتطلق العقيدة ويراد منها معنيين: الأول: أنها الرأي المعترف به بين أفراد المذهب الواحد كالماركسية

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص296

² المصدر نفسه، ج3، ص297

³ المصدر نفسه، ج3، ص298

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص298

⁵ أحمد مختار عبد الحميد، المرجع السابق، ج2، ص1526

⁶ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994م، ج2، ص92

والرواقية وغيرها من المذاهب التي لا صلة لها بالأديان، والثاني: ما تعلق بالمجال الديني وهنا يراد منها ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الله وبعثة الأنبياء والثواب والعقاب وغيرها (1).

فالعقيدة هي: الاعتقاد بوجود شيء ما مما يؤدي إلى الاطمئنان به كالاعتقاد بوجود ذاتنا وصفاتنا، ومن ثم تتحرك عواطفنا حبا وبغضا وكذا أفعالنا بطريقة شعورية أو لا شعورية، فالعقيدة إذن: شعورنا بالشيء إلى حد أصبح يحرك عواطفنا ويوجه سلوكنا فهذا يسمى عقيدة (2).

أو هي: علم يبحث فيما يجب على الإنسان أن يعتقد ويؤمن به، ويقوم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين (3).

من هنا يمكن القول إن العقيدة الإسلامية تعني: «الإيمان الجازم بالله من ناحية وحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنزيهه عن جميع صفات النقص، والإيمان الجازم بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره» (4).

ثانيا: خصائص العقيدة الإسلامية

تتميز العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد والتصورات الأخرى بخصائص ومميزات، جعلتها تحقق ما عجزت عنه العقائد والمذاهب الأخرى، حيث جمعت بين المثالية والواقعية في نفس الوقت، والوضوح، والوسطية بين المذاهب، إضافة إلى دورها في إعطاء التصور الصحيح عن الإنسان والكون.

1- الوضوح والسهولة

إنَّ المتتبع لمسائل العقيدة الإسلامية التي جاء بها القرآن، يجدها تمتاز بالبساطة والوضوح، فهي خالية من التعقيد، فليس توحيد الله تعالى وما يندرج تحته من المسائل العقديّة مما يعسر فهمه على الناس أو اقتناعهم به، فالكل يشترك في فهم العقيدة التي تخاطب العقل والروح، فهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(1) _ جميل صليبا، المرجع السابق، ج2، ص92

(2) _ حسن جنبنة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط2، دار القلم، بيروت، 1979م، ص32-33

(3) _ مصطفى سعيد الحن، محي الدين ديب متو، العقيدة الإسلامية: أركانها، حقائقها، مفسداتها، ط3، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ص18

(4) _ فرج الله عبد الباري، العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، دار الآفاق العربية، دع، 2004م

النَّكاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾. لذا تجاوب معها من آمن بها من العرب الذين كانوا على الحنيفة كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بالبعث والنشور، وقد ظهر ذلك في خطبهم وأشعارهم حيث كانوا يقرّون بالإله الواحد.

وعن بساطة ووضوح العقيدة الإسلامية يقول الغزالي: «أن الذين حادوا عن بساطة العقيدة ووضحها إلى التعقيد في قضاياها وزرع بذرة الفرقة والاختلاف في مفاهيمها، إنما كان نتيجة الولع بالخلاف الذي سرى حتى ضمّ إلى العقائد أموراً مضحكة، من بين ذلك الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة حول حقيقة السحر وخلاف المسلمين حول ما دار بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الصحابة يقول: «فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافاً قاسية كهذه الأمة؟ ولماذا نقحهم هذه الأمور إقحاماً في شؤون العقيدة؟ ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التي تدرس كأي تاريخ لتؤخذ منه العبرة فحسب؟ وما صلة الإيمان بالله واليوم الآخر بحكمنا إن هذا أصاب وهذا أخطأ والله يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) (٣).

فالعقيدة الإسلامية في أصلها صافية وخالية من التعقيد، وأنّ ما نتج عنها من خلاف وتعقيد إنما أقحم فيها إقحاماً نتيجة الصراعات السياسية والطائفية التي وسعت من رقعة الخلاف والفرقة.

وعلى غرار العقائد الأخرى فإن: «العقيدة الإسلامية يستوي في فهمها وحق العلم بها كل مسلم سواء كان متعلماً أو أمياً، وذلك لأنها خالية من تعقيدات المذاهب الأخرى، كالتثليث والثنوية والبرهمية وغيرها فهي تتلخص بأنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن لهذا الكون خالقاً أحكم صنعه وقدر كل شيء فيه تقدير وهذا الخالق هو الإله الواحد الذي ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد ويتصف بجميع صفات الكمال منزّه عن جميع صفات النقص» (٤).

ومما يدل كذلك على بساطة ووضوح العقيدة الإسلامية هو ملائمتها للفطرة فهي موافقة للفطرة الإنسانية حيث تعمل على ملء الفراغ الذي لا تملأه تلك النظم الفلسفية أو المذاهب الوثنية الأخرى

(١) _ الروم: 30

(٢) _ البقرة: 134.

(٣) _ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الشهاب، باتنة، 1985م، ص 7-8.

(٤) _ محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ص 25.

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾⁽¹⁾. والفترة هنا هي الدين الإسلامي وقد قال ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾⁽²⁾. فالعقيدة الإسلامية تتماشى مع فطرة الناس ولا تتصادم مع ميولاتهم الحسية ولا المعنوية فهي بسيطة وواضحة⁽³⁾.

وعليه فإن الجدل الكلامي الذي كان قائما ولا يزال بين الفرق الإسلامية على اختلافها وإن كان إيجابيا في بعض الجوانب، إلا أنه أثر إلى حد ما في التصور الصحيح عن العقيدة الإسلامية، حيث نقلها من البساطة والوضوح إلى الغموض والتعقيد، وهذا ما نجده في كتب التراث الكلامي عند علماء.

2- تقوم على الإيمان بالغيب

تقوم العقيدة الإسلامية على الإيمان بالغيب فلا تقوم على الحواس كما يدعيه أصحاب المذاهب الوضعية الذين لا يؤمنون إلا بما هو محسوس وعليه قامت النهضة الأوروبية، ولا تقوم على الرؤى أو التصورات والتخيلات البشرية التي وضعها الفلاسفة وإنما العقيدة الإسلامية تمتاز بخاصية الربانية التي تجعل أصحابها يؤمنون بالغيب إيمانا يقوم لهم الحياة ويرتقي بهم سلوكيا وحضاريا «فالإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها، وهو كذلك سبيل للتقدم العلمي وسعة الأفق في النظر والفكر»⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾⁽⁵⁾.

فقد وصف القرآن الكريم المؤمنون بالغيب بأنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإيمانهم بالغيب يدفعهم للعمل الصالح وعماراة الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها.

(1) _ الروم: 30.

(2) _ الروم: 30.

(3) _ محمد أحمد ملكاوي، المرجع السابق، ص 25-26.

(4) _ عثمان بن جمعة ضميرية، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والخصائص)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة الإمارات، المجلد 7، العدد 1 صفر 1431، فبراير 2010م، ص 24.

(5) _ البقرة: 2-3.

3- عقيدة ربانية

وهذه الخاصية خاصة الربانية لها دورها في عصمة الأمة عن الخطأ والزلل والانحراف، وعن الاضطراب في فهم العقيدة، وذلك لأنها ترجع إلى مصدر موثوق ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾. وهو الوحي الذي تكفل الله تعالى بحفظه، كما أنها عملت على توحيد كلمة الأمة على منهج وتصور واحد مستعينة بالوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية⁽²⁾.

ويدل على ربانيتها ثباتها فلا تتغير بتغير الزمان أو المكان، فلا مجال فيها للزيادة أو النقصان فهي لا تقبل التحريف أو التبديل، في حين نجد أن غيرها من العقائد كالنصرانية واليهودية تعرضتا عبر تعاقب الأجيال إلى تحريفات مست أصولها فالأولى اختلطت مبادئها بوثنية اليونان والثانية قارت في وصفها الإله وصف الإغريق لأهتهم الوثنية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾⁽³⁾. فكلاهما غير وبدل، بينما العقيدة الإسلامية بقيت ربانية ثابتة⁽⁴⁾.

4- عقيدة متكاملة مترابطة

من مزايا العقيدة الإسلامية أنها عقيدة متكاملة شاملة فلا تكتفي بذاتها بل تمتد لتشمل جميع جوانب الحياة فالإيمان دافع قوي للعمل والإيجابية في جميع الحالات، فلم تأت العقيدة الإسلامية لتختص جانباً من الأزمنة دون الأخرى ولا الأمكنة كذلك، ولا تشمل فئة دون أخرى، بل هي عقيدة للإنسانية تخاطب المسلم وغير المسلم، فتدعو للإيمان بها كل الناس على اختلافهم.

يقول علي عبد الحليم محمود: «فلا بد أن تكون العقيدة شاملة كاملة عامة جامعة شمولاً يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن، ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه، وبهذا الشمول وذلك الكمال وتلك

(1) _ فصلت: 42.

(2) _ عثمان بن جمعة ضميرية، المرجع السابق، ص 24-25.

(3) _ التوبة: 30.

(4) _ محمد أحمد ملكاوي، المرجع السابق، ص 32.

العمومية يكون الإسلام هو الدين الوحيد بين الأديان، وهو النظام الأمثل للإنسان منفرداً أو مجتمعاً وراعياً في تقوية روحه أو تنمية جسده، وناظراً إلى دنياه وإلى آخرته، ومعطياً حق نفسه أو معطياً حق حاكمه وحكومته ومن يشاركونه في حياته»⁽¹⁾.

فالعقيدة الإسلامية تخاطب الفرد في كل زمان ومكان، وتطالبه بتحقيق الإيمان الكامل الذي يستدعي ألا يؤمن ببعضه ويكفر بالبعض الآخر ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾⁽²⁾. كما هو الحال عند رجال الكنيسة في عصرنا الذين جعلوا الدين حبس الكنائس، واليهود جعلوه حبس الأديرة، في حين نجد أن نظرة الإسلام للدين والعقيدة على أنهما يتخطيان كل هذا ليشملا جميع مناحي الحياة من أخلاق ومعاملات وعبادات وعهود ومواثيق... الخ ومنه كان هذا الشمول يتماشى مع الفطرة البشرية فيجعل الإنسان يعيش مرتبطاً بخالقه في جميع تصرفاته وأحواله⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁴⁾. فهو يعيش دائماً وأبداً مع معبوده في إيمانه وعمله وكل مناحي حياته.

ويدل على تكامل العقيدة الإسلامية وشمولها أن أركان الإيمان جاءت كلها متكاملة مترابطة فعدم الإيمان بواحد منها هو كفر بما كلها، وقد صرح القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽⁵⁾. فجعل الكفر والتكذيب بأحد هذه الأركان هو كفر بما جميعاً مما يظهر اتصالها وترابطها ببعضها.

5- عقيدة وسطية بن العقائد الأخرى

لقد جاءت العقيدة الإسلامية واضحة صافية، معبرة عن الوسطية والاعتدال على غرار العقائد الأخرى، ففي أعلى هرمها نجد التوحيد الذي هو الاعتقاد بوجود الله تعالى ووحدانيته وصفات جلاله وكماله، فالعقيدة الإسلامية وسط بين طرفين منحرفين، طرف المبالغة والإفراط الذي يتمثل في تجسيد الإله، أي

(1) _ علي عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص 38.

(2) _ البقرة: 85.

(3) _ عثمان بن جمعة ضميرية، المرجع السابق، ص 26-27.

(4) _ الزخرف: 84.

(5) _ النساء: 136.

الاعتقاد بأنه جسم فتلزمه لوازم الحسية من التحيز والحلول والاتحاد وغيرها من لوازم الجسمية كما هو الحال في اليهودية، وغيرها من العقائد الوضعية وحتى المنتسبة إلى الإسلام منها والتي ظهرت في نخل متباينة، والطرف الآخر وهو المبالغة في التجريد الذي حسبته الفلسفات الإغريقية ومن نحا نحوها تنزيها حيث يضع الوجود الإلهي في متاهة الغموض الفلسفي (1).

وقد امتدت وسطية العقيدة واتزانها لتشمل مناحي الحياة المختلفة فقد جاء الإسلام بهذه الخاصية من بين الشرائع الأخرى قال تعالى: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »². فأمة الإسلام وسط بين الغالي والجافي، وبين ما هو مادي وما هو روحي فيسري ذلك على جميع الأمور، فتحقيق التوازن نظام جاء به الإسلام للبشرية ليسعدها ويرسم لها طريق النجاة لذا كانت العقيدة الإسلامية تمتاز بهذه الخاصية التي تجعلها تتماشى مع ما يحتاجه الإنسان في حياته فلا غلو اليهود ولا رهبانية النصارى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾⁽³⁾.

فالعقيدة الإسلامية وسط في علاقتها بالعقائد الأخرى، فلا تذوب فيها بل تدعو للاستمسك والثبات عليها ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾⁽⁴⁾. وفي المقابل لا تتعصب ضد غيرها من العقائد⁽⁵⁾.

كذلك تتجلى الوسطية في العقيدة الإسلامية كونها تعمل على تحقيق التوازن بين الاتجاهين المادي والروحي في الإنسان فلا يطغى أحدهما على الآخر.

ومنه فإن خاصية الوسطية لها أثرها الكبير في عصمة هذه الأمة عن الغلو والإفراط وعن النقص والتفريط، وعن التأرجح بين المذاهب والأفكار القاصرة، والأخطاء الناتجة عن الوقوع في الانحراف بكل قيمة عن مكانتها اللائقة بها⁽⁶⁾.

إذن فالعقيدة الإسلامية جاءت لتكسر الوسطية والاتزان وذلك لما أفرزته من قيم ومبادئ تتماشى

(1) _ فؤاد خدرجي العقلي، وسطية الإسلام، مجلة الأزهر، مجلد 53، العدد 10، السنة: 1981م ج 2، ص 1437.

(2) البقرة: 143

(3) _ الأنعام: 153.

(4) _ الزخرف: 43.

(5) _ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ص 51، 52.

(6) _ عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة السوادي، جدة، 1999م، ص 392.

والحياة وتلاءم والفطرة السليمة والتفكير السديد، وقد غاب هذا التوازن وتلك الوسطية في العقائد والمذاهب الأخرى فأنتجت انحرافا وتطرفا اعتقاديا وعمليا شوه لديها التصور الصحيح.

6- عقيدة عملية

إن العقيدة الإسلامية لم تأت لتبقى حبيسة التنظير ولا هي معارف وعلوم يتلقاها الفرد المؤمن بها ولا تاريخ لدين من الأديان، وإنما العقيدة الإسلامية وضعت لي عمل بها فتنتقل من مستوى التنظير إلى مستوى التطبيق والعمل، وغالبا ما يقرن القرآن الكريم في الكثير من الآيات بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾⁽¹⁾.

يقول محمد عمارة: «إن التوحيد الإسلامي ليس كلمة ينطق بها اللسان، ولا هو مجرد تصور فلسفي لعلاقة الإنسان بالخالق... وإنما هو ثروة تحريرية تعتق الإنسان بكل طاقاته من العبودية لكل الأغيار في ذات اللحظة التي يخلص فيها أفراد الله، بخالص العبودية وكما لها إنه التحقيق الكامل لانتماء هذا الإنسان إلى الله وبعد الانتماء الذي يعصم هذا الإنسان من كل ألوان الضعف التي تدفع إلى هاوية الاغتراب»⁽²⁾.

فالجمع بين الإيمان والعمل «هو ما يميز العقيدة عما سواها من البنى الفكرية الذهنية فالعقيدة ليست مجموعة من التصورات ذات طبيعة محضة منفكة عن الحياة العملية للفرد والمجتمع، بل هي منظومة من التصورات الهادفة إلى التأثير في الفعل الإنساني من خلال مجموعة القيم والمبادئ والأحكام التي تنبثق من هذه التصورات وترتكز عليها»⁽³⁾.

فالعقيدة الإسلامية تشكل مجموعة من القيم والمبادئ التي يتيقن بها المسلم، حيث يسعى إلى تفعيلها في حاضره محاولا الوصول بها إلى أعلى درجات الكمال النفسي والروحي والسلوكي، ثم ينتقل هذا التطبيق الفعلي للعقيدة من الفرد إلى المجتمع مشكلا نواته الصلبة.

(1) _ البقرة: 277.

(2) _ محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ص 32.

(3) _ لؤي صافي، العقيدة والسياسة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1996م، ص 53.

7- عقيدة تؤسس للتصور الصحيح عن الإنسان والكون

يعتبر التوحيد الإسلامي فلسفة متميزة لعلاقة متميزة تجمع الإنسان بالموحد والموجود⁽¹⁾، فالعقيدة الإسلامية أرشدتنا إلى التصور الصحيح عن الإنسان والكون، وطبيعة كل واحد منهما وعلاقته بالآخر، وقد قرر القرآن الكريم في مواضع عديدة طبيعة هذه العلاقة، وأبان عن الصورة الحقيقية لكل من الإنسان والكون، التي تؤسس إلى علاقة وتفاعل بين الإنسان والكون، فالأول: مدعو للاستخلاف والعمارة، والثاني: وهو الكون مسخر للإنسان بما فيه.

أ/الإنسان: فالإنسان حظي بأهمية كبيرة في عقيدة التوحيد، كونه محورا هاما في بناء الحضارة والتفاعل مع ما يحيط به، فهو أساس هذه الحضارة فهو الذي يستطيع توجيه الوقت، وعليه الإفادة من الكون، ولولاه لما وجدت الحضارة، فالحضارة كلها للإنسان ولإسعاده ولتحقيق غايته في الوجود وتحديد وضعه ومكانته من حيث هو منطلق هذه الحضارة⁽²⁾.

فالعقيدة الإسلامية تبين قيمة الإنسان ومكانته من خلال بيان أفضليته على سائر المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ﴾⁽³⁾. وإنزال الشرائع السماوية لأجله وكذلك الرسل والأنبياء، فهو صاحب المكانة السامية في هذا الوجود فالإنسان هو الوسيلة والغاية معا، فالإنسان بلا قيم ومبادئ تحكمه، ضائع في هذه الدنيا، بعيد عن المستوى الرفيع الذي أراد الله تعالى رفعه إليه قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾⁽⁴⁾. فخلوده إلى الأرض يعني انحرافه عن القيم والمقاصد التي خلق لأجلها⁽⁵⁾.

وتكمن قيمة الإنسان ومحوريته في هذا الكون كونه عنصرا مهما وفاعلا فيه على اعتبار ما سخر له في هذا الكون، من السموات والأرض وهذا التسخير واقعا لا وهميا أو مفترضا وذلك حتى يتمكن من أداء

(1) _ لؤي صافي، المرجع السابق، ص 32.

(2) _ رشدي أبو شبانة على الرشيد، المرجع السابق، ص 138.

(3) _ الاسراء: 70.

(4) _ الأعراف: 175-176.

(5) _ فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، دار قتيبة، دمشق 1988م، ص 106-109.

الفصل الأول:.....تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

مهمته التي كلف بها وهي عمارة الأرض والاستخلاف وأداء أمانة التكليف التي هو محورها وإصلاح وعمارة الدنيا وإقامة العدل المطلق على بني جنسه، وحتى مع غيره من الكائنات الأخرى لهذا كان إعداد الإنسان إعدادا فطريا خاصا ظاهرا وباطنا، جسدا وعقلا وروحا، فهو مقوم تقويميا خاصا يتماشى والأمانة التي كلف بها قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽¹⁾. ومع هذا الإعداد هيا له كل ما في الكون ﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁽²⁾.

فالإنسان في العقيدة الإسلامية يسير في ظلها، فهي التي توجهه في جميع مناحي الحياة، سواء من الناحية السلوكية أو الروحية وكذلك الجسدية... وغير ذلك من الجوانب الأخرى، كما تجعل الإنسان يعيش حالة من الاعتدال والتوازن، بين الروح والجسد، والإفراط والتفريط قال تعالى مخاطبا بني آدم أو الإنسان ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽³⁾. وهذا منهج قويم تصوره العقيدة للإنسان حتى يتفاعل معه، فتستقيم حياته وآخرته⁽⁴⁾.

من هنا كان الخطاب العقدي في القرآن الكريم، كثيرا ما يتوجه إلى الإنسان إما أمرا أو ناهيا أو معاتبا أو مرشدا والآيات في ذلك كثيرة، بل القرآن كله موجه للإنسان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾⁽⁶⁾. وقال في موضع آخر: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾⁽⁷⁾.

ب/ الكون

ليس المقصود هنا حديثنا عن الكون من حيث خلقه وتركيبه وما يحويه هذا الكون من مخلوقات، وإنما الحديث عن علاقة هذا الكون بالإنسان، وكيف يعيش الإنسان في هذا الكون مصاحبا معه تلك القيم التي

(1) _ التين: 4.

(2) _ يونس: 22.

(3) _ الأعراف: 31.

(4) _ رشدي أبو شبانة علي الرشيد، المرجع السابق، ص 138-144.

(5) _ الانفطار: 6.

(6) _ عبس: 17.

(7) _ العلق: 6.

يؤمن بها ويفعلها تفعيلاً إيجابياً في الحياة على هذا الكون الشاسع.

فالكون بما فيه مسخر للإنسان ليتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً وحضارياً، ليعلم ويدرك أن هذا الكون بما فيه مسخر له ليحيا حياة طيبة ويحقق العمارة والاستخلاف، وعن تلك العلاقة بين الكون والإنسان جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على ذلك منها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾^(١). وقال: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾^(٢). وغيرها من الآيات الكثيرة التي تحكي علاقة الإنسان بالكون.

فالعلاقة الإنسان بالكون وارتباطه به من جهتين:

الأولى: أن كل ما في هذا الكون مسخر له ومتفاعل معه.

الثانية: وهي جهة التفكير والتدبر لما في هذا الكون الذي خلقه الله للإنسان، فهو إذن متفاعل معه من جهة، التسخير، ومن جهة التأمل والتدبر لترسيخ الإيمان والعقيدة في النفوس^(٣) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٤﴾﴾. وفي ضمن هذا السياق يقول البوطي: «إن الله عز وجل حينما تعلقت إرادته بإيجاد هذا الكون بما فيه من الموجودات أنواعاً وأجناساً، اقتضت حكمته الباهرة أن يختار نوعاً من هذه الموجودات وهو الإنسان فيجعله سيد هذا الكون ويجعل سائر مظاهره وموجوداته مسخرة له قائمة بخدمته، وأن يكل إليه عمارته وأمر تنظيمه، فذلك هو المعنى بالخلافة في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٥﴾﴾. وهو المقصود بالاستعمار في قوله ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴿٦﴾﴾^(٦). فالعقيدة الإسلامية بأركانها ومبادئها جاءت لتقرر هذه العلاقة بين الإنسان والكون وتعطي التصور الصحيح عنها.

وعليه فإن علاقة الإنسان بالكون هي: «علاقة سلام وطمأنينة وليست صراعاً كما تقول المذاهب

(١) _ نوح: 19-20.

(٢) _ النبأ: 11.

(٣) _ محمد الصادق عفيفي، العقيدة الإسلامية: مبادئها، أسسها، أبعادها، طبيعتها، دار الرائد العربي، بيروت، 1987، ص 80-82.

(٤) _ الطارق: 7.

(٥) _ البقرة: 30.

(٦) _ هود: 61.

(٧) _ محمد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دار الفكر، دمشق، 1982م، ص 64، 65.

الوضعية، وبهذا الشعور يستطيع الإنسان أن يمضي في طريقه مطمئنا لكشف سنن هذا الكون بروح التعرف عليه والقيام بأمر الخلافة والعبادة كما أرادها الله، فكلما كشف سنة من سنن الكون جعلها للخير وهكذا يتعامل المسلم مع الكون بروح العبادة والحب»⁽¹⁾.

فخروج الإنسان عن القيم والمسار الصحيح في تقابله مع الكون يصل إلى حدّ الصراع مع هذا الكون ونبذ ما فيه، وهو التطرف عينه والانحراف عن المقصد قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾⁽²⁾. ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾⁽³⁾. فكل فساد يقع في هذا الكون إنما نتيجة التعامل الخاطيء للإنسان مع هذا الكون.

- ومنه فالإنسان خلق في هذا الكون ليعمره ويستخلف فيه ويتفاعل معه تفاعلا إيجابيا وحضاريا.
- أما الكون فهو مسخر للإنسان بكل ما فيه ليسهل عليه طريق الوصول إلى غايته وهدفه الاستخلاف والعمارة.

- وكل من الإنسان والكون يكمل أحدهما الآخر، بل وينسجم معه كما تقتضيه السنة الإلهية في الخلق.

المطلب الثاني: أثر العقيدة الإسلامية على حياة الإنسان

أولا: أثرها على الفرد

إن العقيدة الإسلامية في بناءها للإنسان تسمو به من مختلف النواحي في طريق الكمال، فهي تحقق له التوازن النفسي والروحي والسلوكي، انطلاقا من القيم والبادئ التي جاءت بها في خدمة الإنسان. فكان لزاما عليه التقيد بما كونه النواة الأولى في الانطلاق الحضاري للأمة.

لأجل هذا كانت «العقيدة الإسلامية ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء إذ هو بدون هذه العقيدة تائه يفقد ذاته ووجوده، والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب عن التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني»⁽⁴⁾، كالسؤال عن ماهيته، ومن أين جاء؟ وما مصيره؟ وغيرها من الأسئلة التي تحيره ولا يجد لها جوابا إلا في هذه العقيدة.

(1) _ رشدي أبو شبانة علي الرشيد، المرجع السابق، ص 153، 154.

(2) _ محمد: 22.

(3) _ البقرة: 205.

(4) _ عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، عمان، 2005م، ص 15.

من خلال هذا المطلب نبرهن على أثر العقيدة الإسلامية في بناء الفرد وتغيير نمط حياته، ومنه إلى تأثيرها في المجتمع ومدى قدرتها على حل مشكلاته في الحاضر والمستقبل.

1- أثرها على السلوك الإنساني

ينطلق علماء النفس المحدثين في تحديد سمات شخصية الإنسان من خلال استهدافهم لمجموعة من الخصائص، سواء كانت هذه الخصائص جسمية أم عقلية أم مزاجية أم خلقية أم اجتماعية أم سواها، في حين نجد أن التصور الإسلامي يجمع بين المعيارين، المعيار الأرضي الذي يعزل السلوك عن مفهومه العبادي، والمعيار الآخر الذي يوحد بين ما هو نفسي وما هو عبادي¹.

وعلى هذا الأساس كانت العقيدة الإسلامية المحرك الرئيسي في تقويم السلوك الإنساني، فكل سلوك يظهر على الإنسان إنما ينبع تلك المفاهيم والعقائد الثابتة فيه، فأركان الإيمان وما جاءت به العقيدة من الغيبيات كلها داعية إلى تهذيب الإنسان وتقويم سلوكه.

يقول حسن حبنكة الميداني: «وحيث نلاحظ أنواع سلوكنا العادي في الحياة نجد أن إرادتنا تتصرف بتوجيه من مفاهيمنا الثابتة في نفوسنا وهذه المفاهيم الثابتة تمثل فينا مجموعة عقائدنا في الحياة»⁽²⁾.

فالإيمان إذا تحقق في الفرد أكسبه:

أولاً: «إيجابية عظيمة واهتماما كبيرا بالمشاركة الفاعلة في الشأن العام، كما يصحو ضميره أو نفسه اللوامة وإدارة المحاسبة الذاتية فيه، وتزدهر أخلاقه الحميدة ويمتلئ بكل معاني السكينة والاستبشار والتفاؤل والطمأنينة القلبية، ويتحقق له التوازن النفسي والعقلي، كما يشرف عقله ويصح فكره، وتنشط همته للإحسان والرحمة والخير والصلاح...»⁽³⁾.

ثانياً: أثمر لدى الإنسان ثمرات طيبة يحيا بها في هذا العالم، ويوجه سلوكه نحو القيم التي يدعو إليها هذا الإيمان من الخير والمحبة والعدل وما سواها.

ثالثاً: التحرر من كل القيود والمعوقات وهذه القيود تمثل كل ما سوى الله، فالاعتقاد الجازم بأن الله هو المسير لهذا الكون وهو المدبر له، يجعل الإنسان يسمو بفكره في هذا الاتجاه، ولا يحول شيء في طريق وصوله

(1) - محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، ط1، دار البلاغة، بيروت، 1988م، ج1، ص6

(2) _ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص29.

(3) _ محمد عبد الله الشرقاوي، أثر الإيمان في الفرد والمجتمع، مجلة أصول الدين، العدد17، ص432.

إلى غايته الأسمى، فلا يكون خاضعا للاستبداد ولا إلى الاستعباد فالإيمان جاء ليحرر الإنسان ويعطيه المكانة الرفيعة التي خلق لها، كذلك ليرفع من معنويات الإنسان ويسمو به من الشهوات والماديات إلى القيم والأخلاق لهذا قرن الله سبحانه وتعالى بين الإيمان والعمل الصالح في الكثير من الآيات على اعتبار أن العمل الصالح هو ثمرة الإيمان الصادق قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾⁽¹⁾.

رابعا: يعطي الإنسان المنهج الملائم للفطرة البشرية فهو يقضي على الصراع بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان، حيث يوفق بينهما بإعطاء كل جانب حقه في حدود الشرع، كما يقوم بإشباع حاجاته الروحية ويمثل هذا التوفيق يصبح من الإمكان التزام الإنسان في حياته وسلوكه التوسط والاعتدال وتجنب الإسراف والتطرف⁽²⁾.

وعليه فإن النفس البشرية تتطلع دائما إلى كل ما فيه خير لها، وصلاح لحالها في الدنيا والآخرة فإذا استقر الإيمان بحقيقة الثواب والعقاب في النفس البشرية فإن ذلك يدفعها دفعا للعمل الصالح رجاء الفوز بالجنة ثم الإحجام عن كل شر خوفا من العقاب وحينئذ يفيض الخير على المجتمع فكل يسعى ويتطلع لإرضاء خالقه، ويسمو نحو قيم الإيمان والعقيدة فتفعل هذه القيم في الواقع لتغيره وترقى به إلى الأفضل⁽³⁾.

2- أثرها على التفكير

تلعب العقيدة الإسلامية دورا كبيرا في التوجيه الفكري الصحيح للفرد، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التي يطرحها الإنسان على نفسه، ويستدعي أجوبة يقينية لا تقبل الشك حتى تسكن نفسه ويطمئن قلبه فالعقيدة الإسلامية تقدم للمؤمن تصورا متزنا منضبطا ينجي المؤمن من عذاب الشك والحيرة، فالمؤمن من خلال إيمانه الذي جاء به الوحي وأيده الفعل ينجو من الشك والاضطراب قال تعالى: «بلى ولكن ليطمئن قلبي»^{4 (5)}.

(1) _ يونس: 9.

(2) _ دنيا زاد ساينغ، دلائل التوحيد وتأثيره في الحياة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر، 2006/2005، ص 214.

(3) _ عبد المجيد الزنادي، الإيمان هو المنقذ، مجلة البيان، العدد 200، ربيع الآخر، 1425هـ.

⁴ البقرة: 260

(5) _ محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص 433، 434.

فإبراهيم عليه السلام أراد أن يطمئن قلبه ويزداد يقينا على يقينه، وهذا مشهد يبرز أثر العقيدة الإسلامية على المؤمن بما تحمله من إجابات شافية عن تلك التساؤلات الفلسفية والتصورات الغامضة التي جاءت بها المذاهب الفلسفية والمادية، فهي بذلك توافق العقل والوجدان والفتوة ولا تدع مجالاً للشك والحيرة، فالمؤمن بما عارف بمبدأه ومنتهاه وغايته في هذا الوجود وهدفه الأسمى للوصول إلى الآخرة عن طريق الدنيا فهو خلق ليستخلف في هذه الأرض ويعمرها من خلال العمل بما جاء به الإسلام من قيم ومناهج منطلقها القرآن الكريم والسنة النبوية⁽¹⁾.

فالعقيدة الإسلامية تكسب عقل المؤمن ميزة خاصة، وفي سورة الزمر ما يبرهن على أن عقول أهل الإيمان متميزة عن غيرها فهي تميز الحق من الباطل، والخير من الشر قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿٢٠﴾﴾⁽²⁾.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية تقوم على احترام العقل والتعامل معه، فهي بذلك تقيم البراهين والحجج على كل مسألة فيها، حتى لا تبقي مجالاً للريب بل تملأ الإنسان يقينا بها، وقد خاطب القرآن الكريم خصومها بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾⁽⁴⁾. مقيما كل الأدلة والبراهين في محاجة منكريها فلا يدع مجالاً للحيرة والتردد عند أتباعها والمؤمنين بها⁽⁵⁾.

فهي تتعدى القلب والوجدان لتخاطب العقل يقول القرظاوي: «وكذلك لا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساسا للاعتقاد بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة والبرهان الناصع والتعليل الواضح الذي يملك أزمة العقول، ويأخذ الطريق إلى القلوب ويقول علماؤها: إنَّ الفعل أساس النقل والنقل الصحيح لا

(1) _ محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص 433، 434.

(2) _ الزمر: 17-18.

(3) _ صالح عسكر، أثر العقيدة على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م-2007م، ص 30.

(4) _ البقرة: 111.

(5) _ محمد أحمد ملكاوي، المرجع السابق، ص 28-29.

يخالف العقل الصريح»⁽¹⁾.

مكانة العلم في العقيدة الإسلامية وضرورة الأخذ به في فهم مسألتها وكل مسائل الإيمان وحتى العلم في المجال الدنيوي مثل بقية العلوم، دعت إليه العقيدة الإسلامية بعد الدعوة إلى العلم بالتوحيد ومعرفته على أسس وقواعد صحيحة ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾⁽²⁾. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ﴾⁽³⁾. فالعلم يجعل الإنسان يبيّن فكره على أسس متينة وهامة لأنه قام على الحق واليقين، فإنه يحمل خصائص أصوله ومصادره، فيتميز فكره بشمول النظرة وسعة الأفق والانسجام التام مع الفطرة، فيصبح له الملكة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والظن، وبين الاعتدال والغلو، ذلك لأنه تحرر من جميع القيود المفروضة عليه من قبل الفلسفات الأخرى، مما يتيح له حرية التفكير يدرك من خلالها علل الأشياء وأساسها⁽⁴⁾.

يقول أبو الحسن الندوي: «وإن الأثر العقلي الأول الذي يترتب من هذه العقيدة على الإنسان هو أن العالم كله تابع لمركز واحد ونظام واحد ويرى الإنسان في أجزائه المنتشرة ترابطاً ظاهراً ووحده في القانون، ثم بعد هذه العقيدة يستطيع الإنسان أن يأتي بتعشير كامل للحياة، وأن يقوم فكره وعمله في هذا الكون على حكمة وبصيرة»⁽⁵⁾.

ولا تقف العقيدة الإسلامية في تأثيرها على الفكر عند الإنسان الفرد بل تتعداه إلى توحيد الفكر الإنساني ككل، فقد أغنت العقل بأن جاءت بنمط جديد للتفكير، ومعرفة جديدة للفرد والمجتمع، وهذه المعرفة أساسها التوحيد الخالص لله، فهو خليفة على أرضه عابده له وطائع له قبل كل شيء، وقد أكرمه بالفعل وفضله على سائر المخلوقات⁽⁶⁾.

3- أثرها على النفس والوجدان

تهدف العقيدة الإسلامية إلى تحرير النفس الإنسانية من اليأس والتشاؤم وبعث روح الأمل والرجاء

(1) _ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 39.

(2) _ محمد: 19.

(3) _ فاطر: 28.

(4) _ دنيا زاد سابغ، المرجع السابق، ص 216.

(5) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ط1، دار الصحوة، دع، 1986م، ص 19.

(6) _ المرجع نفسه، ص 19.

الفصل الأول: تحرير المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)

والثقة، وهذا بخلاف الديانات والفلسفات الأخرى لا سيما الديانات القديمة، كالهند التي انتشرت فيها عقيدة التناسخ التي تجعل الإنسان مقيد الحرية والإرادة، فالإنسان في هذه العقيدة مضطر لا محالة لعقوبة ما، مما يجعله يعيش حالة من الذعر والخوف الدائم، وفي المسيحية الإنسان مذنب بالفطرة والمسيح صار كفارة وفداء له، فغرست هذه العقيدة اليأس وسوء الظن في نفوس الملايين من الذين يدينون بها، كذلك سائر العقائد الأخرى غير الإسلام، الذي يملك نظرة مختلفة لتحقيق الاستقرار النفسي للفرد⁽¹⁾.

في حين نجد أن العقيدة الإسلامية لها تصور آخر، يقوم على أن النفس البشرية موكولة بعملها إن أحسنت فلها وإن أساءت فعليها ﴿الْأَنْزِرُ وَالرَّازِرُ وَوَزَّرْنَا بِهَا ۖ وَاللَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۗ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾⁽²⁾. بل أبعد جعلت الذنوب والخطايا مراحل عابرة يمر بها الإنسان حيث يمكن له تدارك ذلك بالتوبة والندم والعودة الصادقة مع خالقه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ﴾⁽³⁾.

وقد نص القرآن على ذلك من خلال جملة من الآيات الكثيرة الدالة على رحمة الله بخلقه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽⁴⁾. فبين القرآن معنى الرحمة الإلهية التي لا تختص بفرد دون آخر، ولا أمة دون أخرى بل تشمل جميع الخلائق والموجودات في هذا الكون⁽⁵⁾.

كما أن العقيدة الإسلامية تجمع بين خاصيتين مهمتين في الإنسان الخاصية المادية والروحية يقول الغزالي: «إن الإنسان كائن عظيم حقا بيد أن عظمته ترجع إلى نسبه السماوي الروحي، لا إلى نسبه الأرضي المادي، ومن الناس من يقدر هذا النسب الإلهي فيجعلون الحياة تزدان بالمعرفة والكرامة والفضيلة وتسخير الكون للإنسان، ومنهم من تغلبهم نزعات الحمأ المسنون فيجعلون الحياة تسود بالشهوات والمظالم والأنانية وتسخير الإنسان لأنفه شيء في الكون»⁽⁶⁾. والعقيدة الإسلامية وسط بين الفريقين إذ تجعل الإنسان يعيش

(1) _ أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ص 65-70.

(2) _ النجم: 38-41.

(3) _ الزمر: 53.

(4) _ الأعراف: 156.

(5) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 65-70.

(6) _ محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، دار تحفة مصر، القاهرة، 2005م، ص 88.

بشقيه المادي والروحي فلا يتغلب أحدهما على الآخر، وهو التصور الصحيح الذي يضمن للإنسان استقراره واتزانه النفسي والوجداني.

انطلاقاً من هذه التصورات التي أسست لها العقيدة الإسلامية عن نفس الإنسان ووجدانه، نجد أنها تهدف إلى:

تخفيف ضغوط الحياة وهمومها: بما أنه يعيش في هذه الحياة تحت ضغوطها وهمومها ومشاغلها فيضيق صدره ويعتريه القلق، فيجد نفسه بحاجة إلى ما يشرح صدره وفؤاده، والحل هو العقيدة عقيدة التوحيد والإيمان بالله عز وجل، فبناء الحياة من مقابلات كالصحة والمرض، والغنى والفقير، والخير والشر... يجعل الإنسان يعيش حالة من الضعف تجاه تلك المقابلات، فيصير في حاجة ماسة إلى الإيمان بالله، ليجلب الاستقرار النفسي والوجداني ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾. وفي غياب هذه العقيدة يجزع الإنسان لمصابه ويقنط، فيعيش حالة من الانهيار النفسي والوجداني لأنه كائن بلا روح⁽²⁾.

فهي تعالج النفس البشرية، وتطمئننها وتهدأ من روعها، وتبعث فيها السكينة والاستقرار يقول عليه الصلاة والسلام: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبّر كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»⁽³⁾.

وفي هذا السياق يقول يوسف القرضاوي: «إننا نجيب مطمئنين أن للسكينة مصدراً واحداً لا شريك له هو الإيمان بالله واليوم الآخر الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق هذا ما شهد به الواقع الماثل، وما أيده التاريخ الحافل وما يللمسه كل إنسان يصير منصفاً في نفسه وفيمن حوله»⁽⁴⁾.

وتهدف كذلك إلى تحقيق التوازن النفسي الضروري للإنسان، وذلك «من خلال تلك الحلول التي تقدمها العقيدة لمسائل الحياة حتى لو كانت تلك الحلول (سلبية) تتمثل في ضرورة ترك الإنسان لما لا يستطيع عقله المحدود فهمه واستيعابه»⁽⁵⁾.

من خلال ما تقدم من بيان آثار العقيدة الإسلامية على السلوك والعقل والنفس يظهر لنا أن هذه

(1) _ التغبين: 117.

(2) _ محمد سيد أحمد المسير، التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1998م، ص 133-135.

(3) _ أخرجه مسلم في صحيحه، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم: 2999، ج4، ص 2295.

(4) _ يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص 94، 95.

(5) _ عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والإيديولوجيات المعاصرة، ط2، دار الفكر العربي، 1989م، د ع، ص 28.

العقيدة بتلك المميزات والخصائص تستهدف الإنسان بالدرجة الأولى، كما أنها قادرة على تفسير الكثير من مشكلات الحياة وحل عقدها، وفي مقابل ذلك أن تحلّي الإنسان عن هذه العقيدة والتنكر لها، يجعله مستهدفاً من مختلف التصورات والمعتقدات المنحرفة، التي تشوش عليه تفكيره وتؤثر سلباً على استقراره النفسي والسلوكي.

ثانياً: أثرها على المجتمع

لقد أحدثت العقيدة الإسلامية تغييراً مهماً داخل المجتمعات الإسلامية، ذلك أن هذه الأخيرة كانت تعيش حالة من التفرق والتمزق، حيث كانت المجتمعات تبنى على مبدأ الأنساب والسلالات والأعراق دون مراعاة للأخوة الإنسانية وحق العيش والمساواة بين بني البشر، فكان من الآثار الإيجابية التي أحدثتها، تغييراً في نمط التفكير المجتمعي من الطبقية والعنصرية إلى التفكير الحضاري الإنساني بين المسلمين أنفسهم و مع غيرهم، فإذا أجرينا مقارنة بين تلك المجتمعات التي تخلو من عقيدة التوحيد، وبين المجتمعات الإسلامية نجد أن الفارق واضح في بيان معنى المساواة والأخوة والتكافل الاجتماعي عند المسلمين، عكس الأخرى التي تعاني الفوضوية في البناء الاجتماعي وتغلب عليها الطبقية والعنصرية وعدم المساواة، وتفشت فيها مظاهر الظلم وإهدار الكرامة الإنسانية مما يفسح المجال لتوسع رقعة التطرف والانحراف⁽¹⁾.

فالعقيدة الإسلامية تعتبر الموجه الرئيسي للمجتمع من الناحية الفكرية والخلقية ومن حيث التصور فلا يقع الخلل والتفرق بين أفرادها، فهي تعمل على توجيه المجتمع نحو التفكير الواحد والنظرة الأحادية للخير والشر قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) ⁽²⁾. فالآية تبين وحدة الأمة من خلال وحدة المؤمنين بإيمانهم واحد وفكرهم واحد، لأنه ينبع من مصدر واحد وهو أمر الله ورسوله ﷺ، فمن خلال توحيد الفكر والتصور تصبح القيم التي تسعى الأمة لتحقيقها واضحة جلية لا اختلاف عليها، ويستوي في إدراكها كل فرد من أفراد الأمة، وعليه فالوحدة الفكرية هي أساس للوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية للأمة الإسلامية فهي تحمي الأمة من

(1) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 21-24.

(2) _ التوبة: 71.

الانهزام النفسي الذي يؤدي ضرورة إلى التخلف الحضاري⁽¹⁾.

فالإيمان الراسخ المبني على أسس سليمة له أثره البالغ على المجتمع فهو القوة الدافعة على العمل وحب الخير، وأكثر من ذلك فهو يقود المجتمع إلى النجاح والتطور لهذا قام المجتمع الإسلامي منذ فجر الإسلام على يد صاحب الرسالة ﷺ على أسس من العقيدة الحقة والمبادئ النبيلة مما يدل على الوعي الصحيح والتصور السليم، والفهم الجيد لمبادئ العقيدة الإسلامية⁽²⁾.

ومن تأثير العقيدة الإسلامية على المجتمع أنها بنت للناس أعلى مثل للنظم والقيم الاجتماعية ونقلتهم من تلك الفوضى التي كانوا يعيشونها في معاملاتهم حين كان الحكم للقوي والخضوع لأبشع العادات، إلى تهذيب النفس ومحاسبة الضمير، لقد خلقت العقيدة الإسلامية شخصية أولئك المسلمين الأولين فكانت هذه الشخصية مبعث تلك القوة التي اندكت أمامها صروح الظلم والطغيان وهذا بفضل الصورة الكاملة للعقيدة الإسلامية التي رسمت وطبعت بها المسلمين في ذلك الزمن، حيث استطاعوا أن ينشروا عقائدهم ويعلموا شعوب الأرض مبادئ الحياة الكريمة⁽³⁾.

فنجد مثلاً قيمة التعايش والتعارف التي دعا إليها القرآن الكريم بين مختلف الشعوب والأجناس بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ كُمْ﴾

⁽⁴⁾. فهذه القيمة التي جاءت بها العقيدة الإسلامية قد أهملها المسلمون في عصرنا الحاضر مما رفع من منسوب الخوف والعنف تجاه الآخر، حيث نتجت هذه العقدة عندما ابتعد المسلمون عن الشعوب والأمم الأخرى بمسافات، ما أثمر الجُمود على ذات ونبذ الآخر، في حين جعل القرآن التعارف والتعايش سنة من السنن الكونية.

كذلك ما تنتجه العقيدة الإسلامية للمجتمع من توازن في أخلاقه ومعاملاته وبين أفرادها، من غير إفراط ولا تفريط فمن «الفرد المتوازن ينشأ المجتمع المتوازن، وفي المجتمع الصالح ينشأ الفرد الصالح تلك نظرية الإسلام، وهي نظرية لا تغفل الفرد، ولا تغفل المجتمع، ولا تبالي في تقدير واحد منهما على حساب الآخر»⁽⁵⁾.

(1) _ رشدي أبو شبانة، علي الرشيد، المرجع السابق، ص 454-456.

(2) _ محمد عبد الرحمن بيبصار العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، المكتبة العصرية، بيروت، 1980م، ص 67-74.

(3) _ سعد الدين الجيزاوي، دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة، مجلة الأزهر، مجلة 34، 1962م، ج 1، ص 205.

(4) _ الحجرات: 13.

(5) _ محمد قطب، المرجع السابق، ص 127.

فخلاصة القول إن المجتمع الذي يقوم على العقيدة الصحيحة، هو بدوره يلعب دورا مهما في تنشئة الأجيال القادمة على المبادئ والقيم والفضائل، فكل فرد صالح نشأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة يعدّ لبنة من لبنات بناء المجتمع الإسلامي.

وفي ذات السياق يقول أبو الحسن الندوي: «فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد □ يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها ويطالبون بها، لا يقبلون عنها صرفا ولا عدلا، ولا ييغون بها عوضا ولا بدلا. وإن أفضل حياة خلقا وسلوكا، ورحمة وبراً، واستقامة وسدادا، وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة أو إنشاء مجتمع أو إحداث انقلاب لا قيمة له عندهم إذا لم يقترن كل ذلك بعقيدة جاءوا بها ودعوا إليها»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ _ أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ص 22.

المبحث الرابع: مفهوم التطرف ودلالته النفسية والاجتماعية

المطلب الأول: مفهوم التطرف

أولاً: المعنى اللغوي للتطرف

يطلق التطرف في اللغة ويراد به العديد من المعاني، وهي كلها متقاربة في تحديد مفهومه وبيان معناه.

منها لفظ "التطرف" حيث تشتق هذه الكلمة من الفعل الماضي "طرف".

ففي تاج العروس للزبيدي: "الطَّرْفُ: العين، لا يجمع، لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً ويكون

جماعة قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾⁽¹⁾.

والطرف: كوكبان يقدمان الجبهة، سميا بذلك لأنهما عينا الأسد ينزلهما القمر، نقله الجوهري والطرّف: اللطم باليد على طرف العين ثم نقل إلى الضرب على الرأس وهو أيضاً: الرجل الكريم الآباء إلى الجد الأكبر⁽²⁾. والطرّف أيضاً: الكريم من الجيل العتيق، والطرّف أيضاً ما كان في أكامه من البنات، قال ابن عباد، وهو أيضاً الحديث المستفاد من المال، ويضم كالطارف والطرّيف والمطرّف والأخير كمحسن، وهو خلاف التالد والتلديد.

والطرف أيضاً: الرجل لا يثبت على صحبة أحد ملله وهو أيضاً: الجمل ينتقل من مرعى إلى مرعى لا يثبت على رعي واحد، وهو أيضاً: الرغيب العين الذي لا يرى شيئاً إلا أحب أن يكون له⁽³⁾.

والطرف: بالضم جمع طراف، وطرّيف ككتاب وأمير، وهما بمعنى المال المستحدث⁽⁴⁾.

وفي لسان العرب لابن منظور، من معاني كلمة "الطرف".

أنه تحريك الجفون في النظر، قال: ورجل طرفٌ ومتطرفٌ ومستطرفٌ لا يثبت على أمر⁽⁵⁾.

والطرّفُ: بالتحريك، الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء، والجمع أطراف.

(1) _ إبراهيم: 43.

(2) _ محب الدين الزبيدي، المصدر السابق، ج12، ص 345، 346.

(3) _ المصدر نفسه، ج12، ص 345، 346.

(4) _ المصدر نفسه، ص 345-346.

(5) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 615-622.

ويقال: طرّف الرجل حول العسكر وحول القوم، يقال: طرف فلان إذا قاتل حول العسكر لأنه يحمل على طرف منهم فيردهم إلى الجمهور، والمطرّف من الخيل بفتح الراء هو الأبيض الرأس والذنب وسائرته يخالف ذلك، ويقال شاة إذا اسودّ طرف ذنبها وسائرها أبيض مطرّفة⁽¹⁾.

قال ابن عباد: المطرف: الحزين وبه سمي طرفة

وطرفا الرجل: لسانه وفرجه

ومنتهى كل شيء: طرفه⁽²⁾.

إذن فلفظ التطرف المأخوذ من الفعل "طرف" يحمل عدة معاني ومفاهيم متقاربة مع مفهوم التطرف في الاصطلاح.

نأخذ هنا بعض المعاني المستفادة من المعنى اللغوي للتطرف منها:

-الرجل الذي لا يثبت على صحبة أحد ملله، وهو مقارب للتطرف في المعنى إذ هذا الأخير لا يثبت على قيم ومبادئ توجهه.

وهو أيضا الناحية من كل شيء حيث لا يحيط بجميع الشيء بل ببعضه.

ويطلق أيضا ويراد به ما خالف وشد عن غيره وهو الحال بالنسبة لمفهوم التطرف، فمن إحدى عناصر تعريفه هو الانحياز ومخالفة الأغلبية، والشدوذ عن المجتمع.

والخلاصة أن مدلول هذه الكلمة اللغوي كله يصبّ في معنى المخالفة والانحراف والشدوذ والخروج عن العادة والمألوف.

ومن المعاني المقاربة للتطرف لفظ "الغلو" فهو يطلق في الغالب ويراد به التطرف والانحراف أو هو ضرب من ضروبه.

فالغلو عند أهل اللغة كما في كتاب الصحاح للجوهري مشتق من الفعل "غلا" في الأمر يغلوا غلوا أي: جاوز الحدّ. كما يراد به أيضا غلاء السعر ومنه الغلو بالسهم، وهو الرمي بها بعيدا، والغلو أيضا: سرعة الشباب وأوله⁽³⁾.

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 615-622.

(2) _ ابن عباد الطالقاني، المحيط في اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج3، ص 184، 185.

(3) _ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج6، ص 2448-2449.

وفي مجمل اللغة لابن فارس: أن "الغلو" من غلاء الشعر، وغلا الرجل في الأمر غلوا: أي جاوز الحدّ وغلا سهمه غلوا إذا رمى به أقصى الغاية وفيه أيضا: وغلت الدابة في سيرها غلوا، وتعالى النبات: ارتفع وطل، أي زاد عن حدّه وغلت القدر تغلي غليانا (1).

كل هذه المعاني للفظ "الغلو" تأتي معبرة عن مجاوزة الحدّ والإفراط فيه ومنه كان الغلو هو الخروج عن الحدّ أو المألوف، فسمي التطرف تطرفا لأنه يخرج بصاحبه عن حدّ الاعتدال والتوسط.

قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (2). فذمّ الله عز وجل المغالين من أهل الكتاب لإفراطهم وانحرافهم عن الفهم الصحيح للدين فحملهم غلوهم بأن قالوا المسيح ابن الله أو عزيز ابن الله.

قال القرطبي: «وذلك غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وقد غالى النصارى فيه حتى جعلوه ربّا، وكل هذا من قبيل الإفراط وهو كله سيئة وكفر» (3).

ومن الألفاظ المتقاربة مع لفظ التطرف تأخذ لفظ "التشدد" حيث يشير هذا المصطلح إلى التطرف، على اعتبار أن المتطرف صاحب تنطع وتصلب في أقواله وأفعاله.

فلفظ التشدد مأخوذ من الفعل شدّ بفتح الشين وشدّ الدال وفتحها، فتقول شد الله ملكه، وشدّده قواه، أي بمعنى أيده، والتشديد خلاف التخفيف قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ (4). أي: قويناه (5).

والشدّة: الصلابة وهي نفيض الدين، ورجل شديد: قوي وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «من يشاد هذا الدين يغلبه» (6) أي يغلبه الدين، والمتشدد: البخيل كالشديد قال طرفة:
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى = عقيلة مال الفاحش المتشدد.

(1) _ أحمد ابن فارس القزويني، مجمل اللغة: تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ج2، ص 683، 684.

(2) _ النساء: 171.

(3) _ القرطبي: المصدر السابق، ج7، ص 229.

(4) _ ص: 20.

(5) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص 623، 627.

(6) _ أخرجه البيهقي في سننه، باب: القصد في العبادة والجهد في المداومة، رقم: 4742، ج3، ص 27.

فالشديد: القوي أو العنيف أو الحاد، ويطلق كذلك على صعب المعاملة.

والشدّة: صعوبة الزمن.

وعليه فإن التشدد يطلق ويراد به لغة، الحدة والصلابة في التعامل مع الأمور، ومنه فالتطرف حادّ وعنيف في تعامله مع قضايا الإسلام المختلفة، فغالبا ما يميل إلى العنف والقسوة في التعامل وهذا نقيض الاعتدال والاتزان المأمور به في الإسلام.

ثانيا: معنى "التطرف" و "الغلو" في القرآن الكريم:

أما عن التطرف فإنه لم يرد بهذه الصيغة في القرآن وإنما جاء ذكره بصيغ أخرى مختلفة المعنى، مع اتفاقها في المبنى. فقد جاء ذكره في القرآن الكريم في إحدى عشرة مرة مفرقة على سبع مواضع، وبسبع صيغ مختلفة.

1- لفظ "الطَّرْف" في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ الْأَنْزَابِ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَكَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ (2).

وقال: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ لَمْ يَطْمَئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (3).

وقال: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الْأَطْرَفِ عَيْنٌ﴾ (4).

2- لفظ "طرفك" في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (5).

3- لفظ "طرفهم" في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (6).

4- لفظ "طرفا" في قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (7).

5- لفظ "طرفي" في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ (8).

(1) _ ص: 52.

(2) _ الشورى: 45.

(3) _ الرحمن: 56.

(4) _ الصافات: 48.

(5) _ النمل: 40.

(6) _ إبراهيم: 43.

(7) _ آل عمران: 127.

(8) _ هود: 114.

6- لفظ "أطرافها" في قوله تعالى: ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾⁽¹⁾.

وقد أخذت هذه الألفاظ عدة معان مختلفة:

ففي المواضع من سورة "ص" "الرحمن" "الصفات" جاء في معنى كلمة "قاصرات الطرف" أن المقصود منها: الحبس، أي أنهن قصرن أبصارهن على الأزواج ولم يطمعن إلى غيرهم، والطرف: البصر فقاصرات الطرف أي: قاصرات البصر، فقد حبسن أبصارهن عن النظر إلى غير أزواجهن⁽²⁾. وفي سورة النمل⁽³⁾. وفي المواضع من سورة إبراهيم «ولا يترد إليهم طرفهم» أي نظرهم إلى شيء واحد بمعنى بصرهم⁽⁴⁾.

وفي المواضع الآخر من سورة آل عمران «يقطع طرفاً» وموضع «طربي النهار» من سورة هود، وموضع نقصها من أطرافها" كل هذه المواضع تحمل معنى واحد يقصد به ناحية الشيء أو الطائفة من الشيء وجمعها أطراف⁽⁵⁾.

أما عن لفظ الغلو في القرآن الكريم فقد ورد في موضعين:

الموضع الأول: من سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁽⁶⁾.

الموضع الثاني: من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا

تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾⁽⁷⁾.

وكلا الموضعين جاءت كلمة الغلو متصلة بلفظ "الدين" وهذا فيه إشارة واضحة على النهي عن الغلو في الدين قال ابن قتيبة:⁽⁸⁾

(1) _ الرعد: 41

(2) _ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، م1978، ص 371.

(3) _ المصدر نفسه، ص 324.

(4) _ المصدر نفسه، ص 233.

(5) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 216.

(6) _ النساء: 171.

(7) _ المائدة: 77.

(8) _ ابن قتيبة، المصدر السابق، ص 137.

فالغلو هنا بمعنى مجاوزة الحد والإفراط في الشيء، فالغالي في الدين هو المجاوز الحد فيه أو المفرط حيث أنه خرج بذلك عن حد الاعتدال والوسطية، وقد كانت هذه الصفة موجودة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى أن جاء الإسلام فبين المنهج الوسط والطريق المعتدل «وكذلك جعلنكم أمة وسطا»، بخلاف الغلو الذي كان سائدا في الأمم السابقة.

وعليه فإن التطرف كظاهرة لا تخلو منه أمة من الأمم، فقد كانت بداياته مع ابني آدم ثم ما تلاهم من الأمم الأخرى إلى الإسلام، حيث بين القرآن أنه ما من أمة إلا وظهر فيها التطرف بأي شكل كان، فمثلا بين القرآن أن تطرف اليهود في التجسيم، وتطرف النصارى في التثليث، وتطرف مشركي العرب في عبادة الأصنام، وهكذا لا يذكر أمة من الأمم السالفة إلا وبين سبب انحرافها ومن ثم العذاب الذي حل بها.

وعليه القرآن الكريم تحدث عن التطرف بأسلوبين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر، فالأول تمثل في نهي عن الغلو والتنطع في الدين وقد مثل على ذلك باليهود والنصارى وغيرهم، والثاني تحذيره من التطرف من خلال دعوته إلى المنهج الوسط، ومنه وصف الأمة الإسلامية بأنها أمة وسطا بين الأمم.

ثالثا: المعنى الاصطلاحي

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم التطرف، وذلك لاختلافهم في تحديد أسبابه فمنهم من ينظر إليه من الجانب الديني فيعطيه مفهوما دينيا، ومنهم من يراه من جانبه الفكري، وآخرون يعطونه بعدا سياسيا، وما إلى ذلك من المفاهيم المختلفة التي تأتي بناء على توجه أصحابها، غير أننا نعرف التطرف تعريفا شاملا انطلاقا من المفاهيم التي وضعها العلماء والمفكرون المعاصرون.

لم يكن مصطلح التطرف شائعا قبل بداية السبعينات من القرن الماضي، وإنما كان ظهوره وانتشاره مع بداية الصحوة، أين عرف الإسلام انتشارا واسعا في مختلف دول العالم لا سيما بلدان العالم الإسلامي، فكان من نتائج تلك الصحوة وانتشار الإسلام إصااق تهمة العنف والتطرف والإرهاب بالمسلمين، لذا تصدى علماء المسلمين لهذه الأباطيل بإصدارات ومؤلفات، كلها تصب في التسامح والحوار مع الآخر، ونبد التعصب دفاعا عن الإسلام من هذه التهم، والتي كان مصدرها أوروبا وأمريكا، ثم سرعان ما انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي عبر جسر العلمانية المتطرفة والمعادية للإسلام، وكذا موجات الإلحاد التي تزامنت مع هذه الحملة مطلع السبعينات من القرن الماضي⁽¹⁾.

(1) _محمد نفيسة، الإسلام وظاهرة العنف، ط1، دار السقا، دمشق، 1996م، ص 61-62.

فمن التعريفات التي تناولت معنى التطرف نذكر:

تعريف جميل حمداوي بأن التطرف: هو الغلو السياسي أو الديني أو المذهبي أو الفكري وهو أسلوب خطير مدمر للفرد والجماعة، فالتطرف مغالاة وإرهاب يأتي عكس الحق والاعتدال والوسطية⁽¹⁾.

فالتطرف هنا يتناول جميع الجوانب السياسية والدينية والمذهبية والفكرية، فلا يقتصر على جانب دون آخر، كما هو الشائع في إصاق التطرف بالدين والتدين، فنجد أن غالبية الباحثين يتطرقون إلى التطرف الديني دون ذكر للأشكال الأخرى من التطرف⁽²⁾.

-وعرف التطرف أيضا: بأنه التشبث بمجموعة من القيم الصارمة والمتشددة نحو الذات والغير على حد سواء فيأتي هنا بمعنى الغلو الممقوت مع الذات أو الغير، ومحاولة فرضه لتلك القيم والمبادئ الصارمة على النفس والغير فيقع في المحذور والتصادم مع نفسه وغيره.

ويعرف على أنه: عدم تقبل ثقافة الآخر أو دينه أو عرقه أو جنسه، فالمتطرف دائما يحاول فرض معتقداته وأفكاره وجنسه وعرقه على الطرف الآخر، بشكل عدواني فيلجأ إلى أشكال العنف والعدوان لفرض أفكاره ومعتقداته⁽³⁾.

يعرفه صلاح الصاوي بأنه: «التنطع في أداء العبادات الشرعية، أو مصادرة اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتماعية أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف والتنطع في أداء العبادات وهو التعمق أو مجاوزة الحد في الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الزيادة على المشروع، والتزام ما لم يلزم به الشارع، والورع الفاسد ونحوه»⁽⁴⁾.

وهنا يشير صاحب هذا التعريف إلى التطرف الديني، وقد عبر عنه بالزيادة الغير مشروعة في العبادة سواء في الأفعال أو الأقوال، وإلى هذا المعنى يذهب أغلب الباحثين.

ويعرفه بعضهم بأنه: الابتعاد عن الاعتدال، والغلو وتجاوز الحدود المعقولة التي عليها غالبية الناس، فهو يتعارض مع المعايير الرئيسية السائدة في المجتمع، كما تجدر الإشارة بأن لفظ التطرف غالبا ما يتضمن المعنى

(1) _ جميل حمداوي "التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، المجلة الثقافية الجزائرية <https://thakafamag.com> تاريخ

الدخول: 2019 /04/06

(2) _ المرجع نفسه، ص 204.

(3) _ المرجع نفسه، ص 204.

(4) _ صلاح الصاوي، التطرف الديني، الرأي الآخر، الآفاق الدولية للإعلام، دع، د ت، ص 10.

السلبى أو يستخدم بقصد الانتقاص من قيمة المعنى به، سواء أكان موقفاً، أو فكرة أم فعلاً، فرداً أو جماعة، كما يحمل لفظ التطرف عدة أشكال سياسية أو دينية أو فكرية أو اقتصادية... الخ⁽¹⁾.

يرى صاحب هذا التعريف أن التطرف في الأصل يتعارض مع المعايير والقيم التي عليها المجتمع، سواء أكانت قيماً دينية أو اجتماعية أو غيرها من القيم السائدة في أي مجتمع من المجتمعات.

ويعرف التطرف أيضاً بأنه «الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة للواقع المعيش⁽²⁾، وهو: «اتخاذ الفرد أو الجماعة، موقفاً متشدداً، إزاء فكر أو إيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق نوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة»⁽³⁾.

فالتطرف بهذا المعنى هو الخروج عن القيم الموجودة في أي مجتمع واستبدالها بقيم أخرى مخالفة للأولى، فينتج عن ذلك تعصب لتلك الأفكار والأفعال المخالفة للمجتمع، فيقع التصادم بين الطرفين.

من بين أهم المصطلحات المتداولة والمرادفة للتطرف مصطلح الراديكالية وهو لفظ معاصر من حيث استخدامه وإطلاقه، وكثيراً ما يتداول في وسائل الإعلام، والراديكالية radicalism تعني الجذرية، أو التغيير الجذري، وقد بدأت كفلسفة إصلاحية، حيث كان دعاؤها ينادون بالتغيير الجذري، المناهض للطبقية وتسلط البورجوازية الليبرالية، ولم تكن في بادئ الأمر ثورية، ولا ذات طابع متطرف وعنيف ومن أشهر روادها في القرن الماضي جمال الدين الأفغاني (1838-1254)⁽⁴⁾.

فالراديكالية بدأت كمذهب سياسي يطالب بالإصلاح التام في إطار المجتمع القائم، والراديكالي من كان على مذهب الراديكالية ممن يطالب بالتغيير الجذري⁽⁵⁾.

وفي المعجم السياسي لوضاح زيتون الراديكالية تعني: «الميل نحو القرارات الحاسمة، وتستخدم للإشارة إلى برامج الأحزاب السياسية ويقصد بها الدعوة إلى إصلاح النظام البرلماني، أو الدعوة إلى إصلاح شامل يمس

(1) _ العياشي عنصر، العولمة والتطرف، نحو اكتشاف علاقة ملتبسة، مجلة سياسات عربية، العدد 21 يونيو 2016م، ص 11.

(2) _ أبكر آدم، التطرف الديني (أسبابه، نتائجه، علاجه)، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، جامعة بنغازي العدد 13، يناير، 2017م، ص 5.

(3) _ المرجع نفسه، ص 5.

(4) _ عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،

(5) _ يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 2006م، ص 745.

جذور المشاكل التي تواجهها الدولة»⁽¹⁾ .

وقد استخدم مصطلح الراديكالية لأول مرة في بريطانيا لوصف بعض التيارات السياسية والفلسفية كما هو شائع الآن في الأوساط الإعلامية والسياسية⁽²⁾ .

ولكن سرعان ما أخذ هذا اللفظ بعدا آخر وفهما آخر، حيث أصبح الراديكالي يطلق ويتداول في وسائل الإعلام خاصة الغربية ويراد به ذلك الفرد المتشدد أو الأصولي الذي يكنّ العداء لأمتة ووطنه، فقد أصبح يرمز إلى التطرف خصوصا ما له صلة بالإسلام، حيث ارتبط بالعنف والإرهاب فأصبح كل من يدعو إلى العنف والإرهاب، ويدعو إلى ممارسته على أرض الواقع يسمى راديكاليا، وسرعان ما تطور إلى مصطلح "الراديكالية الإرهابية" أي: التي تتسم أساليبها في الإصلاح والتغيير بالعنف والإرهاب.

فالراديكالية في الحقيقة مصطلح يشترك مع التطرف من حيث أن أصحابها ينادون بالتغيير الجذري والكلبي، في حين نجد أن التطرف ينادي أصحابه بمبدأ التغيير الكلي كذلك وقلب جميع الأفكار والقيم واستبدالها بأفكار وقيم أخرى تحل محلها، وإن كانت هذه الأخيرة مخالفة ومناهضة للمجتمع والأمة، فكلاهما يشتركان ويتفقان في بعض العناصر التي تجمعهما، وكما أشرنا إليه سابقا في أن هذا المصطلح منتشر إعلاميا بشكل واسع كتعبير على التطرف والعنف الممارس من قبل الجماعات الإسلامية المتشددة خاصة.

وعليه من خلال النظر في مختلف التعريفات التي تناولت التطرف نجد بأن:

- أن التطرف لا يقتصر في مفهومه على جانب معين، حيث غالبا ما يحصر فيما هو ديني فقط، بل يتعدى ذلك ليشمل جميع مناحي الحياة المختلفة، السياسية والاجتماعية والفكرية وغيرها.

- التطرف يعني مخالفة القيم السائدة في المجتمع.

- كذلك يعبر التطرف عن ميل الأفراد نحو تلك القيم الصارمة والمتشددة، في مقابل ترك كل ما هو لين وسمح من التدين أو التعامل مع الغير.

- التطرف محاولة فرض بالقوة لتلك الأفكار والمعتقدات التي يعتنقها الشخص، سواء على الذات أو على الغير واعتماد العنف للوصول إلى الغاية المرجوة.

(1) _ وضاح زيتون، المعجم السياسي، دار أسامة، عمان، 2006م، ص 192.

(2) _ محمد عاطف غيث، المرجع السابق، ص 370.

-يعتبر التنطع والتكلف في التعامل مع الأحكام الشرعية أو الاعتقادية التي جاء بها الإسلام صورة من صور التطرف.

المطلب الثاني: دلالة التطرف بين المنظورين النفسي والاجتماعي

أولاً: التطرف من منظور نفسي

لا يمكن إغفال الجانب النفسي كعامل مهم في تحديد مفهوم التطرف، ذلك أن هذا الأخير أحد أسباب الظاهرة، فكان لزاماً أن نعرض على المدرسة النفسية لمعرفة رأيها في تحديد ماهية التطرف، فالعامل النفسي له تأثير قوي على الفرد، فكل سلوك أو تعامل يحدثه الفرد إلا وله علاقة وصلة قوية بالنفس وتأثيرها فيه.

وعلى هذا فإن علماء النفس ينظرون إلى التطرف على أنه ظاهرة نفسية من حيث أسبابها ودوافعها، فلا يخلو صاحبها من دافع نفسي داخلي يحنه على السلوك العدواني والعنيف تجاه الآخر، ومنه فلا بد أن يكون العلاج علاجاً نفسياً بحتاً.

ومن خلال ذلك فسر الباحثون في مجال علم النفس ظاهرة التطرف تفسيراً نفسياً، حيث جعلوا العامل النفسي أحد الأسباب الرئيسة للظاهرة، ومنه جعلوا الشخصية المتطرفة هي التي تتمتع بالموصفات التالية:

1- **شخصية محبطة:** حيث يربط علماء النفس بين التطرف والإحباط، فيعدون إحباط الإنسان نتيجة عدم وصوله إلى ما يبتغيه طريقاً إلى التطرف والعدوان، فيطلقون على المتطرف اسم الشخصية المحبطة وهو من لم يصل إلى غايته وامتغاه من خلال ما يواجهه من عقبات في طريق وصوله إلى هدفه، فيحمله ذلك على العدوان والعنف في التعامل مع الآخر، فينتقم بذلك لنفسه، فينتقل بذلك من السلوك المعتدل إلى الانحراف والتطرف⁽¹⁾.

2- **شخصية عدوانية:** يرى علماء النفس أن التطرف يعدّ ضرباً من ضروب العدوانية أو ما يسمى بالسلوك المعادي للمجتمع ويعرفونه بأنه: «نمط من النشاط والسلوك المعادي يتميز بكرهية القيود والقوانين الاجتماعية والخروج عليها وقد يؤدي هذا السلوك إلى عزل الفرد عن الآخرين، وينتج عنه صراع مستمر مع الآخرين ومع المؤسسات الاجتماعية»⁽²⁾.

(1) _ هبه محمد عبد العزيز، معجم مصطلحات التربية وعلم النفس، ط1، دار البداية، عمان، 2009، ص 10-11.

(2) _ المرجع نفسه، ص 108.

فالعُدوانية سمة بارزة في أصحاب السلوكيات المنحرفة أو المتطرفة ذلك أن أغلبهم يكنّ الكره والعداء للمجتمع وحتى الأسرة التي نشأ فيها، من خلال تأثره بأفكار تملّي عليه الشعور بالعدوانية والإحساس بالقهر والظلم في بيئته ومجتمعه، فينتج عن ذلك تطبيق فعلي لهذا الشعور يؤدي إلى العنف اللفظي أو الجسدي مع الآخر، تعبيراً منه عن رفضه وعدم قبوله.

3- شخصية مضطهدة: حيث تجد أن صاحب هذه الشخصية يعتقد فيمن حوله بأنهم يكونون له العدوان والكرهية فيصير بذلك معادياً للمجتمع، فيصبح تعامله مع الآخرين تعاملًا دفاعياً كما يلاحظ أن المتلبس بهذه الشخصية مفرط الحس فيرى الخلق من حوله انتهازيين وظلمة فيتولد عنده نوع من الإحباط وعدم القدرة على المواجهة⁽¹⁾.

وعليه فإن التطرف غالباً ما ينتج عن إحساس صاحبه بالاضطهاد فيضمر الكراهية والانتقام للمجتمع.

4- شخصية منطوية: يميل صاحبها إلى العزلة والابتعاد عن مخالطة الناس فتجد أن صاحب هذه الشخصية كثيراً ما يعيش في الخيال بعيداً عن الواقع. كذلك الحال بالنسبة لأصحاب الأفكار المنحرفة يصرون على إرغام الناس بأن يعيشوا أحلامهم وخيالهم، فهم دائماً يحاولون الهروب من الواقع لذا نجدهم يجنحون في الغالب إلى أساليب العنف في التعامل مع الآخر، حتى وإن كان هذا الآخر من بني يشاركونهم أفكارهم ومعتقداتهم⁽²⁾.

من هنا كانت دعوة الإسلام واضحة في حث الناس على التعامل والتعايش فيما بينهم ومع غيرهم، على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومذاهبهم ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾⁽³⁾. فمن القيم التي أرسّتها العقيدة الإسلامية التعايش بين بني البشر تحت مظلة الإنسانية.

5- شخصية لاجتماعية: يرى علماء النفس أن الشخصية اللاإجتماعية هي شخصية معادية للمجتمع، معارضة لقيمة وأخلاقياته ومبادئه، فلا يمكن تحديد ولاء هذه الشخصية، ضف إلى ذلك أنها شخصية تتسم بالإنسانية وحب الذات كما أنها تتعاطى بشكل كبير مع العنف والغلظة في التعامل،

(1) _ محمد عبد المجيد عبد العال، السلوك الإنساني في الإسلام، ط1، دار المسيرة، عمان، 2007م، ص 65.

(2) _ المرجع نفسه، ص 66.

(3) _ الحجرات: 13.

فالمتطرف غالباً ما ينجح إلى مناهضة المجتمع ومحاربة قيمه ومبادئه، من خلال سلوكيات وتصرفات تظهر عليه توحى بتقلب وتغير في شخصيته وعدم اتزانها فضلاً عن غموضها وعدم وضوحها⁽¹⁾.

6- شخصية متعصبة: التعصب هو الميل إلى الشيء والجدّ في نصرته، ومنه التعصب في الدين والمذهب، أي الميل الشديد إليه والمدافعة عنه، وقد أطلق التعصب على كهنة الآلهة القديمة الذين كان من عاداتهم في عباداتهم طعن أجسامهم حتى يسيل منهم الدم تعصبا لألهتهم، وكل من دافع عن عقيدة أو عن شخص أو أي شيء بحماسة عمياء عدّ متعصباً لأن من صفات التعصب والمتعصب أن يسخر عقله لهواه فيصبح مخدّر العقل والفكر، فيجدّ في نصرته رأيه بعنف، ويضيق به الحال عن الحرية والتسامح فكلما ازداد التعصب انخفضت معه قيم الحرية والتسامح وكلما انخفضت وتيرة التعصب اتسع مجال التقارب والتسامح⁽²⁾.

وفي تفسير التعصب يقول محمود البستاني: «إن التعصب من خلال السلالة والجنس والعرق والدم ونحوها على تفاوت وتمائل هذه الأصول، يظل منتسباً إلى جذر مرضي متشابك الأعراض...»³

فالشخصية المتعصب تدفعها حالتها النفسية إلى وضع حواجز بينها وبين الطرف الآخر، مستندة في ذلك على خلفيتها العرقية أو السلالية وغيرها، وغالباً ما تلجأ إلى طرق العنف واللامبالاة في الحوار مع الآخر. أما إذا ذهبنا نستقرأ ملامح الشخصية السوية التي حددها علماء النفس، من خلال المعايير التي أجمعت عليها كل الاتجاهات النفسية كما ذكر محمود البستاني وهي:

● مبدأ تقبل الذات: ويقصد به النظرة الواقعية التي تتمتع بها الشخصية السوية، فلا تبالغ في إمكاناتها، ولا تقلل منها أيضاً.

● مبدأ تقبل الواقع: ويتحدد هذا في تعامل الشخصية السوية مع الواقع من منطلق حقيقته، فلا تتجاوز إمكانات الواقع لتصبح فريسة لتعامل وهمي أو مثالي، ولا تتهرب منه فتقع في انطوائية على الذات.

● مبدأ تقبل الآخرين: ويتجسد في مدى استعداد الفرد للتعامل مع الذوات الأخرى، بمعنى التكيف مع الآخر.

● الإحساس بالثقة: بمعنى أن الشخصية السوية تنتج نظرة إيجابية عن ذاتها، بصرف النظر عن جوانب القوة

(1) _ محمد عبد المجيد عبد العال، المرجع السابق، ص 65.

(2) _ جميل صليبا، المرجع السابق، ص 305-306.

(3) محمود البستاني، المرجع السابق، ج 1، ص 96

والضعف فيها.

- النضج الانفعالي: ويقصد به علماء النفس تكامل الشخصية من حيث استجابتها للمنبهات المختلفة التي تواجهها، بحيث تبدو متماسكة في تصرفاتها.
 - تحديد موقف من الحياة: ويكون ذلك من خلال تحديد الهدف، أي وجهة نظر من مختلف قضايا الحياة¹ من خلال ما تقدم نجل أهم ملامح التطرف من المنظور النفسي وتحديد خصائصه التي نبرز من خلالها صورة التطرف عند علماء النفس.
 - 1- أن التطرف يؤدي ضرورة إلى العدائية ومناهضة الآخر، سواء على المستوى الفردي أو المجتمع، فمن علامات التطرف العدوانية في التعامل والسلوك.
 - 2- أن الإحباط وعدم وصول الفرد إلى تحقيق غاياته، يساهم وبشكل كبير في صناعة التطرف لدى الفرد.
 - 3- اللاإجتماعية سمة بارزة لدى الفرد المتطرف، وهي عزلته عن مجتمعه من جميع الجوانب.
 - 4- من دوافع التطرف عند علماء النفس الاضطهاد الذي يتولد لدى الفرد بإحساسه بالظلم والقهر، فيجعله ذلك عدائيا وعنيفا في سلوكه وفكره.
 - 5- اللاإجتماعية سمة بارزة لدى الفرد المتطرف، تجعله يعيش عزلة على مستوى الفكر أو على مستوى السلوك في مجتمعه.
 - 6- يعد التعصب من أهم النقاط والعناصر التي تحدد ماهية العنصر المتطرف عند علماء النفس، على اعتبار أنه حالة يتلبس به في فكره وسلوكه تعبيرا منه عن صحة ما يعتنقه ورفضه للآخر.
 - 7- تحديد علماء النفس لمعالم الشخصية المعتدلة، والتي نتعرف من خلالها على الشخصية المضطربة كتقبل الذات والآخرين، ومعايشة الواقع بالإضافة إلى الإحساس بالثقة، والنضج الانفعالي، وتحديد موقف من الحياة.
- ومما سبق نلاحظ كيف عمل علماء النفس على تسليط الضوء على نفسية الإنسان، من خلال التطرق إلى جملة الأسباب النفسية التي تجعل من الفرد متطرفا، وهذا حتى يتمكن المجتمع من استئصالها بمختلف الطرق لا سيما التربوية منها.

¹ محمود البستاني، المرجع السابق، ج1، ص8-9-10

ثانيا: التطرف من منظور اجتماعي

ينظر علماء الاجتماع إلى التطرف من زاوية أخرى، إذ يحدد مفهومه عندهم بناء على صلة الفرد بما يحيط مجتمعه الذي يعيش فيه وما يتبعه من الأسرة والمدرسة وغيرها، ومن ثم يتأثر الفرد في المجتمع من خلال مجموعة من العوامل والمؤثرات التي تساهم بشكل كبير في صناعة شخصيته أيا كانت صفة هذه الشخصية هادئة أو عنيفة، اجتماعية أو غير اجتماعية، سوية أو منحرفة حسب المؤثرات الاجتماعية التي ساهمت في تكوينها ونشأتها.

وكمقاربة لمفهوم التطرف عند علماء الاجتماع أطلقوا مصطلح **العدوان** أو **السلوك العدواني** الذي يفسر إلى حد كبير ويوضح ماهية الشخصية المتطرفة؟. فالسلوك المعادي للمجتمع كما يعرفه علماء الاجتماع هو: نمط من النشاط والسلوك يتميز بكرهية القيود والقوانين الاجتماعية والخروج عليها وقد يؤدي هذا السلوك إلى عزل الفرد عن الآخرين، فينتج عنه صراع مع الآخرين ومع المؤسسات الاجتماعية⁽¹⁾.

فصاحب السلوك المعادي للمجتمع يتميز عن غيره، كونه مناهضا لثقافة مجتمعه وقوانينه وقيمه، فلا يستسيغ ذلك بل يعبر عنه بسلوك عدائي يجعله ينحاز ويتطرف عن الآخرين مبديا رفضه الكلي للمجتمع. من تلك المفاهيم الشائع استعمالها عند علماء الاجتماع في مقابل مصطلح **التطرف السلوك المنحرف**.

والسلوك المنحرف عند علماء الاجتماع هو الذي يخرج بصورة بارزة عن خط التوسط والاعتدال، ويكون غالبا ذا طبيعة مرضية كما يستخدم أيضا هذا المصطلح في علم نفس الشواذ⁽²⁾.

وأطلق علماء الاجتماع أيضا مصطلح "**الأصولية**" وهو ترجمة للكلمة الإنجليزية fundomantalism ، والأصولية مصطلح أطلق على حركة احتجاج مسيحية ظهرت في القرن العشرين تؤكد على ضرورة التفسير الحرفي للكتاب المقدس كأساس للحياة الدينية الصحيحة، وهو مصطلح يطلق أيضا على أي حركة أو اتجاه يشدّ بثبات على التمسك الحرفي بمجموعة قيم ومبادئ أساسية⁽³⁾.

(1) _ عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، ط1، دار أسامة، دار المشرف الثقافي، عمان، 2006م، ص 292.

(2) _ المرجع نفسه، ص 292-293.

(3) _ المرجع نفسه، ص 132-133.

وقد شاع استعمال هذا المصطلح في العالم الإسلامي، وعلى وجه الخصوص في الوسائل الإعلامية، كتعبير عن الجماعات والحركات الإسلامية المتطرفة، والتي تجنح إلى العنف كوسيلة لفرض منطقتها وأفكارها.

كما يتداول هذا اللفظ في وسائل الإعلام الغربية، ويوجه غالباً نحو الإسلام والمسلمين في محاولة للتشويه ونشر الشبهات حيث يستخدم كوسيلة في نشر الإسلاموفوبيا بين غير المسلمين.

من بين المصطلحات المقاربة لمعنى التطرف التي أطلقها علماء الاجتماع مصطلح "الاغتراب"، وهو «شعور الفرد بالاستياء والتذمر والإحساس بالعزلة والوحدة وإحساس الفرد بفقدان المعايير الاجتماعية التي تضبط السلوك وفقدان الاحترام بما يؤدي إلى عدم القدرة على ضبط سلوكه»⁽¹⁾.

فالاغتراب إحساس بالعزلة والبعد عن الآخر-المجتمع-فيفقد صاحبه المعايير والقيم التي تحكمه فيتجرد منها، ما يؤدي به ضرورة إلى الإحساس بالعزلة والوحدة، فينتج عن ذلك سلوكيات منحرفة خارجة عن المؤلف والتي تخالف في مجملها قيم وقوانين المجتمع.

ويعد مصطلح "التعصب" من الألفاظ التي اختارها علماء الاجتماع في التعبير عن الشخصية المتطرفة ويعرف على أنه: «الاتجاه السلبي نحو جماعة معينة أو نحو أعضائها، حيث يتميز هذا التعصب بوجود معتقدات نمطية»⁽²⁾.

ويعرفه وليامز بأنه: «اتجاه سلبي ينتهك بعض المعايير أو القيم الهامة المقبولة في الثقافة»⁽³⁾.

ويعرف عبد المنعم الحفني التعصب بأنه: الفكرة المسبقة التي لا تستند إلى واقع موضوعي أو منطلق سليم، وتتكون عند الإنسان من منطلق بيئته وانتمائه بحيث تنتقل هذه الفكرة منهم وصولاً إليه، فيصير متعصباً لها مدافعاً عنها، بل يعادي ويوالي لأجلها، ومن ذلك التعصب القبلي المعروف لدى القبائل، التعصب الأجناسي، كحال السود والبيض في أمريكا وجنوب إفريقيا، والتعصب الصليبي ضد الإسلام في أوروبا وغيرها⁽⁴⁾.

(1) _ بوفولة بوخميس، التطرف والانحراف...مقاربة نفسية اجتماعية، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، قسم علم النفس، عنابة، الجزائر، العدد 25-26 ربيع 2010م، ص 48.

(2) _ محمد عاطف غيث، المرجع السابق، ص 345-346.

(3) _ المرجع نفسه، ص 345-346.

(4) _ عبد المنعم الحفني، الموسوعة النفسية في علم النفس والطب النفسي، ص 332-334.

فهذا المصطلح يشير إلى العداوة التي تقوم بين الجماعات الشعبوية والعنصرية في المجتمع مثل: تعصب البيض في أمريكا ضد الزنوج، والعرب ضد العجم وغيرها من أشكال العصبية التي يمقتها الإسلام.

فالتعصب من وجهة نظر اجتماعية هو الخضوع للجماعة خضوعاً تاماً بما فيها من إيجابيات وسلبيات، فيصبح الفرد تابعاً لها يعيش تحت هيمنتها وسيطرتها فيلتزم بما تميله عليه من أفكار وسلوكيات تحدد له نمط عيشه وتعامله، من ذلك تلك الجماعات والحركات التي اتخذت العنف والتطرف شعاراً لها، تجعل الفرد يعيش حالة من الخوف الممارس عليه من قبلها، بما يحتم عليه الالتزام الحرفي بقيمتها ومبادئها.

وعليه نجد أن الاتجاهات التعصبية تمثل جزءاً من العملية السوية لتلقيين معايير الجماعة وقيمتها فيكون الفرد خاضعاً للجماعة وقيمتها، دون أن يتعصب لها فيدفعه ذلك لتعلم الاتجاهات الأخرى وبالتالي يخرج عن مسمى الشذوذ والتطرف⁽¹⁾.

ومنه أطلق علماء الاجتماع على تلك الحركات المتطرفة أيّاً كان مذهبها وانتماءها اسم **الجماعات الضاغطة** وهي: «مجموعة من الأشخاص تربطهم أهداف واتجاهات مشتركة، حيث يحاولون الوصول إلى تلك الأهداف والقيم بشتى الوسائل وخاصة بالتأثير على الأنظمة السياسية ويأتي هذا المصطلح ضمن المصطلحات الأمريكية وهو مصطلح يستخدمه علماء السياسة أيضاً ويدرجون في مقابله مصطلح الجماعة المصلحة وهي التي تسعى عكس الأولى حيث تدعو إلى الإصلاح وفق القيم والمبادئ التي تراها مناسبة»⁽²⁾.

(1) _ عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص 345-346

(2) _ المرجع نفسه، ص 345-، 346.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أهم النتائج المتوصل إليها في مفهوم التطرف عند علماء الاجتماع، وهي كالآتي:

- إن من أهم أسباب التطرف في المفهوم الاجتماعي هو ذلك التأثير البيئي والاجتماعي على الفرد فمنه يكتسب العوامل المساعدة على التطرف، فقد عرفت فيما بعد بالبيئات الحاضنة للتطرف والإرهاب، فالمؤثرات الاجتماعية لها دور كبير في صناعة الشخصية المتطرفة.

- السلوك العدواني لدى الفرد المتطرف يأتي نتيجة لرفضه كل القيم والقوانين التي تأتي من قبل المجتمع.

- يحدد علماء الاجتماع أن بداية التطرف تبدأ مع إحساس الفرد بالوحدة والعزلة عن مجتمعه، لهذا كان العلاج من خلال إدماجه وتقريبه من المجتمع ليكتسب الثقة بالنفس والمجتمع.

- أصبح التعصب مظهر من مظاهر التطرف السائدة في المجتمع، وهي من الانحرافات التي تهدد وحدة المجتمع وتماسكه، والتي ينبغي الوقوف على مخاطرها وسبل علاجها.

جامعة الأمير
الفصل الثاني:
التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه
وانعكاساته
العلوم الإسلامية

تمهيد

لا شك أن البحث في موضوع التطرف والإحاطة بجميع جوانبه ومختلف قضاياها يتطلب جهدا كبيرا، نظرا لأهمية هذا الأخير كونه يمتد إلى مختلف جوانب الحياة (السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية...)، وتتعدد أسبابه مما يجعله قضية تبدو أكثر اتساعا وشمولا.

وهذا ما يحتم علينا بحث موضوع التطرف في هذا الفصل بحثا موضوعيا، يستوفي جميع القضايا والمسائل المتعلقة بالظاهرة، للوقوف على مختلف إشكالاتها وآثارها ثم بعد ذلك استلهم الحلول العلاجية المقترحة لقضية التطرف.

وعليه نسلط الضوء في هذا الفصل على جملة من المحاور التي تزيح الستار عن فهم قضية التطرف وما تعلق بها من مستجدات في عصرنا الحاضر وهي:

- الانتقال من المفهوم الكلاسيكي للتطرف الذي يحصره في جانبه الديني فقط، إلى الجوانب الأخرى التي لها صلة بالتطرف على غرار الجانب النفسي والاجتماعي.

- إثبات أن التطرف ينسحب جميع الأديان والمذاهب، مع اختلاف في الدرجة وتفاوتها، وبالتالي نفى تهمة إصاق التطرف بالإسلام دون سائر الأديان والملل الأخرى.

- الخروج بموضوع التطرف من الحيز الضيق الذي اعتاد على ربط التطرف بالدين، إلى المجال الأوسع الذي يدرس التطرف من مختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية... الخ.

- كما نعمل على تسليط الضوء على مختلف الأسباب التي ساهمت في استفحال الظاهرة، ليتسنى لنا الوقوف على قضية التطرف من مختلف الجوانب.

- وأخيرا التعرض إلى الآثار التي خلفها التطرف على المستويين الفردي والاجتماعي، والتي تستدعي إيجاد حلول استعجالية.

المبحث الأول: جذور التطرف (دراسة في منشأ التطرف عند المسلمين وغير المسلمين)

المطلب الأول: التطرف في العقائد الأخرى

يحاول الكثيرون من أتباع الأديان الأخرى إصاق تهمة التطرف بالمسلمين لا سيما أتباع الديانتين اليهودية والنصرانية في عصرنا الحاضر، غير أنه إذا تفحصنا تلك الأديان الغير إسلامية كاليهودية والنصرانية والبوذية وغيرها من مختلف أديان العالم، نجد بأنها لا تخلو من غلو وتطرف ينطلق من عقائدها المحرفة، التي ترمي في مجملها إلى الدعوة إلى الغلو والانحراف عن القيم السماوية وحتى الإنسانية.

وهذا بخلاف العقيدة الإسلامية التي بقيت متماسكة ومحافظه على قيمها ومبادئها، حيث أن التطرف لم يستطع التسرب إلى أصولها كما حدث مع العقائد الأخرى، وبالتالي فإن التطرف في الأمة الإسلامية أثر في أفرادها نتيجة البعد عن قيم هذه العقيدة، لا من حيث كونها تعرضت للتحريف أو التشويه كما هو الحال في الديانات الأخرى.

وعليه نعرض في هذا المبحث ظاهرة الغلو والتطرف عند الأديان الأخرى، لا سيما السماوية منها كاليهودية والنصرانية، لنبرهن على أن التطرف بمختلف أبعاده ينسحب على جميع الملل والنحل على اختلافها.

نبدأ مع اليهودية على اعتبار أنها أقدم الأديان السماوية وأكثر الديانات تطرفا في نظري قديما وحديثا.

أولا: التطرف اليهودي

لقد بدأ التطرف الديني اليهودي مع بداية تحريف التوراة، التي تعتبر إحدى مصادر التلقي في العقيدة اليهودية، فقد حرفت عما كانت عليه، حيث أصبحت كتابا مليئا بالقسوة والهمجية والتطرف، فهي تقدح في الأنبياء، كما تبيح كل أنواع الحرام والغش، خاصة مع غير اليهودي، وهذا كله يوحى بأنها تعرضت للتحريف، وأنها من وضع الحاخامات اليهود⁽¹⁾.

ضف إلى ذلك ما يدعو إليه التلمود من انحرافات وغلو، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد التوراة، وهو كتاب يحوي مختلف التعاليم اليهودية ويعد أكثر غلوا وتطرفا من التوراة نفسها، فهو يشرح ما فيها ويستنبط أصولها، وقد عرف بأنه: «مجموعة من الكتب والأسفار التي تحوي سجل التشريعات والمجادلات والأخبار

(1) _ عدنان عبد الرزاق الربيعي، قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية، ط1، دار النفائس، عمان، دار الفجر، بغداد، 2011م، ص 147-148.

الفصل الثاني: (التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته)

والقصص والأقوال الحكيمة»⁽¹⁾.

وفيما يلي نورد أهم الجوانب العدوانية والمتطرفة في العقيدة اليهودية، خاصة ما تعلق بالذات الإلهية وكذا الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام.

1- تصورهم المشوه للإله، على أنه يمتلك صفات البشر، وأن له صفات القسوة جاء في سفر (زكرياء 14 / 3-5): «فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم في يوم حربه يوم القتال»⁽²⁾، ويقول أحد حاخاماتهم وهو بن غوريون، أن يهوه إله إسرائيل هو أيضا إله الجنود، وهو في نظره إله قاس، يأمر بإبادة جميع من هم من غير اليهود»⁽³⁾.

وفي سفر التثنية: (7-16): «وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عينك عليهم»⁽⁴⁾.

فهذه نموذجين من التوراة المحرفة يعبران عن الغلو والتطرف في العقيدة اليهودية تجاه الذات الإلهية، وهو ما استقر فيما بعد في الفكر اليهودي إلى يومنا هذا.

2- أما الجانب الثاني الذي يعبر عن عدوانية وتطرف اليهود، هو عقيدتهم في الأنبياء، إذ أنهم ينسبون إليهم أبشع وأقبح الأوصاف، من قتل وزنا وغير ذلك من الخطايا، فبني الله داود ينسبون إليه أفظع الجرائم، ففي سفر صموئيل الثاني: (12-13) «وأخرج الشعب الذي ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس من حديد وأمرهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ثم راجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم»⁽⁵⁾، فينسبون له بذلك القتل والاعتداء على الغير.

فهذه النصوص المأخوذة من التوراة توحى بأن العقيدة اليهودية المحرفة قائمة على الغلو والتطرف، فتشويه العقيدة الصحيحة في الذات الإلهية، وقتل الأنبياء، والعداء لباقي البشر في دلالة واضحة على التطرف في الديانة اليهودية.

(1) _ عدنان عبد الرازق الربيعي، المرجع السابق، ص 150.

(2) _ المرجع نفسه، ص 153.

(3) _ المرجع نفسه، ص 153.

(4) _ المرجع نفسه، ص 154.

(5) _ المرجع نفسه، ص 155.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

لهذا مع مجيء الإسلام وبعثه النبي محمد ﷺ عاد التطرف اليهودي إلى الظهور من خلال القبائل اليهودية التي كانت بالمدينة والتي أظهرت عدائها للإسلام والمسلمين وبالتآمر مع كفار مكة ومنافقي المدينة بغرض محاربة العقيدة الإسلامية ووأدها في مهدها.

من هنا نجد أن القرآن الكريم فضح عقائد اليهود وانحرافاتهم بأن وصفهم بالعلو والتطرف من خلال الكثير من النصوص، وهو ما يدل دلالة قاطعة على أن غلوهم وانحرافهم قدسهم بقدم ظهور الديانة نفسها.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (1).

وقال: مبينا غلوهم وانحرافهم في وصف الذات الإلهية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا

قَالُوا﴾ (2).

وفي معرض حديث القرآن عن أفعالهم الشنيعة في حق الأنبياء والرسل يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (3).

فهذه الآيات وغيرها كثيرة في القرآن الكريم، التي تسرد لنا أخبار اليهود، وتبين أوصافهم وأفعالهم، مما يقطع الشك باليقين على انحرافهم عن قيم ومبادئ الحنيفة السمحة.

وعليه فالتطرف اليهودي لم يقف عند مرحلة معينة بل استمر إلى مرحلة وجود النبي ﷺ، فقد سطر التاريخ تلك المحاولات الفاشلة لقتله عليه الصلاة والسلام وإفشال دعوته، من خلال غدر وخيانة تلك القبائل اليهودية، ولا يزال الكيان اليهودي يکید بالإسلام والمسلمين لكن هذه المرة تحت مظلة الحركة الصهيونية، التي تعد كنتيجة للفكر اليهودي عبر مختلف المراحل التاريخية التي مر بها.

والصهيونية عرفت على أنها: «حركة داخل التشكيل السياسي والحضاري الغربي تنظر إلى اليهود من الخارج باعتبارهم فائضا بشريا، فهم بقايا الجماعات الوظيفية اليهودية التي فقدت وظيفتها ونفعها وتحولت إلى شعب عضوي منبوذ وفائض بشري لا نفع له» (4)، يعود في النهاية إلى الأرض المقدسة، أرض صهيون التي هي

(1) _ المائدة: 82.

(2) _ المائدة: 64

(3) _ البقرة: 61.

(4) _ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر، 1999م، ج16، ص 213.

فلسطين حسب زعمهم.

والصهيونية في الحقيقة فكرة ترمي إلى تمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم وثمراته، من منطلق تلك العقائد الفاسدة التي تجعل منهم شعب الله المختار، وهم سادة العالم وأوصيائه وليس لمن عداهم من الأمم إلا السمع والطاعة⁽¹⁾.

وعليه فالصهيونية العالمية وغيرها من المنظمات الأخرى التي تحمل الأيديولوجية اليهودية، ما هي إلا نتاج للتطرف والعنف الذي تمحض عن العقيدة والفكر اليهودي انطلاقاً من التوراة المحرفة وصولاً إلى التلمود الذي يعد أكثر الكتب تطرفاً.

ولا تزال العقيدة اليهودية تكشف عن غلوها وانحرافها، بما ترتكبه من جرائم في حق الشعوب والأمم، كما فعلت ولا تزال في فلسطين وما تحيكة من مؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

ثانياً: التطرف النصراني

على غرار اليهود لا يختلف النصارى في الخروج عن عقيدتهم الصحيحة والانحراف عن أصولها، فقد طرأ على الإنجيل ما طرأ على التوراة من قبل، من تحريف وتغيير من قبل قساوسة النصارى ورهبانهم فأدخلوا في عقائدهم ما خالف العقل والنقل فوقوا بدورهم في مصيدة الغلو والتطرف كما حدث مع سلفهم من اليهود. فالمتأمل في عقائد النصارى يجد أنها تقوم على ثلاث أسس معرفية وهي: عقيدة التثليث والإيمان بثلاث أقاليم وقد أنكرها القرآن الكريم وبين بطلانها، وعقيدة صلب المسيح وكونه فداء عن الخليقة، والعقيدة الأخيرة وهي محاسبة المسيح للخلائق يوم القيامة⁽²⁾.

فهذه الثلاث محاور تمثل جوهر العقيدة النصرانية وعليها أقام النصارى تطرفهم ضد المسلمين، لأن الإسلام فضح هذه العقائد وبين بطلانها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁽³⁾.

وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾⁽⁴⁾. وغيرها من الآيات التي

تخاطب النصارى بأن يلزموا طريق الحق ويجانبوا الغلو والتطرف.

(1) _ سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 371.

(2) _ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر، القاهرة، دت، ص 98.

(3) _ المائة: 72.

(4) _ المائة: 77.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

وعليه فملامح التطرف النصراني تظهر فيما يلي:

أولاً: التعصب: ويظهر هذا التعصب مع امتلاك الكنيسة للسلطة في القرون الوسطى إلى يومنا هذا، فكانوا يرون أن كل ما يقال ويكتب ضد أناجيلهم هو خطأ من الأساس، فيقوضون بذلك كل فكرة تؤدي إلى الشك في الإيمان، ويزداد التعصب حدة في أن كل من شك في الأناجيل أو أتى بفكر مخالف كان مصيره التعذيب والقتل، وقد كانت محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة ضد العلم والتنويريين خير شاهد على ذلك⁽¹⁾.

ثانياً: نظرة العقيدة النصرانية للإنسان على أنه مجرم مخطئ بصورة مستمرة ولا خلاص له إلا بالدخول في المسيحية، فالمسيح في عقيدتهم مات من أجل أخطاء البشر، ولفرض مصداقيتها على النصراني قامت الكنيسة بتحديد الخطايا، والحلال والحرام²، وآخر ما وصلت إليه بيع صكوك الغفران من قبل الباباوات كضمان لدخول الجنة حسب ما نصت عليه عقائدهم.

ثالثاً: الحرب على العلم: ذلك أن العلم يتعارض مع ما تدعو إليه الكنيسة من عقائد محرفة تناقض العقل والنقل، لذا فهي تشن حرباً مستمرة على العلم ودعاته منذ القدم وإلى اليوم: «فتستغل مكانتها في المجتمع لتمنع وتعوق التقدم في قطاع كبير من العلاج الجيني، والطب الإنتاجي، حقا لقد خسرت الكنيسة معركة مركزية الشمس ومعركة التطور، لكنها لا تزال مستمرة في المحاربة في العديد من المجالات الجديدة»³

رابعاً: الحروب الصليبية

تعد الحملات الصليبية التي شنتها الكنيسة ضد المسلمين انطلاقاً من حملات الإمبراطور لويس الثاني عام 871م، في محاولة لاستعادة مدينة "باري" من المسلمين، وما فعله ملك صقلية روجيه الثاني باحتلاله لمدينة طرابلس عام 1146م، وتلك الحملات الصليبية الفرنسية بقيادة البابا ألكسندر الثاني⁴ من مظاهر التطرف في الديانة النصرانية

وعليه فإن تلك الحملات الصليبية بقيادة الكنيسة ضد المسلمين الشرارة الأولى للتطرف النصراني الكنسي ضد الإسلام والمسلمين، حتى وإن تعددت أسبابها يبقى السبب الجوهرى هو أنها حرب دينية مقدسة على الإسلام، فكان أول من رفع رايتها البابا أوربان الثاني الذي استصرخ المسيحيين لرفع السلاح من أجل

(1) _ زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، دمشق، 2004م، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 26-27

³ المرجع نفسه، ص 28 -

⁴ مفيد الزبيدي، تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة، عمان، 2011م، ص 58

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

تحرير بيت المقدس، فكانت هذه الدعوة جادة في محاربة الإسلام، وموجهة إلى المسيحيين في كل مكان تحت شعار الحرب الدينية المقدسة⁽¹⁾.

وفي خضم تلك الحملات الصليبية المقدسة على الإسلام في القرون الوسطى، نذكر أحد أقوال مارتن لوثر التي تعبر عن مدى التطرف والحقد النصراني على الإسلام يقول: «وهكذا سمعنا فيما سبق أي رجل هو كبير الأتراك وتعرفنا عليه مقوض كيان سيدنا المسيح وعدوه والمجذّب به، وإنه يبجل عوضاً من الإنجيل والعقيدة محمد وكل الأكاذيب، كما أنه يعبث بكل سلطة دنيوية ويدنس نظام البيت العائلي أو الحياة الزوجية ولا يعدوا تصرفه في الحرب أن يكون سوى التقتيل وإراقة الدماء، بما أنه أداة حقيقة من أدوات الشيطان»⁽²⁾.

وقد استمرت تلك الحملات الصليبية إلى غاية الاستعمار الغربي على العالم الإسلام الذي يعد بدوره جزءاً من تلك الحملات المتطرفة على الإسلام والمسلمين إضافة إلى تلك الحملات الصليبية المعاصرة في ثوبها الجديد، التي تعد بمثابة عودة المسيحية إلى محاربة الإسلام عن «طريق الدبلوماسية والأساليب المهذبة الغير مباشرة»⁽³⁾.

فقد جسدت الكنيسة حربها على الإسلام في عصرنا الحاضر في شكل منظمات دولية، وهيئات تبشيرية، وكذا مراكز الاستشراق في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بهدف القضاء على الإسلام، وطمس معالم الهوية والثقافة الإسلامية، وتجريد المسلمين من عقيدتهم انطلاقاً من السيطرة على مختلف وسائل الإعلام، وكذا المراكز الحساسة والفاعلة في الدول الإسلامية.

والذي نخلص إليه أن التطرف ظاهرة لا تخلو منها أمة من الأمم أو ديانة من الديانات يقول راشد المبارك: «لا ينفرد بالتطرف شعب دون سواه ولا طائفة من البشر دون غيرها ولا أتباع دين بعينه أو معتنقوا مذهب سياسي أو اجتماعي واحد، ولم تعرف دفاثر التاريخ ثقافة واحدة خلت من أفراد زرعوا فيها ما يوقظ الصراع أو يشعله بسبب تطرفهم»⁽⁴⁾.

(1) - مفيد الزبيدي، المرجع السابق، ص 59-60

(2) _ كارل يوسف كوشل، الأديان من التنازع إلى التنافس، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي ومنير قنذري، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009م، ص 89.

(3) _ محمد البهي، المرجع السابق، ص 23.

(4) _ راشد المبارك، التطرف حيز عالمي، ط1، دار القلم، دمشق، 2006م، ص 29، 30.

المطلب الثاني: التطرف عند المسلمين

لا شك أن السمة البارزة في الدين الإسلامي أنه دين الوسطية والاعتدال، غير أن هذا لم يمنع من ظهور غلو أو تطرف بين أتباع هذا الدين من مختلف المذاهب والفرق في القديم والحديث.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى اختلاف الفهوم وتباينها حول نصوص القرآن والسنة، فأدى هذا الاختلاف إلى نشأة البذرة الأولى للغلو، فكانت أول عصابة متطرفة تجسدت في الخوارج زمن عثمان ثم في عهد علي، إلى أن قويت شوكتهم فصاروا يشكلون خطراً على الخلافة الإسلامية على مر التاريخ، وفي مقابل ذلك الخروج على الخلفاء ظهر تطرف آخر تمثل في التقديس والتعظيم الذي تبناه بعض غلاة الشيعة في حق أئمة أهل البيت، وقس على ذلك بقية الفرق الإسلامية إذ لا تخلو هي الأخرى من تطرف وغلو في بعض أفكارها، أو جلها⁽¹⁾.

أولاً: منشأ التطرف عند المسلمين

يرى "الشهرستاني" أن التطرف والغلو الذي ظهر في الأمة يعود في الأصل إلى تلك القضايا والمسائل التي اختلف فيها الأوائل من الصحابة وقد أجملها في عشرة مسائل وهي:

أولها: خلافهم في مرضه والوصية قبل موته. الثانية: في تجهيز جيش أسامة، الثالثة: في موته عليه الصلاة والسلام، الرابعة: في موضع دفنه، الخامسة: في الإمامة وهو أعظم خلاف وقع في الأمة، السادسة: في أمر فدك والتوارث عن النبي عليه الصلاة والسلام، السابعة: في قتال مانعي الزكاة، الثامنة: في تنصيب أبي بكر على عمر بالخلافة بعد الوفاة، التاسعة: في أمر الشورى عند بيعة عثمان رضي الله عنه العاشرة: في زمان أمير المؤمنين عليه السلام بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له، وخلاف بعض الصحابة له⁽²⁾.

ويذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن الاختلاف بعد النبي ﷺ كان سبباً جوهرياً فيما وقع بين المسلمين من تفرق وتكفير واقتتال يقول: «اختلف الناس بعد نبهم ﷺ في أشياء كثيرة ضلل فيها بعضهم بعضاً، وبرئ فيها بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين، وأحزاباً مشتتتين إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم»⁽³⁾.

(1) _ راشد المبارك، المرجع السابق، ص 114-120.

(2) _ الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 17-20.

(3) _ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط 1، المكتبة العصرية، دع، 2005م، ج 1، ص 21.

الفصل الثاني: (التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته)

وتعد قضية الإمامة ومن يتولى الخلافة بعد موت النبي ﷺ من أبرز القضايا التي دار حولها الخلاف، ونشأ منها غلو وتطرف كبير، فجميع الخلافات التي دارت بين المسلمين في العهد الأول كانت بسبب الإمامة بدءاً بتولية أبي بكر، إلى عثمان الذي أنكر عليه قوم في آخر أيامه أفعالاً نقموا عليه من خلالها، إلى أن تفاقم الأمر إلى قتله، وبعده علي بن أبي طالب الذي بويع بالخلافة فصار الناس قسمين بين قائل بإمامته ومعارض لها⁽¹⁾.

يقول الشهرستاني: «كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة: أن شبهات أمته في آخر زمانه، ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين...»⁽²⁾.

كل هذه القضايا عجلت بظهور نحل متباينة متناحرة على غرار الخوارج، والشيعية والمرجئة وغيرها من الفرق الأخرى التي لا تخلو في الغالب من تطرف وغلو صبغ ب فكرها، وسرعان ما تحول ذلك إلى سلوكيات معادية لقيم ومبادئ العقيدة الإسلامية، فأصبحت فيما بعد تشكل خطراً على مسار الحضارة الإسلامية، فكانت أحد أسباب تراجعها وتقهقرها.

(1) _ أبو الحسن الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص 22.

(2) _ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1994م ج1، ص 16.

المبحث الثاني: أبعاد التطرف

نسلط الضوء في هذا المبحث على أبعاد التطرف التي عرفها العالم الإسلامي وهي كثيرة، غير أننا نركز على أبرزها، حيث أن التطرف الذي اجتاحت العالم الإسلامي غالبا ما يصب في ثلاث أنواع رئيسة ألا وهي: التطرف الفكري الذي يجمع كل الطروحات الفكرية المتطرفة الدخيلة على الفكر الإسلامي، التطرف الديني وهو الحلقة الأهم في هذا المبحث إذ يشتمل على الكثير من القضايا المهمة التي تتعلق بتلك المظاهر والسلوكيات المنافية لقيم العقيدة الإسلامية، بداية بالعلو ثم مروراً بالتكفير وأخيراً الوصول إلى العنف والإرهاب. ثم التطرف السياسي والمتمثل في التأثير السياسي على أغلب القضايا الدينية والفكرية ومحاوله توجيهها مما أفرز العديد من التيارات الفكرية المتناحرة والتي توجهها جهات فاعلة في الداخل والخارج.

لهذا فالغرض من هذا المبحث إعطاء نظرة شاملة عن التطرف بمختلف جوانبه الفكرية والسياسية والدينية، حتى نلغي التصور السائد على أن التطرف ينحصر في الجوانب الدينية فقط دون الجوانب الأخرى.

المطلب الأول: البعد الفكري للتطرف

أولاً: مفهوم التطرف الفكري

يعرف التطرف الفكري على أنه: «العلو والتنطع في قضايا الشرع، والانحراف المتشدد في فهم الواقع والحياة»⁽¹⁾.

فالتطرف الفكري حسب هذا التعريف محصور في القضايا الدينية، في حين أن التطرف الفكري ينسحب على كل مناحي الحياة بما في ذلك الاجتماعية والسياسية وغيرها.

ويعرفه الدكتور بدر مالك الكندري بأنه: «المبالغة في التمسك فكرياً أو سلوكياً بجملة من الأفكار قد تكون دينية عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو أدبية أو فنية تشعر القارئ بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، وتخلق فجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي يؤدي إلى غربته عن ذاته وعن الجماعة ويعوقه عن ممارسة التفاعلات المجتمعية التي تجعله فراد منتحاً»⁽²⁾.

(1) _ مسفر بن علي القحطاني، التطرف الفكري... وأزمة الوعي الديني، مجلة دراسات إسلامية، العدد 11-ربيع الآخر 1426/ مايو 2005م، ص 12.

(2) _ مالك بدر الكندري، دور المعلم في وقاية الناشئة من التطرف الفكري، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 142، 2009م، ج 1، ص 15.

من الناحية الموضوعية يعد هذا التعريف شاملا حيث أخرج مفهوم التطرف الفكري من القضايا الدينية إلى غيره من القضايا، كالسياسية والاقتصاد والاجتماع وحتى الثقافة والفن، فبين بذلك أن التطرف تعصب لفكرة ما مهما كان نوعها أو مجالها.

من خلال التعريفين السابقين نقول إن التطرف الفكري هو: الانحراف بالفكر السليم إلى ما هو شاذ في مختلف القضايا مع التصلب في التفاعل مع الآخر، واستخدام شتى الوسائل والطرق لأجل التشبث بالأيديولوجيات والأفكار وإن جانب الصواب، مما يؤثر سلبا على نمط حياة الفرد مع ذاته وداخل مجتمعه.

ثانيا: نماذج معاصرة عن التطرف الفكري

سبق وأن ذكرنا أن التطرف بشكل عام ليس حكرا على المسلمين فحسب، وإنما يتعدى ليشمل كل الأمم، فهو موجود في العالم الغربي حيث يتجسد في تلك الفلسفات والنظريات الشاذة التي تبناها فلاسفة ومفكري الغرب، على غرار "نيتشه"، و"فرويد" وغيرهم من علماء الغرب ممن تمسك بطروحاته الشاذة ومات عليها، كما يوجد أيضا في العالم الشرقي في الهند والصين، إذ غالبا ما يدعي علماءهم أفكار لا تمت بصلة للعقل ولا الواقع بل تتصادم حتى مع الفطرة السليمة.

وهو الحال بالنسبة للعالم العربي والإسلامي الذي لم يسلم هو الآخر في هذا العصر من وباء التطرف الفكري، المتمثل في الأيديولوجيات الحديثة التي أتت عليه في الآونة الأخيرة، منها القومية العربية والعلمانية الغربية والإلحاد العالمي، فهذه المذاهب الثلاثة تمثل الانحراف الفكري الذي أثر سلبا على الهوية الثقافية والدينية للعرب والمسلمين، كما أفرزت انشقاقات وتصدعات في الوحدة الوطنية والإسلامية.

● القومية العربية

القومية العربية فكرة لها جذورها وامتداداتها من القومية الأوروبية التي نشأت بعد الثورة الفرنسية في نهاية القرن 18م، ومنها تكونت الدول الأوروبية الحديثة على ذلك الأساس، فالتجهت مطامع الدول الأوروبية إلى الخلافة الإسلامية (العثمانية) التي أطلق عليها آنذاك اسم الرجل المريض، حيث قامت هذه الدول بإحياء مشروع القومية العربية واستغلال الأقليات المسيحية التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية، ودعوها للخروج والانفصال عنها، فاستطاعوا بذلك تمزيق الوحدة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية⁽¹⁾.

(1) _ أحمد بشير، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1396هـ،

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

فدخول فكرة القومية إلى البلاد العربية كان في الغالب عن طريق تلك الجمعيات التبشيرية، بداية في لبنان ثم سوريا على أيدي فئة من النصارى العرب، ويذهب دعاؤها إلى وجوب الانفصال عن الدولة العثمانية واعتبارها محتلاً غازياً، ثم تحولت شيئاً فشيئاً إلى عقيدة أو فلسفة لها دعاؤها ومفكرها تبنتها العديد من الدول العربية، حيث ترمي في مجملها إلى تمجيد العروبة على حساب الدين والعقيدة، ومن أشهر روادها ومفكريها "مشيل عفلق" و"جورج حبش" و"قسطنطين زريق"، و"ساطع الحصرى". صاحب كتاب "العروبة أولاً"⁽¹⁾.

يقول محمد قطب: «يقول التاريخ إن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وانضم إليهم المسلمون الذين تربوا في مدارس التبشير ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعاضاً بين الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام، وأن لعرب هم الذين حملوا الإسلام إلى كل البشرية»⁽²⁾.

وقد أبطلت فكرة القومية العربية بناء على كونها:

- دعوى منظمة تعارض العقيدة والقيم الإسلامية من عدة جوانب.
- فهي تفرق بين المسلمين، تفصل بين المسلم والأعجمي بل تفرق بين العرب أنفسهم ونص الحديث: «أفبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»⁽³⁾.
- تضعف شوكة المسلمين وتقوي شوكة العدوان لأنها تحدث بينهم عداً واقتتالاً، وخير برهان على ذلك الحرب العراقية الإيرانية التي استنزفت الطاقات البشرية والمادية لدى الدولتين.
- رفضها للاحتكام للعقيدة الإسلامية لأنها تضم غير المسلمين في صفوفها كاليهود والنصارى⁽⁴⁾.

إذن فالقومية في ذاتها نزعة غير إنسانية، فهي تحدّ من عالم الإنسان، كما تحدّ من قيمه الرفيعة والنبيلة، فلا قيم له إلا في إطار ما يصلح لقومه أو جنسه أو أرضه التي ينتمي إليها، ثم إنها تقيم تجمعها على الأمور التي لا خيار للإنسان فيها، كالمولد، والأرض، واللغة، والمصالح المادية القاهرة، في حين تنبذ كل الأمور التي

(1) _ أحمد بشير، المرجع السابق، ص 463، 464، 465.

(2) _ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط6، دار الشروق، 1993، ص 581.

(3) _ أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير قوله تعالى: «سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم»، رقم: 4905، بلفظ "ما بال دعوى الجاهلية"، ج6، ص 154.

(4) _ أحمد بشير، المرجع السابق، ص 465-469.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

فيها حرية الإنسان واختياره، فهي تنبذ العقيدة في الله، وتنبذ القيم المنبثقة عن تلك العقيدة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ (1)(2).

• العلمانية

العلمانية إحدى مظاهر التطرف الغربي الذي أفرزته الحضارة الغربية، وهو مصطلح مشتق من معارضة الدين أو اللادينية، ذلك أن كلمة علماني هي ترجمة لـ: *secular* ومعناها اللاديني، وهي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وقد جاءت فكرة العلمانية كردة فعل على التطرف الكنسي الذي هيمن على أوروبا في القرون الوسطى (3).

والعلمانية فكرة ظهرت كردة فعل على تطرف واضطهاد الكنيسة في أوروبا، كاضطهاد الأقليات المتمثلة في هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على البروتستانت، واضطهاد اليهود من قبل المسيح، ومما ساعد على رواج الفكر العلماني في أوروبا ثم بقية العالم، هو عجز الكنيسة عن مسايرة حضارة العصر بشكل جعل المفكرين آنذاك لم يترددوا في التهجم على الدين ونعته بأقبح الأوصاف، ثم أصبحت بعد ذلك منهجا واضحا يعتمد سياسة فصل الدين عن الدولة، والحق أن العلمانية أو اللادينية من أهداف الصهيونية العالمية، ذلك أنها تفتح المجال أمام اليهود في مختلف البيئات والحواضن العالمية (4).

بعد العلمانية في أوروبا حاولت الصهيونية العالمية والاستعمار طرح هذه القضية في المجتمعات الإسلامية، ففرض الاستعمار قوانينه وأفكاره على العالم الإسلامي محاولا بشتى الطرق إبعاد المسلمين عن دينهم وهويتهم غير أنه نجح نجاحا جزئيا وليس كليا، ذلك لأن الإسلام يختلف عن المسيحية في أوروبا، كونه دينا متكاملًا يحمل العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات... الخ، لذلك اقتصر نجاحها في بعض المجالات كمجال التعليم والتشريع والقضاء، حيث تعاقبت الكثير من الأجيال منذ فترة الاستعمار إلى اليوم على مناهج تركز للعلمانية، وتضرب القيم والمبادئ (5).

فالعلمانية دخلت إلى العالم الإسلامي تدريجيا، فجاءت بمفهوم مغاير تلقفه العديد من أنصارها وهذا

(1) _ الحجرات: 13.

(2) _ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص 561-562.

(3) _ أنور الجندي، الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، ص 31.

(4) _ عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق، ج 16، ص 213.

(5) _ أنور الجندي، الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، ص 35-39.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

المفهوم هو إبعاد الدين عن الدولة، أي إبعاد الإسلام عن الحكم وشؤون الحياة فيبدأ تطبيقها في أول مراحلها بمزاوجة التعليم بين ما هو ديني إلى ما هو مادي، وفي القضاء ما بين شرعي ومدني، ثم في المرحلة الثانية يعمل الغرب على تغليب كل ما هو مدني على ما هو شرعي إلى الوصول تدريجياً إلى إلغاء التراث الإسلامي والمصادر الإسلامية والاتجاه نحو التغريب ثقافة وتشريعاً وتخطيطاً⁽¹⁾.

فالتطرف العلماني يتجلى خطره كونه منهجاً يقوم على رفض تدخل العقيدة في شؤون الحياة، فهو لا يمنع الإيمان ولكن يمنع إعماله في الحياة، فهي تريد من العقيدة أن تظل حبيسة الضمير فلا تخوض معترك الحياة، ولا تؤثر في أهدافها ومنهجها، كذلك الشأن مع العبادة فهي لا ترفضها مطلقاً، وإنما تعمل على التقليل من شأنها وأهميتها في الحياة، أما بالنسبة للأخلاق فالعلمانية تفسح المجال أمامها فلا قيود ولا زواجر، وأخيراً الجانب الذي تقف العلمانية ضده في الإسلام هو الجانب التشريعي، على اعتبار أنه يدخل في مناحي الحياة المختلفة وبالتالي فهي تعارضه مطلقاً خوفاً من أن ينافسها في مختلف مجالات الحياة⁽²⁾.

• الإلحاد

يعرف جميل صليبا الإلحاد على أنه إنكار وجود الله، أو إنكار صفة من صفاته كالعلم والقدرة والإرادة ويكفي إنكار أصل من أصول الدين أو معتقداً من المعتقدات المألوفة فسمي ملحدًا، فسقراط وأفلاطون وابن سينا وابن رشد وديكارت وغيرهم من الفلاسفة اتهموا بالإلحاد كونهم خالفوا رأياً من آراء زمانهم مع إيمانهم بوجود إله واحد، وهذا يدل على أن مفهوم الإلحاد يختلف باختلاف تصورات الناس واعتقاداتهم⁽³⁾.

فمصطلح الإلحاد يراد به معنيين، المعنى الأول: يتمثل في إنكار وجود الله والقول بأزلية المادة فهي الخالق والمخلوق معاً، فالكون عند الملاحدة وجد بلا خالق.

المعنى الثاني: ويقصد به اتخاذ شركاء مع الله تعالى، أو التكذيب بالرسالات الإلهية وإنكار الحساب والبعث مع القول بوجود إله⁽⁴⁾، وإلى هذا النوع أشار القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ

بِالْحَكْمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽⁵⁾.

(1) _ محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م، ص 15-18.

(2) _ يوسف القرصاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، ط1، أندلسية، المنصورة، 2000م، ص 29-49.

(3) _ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 119.

(4) _ صابر عبد الرحمن طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ط1، دار الجيل، بيروت، 2004م، ص 10.

(5) _ الحج: 25.

وقوله تعالى: ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾⁽¹⁾.

وعلى هذا التعريف يذهب العلماء إلى التفريق بين الإلحاد الكلي والإلحاد الجزئي، فالأول: يقصد به إنكار وجود الإله مطلقاً وهذا نادر الوقوع في الملل وإن وجد يكون عند الأقلية، أما الثاني: وهو المنتشر في العالم في العصر الراهن ويعني مجمل الأفكار والمذاهب التي توجه الفرد نحو إنكار الإيمان، وربط الحياة بكل ما هو مادي محض، فلا يعترف بالغيبيات ولا يؤمن بوجودها.

ويعد الإلحاد أحد الأفكار المتطرفة التي تهدد استقرار العالم الإسلامي، فهو يؤسس لهدم العقيدة أولاً على اعتبار أنها الأصل الأصيل في الإسلام، ثم بعدها يتجه نحو القيم والمبادئ الإسلامية مستبدلاً إياها بقيم أخرى تحمل الهوية والثقافة الغربية لا سيما وأنه يركز على فئة الشباب خاصة كونها الفئة الغالبة في دول العالم الإسلامي.

كما تعد الكنيسة الأوروبية هي المسؤول الأول عن بذرة الإلحاد، فكل ما ارتكبه الكنيسة من حماقات وتطرف تجاه العلم في القرون الوسطى، نشأ عنه في المقابل تطرف آخر جعل العلم بديلاً عن الدين، وجعل السبب الظاهر بدلاً من السبب الحقيقي وجعل الطبيعة بديلاً عن الله⁽²⁾.

مبادئ الفكر الإلحادي المعاصر:

يتبنى الفكر الإلحادي المعاصر المبادئ التالية:

- أن الكون نشأ تلقائياً نتيجة لأحداث عشوائية، فلا وجود لصانع.
- ظهور الحياة من المادة عن طريق العوامل الطبيعية.
- الفرق بين الحياة والموت فرق فيزيائي بحت لم يكتشفه العلم بعد.
- الإنسان جسد مادي يفنى بالموت.
- ليس هناك وجود للروح كنفخة إلهية.
- إنكار البعث بعد الموت.
- ليس هناك حاجة إلى قول بوجود إله⁽³⁾.

(1) _ الأعراف: 180.

(2) _ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص 626-627.

(3) _ عمرو شريف، وهم الإلحاد، الأزهر، دع، 2013م، ص 26.

كل هذه الأفكار لاقت رواجاً لدى الشباب المسلم لاسيما ذلك المتأثر بالحضارة الغربية المقلد لها، ومنه بات من الطبيعي رؤية مظاهر الانسلاخ عن الدين، وكل صور الانحراف الفكري والخلقي التي لا تمت بصلة للأديان الأخرى فضلاً عن الإسلام.

ومنه فإن نمط الإلحاد العربي يختلف عن الإلحاد الغربي فهذا الأخير ينكر الربوبية تمام الإنكار وقد عبر عنه نيتشه بقول: «لقد مات الإله»، بينما الإلحاد في العالم العربي نجده يسلك مسلكاً آخر، فهو يعمد إلى ضرب النبوة والطقن في الأنبياء وهذا ما اتجه إليه الكثير من الملاحدة في الحضارة الإسلامية إلى فكرة النبوة وإلى الرسول ﷺ ولم يتعرضوا للألوهية إلا قليلاً⁽¹⁾.

وعليه فإن خطر الإلحاد على العالم الإسلامي في كونه أخذ ثوباً جديداً، فلم يعد ذلك الإلحاد الكلاسيكي بإنكار وجود الله وإن قال به البعض، وإنما أصبح الإلحاد المعاصر فكرة تقوم على التشكيك في النبوة، والطقن في القرآن، وزرع الشبهات حول الإسلام والمسلمين، وضرب العقيدة الإسلامية بهدف الوصول إلى انتزاع روح الدين والتدين لدى المسلمين، وصددهم عن ثقافتهم وهويتهم الإسلامية، وقد سخرت لذلك جميع الوسائل الإعلامية، ومراكز الاستشراق والتبشير العالمية لأجل الوصول إلى المبتغى.

المطلب الثاني: البعد الديني للتطرف

يعد التطرف الديني من أخطر أنواع التطرف الذي راود الأمة الإسلامية منذ الزمن الأول التي ظهر فيها الإسلام، ذلك أن هذه الأمة كغيرها من الأمم تشترك معها في خاصية العاطفة الدينية، إذا أن أغلب شعوبها يتجهون نحو التدين فطرةً بصرف النظر عن الممارسة الفعلية لمبادئه، فهم يستشعرون الانتماء لهذا الدين خاصة لدى فئة الشباب، ثم إذا تأملنا تلك الوقائع التاريخية الأليمة التي مر بها المسلمون منذ ظهور الطوائف والجماعات المتناحرة، نجد أن أغلب الصراعات كانت تحت الغطاء الديني وإن تسترت بخلاف ذلك.

وفي العصر الحاضر نجد أن جناية التطرف الديني على بلدان العالم الإسلامي أكبر من أي جناية، لما أحدثه هذا الأخير من تمزيق لوحدة الأمة وضربها في هويتها وإهدار طاقاتها ومقدراتها، وخير شاهد على ذلك الحرب السورية والعراقية والليبية الأخيرة، التي كانت الجماعات الإسلامية المتطرفة الطرف الأهم في معادلتها، تحت شعار الدفاع عن الدين والعقيدة.

(1) _ عمرو شريف، المرجع السابق، ص 119.

وعليه بات من الضروري أن نسلط الضوء على هذا النوع من التطرف لاسيما وأنه يحمل تأثيرا داخليا، كما الأكثر شيوعا وانتشارا في الأمة الإسلامية، حيث نقف بذلك على قضاياها ونبين أسباب انتشاره وآثاره على واقع الأمة، ثم استخلاص آليات القضاء عليه والحد من انتشاره.

أولا: مفهوم التطرف الديني

بعد أن تناولنا معنى التطرف بشكل عام بشقيه اللغوي والاصطلاحي، نبين في هذا المبحث أهم التعاريف التي تناولت التطرف الديني على وجه الخصوص، لنقف على دلالاته في الفكر الإسلامي المعاصر. يعرفه صلاح الصاوي على أنه: «التنطع في أداء العبادات الشرعية، أو مصادرة اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف. والتنطع في أداء العبادات هو التعمق أو مجاوزة الحدّ في الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الزيادة على المشروع والتزام ما لم يلزم به الشارع والورع الفاسد ونحوه»⁽¹⁾.

- ويعرف أيضا بأنه: «محاولة طرف، أو شخص، أو جماعة ما من فرض تصوراتها ومعتقداتها الدينية أو الإيديولوجية أو الديماغوجية على الآخر أو الجماعة»⁽²⁾.

- وقيل: «هو اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفا متشددا إزاء فكر أو إيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق نوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة»⁽³⁾.

من خلال هذه التعريفات يمكن القول أن التطرف الديني يعني: خروج الفرد عن قيم الوسطية والاعتدال في التعامل مع مختلف القضايا التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالدين، إذ يتصف صاحبه غالبا بالتعصب والجهل بمقاصد الشرع و مآلات الأمور، فينتج عن ذلك استخدامه لكافة الوسائل وشتى الطرق السلمية منها والعنيفة لأجل الدفاع عن فكرته وتسويقها ولو بالعنف بالإكراه.

وعليه فإن من أهم ما يميز التطرف الديني:

(1) _ صلاح الصاوي، المرجع السابق، ص 10.

(2) _ جميل حمدوي، التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، المجلة الثقافية الجزائرية <https://thakafamag.com> تاريخ

الدخول: 2019 /04/06

(3) _ إسماعيل صديق عثمان، التطرف والتعصب الديني، أسبابه والعوامل المؤدية إليه، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، كلية التربية،

العدد 25-28 سبتمبر 2017، ص3.

- أنه يختص بما له علاقة بالدين، بصرف النظر عن هذا الدين فهو يشمل كل الأديان والطوائف.
- كما يتميز التطرف الديني بسرعة الانتشار بين الناس، كونه يخاطب الوجدان والعواطف وأغلب الناس يميلون إلى ذلك.
- يتصف أصحابه بالشدّة والتعصب للرأي ويظهر ذلك في ممارساتهم القولية والفعلية.
- يبقى التطرف الديني من أبرز قضايا التطرف في العالم الإسلامي نظرا لأثره المعتبر على واقع الأمة الإسلامية.

ثانيا: مظاهر التطرف الديني

1- الغلو في التكفير

تعد ظاهرة الغلو في التكفير من مظاهر التطرف الديني الشائعة في عصرنا الحاضر، كيف لا وقد أسالت الكثير من دماء المسلمين وانتهكت الأعراض وهدمت دولا بأكملها، نتيجة سياسة التكفير التي انتهجتها الجماعات الغالية والمتطرفة، وجعلتها ذريعة لتبرير كل ممارسات العنف والإرهاب.

وعلى إثر ذلك أجمع علماء الأمة على تشديد النكير على هذه الظاهرة الخطيرة التي تعصف بالأمة مهددة أمنها واستقرارها، ومنه وضع العلماء مفاهيم وضوابط للتحكم في قضية التكفير استنادا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وما أجمع عليه علماء الأمة، وبالتالي غلق الطريق أمام المتعصبة والغلاة.

مفهوم التكفير

التكفير لغة: في لسان العرب لابن منظور: الكفر نقيض الإيمان، كفر بالله يكفر كفرا وكفورا وكفرانا¹.

ويحمل الكفر عدة معان منها: البراءة والجحود والإنكار... وغيرها.

والكفر في لغة يراد منه أيضا التغطية والستر فتقول: للابس السلاح كافر أي لتغطيته جسده بالسلاح، ومنه نقول للكافر كافرا لأنه غطى قلبه بكفره²

وعلى هذا فالتكفير إطلاق حكم الكفر على شخص ما سواء كان مسلما أو كافرا أصليا.

(1) - ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص144-

(2) - المصدر نفسه، ج5، ص146

أما في الاصطلاح:

يعرف على أنه: «الحكم على المعين بالردة والخروج من ملة الإسلام»⁽¹⁾. فلفظ التكفير يصدق في حق كل من خرج عن ملة الإسلام بارتكابه لناقض من نواقضه المجمع عليها، والتي تخالف أصول العقيدة الإسلامية المجمع عليها، وخلافه أن الغلو في التكفير المبالغة في نسبة الكفر إلى الأشخاص دون تثبت ودراية.

- يمكن القول إن الغلو في التكفير ظاهرة عرفتها الأمة الإسلامية قديماً على يد الخوارج ومن ذهب مذهبهم، وقد امتد صداها إلى واقنا المعاصر فتبنتها الكثير من الجماعات والتيارات الإسلامية الغالية، على غرار جماعة الهجرة والتكفير في مصر وغيرها من الجماعات الأخرى التي استحلت دماء المسلمين وأعراضهم، وما حدث في الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى لأكبر دليل على ذلك، إذ سفكت الدماء وانتهكت الأعراض بغير وجه حق، إلا بسبب فتاوى لبعض من ينتسب إلى العلم⁽²⁾.

وعلى هذا حذر الشرع من خطورة المجازفة في التكفير بغير وجه حق: «وقد انعقد الإجماع على منع تكفير أحد من أهل لقبة إلا بما فيه نفي الصانع القادر جلا وعلا، أو شرك جلي لا يحتمل التأويل أو إنكار النبوة أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار متواتر أو مجمع عليه ضرورة من الدين»⁽³⁾.

وفي مقابل هذا يحاول الغلاة في التكفير تبرير مواقفهم وانحرافاتهم، انطلاقاً من تلك الشبهات والفهوم الخاطئة لمختلف القضايا لا سيما في مجال العقيدة، وقد نوقشت هذه الشبهات عند علماء المسلمين مناقشة علمية بينوا من خلالها ضعف الاحتجاج بها نذكر منها:

- الحكم بالظاهر دون نظر في الحثيات والأسباب.

- التكفير بالعموم وعدم التفريق بينه وبين التعيين.

- تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله على الإطلاق دون ضوابط.

- تكفير المجتمعات بالتسلسل تحت قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر.

- التكفير لمجرد الإقامة في ديار الكفار.

- التكفير بالولاء والبراء⁽⁴⁾.

(1) إبراهيم بن صالح العابد، التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014م، ص 14.

(2) الصادق عبد الرحمن الغرياني، الغلو في الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2011م، ص 30-33.

(3) محمد علوي المالكي، مفاهيم يجب أن تصحح، ط1، دار الإنسان، القاهرة، 1985م، ص 5.

(4) عبد الله موسى، يعقوب أمين، شبهات غلاة التكفير في تكفيرهم المجتمعات المسلمة عرض ونقض، مؤتمر نقض شبهات التطرف والتفكير، دار الإفتاء العام، الأردن، 10-11 شعبان/ 1407هـ 17-18 أيار/ 2016م، ص 38-45.

2- الانحراف عن الفهم الصحيح لقضايا الدين (قضية الجهاد أنموذجا)

حيث أصبحت قضية الجهاد أحد أهم الشبهات التي تمسك بها المتطرفون في تكفير المجتمعات واستحلال دمائها، فهم يرتكزون في ذلك على نصوص مأخوذة من القرآن والسنة، فسرت بتفاسير مغلوطة حيث صارت منطلقا لقتال الناس واستحلال دمائهم، وقد تبني هذا الطرح العديد من الجماعات المتطرفة (الجهادية) في عصرنا الحاضر، على غرار "القاعدة" و "داعش" وغيرها من الجماعات الأخرى ممن تبني هذا النهج المتشدد⁽¹⁾.

فهناك خلط كبير يقع فيه غلاة التكفير بين الجهاد الشرعي وهو قتال العدو الكافر المعتدي على الأوطان والحرمات، وبين قتل الناس وسفك دمائهم بمجرد انتماءهم أو عقيدتهم، أو استنادا لشبهة ما، وعن ذلك يتساءل عبد المجيد النجار بقوله: «كيف يمكن أن تنجز أحكام الحدود فورا في مجتمع إسلامي لا تكفي فيه حاجات الناس الضرورية، بل تعيش فيه طبقات كثيرة في فقر مدقع يصل درجة المجاعة وفي مجتمع إسلامي استشرى فيه التبرج والاختلاط الفظيع حتى باتت غواية الشيطان تراود ذوي الأحلام من الناس...»⁽²⁾.

كل هذه الشبهات استخدمت كقاعدة انطلاق لتكفير المجتمعات الإسلامية.

وقد فند العلماء شبهة غلاة التكفير بأن وضعوا لذلك ضوابط من شأنها أن تحدّ من الظاهرة وتقلل من خطورتها منها:

1- أن الحكم بالتكفير متعلق بالاجتهاد وهذا منوط بالعلماء والفقهاء والقضاة، فلا مجال فيه لأشباه العلماء من السفهاء أو المقلدة.

2- النظر في أهلية من وقع عليه الكفر من جهة التكليف، فلا كفر على من فقد التكليف، قال عليه الصلاة والسلام: «رفع القلم عن ثلاث»⁽³⁾.

3- الخروج عن طور التمييز بغلبة مشاعر الفرح أو الخوف، كحديث الذي ردّت عليه ضالته بعد بأس، فتلفظ بلفظ الكفر شكرا لله ظنا منه أنه قال عكس ذلك: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»⁽⁴⁾. بدل قوله «أنت

(1) _ عبد الله موسى يعقوب، المرجع السابق، ص 38-45.

(2) _ عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ط3، قرطبة، الجزائر، 2006م، ص 152.

(3) _ أخرجه النسائي، كتاب الطلاق، باب: متى يقع طلاق الصبي، رقم: 3432، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، ط5، دار المغرب، 1420هـ، ج6، ص 468.

(4) _ أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب: في الحظ على التوبة والفرح بها، رقم 2747، ج4، ص 2104.

ربي وأنا عبدك» وهذا لا يخرج صاحبه من الإسلام كونه عن غير قصد.

4- عدم التكفير لمجرد التأويل أو الاستناد إلى شبهة فكل متأول معذور بتأويله شرط أن يكون تأويلا سائغا في لسان العرب وله وجه في العلم.

5- تغلب على الناس بعض الأعراف والعادات في القول والفعل، قد تنبأ في ظاهرها عن كفر، ودليل ذلك أن النبي ﷺ وجد العرب تحلف بأبائهم وأجدادها اتباعا للعرف والعادة، فعالج هذه القضية تدريجيا دون تكفير أصحابها «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»⁽¹⁾.

6- لا تكفير لمن كان جاهلا، أو لم تبلغه الحجة، وهذا من مقتضيات الشريعة قرآنا وسنة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾. فكان هديه عليه الصلاة والسلام أن يعلم قبل أن يحكم أو يعاقب⁽³⁾.

7- توضيح الرؤيا وتصحيحها في معنى الجهاد في الإسلام وأن تحدد ضوابطه الشرعية، شأنه شأن التكفير حتى لا يتخذ ذريعة يحتمي خلفها الغلاة والمتطرفون، كما يفعلون في عصرنا هذا بأن أهلكوا الحرث والنسل باسم الجهاد والاستشهاد، فلا بد من الكشف عن المعنى الحقيقي للجهاد، بالرجوع إلى ما قرره الثقات من علماء الأمة وفقهاؤها.

3- الغلو في مظاهر التدين

تعد قضية الغلو في مظاهر التدين إحدى سمات التطرف في العصر الحاضر، فالكثير من الشباب المتدين ينحو منحى الالتزام الشكلي فقط، دون مراعاة لروح الدين الذي يعنى بالظاهر والباطن، فلا يزال الصراع قائما بين الشباب لأجل حلق اللحية، أو إسبال الثوب، والقبض في الصلاة، وما إلى ذلك من الأمور التي تعد في أصلها من فروع الشريعة ولا ضير إن وقع الخلاف فيها.

وفي هذا الشأن يذكر فهمي هويدي في كتابه "التدين المنقوص" أن هناك مشكلة انفصام بين الضمير والواقع في العقل الإسلامي المعاصر ذلك أن الخطاب الإسلامي أصبح يعنى بأمور لا حصر لها، شكلية في أغلبها لا علاقة لها بقضايا الساعة وشواغل الناس فالجدل الدائر بين الشباب حول هذه القضايا الشكلية من

(1) _ أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف، رقم 2679، ج3، ص 180.

(2) _ التوبة: 115.

(3) _ أحمد غاوش، فقه موانع التكفير وأثره في مواجهة الغلو والتطرف، مؤتمر نقض شبهات التطرف والتكفير، ص 18-29.

الكلام حول النقاب، وإقامة الخلافة، وصحة أحاديث المهدي، وتقصير الثوب وإعفاء اللحية، إنما هو نموذج سيء عن التدين والذي يعكس ذلك هو خطاب العديد من الشيوخ والدعاة في الساحة الإسلامية البعيد عن واقع المسلمين وطموحاتهم، إنما يركز في غالبه عن مظاهر التدين الشكلية، ويغفل نشر القيم والوعي في أوساط المسلمين⁽¹⁾.

وعليه ينبغي تجديد الخطاب الإسلامي بما يتماشى ومتطلبات العصر، الذي يقتضي المرونة في المظاهر والشكليات، بخلاف الباطن الذي يستدعي منا العمل على إصلاحه بنشر القيم والفضائل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية، فالفكر المعتدل يقوم على المزاجية بينهما فلا إفراط ولا تفريط.

4-تزايد انتشار الجماعات والحركات المتطرفة

إن أبرز ما يميز الساحة الإسلامية اليوم هو تنامي ظاهرة بروز تلك الجماعات والحركات الإسلامية الغالية منهجا وسلوكا، حيث أصبحت هذه التيارات تشكل خطرا على أغلب دول العالم الإسلامي، خاصة تلك التي تحمل فكر العنف والدموية فلا تؤمن بالحوار والتعايش مع الغير أيا كان انتماءه أو مذهبه.

وقد استغلت هذه الجماعات من قبل الغرب المتربص، حيث أصححت تدار من وراء البحار، فقد عمل في الآونة الأخيرة على توطينها في البلدان الإسلامية لضرب استقرارها وكيانها.

وعليه يمكن أن نصنف تلك الجماعات والحركات الإسلامية التي كان بداية ظهورها ما بعد الحرب العالمية الأولى في مختلف بلدان العالم الإسلامي إلى تيارين مهمين وهما:

التيار الأول: ويمثل التيار المعتدل لتلك الحركات والجماعات الإسلامية، أو ما يعرف بـ: «الحركات الإسلامية السياسية التي تنشط في مختلف دول العالم الإسلامي وهي حركات متجدرة ومتأصلة محليا غرضها الوصول إلى السلطة السياسية على المستوى الوطني، وهؤلاء يقبلون بوجه عام الدولة القومية ويعملون ضمن إطارها الدستوري ويتجنبون العنف باستثناء الظروف التي يكونون فيها تحت الاحتلال الأجنبي، ويظهرون بوضوح نظرة إصلاحية وليست دستورية ويبحثون على مبادئ ومعايير ديمقراطية شاملة»⁽²⁾.

التيار الثاني: ويمثل التيار المتشدد في تلك الجماعات والحركات الإسلامية ويمكن تقسيم هذا الأخير إلى

فئتين:

(1) _ فهمي هويدي، التدين المنقوص، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994م، ص 20-21.

(2) _ مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي، ط1، الشبكة العلمية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010م، ص 25-26.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

الفئة الأولى: وهي فئة دعوية تهتم بأمور الدعوة الإسلامية دون مسايرة العنف، غير أنها لم تسلم من التعصب والغلو في الكثير من القضايا، كجماعة الدعوة والتبليغ التي ظهرت في باكستان والهند، والسلفية العلمية المنتشرة في الكثير من دول العالم الإسلامي⁽¹⁾.

الفئة الثانية: وهي التي تمثل الأكثر غلوا وتطرفا في تلك الجماعات السالفة الذكر، مستعملة العنف للوصول إلى أغراضها، سواء كانت دينية أم سياسية باسم الجهاد الإسلامي، وهي تنتظم في العديد من الجماعات الإسلامية المسلحة في بلدان العالم الإسلامي، سواء كانت سنية على غرار القاعدة وداعش، أم شيعية كتلك المنتشرة في العراق ولبنان⁽²⁾.

ومنه يمكن القول إن منسوب التطرف والغلو عند هذه الجماعات والحركات الإسلامية غير منضبط، ذلك أن السلمية منها قد تتحول إلى العنف في فترة من الفترات، والعنف قد تغير منهجا إلى السلمية عبر مراجعات فكرية تحدثها داخل الجماعة، ضف إلى ذلك تأثير البيئة السياسية التي تلعب دورا مهما في تغذية العنف والتطرف لدى هذه الجماعات عبر الاستبداد وكل أشكال العنف والتضييق.

المطلب الثالث: البعد السياسي للتطرف

يعد التطرف السياسي أحد أشكال التطرف، حيث أن المشهد السياسي داخل الدول العربية والإسلامية يوحى بذلك، فمظاهر الاستبداد والظلم والتعسف في استخدام السلطة، وكذا كبت الحريات الفردية والجماعية يعد من الأسباب المباشرة لاستفحال ظاهرة التطرف في تلك البلدان.

ضف إلى ذلك التدخل المزعج للسلطة السياسية في القضايا الدينية، واستخدامها كأداة في نشر الفوضى والفرقة للحفاظ على المكاسب السياسية، وعليه فإن المتأمل في الواقع السياسي العربي والإسلامي يجد أن توظيف الدين لدى الطبقة السياسية أصبح شائعا، فهو يعمل على استقرار الحكم لصالح فئة ما، وهذا ليس بدعا وإنما تقليد دأبت عليه الأمة منذ الخلافة الأموية إلى عصرنا الحاضر.

أولا: طبيعة الدين الإسلامي وعلاقته بالسياسة

يختلف الإسلام عن غيره من الأديان كونه دين يتميز بالشمولية التي تقتضي إحاطته بجوانب الحياة المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا لهذا فإن الدين والسياسة في الإسلام متلازمان.

(1) _ مروان شحادة، المرجع السابق، ص 26.

(2) _ المرجع نفسه، ص 26.

يقول أبو زهرة: «وإنه يجب التنبيه إلى أن الخلاف السياسي أو المذاهب السياسية قد ابتدأت سياسية تنزع منزعا سياسيا، ولكن طبيعة السياسة الإسلامية ذات صلة بالدين وهو قوامها ولبها، ولذلك كانت المذاهب السياسية التي نشأت تحوم مبادئها حول الدين فتقرب منه أحيانا وتبتعد عنه أحيانا بتخريجات فيها انحرافات عن مبادئه، وأن المذاهب السياسية ذاتها في اتجاهاتها تفرض لبحوث أخرى تتعلق بأصول الدين حول الإيمان والاعتقاد فكان لها رأى قائم بذاته في الاعتقاد والإيمان»⁽¹⁾. فالدين والسياسة في الإسلام متلازمان متكاملان، لا يطغى أحدهما على الآخر كل له مجاله.

فأغلب الصراعات السياسية في العالم الإسلامي غالبا ما تأخذ بعدا دينيا في القديم والحديث، بدء بصراع الأمويين والعباسيين مروراً بالعثمانيين، وفي عصرنا الحاضر ما نشأ من حروب على الصعيدين الداخلي أو الخارجي، والذي غالبا ما يتدخل الدين إما لحسم الصراع أو تأجيجه، كما هو الحال في لبنان بين مختلف الطوائف الدينية، والحرب العراقية الإيرانية باسم الشيعة والسنة، وفي بعض الدول بين العلمانيين والإسلاميين أو الشيوعيين والإسلاميين، وفي كل الأحوال يستخدم الدين كذريعة لتحقيق الأغراض السياسية أو الدنيوية.

ثانيا: مظاهر التطرف السياسي

1- مفهوم التطرف السياسي

التطرف السياسي عرف على أنه: الصراع الشديد على السلطة باستخدام جميع وسائل العنف ضد المخالفين أو المناوئين بما في ذلك التصنيفات الجسدية للمعارضين السياسيين أو اللجوء إلى العنف اللامباشر من خلال التشويه الإعلامي لمختلف القادة والرموز السياسيين المخالفين منهم على وجه الخصوص⁽²⁾.

فأغلب مظاهر العنف والتطرف في العالم العربي والإسلامي، خاصة تلك التي تهدد الأمن والاستقرار الداخلي، إنما تحدث نتيجة التطرف السياسي الذي يوظف كل أشكال الاستبداد والتضييق على الحريات، ويقمع كل معارض أو صاحب رأي.

فالتطرف السياسي يظهر من جهتين، إما من الجهة الحاكمة والمتمثلة في السلطة الفعلية التي تمارس أنواع الاستبداد والقمع على المعارضين أو غير المعارضين من خلال كبت الحريات ومنع الحقوق، أو من الجهة

(1) _ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر، القاهرة، د ت، ص 29.

(2) _ جميل حمداوي، التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، المجلة الثقافية الجزائرية <https://thakafamag.com> تاريخ

الحكومة التي تتجه بدورها إلى سياسة العنف والتطرف مع السلطة كردة فعل على الاستبداد، فينشأ عن ذلك صراع مرير ينتهي في الغالب باستنزاف الطاقات المادية والمعنوية للأمة.

2- قضية الإمامة أو آلية الحكم

لقد كانت البوادر الأولى للتطرف السياسي متجسدة في قضية الإمامة، أو آلية الحكم التي دار حولها جدل كبير بين المسلمين إلى يوم الناس هذا، ولم تقف عند حدها السياسي، وإنما تعدت لتصبح فيما بعد قضية دينية عقدية، صنف الناس على أساسها بين سنة وشيعة، وخوارج ومرجئة... إلخ

أول ما ظهر الخلاف حول الإمامة ما بين السنة والشيعة والخوارج، كان مداره على أمرين هما: الأول: الاختلاف في القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، والثاني: بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين⁽¹⁾.

ويشير الجويني إلى كثرة الاختلاف حول قضية الإمامة بين المسلمين فيقول: «لو ثبت النص من الشارع على إمام، لم يشك مسلم في وجوب الاتباع على الإجماع، فإن بذل السمع والطاعة للنبي واجب باتفاق الجماعة وإن لم يصح النص، فاختيار من هو أهل الحل والعقد، كاف في النصب والإقامة وعقد الإمامة، وقد تفننت في ذلك الآراء والمطالب واختلفت الأهواء والمذاهب ولو ذهبت أحصيتها وأستقصيها لأدى مضمون الباب إلى حدود الإسهاب، ولو آثرت الانكفاف والإضراب، لكان ذلك إخلالا بوضع الكتاب»⁽²⁾.

ولم يقف الحد عند الإمامة فقط، حيث امتدت أيادي التطرف السياسي إلى خلق بعض القضايا العقدية وتغذيتها خدمة للسلطة الحاكمة، كقضية الإرجاء، والقول بالقدر، وخلق القرآن، وغيرها من القضايا التي تظهر على أنها خلافات فكرية عقدية في ظاهرها، غير أنها سياسية لها أغراض أخرى.

وقد استمر الصراع السياسي إلى اليوم حول قضية الإمام أو الحكم بصفة عامة، فاتسعت رقعة الخلاف زيادة على ما كانت عليه في السابق، فقد تشكلت تيارات وأحزاب كثيرة منيها الإسلامية والعلمانية وكل لها مشاربها الفكرية، وازدادت معها حدة الصراع على الحكم، فوظفت التطرف السياسي لخدمة أهدافها مستخدمة كل الوسائل والآليات لأجل الوصول إلى الحكم، ولو على حساب الدين أو الهوية والأمن الداخلي لأوطانها ضاربة بعرض الحائط كل القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وهذا حال أغلب الدول العربية والإسلامية، التي عرفت في مجملها اضطرابات وانقسامات عرقلت بشكل عام تقدمها نحو الرقي الحضاري والأخلاقي.

(1) _ الشهرستاني، المصدر السابق، 1، ص 21.

(2) _ أبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة إمام الحرمين، د ع، 1401هـ، ص 27.

3- الاستبداد السياسي (نماذج من التاريخ الإسلامي)

يحمل التاريخ الإسلامي محطات هامة ينبغي الوقوف عندها، تلك المتمثلة في الاضطهاد بمختلف أشكاله الذي مورس على العلماء والمفكرين تحت الغطاء السياسي، حيث قوبل العديد من العلماء بالعدوان والتنكيل نتيجة التشبث بأرائهم العقديّة أو الفكرية.

فمن تلك المحطات محنة الإمام أحمد بن حنبل في قضية خلق القرآن التي تعود في أصلها إلى العهد الأموي مع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، والتي أصبحت فيما بعد من مسائل علم الكلام وتبنتها فرقة المعتزلة، ثم في العهد العباسي جاء الخليفة هارون الرشيد الذي كان مناهضا لها، بل توعد بشر الميرسي بالقتل لقوله بخلق القرآن⁽¹⁾.

ثم في عهد المأمون كان رأيه مغايرا تماما لمن سبقه فتبنى القول بخلق القرآن وناصر المعتزلة، ولم يكتف بذلك بل ألزم الفقهاء والمحدثين على اتباع مذهبه، واضطهد كل من خالف هذا الرأي وحجر عليه ونكل به منهم الإمام أحمد الذي تعرض لأنواع التنكيل والاضطهاد إلى أن جاء المعتصم فخلّى سبيله.

وما حدث مع الفيلسوف ابن رشد على يد الخليفة أبو يعقوب المنصور سلطان دولة الموحدين الذي أحاله إلى المحاكمة ثم إلى الإقامة الجبرية نتيجة آرائه وأفكاره، يذكر الذهبي طرف من معاناته، فنقل عن ابن حمويه قال: «لما دخلت البلد سألت عن ابن رشد، فقيل: إنه مهجور في بيته من جهة الخليفة يعقوب، لا يدخل إليه أحد لأنه رفعت عنه أقوال رديّة، ونسب إليه العلوم المهجورة ومات محبوسا بداره بمراكش في أواخر سنة أربع»⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول الكواكبي: «وينتج مما تقدم أن بين الاستبداد والعلم حربا دائمة وطرادا مستمرا، يسعى العلماء في تنوير العقول ويجتهد المستبد في إطفاء نورها، والطرفان يتجاذبان العوام. ومن هم العوام. هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، وإذا خافوا استسلموا، كما أنهم متى علموا قالوا ومتى قالوا فعلوا»⁽³⁾.

وفي مواجهة الاستبداد يضع الكواكبي ثلاثة قواعد مهمة وهي: أولا: على الأمة أن تستشعر الاستبداد لتتخلص منه، ثانيا: أن يقاوم الاستبداد باللين والتدرج لا بالشدة والعنف، ثالثا: عدم استبدال الاستبداد باستبداد آخر مكانه⁽⁴⁾.

(1) _ محمد يونس، التكفير بين الدين والسياسة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، دت، ص 41.

(2) _ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج15، ص 427.

(3) _ عبد الرحمان الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، دار النفائس، دت، 2006م، ص 67.

(4) _ عبد الرحمان الكواكبي، المرجع السابق، ص 179.

4- التوجيه السياسي للمذاهب والجماعات المتطرفة

وهي: «تنظيمات التفت حول عقيدة واحدة ذات فلسفة محددة تقيم عليها نظريتها للكون والإنسان والحياة، وتستمد منها تشريعاتها وقوانينها وهي صنفان إسلامية وغير إسلامية أما غير إسلامية فهي كذلك صنفان لا دينية علمانية وكافرة ملحدة»⁽¹⁾.

فهناك أحزاب وجماعات إسلامية على الساحة تحمل توجهات عقدية أو فكرية، استغلتها الطبقة السياسية قديما وحديثا، كما هو الحال في الصراع السني الشيعي، كما استغلت الوصاية في ضرب الخلافة العثمانية في شبه الجزيرة العربية وإذا رجعنا إلى الوراء نجد أن أغلب الدويلات التي كانت متناثرة في العالم الإسلامي تحمل شعار العقيدة والدين ظاهرا، غير أنها في الحقيقة أداة تديرها السلطة السياسية كالدولتين الرستمية والفاطمية في المغرب الإسلامي.

وهو الحال مع تلك الفلسفات الغربية كالعلمانية والشيوعية والقومية التي تعد دخيلة على العالم الإسلامي والتي تعمل على إبعاد الدين وضرب القيم والمبادئ الإسلامية باسم المدنية والحضارة، فقد عملت الأنظمة السياسية الغربية على نشرها في بلدان المسلمين منذ الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، ولا تزال هذه الأيديولوجيات توجه من قبل السياسيين من أجل ضرب الاستقرار الفكري والأمني والاقتصادي لدول العالم العربي والإسلامي.

وعليه يمكن القول إن مظاهر التطرف السياسي تتمثل فيما يلي:

-توظيف الدين أو القضايا الدينية في صالح السلطة السياسية.

-الاستبداد الممارس على مختلف شرائح المجتمع والذي يتمثل في القمع وكبت الحريات الفردية والجماعية، وهذا بدوره أدى إلى ردة فعل معاكسة تتسم بالعنف والتطرف.

-توظيف مختلف الأحزاب سواء السياسية أو الدينية توظيفا سلبيا الغرض منه تأجيج الصراع بينها حفاظا على استقرار الحكم.

-إبعاد القيم السياسية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية عن منظومة الحكم كالعدل والشورى، واستبدالها بالاستبداد والديكتاتورية وكلها قيم غريبة.

(1) _ محمد الحسن، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1986م، ص 23-24.

المبحث الثالث: عوامل التطرف

الذي يذهب إليه أغلب الباحثين إلى أن التطرف كظاهرة عالمية لا تستأثر بها أمة من الأمم ولا ديانة من الديانات كما سبق وأن بينا، وإنما هو قضية منتشرة في ربوع العالم بشتى الأشكال والأنواع، وبالتالي فإن أسبابها وعوامل ظهورها وانتشارها لا تعود إلى سبب واحد وإنما هناك عوامل متعددة ساعدت على ظهور التطرف وانتشاره في أي مجتمع من المجتمعات.

فهناك عوامل نفسية وأخرى اجتماعية وعوامل دينية، ثم العوامل السياسية وحتى ما تعلق بوسائل الإعلام الحديثة التي كان لها أثر كبير في استفحال ظاهرة التطرف.

وبالتالي فإننا نسعى في هذا المبحث أن نحيط بأغلب العوامل المؤدية إلى انتشار الظاهرة وتوسعها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، لا سيما قضية التطرف الديني الذي يأخذ القسط الأكبر في قضايا التطرف، وقد أصبح موضوع الدراسة والبحث عند أكثر الدول، فلا تزال المؤشرات والندوات الدولية تعقد لأجل فك شيفرة هذه الظاهرة السلبية التي أتت على الأخضر واليابس من مقدرات الأمة الفكرية والحضارية.

المطلب الأول: العوامل النفسية

أولاً: أثر العامل النفسي على السلوك الإنساني

لا شك أن أي سلوك يصدر عن الانسان له خلفيته النفسية والبيولوجية والاجتماعية، كالحاجة إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، والحاجة إلى الحب والعطف وغيرها من الحاجيات الأخرى التي تلعب دوراً مهماً في ضبط سلوك الفرد وانحرافه، وعليه فإن السلوك الإنساني لا بد وأن يتأثر ويتفاعل مع البيئة كالعواطف والاتجاهات العقلية والعقد النفسية⁽¹⁾.

فالإنسان غالباً ما يتأثر بمحيطه وبيئته، إذ أن غالب الانحرافات السلوكية ناتجة عن الاضطرابات النفسية، التي تعكس ما يعانیه الفرد من الحرمان والعزلة، فيؤدي به ذلك ضرورة إلى الانحراف والتطرف بمختلف أشكاله.

وعليه فإن فقدان الإنسان لما يحتاجه، وعدم إشباع رغباته التي يحتاج إليها، أيا كانت هذه الرغبات حسية أو معنوية، يدفع به ذلك إلى الانحراف، لذا فقد ركز علماء النفس على هذه النظرية، وأطلقوا عليها

(1) _ سعدون محمود الساموك، المرجع السابق، ص 8-9-10.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

اسم "نظرية الحرمان"، والتي تجعل السلوك المعادي والمنحرف له علاقة بحاجيات الإنسان، فهو ليس عدواني بطبعه، وإنما يتفجر عدوانا وعنفا عند فقدانه لحاجياته، وإحساسه بالإحباط والحرمان⁽¹⁾.

ومنه نجد العديد من النظريات التي تفسر العلاقة بين السلوك العدواني والاضطرابات النفسية نذكر أبرزها:

الأولى: النظرية البيولوجية: والتي تؤكد على أن السلوك العدواني هو سلوك ولادي أي موروث يولد مع الكائن الحي، غير أن هذا السلوك يمكن أن يعدل وفق الأحسن مع عملية التعلم.

الثانية: نظرية الإحباط والعدوان: إذ يعدون السلوك العدواني استجابة لما يعانيه الفرد من إحباط، فتعزوا هذه النظرية السلوك العدواني إلى الظروف والأحداث المحيطة بالفرد، ومنه فإن أسباب العدوان هي أسباب خارجية، يمكن التحكم فيها عن طريق توفير البيئة الملائمة للسلوك المعتدل.

الثالثة: نظرية التعامل الاجتماعي: ويقرر هذا المنحى أسباب العدوان لدى الفرد من خلال الظروف الاجتماعية التي تعمل على تسهيل القيام بهذا السلوك، ومن ثم فإنه بتغيير تلك الظروف يتم تقليل العدوان إلى درجات أقل⁽²⁾.

وعليه من خلال هذه النظريات يتضح قوة العلاقة بين السلوك العدواني المتطرف والعامل النفسي، فعدم الاستقرار النفسي لدى الفرد يؤثر عليه من جهتين، من الناحية الفكرية والسلوكية، فيلجأ إلى العنف والتطرف في التعبير عن ذاته وأفكاره بدلا من استخدامه لطرق أخرى فيها من اللين والتسامح في التعبير.

ثانيا: دور العامل النفسي في نشأة التطرف

هناك العديد من العوامل النفسية المساعدة على تفشي ظاهرة التطرف وانتشارها في المجتمعات، وغالبا ما يعبر عنها علماء النفس بالحالات النفسية التي يمر بها الإنسان نحو العنف والتطرف منها:

أ- الاغتراب: وهي حالة نفسية يشعر معها الفرد بالتذمر والاحساس بالعزلة والوحدة، كما يحس معه بفقدان المعايير الاجتماعية التي توجه سلوكه، ومنه يمكن تصور الاغتراب الديني بانه تنصل الفرد من جميع المسؤولية المنوطة به، مع تعطيله للعقل، هروبا من المسؤولية الاجتماعية والأسرية، مندفعاً نحو التدين بأسلوب

(1) - بوفولة بوخميس، المرجع السابق، ص 42.

(2) - عزت سيد اسماعيل، سيكولوجيا الارهاب وجرائم العنف، ط1، ذات السلاسل، الكويت، 1988م، ص 64، 65، 66.

جد سلبي، فينتج عن ذلك سلوك وتصرفات لا مسؤولة، معادية لمبادئ المجتمع وقيمه⁽¹⁾.

وعليه فإن هذه الصورة تنطبق على أغلب المتطرفين، إذا أن التدين عندهم يفتقد إلى الايمان الذي يقوم على البرهان العقلي، وإنما هي مجرد اندفاعات عاطفية نتيجة ظروف نفسية تدفع بالفرد إلى القيام بأفعال تتنافى مع قيم ومبادئ العقيدة وحتى المجتمع الذي يعيشون فيه.

السيكوباتية: هو مرض نفسي يعاني منه أغلب المتطرفين ويراد به عند أهل الاختصاص انفصام الشخصية، حيث يتميز صاحبها بالعدوانية والاندفاع والتعصب، والملفت في هذا المرض أن أصحابه يبدون في حالة طبيعية ولا يعرفون إلا عند ارتكابهم للجريمة وشتى أعمال العنف والإرهاب.

ومنه ظهر ما يسمى الإرهاب السيكوباتي: الذي هو عمل أو سلسلة من الأعمال الإرهابية التي يقوم بها أناس غير أسوياء من الناحية النفسية أو العقلية، وهو من أخطر أنواع الجرائم، إذ يصعب معه التفريق بين الارهاب السياسي ومرض الانفصام النفسي، لأن هذه العمليات تتم عادة بلا مقدمات من قبل أشخاص يصعب التنبؤ بتصرفاتهم وسلوكياتهم⁽²⁾.

ج-غسيل الدماغ: وهو من الأساليب الأكثر تأثيراً على الفرد من الناحية النفسية، وهي فكرة أطلقها علماء النفس ويراد بها: غرس العقائد والأفكار بالقوة، لإجبار الفرد عن التخلي عن معتقداته وأفكاره السياسية أو الاجتماعية أو الدينية السابقة، وأن يتقبل بدلها آراء وأفكار وعقائد جديدة تحل محلها، من خلال استخدام أساليب عدوانية أو عنيفة⁽³⁾.

وعليه فإن أغلب التحقيقات الميدانية، والمقابلات الشفوية التي أجريت مع العناصر الإرهابية، تشير إلى أن أغلبهم تعرض إلى عملية غسل المخ من قبل أفراد ذوي خبرة في ذات المجال، أو أكبر سناً، استطاعوا اشباعهم بأحكام جديدة مقابل تخليهم عن أفكارهم القديمة، ثم بعد ذلك نصبهم العدا لكل من خالفهم في ذلك. من خلال دراسة أجراها سمير نعيم أحمد (1993م) أثبت من خلالها بأن الشخصية المتطرفة (الإرهابية) تعاني من اضطرابات على المستويات النفسية الثلاثة وهي:

-المستوى العقلي المعرفي: حيث يتسم صاحبها بالجمود في التفكير، ورفض كل معتقدات الآخرين

بصلاية وحدة.

(1) _ بوفولة بوخميس، المرجع السابق، ص 48.

(2) _ ماجد موريس ابراهيم، الإرهاب... الظاهرة وأبعادها النفسية، منشورات آنيب، الجزائر، دار الغرابي، بيروت، 2005م، ص 89.

(3) _ عزت سيد اسماعيل، المرجع السابق، ص 137-138.

-المستوى السلوكي: تجدد صاحبه يميل إلى العنف والعدوانية والاندفاعية.

-المستوى الانفعالي: يحمل صاحبه كل خصائص الانفعال والغضب والعصبية والتطرف في المشاعر السلبية المتضمنة للكراهية⁽¹⁾.

وعلى هذا الأساس يحاول بعض الباحثين النفسيين تحليل الصراع النفسي بمختلف أنواعه، وقد وجدوا بأن أكثر الناس مصابون بشيء منه، قليل أو كثير، وقد تنبهوا إلى أنه قد يزمّن في بعض الأفراد فيسبب لهم التواءات وانحرافات نفسية⁽²⁾.

ومنه فالجانب النفسي جد مهم في توجيه سلوك الفرد، فكلما كانت المؤثرات النفسية إيجابية كانت النتيجة كذلك في الواقع والعكس صحيح، إذا كانت المؤثرات سلبية كانت النتيجة سيئة على مستوى الفكر والسلوك، وبالتالي تكون المحصلة في الأخير العنف والتطرف.

المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية والاقتصادية

أولاً: العامل الاجتماعي

يلخص ماجد موريس إبراهيم أسباب التطرف في ثلاث عناصر، وهو ما عبر عنه بمصادر الغضب الأصلية، وهي الخلفية التي تدفع بالفعل الإرهابي، أولاً: الوضع العائلي أي الأسرة، الثاني: المنظومة الفكرية القومية أو الثورية أو التقليدية المحافظة، الثالث: الصراع السياسي الذي يجعل من الشخصيات الغاضبة العدوانية نموذجاً مطلوباً لتحقيق الأهداف السياسية⁽³⁾.

فالعامل الاجتماعي جد مهم في تحصين الفرد من مخاطر العنف والتطرف، لا سيما إذا تعلق الأمر بتكوينه الأسري، فالعائلة تعد الحاضن الأول الذي ينطلق منه الفرد في تربيته وتكوينه، وأي خلل في تماسك الأسرة يعود بالسلب على الأبناء فيؤثر على بنائهم الفكري والأخلاقي على حد سواء.

1- الأسرة (التفكك الأسري-العنف الأسري)

يلعب التكوين الأسري دوراً مهماً في الحفاظ على بناء الأسرة واستقرارها ومنع كل أشكال التطرف

(1) _ عزيزو سعاد/شرناعي، البروفيل السيكولوجي للفرد الإرهابي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الثالث، ديسمبر، 2013م.

(2) _ علي الوردي، وعاط السلاطين، ط2، دار كوفان، لندن، 1995م، ص18

(3) _ ماجد موريس إبراهيم، المرجع السابق، ص 137.

الفصل الثاني: (التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته)

والانحراف الذي قد يوجد عند الأبناء، فقد وجد أن 75 % من الأطفال المنحرفين الذين ترعرعوا في أسر يغيب عنها أحد الآباء، هذا في حالة الغياب المباشر، أما في الحالات اللامباشرة أو التي تعني بها انحراف أحد الآباء أو كلاهما، كالإدمان أو مرض نفسي، أو ممن ينتهج القسوة والسلطوية في أسلوبه التربوي، كل هذا يؤثر على القيم التربوية داخل الأسرة، مما يسهل عملية انجذاب الأبناء تجاه التطرف والانحراف أيا كان نوعه⁽¹⁾.

فانسجام الأسرة وتكامل لبناتها يسهل عملية التربية لدى الأجيال، كما يقلص نسبة انحرافهم وتطرفهم، مع إحساسهم باكتمال الرعاية الأبوية ماديا ومعنويا، وهذا ما يجعل التفكك الأسري والعنف الأسري من المخاطر التي تهدد دور الأسرة في بناء الفرد والمجتمع.

• التفكك الأسري

التماسك الأسري هو ما يسود الأسرة من مظاهر الولاء والحب والانتماء، التي تعكس صورة التكافل والتعاون الاجتماعي، والاهتمام المتبادل بين أفراد الأسرة الواحدة، غير أن التماسك قد لا يصمد طويلا بفعل بعض العوامل التي تؤثر على الاستقرار داخل الأسرة، فيصبح هذا التفكك أداة فعالة في خدمة التطرف والمتطرفين، فأني تصدع في جدار الأسرة يعني إيجاد العديد من الموالين للمتطرفين، سواء كان التفكك في مراحله الأولى مع نشأة الطفل فتؤثر على سلوكه المستقبلي، أو في المراحل المتأخرة بفعل المشاكل الأسرية المختلفة، ومنه فإن العلاقة تكاملية بين الأسرة والمجتمع، فإن التفكك في المجتمع أو أي تطرف يؤثر بصورة أو بأخرى على تماسك الأسرة، فهي علاقة تكاملية تبادلية⁽²⁾.

وفي ذات السياق يقول أحمد أبو الروس: أن غياب «الانتماء الأسري والتماسك الأسري يدفع بالأبناء إلى الانتماء إلى الجماعات المتطرفة طلبا للتماسك والانتماء الذي يسود تلك الجماعات المتطرفة بدلا عن التماسك المفقود في الأسرة»⁽³⁾.

• العنف الأسري

يشير الباحثون إلى أن المراهقين الذين يعانون من العنف الأسري من قبل الآباء أو الإخوة، أو أحد أفراد الأسرة عموما، غالبا ما يشكل ذلك خطرا عليهم خاصة من الناحية النفسية لدى المراهقين، كما يعوق

(1) _ ماجد موريس ابراهيم، المرجع السابق، ص 188، 189.

(2) _ محمد خلف سلامة، محمد قلاح الخوالدة، التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في ظل أزمة المتطرفين دينيا (التفكك الأسري)، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 44، ملحق 1، 2017م، ص 101، 102، 103.

(3) _ أحمد أبو الروس، المرجع السابق، ص 23.

كل صور الارتقاء النفسي والجسدي والمعرفي والانفعالي والاجتماعي، فالعنف الأسري يحمل سلبيات كثيرة على الطفل، فهو يصبغه بطابع العنف في حل مشاكله ومواجهة الصعاب، كما يصبح عامل فشل على مستقبله، فالعنف الأسري يخلف داخل الطفل مشاعر الكراهية والقسوة تجاه الآخرين فيصير بذلك بين أمرين، مشاعر الحقد ومشاعر الخوف من الآخر، مما يؤثر أثراً بالغاً على حياته المستقبلية، من خلال الانحراف في سلوكه وقراراته⁽¹⁾.

ومنه فالأسر التي ينتهج فيه الآباء طريقة العنف في التربية والتوجيه، غالباً ما تنتج أبناء متشبعين بكل مشاعر الحقد والكراهية للآخر، فينشأ عن ذلك السلوك العدواني الذي لا يقبل التعايش والحوار.

2- المحيط الاجتماعي

لا شك أن المجتمع لما فيه من قيم وعادات وتقاليد يلعب دوراً مهماً في توجيه الفرد وتكوينه، سواء على الصعيد الفكري، أو على الصعيد السلوكي العملي.

فالمجتمعات التي تغلب عليها الصراعات والنزاعات يتأثر أفرادها لا محالة بتلك الصورة التي يعايشونها يومياً، فتظهر عليهم علامات الميول نحو التطرف والعنف منذ الصغر، في حين نجد أن المجتمع الذي ينعم بالاستقرار والأمن يتمتع أفراداً باعتدال النفس والسلوك، فيصبحون بمنأى عن كل أشكال العنف والتطرف.

يشير أحمد أبو الروس إلى بعض الدراسات الميدانية التي أجريت على جماعات العنف والتطرف في مصر، كحركة الجهاد، والهجرة والتكفير، أن الغالبية العظمى لأعضاء تلك الجماعات تنتمي لشريحة خاصة من المجتمع، وهي الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى، والتي تتسم بتذبذبها السياسي، وعدم استقرار وضعها في السلم الاجتماعي، كما أن أصول غالبيتها يعود إلى تلك المناطق الريفية، الذين يعانون من تناقضات على مستوى القيم والعادات والتقاليد، على غرار أولئك الذين ينحدرون من صعيد مصر، حيث يحملون معهم تقاليد وعادات محملة بقدر كبير من العنف والتطرف، إضافة على ذلك ضعف التنمية في تلك المناطق⁽²⁾.

ثانياً: العامل الاقتصادي

تعتبر الأزمات الاقتصادية أحد أهم الأسباب في ارتفاع معدل البطالة والتضخم وغلاء الأسعار،

(1) محمد عزت عربي كاتي، العنف الأسري الموجه نحو الأبناء وعلاقته بالوحدة النفسية، كلية التربية، جامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2019م، ص 79، 80.

(2) أحمد أبو الروس، المرجع السابق، ص 65، 66.

وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي خاصة مع ظهور الطبقة الطفيلية التي أثرت ثراء فاحشا وسريعا دون جهد أو إسهام في الانتاج القومي، وهو ما ينعكس سلبا على الشباب، حيث تنشأ تربة صالحة للتطرف تزود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الاحباط وافتقاد الشعور بالأمان والأمل في المستقبل فيقعون بسهولة فريسة الانقياد لأوهام الخلاص⁽¹⁾.

1- الفقر وضعف التنمية الاقتصادية

في دراسة أجراها الباحث حسين توفيق ابراهيم حول علاقة التنمية بالعنف ما بين 1975م-1985م، على العديد من الدول العربية كمصر وسوريا والأردن وتونس والعراق واليمن، لاحظ من خلالها أن التنمية الاقتصادية زائد درجة مقبولة من العدالة في توزيع أعباء التنمية وعوائدها زائد تطوير سياسي يساوي انخفاضا ملحوظا في أعمال العنف السياسي، والعكس من ذلك وجود التنمية مع توزيع غير عادل يساوي ارتفاع حدة العنف السياسي في هذه الدول⁽²⁾.

وفي ذات السياق يقول عبد الحميد أحمد أبو سليمان أن: «في جل بلاد العالم الاسلامي فئات وشرائح واسعة من الناس-وخاصة من الشباب- تعاني من قدر كبير من الفاقة والاهمال وتدني الأحوال المعيشية والتعليمية والتربوية، والخدمات الأساسية مع انتشار الجهل والبطالة، وذلك في الوقت الذي تذهب قلة من أبناء تلك المجتمعات بجل الثروة، وتتسم تصرفات كثير منهم بالتزلف والسرف والتبديد»⁽³⁾.

وقد أظهرت دراسة أممية أجرتها الأمم المتحدة أن من أهم أسباب التطرف في افريقيا هو الفقر والتهميش، وخلصت الدراسة على أن الاسلام ليس وراء التحاق الشباب المسلمين بالمنظمات المتطرفة والارهاب في بعض الدول الافريقية، وبين أن الفقر الميرير وفقدان الأمل بالمستقبل يعد تربة خصبة لبذر العناصر المتطرفة، وقد أجريت هذه الدراسة على العديد من العينات بمقابلات مع 5077 من الأعضاء السابقين لتلك المنظمات المتطرفة⁽⁴⁾.

(1) _ أحمد أبو الروس، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 19.

(2) _ حسين توفيق ابراهيم، حسين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م، ص 306، 307.

(3) _ عبد الحميد أحمد أبو سليمان، المرجع السابق، ص 108.

(4) _ خالد شمت، دراسة أممية، التطرف بإفريقيا بين الفقر والاسلام، برلين <https://www.acjazeera.net.hews> تاريخ

الدخول: 2019/03/13.

فخلصوا إلى أن الأوضاع المعيشية الصعبة كانت سببا كافيا في التحاق الشباب بتلك الجماعات المتطرفة كالعقيدة وداعش وغيرها، وحتى غير الإسلامية كالجماعات النصرانية في نيجيريا ورواندا وغيرها من البلدان الإفريقية ذات الصراع الديني أو العرقي.

وقد فسر أمين عام الأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريس" علاقة التطرف والإرهاب بالبطالة، حيث يعزو انتشار الإرهاب في البلدان المتخلفة إلى البطالة ومختلف الأوضاع المزرية التي يعانيها شباب تلك المناطق فيقول: «علينا القضاء على الأوضاع التي تسمح للإرهاب بتجنيد أفراد جدد»، وفي مؤتمر ميونيخ للأمن أكد على أن عدم المساواة في توزيع الثروات يولد عدم الاستقرار في العالم⁽¹⁾.

إذن يبقى الفقر والبطالة وضعف التنمية الاقتصادية، واللامساواة في توزيع الثروات كلها أسباب من شأنها تغذية التطرف في العالم، لاسيما إذا تعلق الأمر بالبلدان الفقيرة أو السائرة في طريق النمو، كما هو شأن أغلب البلدان العربية والإسلامية.

وعليه فإن الحل يكمن في إقامة برامج تنموية جديّة الهدف منها استقطاب الشباب، وتوفير الظروف الملائمة للعيش الكريم، وسد كل احتياجات الشباب حتى لا يفتح المجال أمام تلك الجماعات التي تصطاد في المياه العكرة، فيصبح شبابنا فريسة سهلة الانقياد والتوجيه في أيدي المتطرفين وحاملي الأفكار المنحرفة.

المطلب الثالث: العوامل السياسية

أولا: أثر الاستبداد في تغذية التطرف

يلعب الاستبداد دورا كبيرا في تأزم وتعقد قضية التطرف، ذلك أن الأنظمة المستبدة تعمل على تعويق الحريات، واستعمال مختلف وسائل الاضطهاد على الأفراد المخالفين للسلطة الحاكمة، ناهيك عن سياسية اللامساواة والقمع الممارس ضد فئات من الناس، كل هذا يساهم بشكل كبير في تفريخ التطرف والعنف كردة فعل مقابل ممارسات الاستبداد والعنف السياسي.

وعليه وجد أن المجتمعات التي يعيش أفرادها متشبعين بقيم الحرية والمساواة تقل فيها نسبة العنف والتطرف، أما البلدان التي لا يتمتع أفرادها بكامل حرياتهم تصبح بيئة صالحة للتطرف والعنف، لاتساع هوة الصراع بين الطرفين وانعدام الثقة بين الحكام والمحكومين بفعل الاستبداد السياسي المسلط على رقاب الشعوب، فتحدث بذلك الثورات والحروب بين الفينة والأخرى مما يهدد بشكل أو بآخر استقرار تلك البلدان.

⁽¹⁾ _ <https://www.djazziress.com> تاريخ الدخول: 2019/03/23.

الفصل الثاني: (التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته)

يبين عبد الرحمن الكواكبي جملة من الآثار السلبية للاستبداد على الأخلاق والقيم، والتي من شأنها المساس بعقلية الفرد المسلم، والانحراف بسلوكه نحو التطرف والعلو منها:

- أنه يسلب الراحة الفكرية للإنسان، فلا يرقى بفكره نتيجة الضنى الذي أصاب الأجسام، فأثر على العقول، فيغيب معه الشعور الحسن بلذة الحياة، وإعمارها.

- يلعب الاستبداد دورا كبيرا في قلب الحقائق في الأذهان، ذلك أن الملوك والقيصرة الأولين تمكنوا من التلاعب بالأديان تأييدا لاستبدادهم فأتبعهم الناس، فيصير في نظر الناس «أن طالب الحق فاجر، وتارك حقه مطيع، والمشتكي المتظلم مفسد، والنبية المدقق ملحد، والخامل المسكين صالح أمين»

- أن الاستبداد يؤثر على الأخلاق الحسنة للفرد، فيفسدها ويضعفها، أو يمحوها، فيكفر بنعم مولاه لشعوره بالإحباط واليأس، ويحقد على قومه لأنه يرى فيهم العون على الاستبداد⁽¹⁾.

- كما يؤثر الاستبداد على نظام الحياة، فلا نظام في الأخلاق أيضا، فيختل بذلك ميزان الأخلاق، فيصير الجبار شجاعا، والصالح جبانا وهكذا.

- الاستبداد يعطل آلة النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أعملت فهي على الضعفاء دون الأقوياء⁽²⁾.

وعليه فالاستبداد كله شر ولا ينبعث منه خير، وعلى ذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية صريحين في دعوة الناس إلى الشورى والعدل وغيرهما من القيم والمبادئ، التي تهدف إلى إرساء الحكم الرشيد الذي ينعم في ظله العباد وتزدهر به البلاد.

ثانيا: العنف السياسي

يعرف العنف السياسي عند أغلب الباحثين على أنه: «استخدام القوة المادية والتهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية»⁽³⁾، فهناك شبه اتفاق على أن العنف يصبح سياسيا عندما تكون دوافعه وأهدافه سياسية⁽⁴⁾.

(1) _ عبد الرحمن الكواكبي، المرجع السابق، ص 95-102.

(2) _ المرجع نفسه، ص 95-102.

(3) _ حسين توفيق ابراهيم، المرجع السابق، ص 48.

(4) _ المرجع نفسه، ص 48.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

يحاول البعض أن يربط العنف السياسي بالسلطة الحاكمة، دون النظر في الاتجاهات الأخرى، فهناك أربعة اتجاهات لها علاقة بالعنف السياسي حسب ما أفاد به الدكتور حسين توفيق ابراهيم وهي:

الاتجاه الأول: العنف الموجه من بعض الأنظمة ضد المواطنين أو إلى فئة منهم باستخدام أجهزته المختلفة بغرض فرض سلطته، وتقليص دور القوى المعارضة والمناوئة له.

الاتجاه الثاني: العنف الموجه من المواطنين أو بعض الفئات ضد النظام، ويتخذ العنف في هذه الحالة اشكالا معينة، بدءا بالتظاهرات والاضرابات وصولا إلى الاغتيالات والانتقالات، ويعرف بالعنف الشعبي أو الغير رسمي.

الاتجاه الثالث: العنف الموجه بين النخب الحاكمة فيما بينها، ويتخذ هو الآخر عدة أشكال، كالانتقالات والتصفيات، والاغتيالات، وقد يصل الأمر إلى حد الصدام المسلح.

الاتجاه الرابع: العنف الموجه من بعض القوى والجماعات ضد بعضها البعض داخل المجتمع الواحد، لدوافع سياسية أو اقتصادية أو دينية⁽¹⁾.

كل هذه الاتجاهات تمثل منطلقا للتطرف بمختلف أشكاله، كنتيجة حتمية لما يحدث بين تلك الأطراف المتنازعة، فتتسج بذلك شبكة التطرف داخل المجتمع وتتوسع رقعتها كلما ازدادت حدة الخلافات والنزاعات بين مختلف الأطياف المتصارعة.

وعليه فإن الكثير من الدول والأنظمة تلجأ إلى استخدام إجراءات ضد الجماعات القائمة بالعنف، حيث تتجه في غالب الأحيان إلى استخدام أساليب القوة، والإفراط في استخدام الحلول القاسية، وهو ما يسمى بالعنف المضاد، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الأعمال الإرهابية، في نفس الوقت نجد أن الدول التي سلكت منهج الحوار في التعامل مع مثل هذه الظواهر، واعتمدت كافة الوسائل السلمية حققت نجاحا باهرا، فانتقلت بذلك من العنف والتطرف إلى الحوار والسلمية⁽²⁾.

فالحوار والسلمية من الأساليب التي دعا إليها القرآن والسنة النبوية في فض النزاعات والخصومات أيا

كان نوعها وحجمها قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾⁽³⁾.

(1) _ حسين توفيق ابراهيم، المرجع السابق، ص 48، 49.

(2) _ علي موسى الددا، موقف الاسلام من العنف والإرهاب الدولي، ط1، دار البداية، عمان، 2012م، ص 41، 40.

(3) _ الحجرات: 9

انطلاقاً من هذه الآية الكريمة نجد أن الموقف الإسلامي النبوي في مكة أو المدينة، قد حذر استخدام العنف في حل الخلافات عامة، والسياسية على وجه الخصوص، ذلك أن هذه الأخيرة إذا استغلت صعبت من مهمة إخمادها من قبل ساسة وقادة الأمة، فالإسلام يؤسس لقاعدة مفادها أن النزاع السياسي داخل المجتمع الواحد يجب أن يحل سياسياً، وكل باغي أو معتدي يتصدى له دون إحداث أي ضرر بالمجتمع أو الدولة، فواجب كف المعتدي هو واجب كل المجتمع، ذلك أن الأنظمة الاجتماعية الجيدة توفر في أساس تكوينها وسائل ومؤسسات قانونية وسياسية تواجه بها مختلف الانحرافات السياسية أو الاجتماعية، مع الحفاظ على استقرار الدولة، دون اللجوء إلى أي أسلوب من أساليب العنف، فالعنف الدائر في بعض دول العالم الإسلامي إنما هو نتيجة الظلم والعدوان المسلط فيما بينها، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي⁽¹⁾.

ولعل من أفضل النماذج الناجحة في حل النزاعات بالطرق السلمية في عصرنا والذي اعتمد منهج الحوار بين أبناء الوطن الواحد، النموذج الذي جسدهته الدولة الجزائرية من خلال قانون المصالحة والوئام المدني⁽²⁾، الذي ساهم بشكل ملحوظ في استتباب الأمن والاستقرار، بعد فتح باب الحوار الداخلي بين مختلف مكونات وأطياف الوطن الواحد، وتغليب مصلحة الوطن على كل المصالح الأخرى، فكانت النتيجة إيجابية على جميع المستويات.

المطلب الرابع: العوامل الدينية

يعد العامل الديني أحد أهم أسباب التطرف في عصرنا الحاضر فلم تسلم منه أي أمة من الأمم، إذا كانت الحضارة الغربية بما تدعيه من انفتاح وحرية لم تسلم هي الأخرى من التطرف الديني، وقد بينا فيما سبق تلك الحملات الصليبية على الإسلام والتي لا تزال إلى اليوم، ولكن بثوب جديد كالأستشراق ومختلف المراكز المنتشرة عبر العالم التي تعمل ليل نهار على نشر الأيديولوجيات المتطرفة تحت الغطاء اليهودي النصراني، وخير شاهد على ذلك ما خلفته المستعمرات من آثار على العالمين العربي والإسلامي.

(1) _ عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص114

(2) _ قانون الوئام المدني أو ما يعرف بالمصالحة الوطنية هو تجربة فريدة من نوعها قدمتها الجمهورية الجزائرية بداية من سنة 1999م، كحل نهائي لأزمة العنف التي عرفتها البلاد في سنوات التسعينات، وبعد جهود حثيثة خلصت إلى مصالحة وطنية شاملة من أجل رآب الصدع ولم الشمل وتضميد الجراح، وقد دخلت حيز التنفيذ في الجريدة الرسمية في 28 فبراير سنة 2006، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 11، السنة: 43، الثلاثاء 28 فبراير 2006م.

أما فيما يخص الإسلام فإن إشكالية فهمه فهما صحيحا بمختلف أبعاده وقضاياه ظلت قائمة منذ زمن بعيد وإلى اليوم، فالتعصب الممقوت وسوء فهم النصوص القرآنية والنبوية على حد سواء باب وبلج التطرف منه إلى الأمة الإسلامية، فاستحوذ على العقول ومن ثم على الأخلاق والممارسات.

وعليه نجد أن التطرف كلما كان قريبا من التدين كان أثره أشد، لأن الإنسان يميل إلى التدين بفطرته، فكان بذلك التطرف الديني من أخطر أنواع التطرف، لأنه يهيج العواطف ويعطل التفكير السليم، وكل ذلك يمر عبر عاملين أساسيين هما التعصب والتعامل الخاطيء مع القرآن والسنة من جهة الفهم أو الاستدلال.

أولا: التعصب ومظاهره في الوسط الإسلامي

يعد التعصب من أخطر الأسباب والعوامل المؤدية إلى التطرف، حيث يحجب عقل الإنسان عن التفكير الصحيح والسليم، وبالتالي فإن صاحبه يخضع لمنطق العاطفة أيا كان مصدرها، دينية، أو عرقية.. إلخ.

والتعصب في نظر الكثير من العلماء خاصة علماء النفس هو عبارة عن: «آلية نفسية تؤدي وظيفة خاصة تتلخص في التنفس عما يختلج في النفس من توتر وكراهية وعدوان مكبوت، وذلك عن طريق عملية الإزاحة والابدال، دفاعا عن الذات وعمن تحبه»⁽¹⁾.

والتعصب من أشد السمات المرضية وهو نابع من الإحساس بالفوقية كما هو بين في لغة علماء النفس، إذ يظل متصلا بشكل أو بآخر بأحد أنماط الذهان الذي يواكبه الشعور بالعظمة، أو ما يضادها وهو الاضطهاد².

ومنه فالتعصب عند علماء النفس والاجتماع هو حكم مسبق لا يستند إلى دليل واضح سواء أكان هذا الدليل عقليا أو حسيا، وهو ما يظهر عند الكثير من الجماعات والأقليات، فغالبا ما يكون التعصب بارزا فيها نتيجة الشعور بالإحباط، أو العدوان والقهر من الطرف الاخر، ومنه ينشأ الصراع بين الجماعات خاصة الدينية والعرقية، لما ينتجه التعصب من تسلط وجمود وعدم القدرة على تحمل الغموض⁽³⁾.

والتعصب يأخذ عدة مظاهر نذكر منها:

(1) _ الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 11، السنة: 43، الثلاثاء 28 فبراير 2006، ص 16.

² محمود البستاني، المرجع السابق، ج 1، ص 97

(3) _ ماجد موريس ابراهيم، المرجع السابق، ص 150، 151.

• التعصب العنصري (العرقى)

يرى علماء الاجتماع أن التعصب إحدى العوامل الرئيسية في استفحال ظاهرة التطرف لدى المجتمعات الإسلامية، وإن كان البعض يرى بأن التعصب مرتبط فقط بما هو ديني، غير أن الحقيقة أظهرت أن التعصب يشمل العديد من المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات والأمم⁽¹⁾.

ويعد التعصب العنصري من أخطر أنواع التعصب البشري ومن أبرزها، وهو ظاهرة سائدة عند الكثير من الأمم، وليس خاصة بالأمة الإسلامية وحسب، على غرار التعصب ضد الزوج والهنود الحمر في أمريكا، والتعصب ضد المسلمين في كل من صربيا وبورما وغيرها من البلدان، والتعصب بين البيض والسود في جنوب إفريقيا، وتعصب اليهود ضد العرب والمسلمين، ويحدث هذا التعصب بين بني آدم غالبا نتيجة اعتقاد المتعصبين بأنهم أفضل وأرقى الأمم، كما هو حال اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ﴾⁽²⁾، (3).

والملاحظ أن التعصب العنصري بدأ ظهوره في الأمة الإسلامية باسم العروبة، فبعد محطات التاريخ الإسلامي يبرز صراع مبرر بين العرب والعجم، تحول إلى نزاع طائفي وقوي نخر وحدة الأمة الإسلامية، ولعل بواكر هذه الظاهرة كانت مع بداية ظهور الدولة العباسية وما حدث بين العرب والفرس، وآل في نهاية المطاف إلى سقوط الخلافة العباسية، ثم ما أعقبه من صراع بين العثمانيين وعرب شبه جزيرة باسم العروبة والاسلام.

وقد حملت العصبية طائفة من أهل العلم على وضع أحاديث لم تثبت عن النبي ﷺ كما حدث من تليفق أحاديث تمجد الخلافتين الأموية والعباسية، أو تحط منهما، وكذلك ما وضع في تفضيل بعض القبائل العربية التي كانت تتنازع الرياسة والفخر والشرف، وفي مقابل ذلك ما وضع من أحاديث تمجد العرب على حساب العجم والروم، وفي فضل العجم والترك والروم والحبشة، وتبعه وضع الأحاديث التي تفضل بعض المناطق والبلدان على غيرها، فالعصبية بمختلف أشكالها ساهمت التشويش على الدين وقضاياه الكبرى⁽⁴⁾.

وقد كان لهذا التعصب أثره على العالم الإسلامي في العصر الحاضر، إذا غالبا ما نشبت صراعات حادة أدت إلى حروب واقتتال، كما حدث بين الجارتين إيران والعراق باسم التعصب العرقى، وما حدث في اليمن

(1) _ أحمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقى والديني واللغوي، لماذا وكيف، ط2، دار الآية، الجزائر، 1997م، ص 13.

(2) _ المائدة: 18.

(3) _ المرجع نفسه، ص 19

(4) _ أحمد أمين، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975م، ص212-ص213-ص214

ولبنان وسوريا وغيرها من البلدان العربية باسم العرقيات، وهذا كان له أثر جد سلبي على أمن الأمة واستقرارها.

وسيبقى للتطرف عرق ينبض مادامت الشعوب لم تتحرر من العنصرية وما تفرع عنها من العرقية والطائفية، ولن يجد الحوار والتعايش منفذا مادامت هذه العصبية هي المسيطرة على عقول النخبة فكيف بمن هم دون ذلك.

• التعصب الديني

تجنبنا للخوض في قضية التعصب الديني عند الأمم الأخرى، لاتساع مظاهره نكتفي كشاهد بذكر الصراع المرير بين اليهود والنصارى، وما وقع بينهم على مر عقود من الزمن، ثم التعصب الداخلي كما حدث مع النصارى بين الكاثوليك والبروتستانت من مذابح يشهد لفظاعتها التاريخ الانساني، وما أظهرته الكنيسة من تعصب ضد التنويريين في القرون الوسطى، وآخر ذلك التعصب اليهودي المسيحي ضد المسلمين تحت مظلة الصهيونية العالمية، وما حمله من حقد وانتهاك للحقوق ضده دون مراعاة حتى للجانب الإنساني.

لقد حملت العصبية العمياء الكثير من العلماء والمفكرين على تحريف الحقائق وطمسها، أيا كانت هذه العصبية، عصبية القبيلة، أو العقيدة والدين، وغيرها من العصبيات الأخرى ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾⁽¹⁾، كما ساهمت هذه العصبية عند الكثير في إلغاء العقل وتعطيل الفكر، فلا مجال للتعقل أو التفكير، إنما العصبية هي الحاكمة والمسيطرة، ومثل ذلك ما نجده عند الجماعات الاسلامية، أو التي تحمل الاتجاه العلماني، فهي في الغالب تعلق باب التجاور والتشاور في وجه المخالف⁽²⁾.

ومما زاد في حدة التطرف هو ذلك التعصب المذهبي المقيت، الذي يحمل صاحبه على تقديس الأشخاص، وتخطئة المخالف وربما يصل الحد إلى رميه بالفسق أو الكفر يقول الغرياني: «مما يعد من الغلو في العلم، التعصب للرأي مجرد كونه رأي فلان، وتخطئة الرأي الآخر، ورميه بالضلال والبطلان، وأحيانا تكفير صاحبه كما يفعل بعض المتعصبين في أيامنا ممن ينتمون إلى العلم، وطلبتهم وأتباعهم أشد منهم تعصبا، فصاروا يكيلون التكفير للمسلمين جزافا، ويخطئون الأئمة وكثير من هؤلاء الأتباع ليس أهلا لذلك»⁽³⁾. ومنه

(1) _ الزخرف: 22.

(2) _ جلال الدين محمد صالح، الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008م، ص 116-122.

(3) _ الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، الغلو في الدين، ص 35.

ظهر في عصرنا الحاضر من يدعي العصمة للجماعة، فصار التدين يقاس بالانتماء والولاء للجماعات، وبالتالي تعطيل إرادة وعقول الأتباع فيصبرون تحت رحمة الجماعة فكرا وسلوكا.

وفي ذات السياق يقول محمد عمارة: «ومثل هذا التصنيف لرحمة الله-بل وأخطر-وجدناه ونجده في ذلك الغلو الذي دار ويدور حول "الفرقة الناجية" تلك التي تصورها الغلاة جزء من ثلاثة وسبعين جزءا من الأمة الإسلامية التي ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة كلها هالكة في النار إلا فرقة واحدة.....!! بل لقد حاولت جماعات هامشية-إن في العدد أو في الفكر-احتكار هذه النجاة من دون السواد الأعظم لأمة الإسلام!»⁽¹⁾.

ولم يخلو هذا العصر كغيره من مظاهر التعصب المذهبي الذي ساد العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة تحت أغطية مختلفة، فحاضرنا يعج بنماذج كثيرة سيسجلها التاريخ عن أنواع الخلافات والصراعات المذهبية بين الطوائف الإسلامية، ذلك أن الاختلاف الفقهي بين المذاهب الفقهية في الماضي لم يصل إلى حد الاقتتال والتناحر، بل بقي حبيس الصراع اللفظي والتنظيري، كما حدث بين المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية، في حين نجد أن الصراعات التي تحدث اليوم أصبحت أكثر خطورة، حيث حملت معها شتى ألوان العنف والاقتتال، كما حدث في الكثير من الدول الإسلامية، كلبنان، وأفغانستان، والعراق وسوريا وغيرها، نتيجة تعميق الخلافات وتحويلها من خلاف نظري إلى خلاف على مستوى الفعل، مع تدخل العامل السياسي الذي كان له أثر في نفخ العصبية وتأجيج الصراع⁽²⁾.

ولا يزال هذا الصراع يحمل معه ألوان الهزائم النفسية والفكرية والخلقية التي مني بها العالم الإسلامي جراء هذا التناحر، ناهيك عن التقهقر الحضاري بفعل الاستنزاف المادي والمعنوي التي تعرضت له الأمة الإسلامية، كل ذلك التطرف يتم تحت الغطاء الديني مع الدعم الكامل للعامل السياسي سواء من الداخل أو الخارج.

ثانيا: تحريف الفهم الصحيح للنص وأثره في تغذية التطرف

يعد سوء فهم نصوص القرآن والسنة أحد أبرز الإشكالات التي تواجه الفكر الإسلامي، ذلك أن الفهم الخاطئ للنص الشرعي أفضى في كثير من الأحيان إلى انحراف على مستوى الفكر (التنظير)، أو على مستوى الفعل، بأن جر فئات من الناس إلى دائرة الغلو والتطرف.

(1) _ محمد عمارة، مقالات الغلو الديني واللاذيني، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ص 53، 54.

(2) _ أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص 155، ص 156.

فمحطات التاريخ الإسلامي شاهدة على ظهور تلك الفرق الغالية على غرار الخوارج والقدرية والمعتزلة، والغلاة من كل فرقة من الفرق الإسلامية التي اعتمدت منهجا فاسدا في تعاملها مع نصوص القرآن والسنة، مما جرها إلى التحريف وسوء الفهم، ولعل ذلك يعود إلى أسباب هي نفسها التي أذكت التطرف اليوم.

وإذا تتبعنا هذه العوامل التي لم يراعها غلاة كل عصر في تعاملهم مع القرآن والسنة، لدل ذلك على جهل مطبق بمختلف العلوم الموصلة إلى الوحيين، ناهيك عن أخذهم بظاهر النص دون تحريك لآلة الفهم والتفسير. وقد قرر علماء الشريعة جملة من القواعد في فهم القرآن والسنة، حالفها الغلاة مما شكل لديهم حاجزا حال دون الفهم الصحيح فمن ذلك نأخذ:

1. عدم الجمع بين الأدلة

يعد الجمع بين الأدلة في القضية الواحدة عاملا مهما في فهم نصوص القرآن والسنة وحسن التعامل معها وتوجيهها، ذلك أن هذه النصوص تحوي العام والخاص والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه... ولفهم المسألة واستنباط الحكم الشرعي الصحيح منها وجب الجمع بين كل الأدلة للوصول إلى المطلوب.

فالدين الإسلامي من خصائصه أنه دين يتميز باتساقه وتصديق بعضه بعضا، ولا تناقض فيه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾، ولا يمكن فهم نصوصه إلا بالتدبر فيها مجتمعة، دون فصل بعضها عن بعض، وهذا ما وقع فيه الغلاة قديما وحديثا⁽²⁾.

وبرهان ذلك ما جاء في مسألة إسبال الثوب، فهناك من يقول بالتحريم آخذا بعين الاعتبار النصوص المطلقة التي تقول بالتحريم «ما أسفل الكعبين من الأزار ففي النار»⁽³⁾، تاركا ما قيدته النصوص الأخرى من سنته عليه الصلاة والسلام الفعلية والقولية والتقريبية، كخروجه في صلاة الاستسقاء وهو يجر ثوبه، وإقراره لفعل أبي بكر الصديق الذي كان يسبل ثوبه، فدل ذلك على وجود علة للتحريم هي التكبر والخيلاء.

وعليه فإن المنهج الصحيح في التعامل مع النص واستنباط الحكم الشرعي يقوم على الجمع بين مختلف الأدلة في المسألة الواحدة، وهو ما يفتقر إليه دعاة الغلو والتطرف في استدلالاتهم.

(1) _ النساء: 82.

(2) _ عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر-الأسباب، الآثار، العلاج ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م، ص 223، ص 224، ص 225.

(3) _ أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب: ما أسفل الكعبين فهو في النار، رقم 5787، ج7، ص 141.

2. الحرفية في التعامل مع النص

وهذه الأخرى من المطبات العلمية والمنهجية التي يقع فيها أغلب الغلاة والمنحرفون في تعاملهم مع النص، فالتعامل الظاهري مع النص يحجب الفهم الصحيح، ذلك أن فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا يكون بالظاهر والنظر فقط، فهذا وحده لا يكفي فلا بد من الرجوع إلى ركيزتين أساسيتين هما، معرفة اللغة التي تكلم بها الشارع ومعرفة مقصود الشارع سبحانه من اللفظ⁽¹⁾.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿بَكَّىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾، فالناظر في هذه الآية على ظاهرها يجد أن كل خطيئة ومعصية صاحبها مخلد في النار، غير أن التأمل في نصوص القرآن يجد أن الخطيئة أطلقت في القرآن ويراد بها عدة معاني، منها أنها تطلق على الشرك في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾⁽³⁾، فدل على أن المراد بالخطيئة في الآية التي قبلها الشرك الأكبر المخرج من الملة⁽⁴⁾.

فالإتجاه الظاهري في الفقه الإسلامي أحد أهم الاتجاهات في فهم النصوص، غير أن هذا الإتجاه لم يعد كما كان عليه في السابق، إذ أن حامله كانوا من أبرز الفقهاء والعلماء في عصرهم على غرار ابن حزم الظاهري، وداود وغيرهم، ومع مرور الزمن تبني هذا المذهب من الجماعات المتطرفة التي استغلت نصوص القرآن والسنة في تضليل العلماء من السابقين واللاحقين، واستحلال دماء المسلمين، حيث أضحي هذا المذهب في عصرنا موردا من موارد الإرهاب الفكري⁽⁵⁾.

وعليه فإن الظاهرية الجديدة التي تبنتها الكثير من الجماعات المتشددة قد أوغلت في التكفير باسم القرآن والسنة، ضاربة عرض الحائط فهم العلماء وتوجيهاتهم حيث أصبح الفهم حكرا على فرقة أو جماعة دون غيرها، وهذا ما يرفضه الإسلام جملة وتفصيلا.

(1) _ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، المرجع السابق، ص 229.

(2) _ البقرة: 81.

(3) _ نوح: 25.

(4) _ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، المرجع السابق، ص 234.

(5) _ جلال الدين محمد صالح، المرجع السابق، ص 88، ص 89.

3. تجريد النص عن سياقه

المقصود من سياق الآية هو فهمها وفق مراعاة ما قبلها وما بعدها، وبيان معناها دون تجريدها من سابقها ولأحقها⁽¹⁾.

فمعرفة سياق الآية يلعب دورا مهما في تحديد معناها على الوجه الصحيح، ذلك أن القرآن الكريم متكامل ومتناسق في المبنى والمعنى.

ولبيان أهمية السياق في تحديد مفهوم النص القرآني نضرب لذلك مثلا: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾⁽²⁾، اختلف المفسرون في تحديد معنى البرزخ في الآية، حيث ذهب بعضهم إلى أن البرزخ هو الحاجز، أو الحد بين الشيئين، وقيل هو حاجز الأرض، وغير ذلك من التأويلات، غير أن سياق الآية يأتي ليحل الإشكال في أن المقصود من البرزخ هنا هو حاجز البحر، فقد بدأ بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾⁽³⁾، فدللت الآية التي قبلها على أن الحاجز هنا هو حاجز بحري وفقا لسياق الآية وما تتحدث فيه⁽⁴⁾.

فأهمية السياق لا تقتصر على النص القرآني فقط، بل تتعدى لتشمل نصوص السنة والآثار، وحتى التوايف والكتب لأصحابها، إذ من الخطأ الحكم على عالم أو مؤلف من خلال فكرة مجتزأة من نص، دون الاطلاع على جميع الكتاب.

4. الجهل باللغة العربية

لقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽⁵⁾، ولا يمكن فهمه فهما سليما إلا باستخدام آلة اللغة، فهي مفتاح رئيسي في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية وبقية العلوم الأخرى، وقد حرفت الكثير من نصوص القرآن والسنة عن معناها الصحيح نتيجة اغفال آلة اللغة، وعدم اعمالها في تحديد

(1) _ المثني عبد الفتاح محمود، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، رسالة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة اليرموك، 2001م، ص 13-15.

(2) _ الفرقان: 30.

(3) _ الفرقان/ 35.

(4) _ المثني عبد الفتاح محمود، المرجع السابق، ص 125، ص 126.

(5) _ الشعراء: 195.

مفهوم نصوص القرآن السنة.

قال الغزالي وهو يسرد شروط الاجتهاد والمجتهد، والتي ذكر منها: «معرفة اللغة والنحو على وجه يتيسر له به فهم خطاب العرب وهذا يخص فائدة الكتاب والسنة، ولكل واحد من هذين العاملين تفضل، وفيه تخفيف وتثقيل...»⁽¹⁾.

فالجهل باللغة العربية أوقع الكثيرين في الغلو والتطرف على غرار الخوارج في القديم والحديث، وفي ذلك يذكر الشاطبي مثالا على ذلك، وهو فهم الخوارج المنحرف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾⁽²⁾. وأن لفظها يقتضي العموم، ولا يلحقه تخصيص، فأعرضوا عن المخصص وهو قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾⁽⁴⁾، فجهلهم بأن قاعدة العرب تقتضي أن العموم يراد به الخصوص، ولو علموا بذلك لما وقعوا في مثل هذا الخطأ الجسيم⁽⁵⁾.

وخلاصة القول أن عدم الإحاطة بهذه الضوابط أدى إلى خلل ظاهر في فهم الإسلام عقيدة وشريعة، فكان منطلقا نحو التطرف، وهو ما عبر عنه فهمي هويدي بالتدين المنقوص الذي يفتقر إلى الفهم السليم على مستوى التنظير أو الممارسة وفي هذا يقول: «إن الفهم المنقوص للدين هو حصاد تربية إسلامية قاصرة، لقد زرعنا في ضمائر الناس وعقولهم جذور الفهم الأخروري أو الانسحابي للدين وسرت على المسلمين سنن النمو ونواميسه فجاءت الثمار من جنس الزرع!»⁽⁶⁾.

المطلب الخامس: الإعلام ودوره في صناعة التطرف

يلعب الخطاب الاعلامي دورا مهما في صناعة التطرف بمختلف أشكاله وأنواعه، لاسيما مع تطور الآلة الإعلامية وتنوع أساليبها في عصرنا الحاضر، وما اكتسبته من نقلة نوعية في سرعة نقل المعلومة وترويجها، مع القدرة الفائقة على إقناع الرأي العام، وتوجيهه فكريا وسلوكيا.

(1) _ أبو حامد الغزالي، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص 343.

(2) _ يوسف: 40.

(3) _ النساء: 35.

(4) _ المائدة: 95.

(5) _ ابراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، تحقيق، سليم بن عبد الله الهلالي، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1412هـ-1992م،

ج1، ص 303.

(6) _ فهمي هويدي، المرجع السابق، ص 343.

لذا يظل الإعلام من أفتك أنواع الأسلحة المستخدمة في نشر التطرف والتحريض على العنف والكراهية، وقد شهدنا في عصرنا هذا كيف تحركت الآلة الإعلامية، وكيف كان لها دور فعال في نشر العنف في الدول العربية والإسلامية، فقد ساهمت في تجنيد الشباب المسلم لخوض حروب طاحنة ضد أوطانه، مستخدمة في ذلك أساليب الدعاية التي تعتمد على التلاعب بمشاعر الملايين من المسلمين باسم الإسلام والدفاع عنه وعن المقدسات.

كذلك الشأن بالنسبة للإعلام الغربي الذي كان له الحظ الأوفر في التحريض على المسلمين ونشر الكراهية ضدهم في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول العالم، تحت مظلة مكافحة الإرهاب الدولي، وهي في الحقيقة حرب على مبطنة على الإسلام والمسلمين، فغالبا ما تنسب كل أعمال العنف في العالم إلى المسلمين دون غيرهم بهدف الدعاية والتشويه.

كل هذا يحتم علينا وجوب النظر في وسائل الإعلام الحديثة وبيان خطرهما في الترويج للتطرف أيا كان نوعه، مع صياغة الحلول والبدائل لإعلام معتدل يمثل الإسلام أحسن تمثيل.

أولا: أساليب الخطاب الإعلامي الحديث

يهدف الخطاب الإعلامي الراهن بمختلف وسائله إلى إقناع الأفراد، بتوجيههم نحو توجهاته الفكرية والأيدولوجية، من خلال اعتماد الرسالة الإقناعية التي تقوم على التأثيرات المختلفة، كالتأثيرات المعرفية بإزالة الغموض ووضع الأجندة، وزيادة نظم المعتقدات القيم والسلوكيات، والتأثيرات الوجدانية، والتأثيرات السلوكية، والتي من شأنها توجيه الفرد والرأي العام، التوجيه المرغوب فيه لدى الهيئة المتحكمة في زمام الآلة الإعلامية⁽¹⁾.

فأهمية الإعلام تكمن في كونه أصبح وسيلة لا بد منها لأي عمل سياسي أو اقتصادي، أو حتى في المجال العسكري والاجتماعي وغيرها، فقد تغلغل في مختلف جوانب الحياة، ولا مفر منه بالنسبة للإنسان في عصرنا الحديث، فقد تفجرت ثورة إعلامية حقيقية مع اندلاع الثورة الصناعية في أوروبا واكتشاف الراديو والتلفاز والإذاعة، ودور هذه الأخيرة في تكوين رأي عام وطني ودولي، خاصة مع ظهور وسائل الاعلام المعاصرة على شبكات الأنترنت كالفيسبوك والتويتير وغيرها، مما ساعد بشكل رهيب في نشر الدعاية والتأثير على الرأي العام⁽²⁾.

(1) _ خلدون عبد الله، الإعلام وعلم النفس، ط1، دار أسامة، عمان، 2010م، ص 35، 36، 37.

(2) _ المرجع نفسه، ص 18، 19.

وقد اعتمد الإعلام المعاصر العديد من أساليب التضليل نذكر منها:

1- تحريف الحقائق والأحداث: وهذا عمل قديم عرف به اليهود والنصارى، حيث كانوا يعمدون إلى الكثير من الحقائق الدينية فيحرفونها ويشوهونها، بهدف الوصول إلى مبتغاهم، ولا يزال متواصلا إلى اليوم أين أصبح أكثر احترافية واتقانا من ذي قبل.

2- الإبهام والتدليس: تبث وسائل الإعلام المختلفة، خاصة المعادية منها الوهم والتدليس، من خلال استخدامها لألفاظ ومفردات، تتلاعب بها لكسب المصدقية من جهة، وإثارة البلبلة من جهة أخرى⁽¹⁾.

3- نشر الكراهية والتطرف: من خلال استحلاب شخصيات إلى الفضاء الإعلامي لأجل بث هذا النوع من الخطاب، أو عرض صور وأفلام تروج لهذا الخطاب العنصري أو المتطرف، وهذا ظاهر في مختلف وسائل الاعلام الأجنبية، أو حتى الداخلية⁽²⁾.

وفي ذات السياق يشير هربرت شيللر في كتابه "المتلاعبون بالعقول" إلى أن المتحكمين في الوعي لهم أثر في توجيه الناس نحو نظرياتهم وأفكارهم الهدامة، بهدف الوصول إلى تبدل الإدراك وتحقيق الضغوط المطالبة بالتغيير الاجتماعي، كل هذا يتم بمعية الآلة الإعلامية بإمكاناتها الهائلة التي تروج لمثل هذه القضايا لتصل بجمهور المتابعين إلى القناعة بتلك النظريات ثم تجسيدها على أرض الواقع⁽³⁾.

وفي موضع آخر يتحدث عن التطرف والعنف الذي تروج له الآلية الاعلامية الأمريكية فيقول: «فالعنف رغم كل شيء أمريكي مثله مثل فطيرة التفاح ليس في الواقع فحسب، بل في الخيال أيضا: في السينما، والتلفزيون، وعبر موجات المذياع تخصص يوميا لسيناريوهات العنف مساحة مذهلة، فكيف يتفق هذا الكرنفال من الصراع والعنف مع الهدف الأساسي لمديري وسائل الإعلام، والمتمثل في تقديم صورة الانسجام والتآلف الاجتماعي الواقع أنه تناقض يتم حله بسهولة»⁽⁴⁾.

ثانيا: دور الخطاب الإعلامي في صناعة التطرف

كما سبق وأن بينا أن للإسلام دور كبير في توجيه الرأي العام، بمختلف الشرائح الاجتماعية، خاصة إذا

(1) _ خلدون عبد الله، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 148.

(2) _ المرجع نفسه، ص 150.

(3) _ هربرت أ. سيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، دار عالم المعرفة، الكويت، 1999م، ص 20، ص 21.

(4) _ المرجع نفسه، ص 23.

تعلق الأمر بالشباب، ومنه وجب توظيف قيم الإسلام في خدمة الإعلام المعتدل، فكل خطأ في استخدامنا لوسائل الإعلام قد يكلفنا غالبا، فكل ما تشهده الساحة الإسلامية من الفوضى الخلاقة في جميع الميادين إنما هو انعكاس لما يروج له الإعلام بمختلف أدواته.

ففي العالم الإسلامي مثلا: أسهمت شبكة الأنترنت بشكل واضح في بسط نفوذ التطرف الفكري لمختلف التيارات، من خلال المواقع والمنتديات التي تديرها الجماعات والرموز المتطرفة، وفي رصد خاص للباحث أيمن حسان يظهر أن عدد المواقع التي يمكن أن يطلق عليها متطرفة يتراوح بين 240 إلى 300 موقع، تزيد وتنقص تبعا للأحداث ومتابعة بعض الرموز، ذلك أنها تتعرض من حين لآخر إلى غلق أو قرصنة⁽¹⁾، وهذا رقم ينبئ عن مخاطر الشبكة العنكبوتية في ظل غياب الرقابة الأسرية أو الحكومية.

وقد أدركنا خطورة شبكة الأنترنت عندما وظفتها الجماعات المتطرفة في تجنيد الشباب نحو بلدان العالم الإسلامي التي عرفت أزمتا داخلية، أين سخرت تلك التنظيمات المتطرفة هذه الوسيلة بتقنياتها الحديثة في نشر الفكر المتشدد، مستهدفة الشريحة المهمة في المجتمع الإسلامي وهي الشباب، وهو ما برره تجاوب عشرات الآلاف من الشباب من مختلف البلدان والجنسيات متجهين نحو بؤر الصراعات، وهذا يظهر لنا جلليا مدى نجاعة الآلة الإعلامية في التأثير على مجتمعنا وواقعنا.

وفي دراسة للدراسة لعادل عامر يخلص فيها إلى أن وسائل الاعلام في وطننا العربي تنقسم إلى قسمين:

أولاً: الإعلام المعتدل وهو الإعلام الذي يعتمد نشر الدين المعتدل والصحيح ونشر الثقافة الإسلامية والرسالة الإسلامية الصحيحة.

ثانياً: الإعلام المتطرف أو الاعلام الذي يشوه صورة الاسلام التي تدعو إلى أن الإسلام دين رحمة وعدالة وإنسانية⁽²⁾.

والذي نخلص إليه أن الإعلام أصبح خطرا محققا بأمن الأمة، فهو يضرب قيمها ويستهدف شبابها، ويهدر طاقاتها، وهذا يوجب علينا الإسراع إلى فرض إعلام بديل يقوم على نشر الوسطية والاعتدال في جميع المجالات، ليكون منافسا حقيقيا لنظيره من الإعلام المتطرف، من أجل الحد من خطره ويكون قبلة الشباب في الوسطية والاعتدال.

المبحث الرابع: انعكاسات التطرف على الفرد والمجتمع

⁽¹⁾ _ أيمن حسان، دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر الفكر المتطرف، <http://makhatertakfir.com> تاريخ الدخول: 2021/12/18

⁽²⁾ _ عادل عامر، المنافذ الإعلامية ودورها في إبراز الظاهرة الإرهابية ومكافحة التطرف، www.elsada.net، تاريخ الدخول: 2019/07/13.

المطلب الأول: أثر التطرف على الفرد

أولاً: على المستوى النفسي

مما أكدنا عليه سابقاً أن التطرف له علاقة وطيدة بالجانب النفسي، فغالبا ما يفسر علماء النفس تلك السلوكيات الصادرة عن الفرد المتطرف، على أنها انفعالات ناتجة عن إحباط أو مكبوتات داخلية تجعل منه يصدر أفعالا لا مسؤولة ومنحرفة، وبالتالي فإن بؤادر الاضطراب النفسي عند المتطرف تظهر من خلال الانتقال من المرحلة المعرفية والفكرية التي يتبنى من خلالها الأفكار المتطرفة ويتشبع بها إلى الحالة المولية والتي تظهر من خلال تعصبه لتلك الأفكار والآراء، ومحاولة الدفاع والذود عنها، والاندفاع نحوها عاطفيا ووجدانيا لتبرير الحق فيها، فيرى من يخالفه فيها أو يقف في طريقه منحرفا ضالاً، فيرميه بشتى التهم، وبهذا يكون المتطرف قد دخل في حالة نفسية مرضية، وهي عبارة عن اندفاع شبه مبرمج للمتطرف نحو فرض أفكاره وآرائه، دينية كانت أو غيرها¹.

وعليه نجمل ملامح الاضطراب النفسي لدى الشخصية المتطرفة في الآتي:

-القلق الدائم: وهي حالة نفسية يمر بها المتطرف يشعر معها بتوتر يمنعه من التفكير السوي.

-العصبية والحدة في الحوار.

-الانفعال الزائد عن الحد المطلوب الذي يتمتع به الإنسان المعتدل.

-الميل إلى العزلة والوحدة خوفاً من مخالطة الناس.

-الوسوسة: أو الشك المبالغ فيه في كل شيء مما يؤثر لا محالة على إدراكه المعرفي.

-سرعة الغضب والانفعال.

- الخوف الزائد عن الحد.

كانت هذه علامات يمكن من خلالها تقصي وتتبع الشخصية التي تميل إلى التطرف والعنف، ليتسنى لنا

معالجتها قبل استفحال الظاهرة.

ثانياً: على المستوى الفكري

لا شك أن غالبية المتطرفين لا يتمتعون بيزاد معرفي وعلمي كاف، فالملاحظ أن أغلب العناصر المنضوية

¹ محمد قنفودي، الأبعاد السيكولوجية والسلوكية للتطرف والإرهاب، <http://www.academia.edu>، تاريخ الدخول:

تحت تنظيمات وجماعات متطرفة يغلب عليها الضعف المعرفي والعلمي، كما تفتقر إلى قوة صقل الأفكار وغربلتها، فيسهل عليها التأثير بالفكر المتطرف، كذلك سياسية العزلة التي تعتمد عليها بعزل الأفراد المتطرفين عن واقعهم ومجتمعهم، فهم يعيشون صراعاً دائماً مع أفكارهم ومعتقداتهم نتيجة الانطوائية والحجر الممارس عليهم من قبل جماعات الضغط التي ينتمون إليها لذا يغلب عليهم التعصب والتصلب، والهروب من الحوار والنقاشات الهادفة.⁽¹⁾

وقد بينا سابقاً أن التطرف ينتشر في البلدان الفقيرة التي لا يتمتع أفرادها بمستويات معيشية أو تعليمية جيدة، وبالتالي يغلب عليهم الجهل الذي نتج عن ضعف التحصيل، وهذا مؤشر كاف على الوقوع في فخ الغلو والتطرف.

وعليه كان: «من صفات المتطرف الظاهرة: سرعة الانفعال، والتوتر، وفورة العاطفة وهو غالباً سريع التصديق لما يسمع، ويسهل الاقتناع والاتباع لما يوجه إليه، وعلى الأخص إذا سمع القول أو جاء التوجيه ممن يطمئن إلى صدقه أو يعجب بمسلكه، ويقدر قربه من التصديق والوثوق يكون بعده عن القدرة على محاكمة الأفكار والمواقف، وتفحص المذاهب والمعتقدات وليس من طبيعة المتطرف التحليل والتعليل والموازنة»⁽²⁾.

وعلى هذا فإن الجانب الفكري في قضية التطرف يبقى من أشد الجوانب تأثيراً في الشخصية المتطرفة، حيث يجعل صاحبه حبيس أفكار ومعتقدات ولو كانت منحرفة، كل هذا يتم تحت ضغط الجماعة أو تلك الممارسات الفوقية التي يشعر معها بالرهبة والخوف من التحرر في طرح أفكاره، فيستमित في الدفاع عنها ليس عن قناعة وإنما إرضاء للجماعة أو خدمة للمذهب الذي ينتمي إليه، وقد ينتهي به المطاف إلى أن يلجأ في ذلك إلى كل أساليب العنف لنشرها بين الناس.

ثالثاً: على المستوى السلوكي

تعد هذه المرحلة من أخطر المراحل التي يمكن يصل إليها التطرف، إذ أنه لم يبق حبيس الفكر أو الوجدان وإنما خرج إلى العيان، فهنا ينعكس التطرف على مستوى السلوك، فتتحول تلك الاندفاعية النفسية دون التعقل أو إحكام للعقل إلى مستوى العنف، من خلال إرهاب الناس باستخدام شتى وسائل العنف اللفظية والمادية، وهذا النوع من السلوك هو الذي يهدد أمن واستقرار الدول والمجتمعات⁽³⁾.

(1) - محمود قنفودي، المرجع السابق.

(2) - راشد المبارك، المرجع السابق، ص 27.

(3) - محمود قنفودي، المرجع السابق.

الفصل الثاني: (التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته)

وعليه فإن تلك السلوكيات التي ترمز للعنف والتطرف إنما هي ترجمة فعلية للمراحل الأولى من التطرف، وبالتالي فإن كل مظاهر الإرهاب والعنف السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية على وجه الخصوص، نتاج ما تمر به تلك المجتمعات من أمراض نفسية وفكرية وأخلاقية، كما هي حصاد سنوات من التدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي...إخ

وعليه يمكن إجمال بعض المظاهر السلوكية لدى المتطرفين في الآتي:

- 1- التصلب في التعامل مع الآخر وترك المرونة واللين فغالبا ما ينجح المتطرف إلى الشدة.
- 2- عدم التحكم في النفس، أي فقدان التوازن في مختلف حالات الفرح أو الغضب، وهذا بخلاف الإنسان الناضج المعتدل في أفعاله وتصرفاته.
- 3- العنف في القول والفعل فغالبا ما تتسم أفعاله وأقواله بالعنف والعدوانية.
- 4- الجدل والمراء دون الحوار الهادف والهادئ، بأن يستخدم العنف والإكراه لإيصال الفكرة.
- 5- غياب الليونة والمرونة في التعاملات اليومية داخل الأسرة أو المجتمع، انطلاقا من خلفيته العدوانية تجاه محيطه.
- 6- إزدواجية الشخصية وهو محاولته إرضاء الطرفين وهما المجتمع وما يخالج نفسه من رغبات ونزوات⁽¹⁾.
ومنه فمعالجة التطرف لدى الفرد ينطلق من الجوانب النفسية والفكرية أولا، ولا يتخطاها إلى الردع المادي، الذي أثبت فشله بل زاد الوضع سوء، وهذا يستدعي أن يكون العمل مؤسسا ومنظما يحارب الفكر بالفكر، ويخلق بدائلًا عن الفكر المتطرف بفكر آخر وسطي ينهل من قيم العقيدة الإسلامية ومبادئها.

المطلب الثاني: أثر التطرف على المجتمع

أولا: انتشار ظاهرة العنف في المجتمع

⁽¹⁾ -علي الوردي، المرجع السابق، ص 18

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

من الطبيعي أن يلجأ الكثير من الشباب في العالم الإسلامي إلى العنف في ظل الظروف الخانقة كما مر معنا، باستخدام كل الوسائل المادية والمعنوية التي تصل إليها أيديهم وأفكارهم، لأجل توظيفها لصالحهم خاصة مع محاولة الكثير منهم بأن يصيغ ذلك بصيغة إسلامية، تحت شعار العقيدة والدين ليعطي أكبر تبرير على تطرفه وانحرافه⁽¹⁾

فعدم الفهم السليم لمواضع استخدام العنف الصحيحة في الإسلام، هو الذي أدى إلى تفاقم الصراع الذي يطحن شعوب الأمة الإسلامية، وأتمك قوى الأنظمة والصفوات الحاكمة والمعارضة، ولن يحل السلام وينجح الإصلاح في ديار الإسلام إلا إذا استقر مبدأ عدم مشروعية استخدام العنف في ضمير المجتمع المسلم وصفوته المعارضة، وبالتالي استبدال العنف بالوسائل التي شرعها الإسلام، تلك التي تقوم على السلمية والتشاور⁽²⁾.

يلخص نجيب محفوظ مدى سطوة العنف على مجتمعاتنا بقوله: « العنف كاد يصبح ظاهرة في حياتنا أجل، لا يخلو عصر أو مجتمع من عنف، ولكنه لم يكن ظاهرة تتكرر مع توالي الليل والنهار، وأنباء العنف لا تنقطع تسمع عنها في مجال السياسية في حكايات اغتيالات دامية، وفي مجال الأسرة تسمع عن قتل الأبناء للآباء أو الآباء للأبناء، وفي الشارع في المشاجرات الدامية لأسباب تستحق أو لا تستحق، وخطف الزوجات، والاعتداء على الأعراس والسراقات بالإكراه، وفي وسائل النقل، حيث يمارس القتل علنا وفي وسط الزحام، وطبعا نذكر ما يقع في المدارس بين التلاميذ والمربين، وما يحدث بين الأزواج...»⁽³⁾.

وبالنظر إلى الوطن العربي بلغة الأرقام في قضية العنف نجد مثلا أن قضية القتل العمدي وهي أقصى ما يصل إليه العنف والتطرف داخل المجتمع، في إحصائية قدمها مركز "أمان"، المركز العربي للمجتمع الآمن حيث قام بإحصاء لعدد الاغتيالات ما بين 2012/01/01 إلى 2018/05/20، فكان إجمالي عدد الضحايا هو 1263 ضحية، وهو رقم مخيف بالنظر إلى الكثافة السكانية في الوطن العربي، يدل على تنامي الظاهرة واستفحالها، هذا دون حساب ضحايا الحروب في مختلف الدول العربية، لأن ذلك شأن آخر يجعل الحصيلة ترتفع بأضعاف كثيرة⁽⁴⁾.

(1) _ عبد الحميد أحمد أو سليمان، المرجع السابق، ص 108.

(2) _ المرجع نفسه، ص 101، ص 102.

(3) _ نجيب محفوظ، حول التطرف والتدين، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م، ص 139.

(4) _ احصائيات ضحايا القتل في الوسط العربي من 2019/01/01 حتى يوم 02/05/2018، عن موقع:

aman.center.org، تاريخ الدخول 2019/07/15.

كل ذلك ينمي عن خطورة الوضع القائم في مجتمعنا العربي والإسلامي، مما يجتم علينا النظر في قضية التطرف بجدية، والبحث عن الحلول الممكنة في سبيل مواجهة الظاهرة والحد منها.

ثانياً: ظاهرة الإرهاب

• مفهوم الإرهاب

الإرهاب من الناحية اللغوية: مأخوذ من الفعل "رهب"، رهب بالكسر يرهب رهبة ورهباً بالتحريك، أي خاف، ورهب الشيء رهباً ورهبة: بمعنى خافه⁽¹⁾، وفي قوله عز وجل: ﴿وَأَسْرَهُبُوهُمْ﴾⁽²⁾، أي أربهوهم، أخافوهم، وعليه فالإرهاب في اللغة لفظ يقتضي الخوف والإخافة.

أما من الناحية الاصطلاحية فلفظ الإرهاب يأخذ عدة معاني حسب المجال الذي وجد فيه.

1- المفهوم الأخلاقي

أي أن الإرهاب: «شكل غير أخلاقي وغير قانوني وغير مبرر من الاستفزاز العنيف والتخويف لأسباب سياسية بصرف النظر عن يستعملونه وضد من يستعمل»⁽³⁾، فمن الجهة الأخلاقية، يعد الإرهاب تصرفاً خارجاً عن نطاق القيم والمبادئ الإنسانية، فهو عمل لا أخلاقي يخالف كل الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع.

2- المفهوم السياسي

إذ يعرف الإرهاب على أنه «نمط من العنف يلجأ إليه بصفة خاصة الخارجون على نظام الحكم أو المتمردون على السلطة أو الحزب الحاكم»⁽⁴⁾، أو هو «استعمال العنف بواسطة مجموعة قومية أو منظمة سرية من أجل الحصول على حقوق سياسية أو اجتماعية أو دينية، عندما يكون من هذا العنف تخويف العامة أو إثارة مشاعر المراقبين أو التأثير على سلوكيات ومواقف أعضاء المجتمع أكثر من كونه فعل يقصد به إلحاق خسائر أو الإيقاع بالضحايا»⁽⁵⁾.

(1) - ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 436، ص 437.

(2) - الأعراف: 116.

(3) - ماجد موريس ابراهيم، المرجع السابق، ص 26.

(4) - المرجع نفسه، ص 26.

(5) - ماجد موريس ابراهيم، المرجع السابق، ص 26.

ويعد هذا النوع من الإرهاب الأكثر شيوعا وانتشارا في العالمين العربي والإسلامي، إذ غالبا ما يحمل أصحابه فكرة التحرر أو استرجاع الحقوق أيا كان نوعها.

3- المفهوم الدولي للإرهاب: والذي يجعل منه: «أي عمل إرهابي تشترك فيه أكثر من دولة أو تتشابه فيه مصالح واهتمامات أكثر من طرف»⁽¹⁾، أو هو: «تلك الأعمال العنيفة التي تقوم بها الأنظمة الاستعمارية الدولية ضد الشعوب الفقيرة والمتخلفة من أجل تقويض نهضتها وحريتها، وسلب هويتها، إخضاعها للتبعية الغربية»⁽²⁾.

وهنا يخرج الإرهاب من نطاقه الضيق إلى دائرة أوسع تشمل إرهاب الدول والحكومات لا سيما الاستعمارية منها، ويعد هذا النوع من أخطر أنواع الإرهاب، إذ يعمل على تهديد أمن واستقرار دول بأكملها، كما حدث في القرن الماضي مع أغلب الدول العربية والإسلامية التي عانت من الإرهاب الغربي الذي سلط عليها وعلى مقدراتها، فكان سببا رئيسا في تخلفها وضعفها ولا تزال آثاره إلى اليوم.

والإرهاب قد يكون ماديا أو معنويا، فالمادي ما مر معنا في تلك التعاريف، أما المعنوي فهو ما يطلق عليه في عصرنا اسم الإرهاب الفكري، وهو لون من ألوان الإرهاب، وهو كما عرفه جلال الدين محمد صالح: «بأنه عدوان بشري يبني على أسس فكرية بهدف الحيلولة دون وعي الإنسان بالحقيقة المجردة، وذلك باستخدام شتى وسائل الضغط النفسي، والبدني، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي من أجل التحكم على إرادة الفرد والمجتمع الأهداف فكرية، أو دينية أو سياسية، أو اجتماعية، أو كل ذلك معا»⁽³⁾.

فالإرهاب الفكري يحتمي بقداسة الموروث الحضاري والديني للأمة الإسلامية، لا يعطي الحق الزائف في الوصاية على أفكار وعقول الآخرين وإبداعاتهم، ويعتبره المفكرون تهديدا حقيقيا للثقافة والإرث الحضاري للأمة⁽⁴⁾.

(1) - المرجع نفسه، ص 29.

(2) - أحمد رمضان محمد، الإرهاب الدولي وتداعياته على الزمن والسلم العالمي، دراسة تحليلية من منظور اجتماعي، مجلة أبحاث، كلية

التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 1، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل 2011/6/23.

(3) - جلال الدين محمد صالح، المرجع السابق، ص 27.

(4) - ماجد موريس ابراهيم، المرجع السابق، ص 89.

4- الفرق بين الإرهاب الظاهرة وبين المقاومة والجهاد

يعتبر الإسلام أن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق من أعلى درجات الإرهاب والترويع، ذلك أنه شدد على حرمة النفس البريئة، وجرم الاعتداء عليها، بل وحتى ترويعها ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾. إلا في حالات الدفاع عنها أو عن المال والعرض، فهو مما استثناه قال عليه الصلاة والسلام «من قتل دون ماله فهو شهيد»⁽²⁾.

فالغرب عن قصد يحاول أن يخلط بين القواعد التي جاء بها الإسلام التي تشجع لحق الدفاع عن النفس والمال والعرض، لتحقيق المقاصد العليا في الوجود، وبين الإرهاب الذي نهى عنه الإسلام وجرم من خلاله التعدي ليس فقط على المسلم بل على النفس الإنسانية عامة بغير وجه حق، فهو أراد بذلك أن يعترف الإسلام أمام العالم بأنه يدعو للإرهاب وأنه دين يقوم على الإرهاب، ويحل إزهاق الأرواح، ويبيح سفك الدماء وترويع الآمنين، وتخويف الناس، من خلال إنشائه لبعض الجماعات المتطرفة المتواجدة على الساحة الإسلامية، والترويج لأفعالها، حتى أصبح الإسلام عند الغرب أكبر عدو يحدق بهم، فأوهم الغرب شعوبه بأن الصراع قائم بين الإسلام والحضارة الغربية⁽³⁾.

ويجب التفريق بين الإرهاب والجهاد، كون الأول يتصف بالفوضى والهمجية والعنف بغرض الوصول إلى أغراض مختلفة، سواء كانت دينية أو دنيوية، دون مراعاة للضوابط الأخلاقية والإنسانية، بينما الجهاد في الشريعة الإسلامية يقوم على مراعاة الإنسانية، باحترام حقوق الإنسان والحيوان، وقد نصت الشريعة على احترام الأسير ﴿وَيُطْعَمُونَ وَالطَّعَامَ عَلَىٰ حِدِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾⁽⁴⁾، فلا يمكن التسوية بين العنف الذي يتصف به من يعتصب الأوطان، وينهب الثروات ويدنس المقدسات، وبين من يمارس حق الدفاع المشروع عن الوطن والنفس ضد كل مستعمر، وعليه فرقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بين الأعمال الإرهابية التي يمارسها الأفراد والجماعات، وبين حق تقرير المصير للشعوب التي تعيش تحت وطأة المستعمر، وهو ما أكدته مجمع الفقه

(1) _ المائدة: 32.

(2) _ أخرجه البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: من قاتل دون ماله، رقم: 2480، ج 3، ص 136

(3) _ على موسى الددا، المرجع السابق، ص 113.

(4) _ الإنسان: 8.

الفصل الثاني:التطرف جزوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته

الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي في دورته الرابعة عشرة 128 (2/14)، على أن الجهاد لأجل الدفاع عن العقيدة والوطن ليس إرهاباً، وإنما هو دفاع عن الحقوق⁽¹⁾.

وهذا ما حاول فعله المستعمر الذي بسط نفوذه على العالم الإسلامي في القرن الماضي أن يخلط بين الإرهاب والمقاومة، ذلك بأن يصف جميع حركات المقاومة التحريرية بالإرهاب على غرار الثورة الجزائرية، والفيتنامية وغيرها من الثورات التي قادتها الشعوب المستقرة ضد الاحتلال، ولكنه في نفس الوقت يفرق في التعامل بين الشعوب الإسلامية والغير إسلامية، فيكفي أن يصف هذه الأخيرة، بأن أعمالها أعمال عنف أو إرهاب دون المساس بعقيدها وخلفيتها الدينية، مثال ذلك ما تقوم به بعض المنظمات الكاثوليكية في أوروبا، التي تمارس أشكال من العنف والعدوان على المسيحيين البروتستانت، كمنظمة ETA² الإيرلندية الكاثوليكية في حين إذا تطرق إعلامه إلى الشعوب الإسلامية التي كانت تقاوم المحتل كالشعب الفلسطيني، فإنه يصفها انطلاقاً من الخلفية الإسلامية، وبالتالي فهو يرمى كل الإسلام بالتطرف والعنف⁽³⁾.

يتضح مما سبق أن هناك فروقا تفصل بين الإرهاب الظاهرة وبين حق المقاومة والدفاع عن الأوطان، ومنه يجب التفريق بين ما تقوم به تلك الحركات والجماعات تحت الغطاء الإسلامي من قتل وترويع، وبين ما تقوم به الشعوب في الدفاع عن نفسها ضد كل مستعمر أو معتدي على الأوطان والحرمان.

وعليه فما يتداول أنه في إطار الجهاد ممارسة يتجاذبه طرفان وكلاهما ذو نزعة متطرفة، فالأول الذي ينتهج النهج المتشدد الرفض للآخر مطلقاً أي كان انتماءه ودينه وهذا تمثله تلك الجماعات المتطرفة المتواجدة على الساحة الإسلامية، والتي تجنح إلى العنف في الغالب لأجل فرض أفكارها وأيديولوجياتها، والثاني الذي يجعل من كل مقاومة إرهاباً حتى ينزع منه القداسة والشرعية، وقد درج على وصف الحركات المقاومة والتحريرية في مختلف أنحاء العالم بالجماعات الإرهابية، وهذه محاولة منه لتضليل الرأي العام العالمي، وهذا يمثلته الغرب ومن حذا حذوه، وبين هذا وذاك هي الرؤية المعتدلة التي تنظر إلى هذه القضية من مختلف زواياها، واضحة مجموعة من الضوابط والأسس لقطع الطريق أمام التطرف والعنف.

(1) - محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، موقف الإسلام من الإرهاب، المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، التسامح في الحضارة الإسلامية، 8-11 ربيع الأول 1425 هـ الموافق لـ 2004/5/28م، القاهرة، ص 1174، 1175، 1176.

(2) - منظمة إسبانية مسلحة تشكلت من طلبة غاضبين سنة 1959م ثم تحولت إلى حركة انفصالية تتسم بالإرهاب والعنف تطالب بالاستقلال عن إسبانيا، قامت بالعديد من الأعمال الإرهابية على غرار الاعتداء على أملاك الدولة وترويع الناس وقتل المناوئين لهم، ناهيك عن التفجيرات في الأماكن العمومية، وقد أدرجت على لوائح المنظمات الإرهابية من قبل الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

تاريخ الدخول: 2021/09/22 <https://www.aljazeera.net>

(3) - عبد الحميد أحمد أبو سليمان، المرجع السابق، ص 112-113

ثالثاً: ظاهرة النفرق بين المسلمين

إن المتأمل في الساحة العربية والإسلامية ليجد أن من أهم الآثار التي خلفها التطرف هو ذلك الانقسام الداخلي في مجتمعاتنا، والمقصود بالانقسام تفتت كل بني المجتمع وركائزه السياسية والاجتماعية والدينية وحتى الجغرافية، وقد ازدادت حدة هذا الانقسام مع تزايد اعمال العنف والتطرف التي اجتاحت المنطقة تحت مختلف الشعارات الدينية والعرقية واللغوية...إلخ.

فالوحدة الوطنية من مقومات الأوطان، فهي تعمل على استقرارها وازدهارها وان اختلفت الأعراف والأجناس والديانات، فهي تعني انصهار كل المكونات الطائفية أو الدينية والعرقية تحت مظلة الوطن الواحد وهذا ما حرصت عليه العقيدة الإسلامية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (1)

فقد أصبحت أغلب الأوطان العربية والإسلامية في عصرنا الحاضر تعاني من التمزق الداخلي، بفعل اللعب على وتر الأعراف والقبائل والديانات، أو من خلال استخدام بعض المفاهيم التي تحاصر مفهوم الوحدة الوطنية، كالبدوي والحضري، أو المسلم وغير المسلم، أو سني وشيعي، فكل هذه الأمور تخلق روح الكراهية والتطرف، وتغذي ظاهرة القوي يأكل الضعيف، أو ما يعرف باسم "الأقلية والأغلبية"، فالولاء، للوطن هو قيمة إنسانية أكد عليها الاسلام ودعا إليها، وانتقد من أخل بها، وهو في عصرنا الحالي جنة من التمزق الذي يضرب جناب الأمة العربية والإسلامية (2).

يقول حسين توفيق إبراهيم بأن التطرف والعنف يزداد حدة «عندما تقترن الانقسامات السلالية واللغوية والدينية والطائفية ببعض التمايزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كأن تكون هناك جماعة دينية أو عرقية تستحوذ على السلطة، وتمتتع بوضع اقتصادي متميز، وتتمركز في منطقة جغرافية معينة وتعاني الحرمان الاقتصادي والاجتماعي، ومن هذا المنطلق يصبح الانتماء الديني أو الاثني هو الذي يحدد الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للفرد، وتتحول ولاءات الأفراد نحو طوائف وجماعات وكيانات دون الدولة، ويمكن أن تشكل هذه الكيانات تهديداً للدولة ذاتها، ويعتبر لبنان نموذجاً حياً لهذا الوضع» (3).

(1) -الحجرات: 13

(2) _ محمد عبد الفضل عبد الرحيم، الوحدة الوطنية وأثرها- نظرة دينية- <http://www.europarabct.com>، تاريخ الدخول: 2019/4/4

(3) _ حسين توفيق إبراهيم، المرجع السابق، ص 224.

فالتطرف والانقسام متلازمان فكلما ازدادت حدة التطرف والعنف في بلد ما، كان ذلك مؤشرا واضحا على الانقسام والتمزق الداخلي في الوطن الواحد، وهذا ما يمهد الأرضية إلى ظهور طوائف وجماعات سواء كانت سياسية أو عرقية أو دينية تهدد كيان الدولة والمجتمع.

وعليه فلا يمكن تحقيق الاستقرار إلا من خلال تحقيق الوحدة الإسلامية التي تجمع بين مختلف المكونات داخل الوطن الواحد، تحت مظلة القيم والمبادئ الإسلامية التي تنصهر فيها مختلف الفروق الفردية والجماعية، وهذا يحتم علينا العمل على القضاء على كل ما يهدد الوحدة ويدعو إلى الانقسام من أفكار وأيديولوجيات أيا كان مصدرها أو نوعها، وتكريس منهج الوسطية والاعتدال الذي من شأنه أن يدفع كل ما يهدد وحدة الأمة وأمنها.

الفصل الثالث:

أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورها في مواجهة قضايا التطرف

جامعة الأمير
العلوم الإسلامية

تمهيد

تمتلك العقيدة الإسلامية رصيداً من القيم والمبادئ، التي تشكل في مجملها صمام أمان أمام المخاطر المحدقة بالفرد والمجتمع، حيث إن هذه القيم بأبعادها المختلفة يتعدى نفعها ليشمل الإنسانية جمعاء، فهي تتماشى ومتطلبات الإنسان المادية والروحية والنفسية والحضارية... إلخ.

فالعقيدة الإسلامية لا تنتج إلا القيم والفضائل السامية فلا مجال فيها للذائل، مما يعكس قوة هذه العقيدة وقدرتها على إصلاح الإنسان، فعلى قدر ما تصح عقيدة الإنسان يصح معها سلوكه، ومنه كان التطرف نتيجة حتمية تعكس فساد عقيدة الإنسان أو بطلانها.

وعليه فإن علاقة العقيدة بالقيم والمبادئ علاقة إيمان، فالإنسان الذي يعقد قلبه على هذه العقيدة، فهو مؤمن بما جاءت به من القيم لأنها بالنسبة إليه المثل الأعلى، فكل العقائد الأخرى لها مثل تركز إليه، في حين أن العقيدة الإسلامية مثلها هو الإيمان بالله، وما ينتج عنه من قيم ومبادئ تحكم حياتنا⁽¹⁾.

يقول المودودي: «فالإسلام يثبت هذه العقيدة عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر في قلب الإنسان فكأنه بذلك يلقي في روعه حارساً من الشرطة الخلقية يدفعه إلى العمل ويحثه على الائتمار بأوامر الله - جلا وعلا- سواء عليه أكان في الخارج من الشرطة والمحكمة والسجن ما يحمله على القيام بها أم لا، وهذا الحارس الداخلي وهذا الوازع النفسي هو الذي يشد عضد قانون الإسلام الخلقى ويجعله نافذا بين الناس في حقيقة الأمر»⁽²⁾.

(1) _الربيع ميمون، المرجع السابق، ص 37، 38.

(2) _أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام، الدار السعودية، جدة، 1984م، ص 29.

المبحث الأول: البعد العقائدي-قيمة التوحيد وأثرها في حياة الإنسان-

المطلب الأول: التوحيد (المفهوم-القيمة)

أولاً: مفهوم التوحيد

• المعنى اللغوي

كلمة التوحيد مشتقة من الفعل "وحد" وله عدة دلالات، ففي الحساب يطلق على العدد واحد، كما يطلق على الرجل والمرأة فتقول: أحدهم أو احدهن⁽¹⁾.

والوحدة تعني الانفراد، ومنه الواحد، أو الأحد وهو من أسماء الله جلا وعلا، والتوحيد هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد: ذو الوجدانية والتوحد⁽²⁾.

فقولك وحد الله سبحانه: أقر وآمن بأنه واحد، أي قال: لا إله إلا الله، فوحده ولم يشرك به، فهو من الموحدين⁽³⁾.

ويعرفه الجرجاني بقوله: «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد»⁽⁴⁾. ومنه فالتوحيد في اللغة يراد به إفراد الشيء أي جعله واحداً، حكماً وعلماً، فتوحيد الله، هو إفراده بالعبادة، وهو مناف للشرك الذي يجعل مع الشيء إضافة أخرى، فيصير اثنان فأكثر، ويسمى صاحبه مشرك، كونه أشرك، وعليه فالشرك هو جعل الندية لله عز وجل، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»⁽⁵⁾.

• المعنى الاصطلاحي

للعلماء تعاريف عدة حول مفهوم التوحيد نذكر منها:

تعريف أبي حنيفة الذي يقول فيه أن الله تعالى: «واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا

(1) ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 446، ص 447.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 405.

(3) أحمد مختار عبد الحميد عمر، المرجع السابق، ج3، ص 2409.

(4) الجرجاني، المصدر السابق، ص 67.

(5) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: «فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم تعلمون»، رقم 4477، ج6، ص 18

شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعالية»⁽¹⁾.

ويعرفه أبو الحسن الأشعري فيقول: «وجملة قولنا: إنا نقر بالله، وملائكته وكتبه ورسوله، وما جاء به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد»⁽²⁾.

تعريف التهانوي: «هو لغة جعل شيء واحدا، وفي عبارة العلماء اعتقاد وحدانية تعالى وعند الصوفية معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد، وذلك بأن لا يحصر في شهوده غير الواحد جل جلاله....»⁽³⁾.

ويعرفه جميل صليبا فيقول هو: «مشتق من لفظين يونانيين (مونو) ومعناه الواحد و(تيوس) ومعناه الله، وحد الشيء جعله واحدا، ووحيد الله سبحانه أقر وآمن بأنه واحد، فالتوحيد إذن هو الإيمان بإله واحد لا شريك له»⁽⁴⁾.

من خلال هذه التعريفات يتضح لدينا أن معنى التوحيد هو إفراد الله بالعبادة والانقياد له بالطاعة، وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان بأن الله واحد لا شريك له

ثانيا: قيمة التوحيد في القرآن الكريم والسنة النبوية

• قيمة التوحيد في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم قيمة التوحيد وجعلها في قمة الهرم القيمي، إذ هي أساس دعوة الأنبياء والمرسلين فجعل آياته تتحدث عن قضية الإيمان بالله وتوحيده وتحذر من الشرك وعواقبه، فجعل سعادة الإنسانية واستقرارها في ظل عقيدة التوحيد.

(1) _ أبو حنيفة النعمان، الفقه الكبير، ط1، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، 1999م، ص 5.

(2) _ أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص 14.

(3) _ محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1996م، ج1، ص 528.

(4) _ جميل صليبا، المرجع السابق، ص 360.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها التطرف

يقول الشيخ مبارك المليبي: «إن القرآن العظيم يقص علينا في جلاء ووضوح أن أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه على قومهم الشرك ومظاهره، وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعثه خاتم النبيين ﷺ، فعنيت بالدعوة إلى التوحيد، والتحرر من الشرك والتحذير منه، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار البعثة وأركان الدين»⁽¹⁾.

وأكد هذا محمد رشيد رضا في تفسيره لسورة الفاتحة بقوله: «التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين، ولذلك لم يكتف في الفاتحة بمجرد الإشارة إليه بل استكملة بقوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التي كانت فاشية في جميع الأمم، وهي اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم الغيبة، ويدعون لذلك من دون الله، ويستعان بهم في قضاء الحوائج في الدنيا ويتقرب لهم إلى الله زلفى، وجميع ما في القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الإجمال»⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُهُ وَجِدَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَكَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَجِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَقَرَّبُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽⁵⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁽⁶⁾.

قال تعالى مبينا أن دعوة الأنبياء والمرسلين إنما هي قائمة على التوحيد ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ

(1) مبارك بن محمد المليبي، رسالة المشرك ومظاهره، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، ط1، دار الراجية، دع، 2001م، ص 44.

(2) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط2، دار المعرفة، بيروت، دت، ج1، ص 31.

(3) البقرة: 163.

(4) المائدة: 73.

(5) يوسف: 39.

(6) الكهف: 110.

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَتَتَلَوُا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ (1).

فكلمة التوحيد بهذا اللفظ لم تذكر في القرآن الكريم، وإنما وردت بما يقارنها من الألفاظ الأخرى، كالإيمان، والتصديق، والإتباع، والطاعة، والإسلام، وغيرها من المعاني التي تفيد التوحيد.

يقول ابن باديس: «ويجيء لفظ الإيمان في لسان الشرع مرادا به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر كله خيره وشره حلوه ومره، لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (2). وفي حديث جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ أخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره» (3)، ويجيء في لسان الشرع أيضا مرادا به الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال المبنية على التصديق واليقين...» (4).

وجملة القول أن القرآن الكريم لم يتناول التوحيد كقضية مجردة، أي تعنى بالإيمان والاعتقاد فقط، وإنما ربط بين عقيدة التوحيد وبين مقتضياتها في الفعل والضمير والحياة ربطا وثيقا، فيجعل الأثر على توحيد الله من ناحية التكليف للمسلم بأداء العبادة والتزام الشريعة، أو دعوته إلى التفكير والتأمل في الكون والحياة الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (116) (5)، فربط بين التوحيد وبين وظيفة الإنسان في هذا الوجود، من دعوته إلى التفكير والتأمل في خلق السموات والأرض، وهذا فيه دلالة على كماله العقلي الذي يؤهل للتفكير والتأمل (6).

(1) _ الرعد: 30.

(2) _ البقرة: 285.

(3) _ أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام وعلامة الساعة، رقم 1، ج 1، ص 36.

(4) _ عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ط 2، مكتبة الشركة الجزائرية،

الجزائر، دت، ص 50.

(5) _ البقرة: 164.

(6) _ فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، ص 89.

• قيمة التوحيد في السنة النبوية

على غرار القرآن الكريم فإن السنة النبوية تأتي في المقام الثاني من حيث الدعوة إلى التوحيد، فكما بينا من قبل أن دعوة الأنبياء والمرسلين كانت قائمة على إبراز قيمة التوحيد والدعوة إليها، والتحذير لمن خالفها ووقف في طريقها، كذلك كان الحال مع نبينا ﷺ.

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما لما بعث معاذ إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإن عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فتزد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق أموال الناس»⁽¹⁾.

قال ابن بطال: «أمر الله تعالى نبيه بدعاء العباد إلى دينه وتوحيده ففعل ما ألزمه من ذلك، فبلغ ما أمره بتبليغه وأنزل عليه ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

فقوله «فإن عرفوا ذلك» يدل على أن التوحيد لا يكفي فيه التصديق فقط وإنما يضاف إليه المعرفة أو العلم، فاليهود والنصارى وغيرهم من الملل الأخرى يظهرون العبادة لله ومعرفته، غير أنهم في الحقيقة ليسوا كذلك، لأن المعرفة بالله تنافي ما يدعيه اليهود والنصارى على الله من التجسيم والتشبيه، وادعاء الولد والشريك، ووصفه بما لا يليق، كل هذا يدل على عدم المعرفة⁽⁴⁾.

2- سئل النبي ﷺ عن أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها»⁽⁵⁾.

يبين الحديث أن أفضل الأعمال هو التوحيد، أي الإيمان بالله وحده، فصلاح كل شيء في هذا الوجود قائم على عقيدة الإيمان بالله وفساده مرده إلى الشرك بالله.

3- عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: 19، ج1، ص 51.

(2) _ الذاريات: 54.

(3) _ ابن بطال، المصدر السابق، ج10، ص 401.

(4) _ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، الكوكب الوهاج والروض البهجة في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط1، دار المنهاج، دار

طوق النجاة، دع، 2009م، ج2، ص 190

(5) _ أخرجه أحمد، رقم: 19010، ج31، ص 350.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية ودورها في مواجهة التطرف

شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»⁽¹⁾.

4- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»⁽²⁾.

دلت هذه النصوص النبوية على قيمة التوحيد تعد المنطلق الأول لكل القيم، كونها الركيزة الأساسية في الإصلاح، فلا قيمة للفضيلة أو الأخلاق بغير عقيدة صحيحة يقول سيد سابق: «لقد كانت تربية الرسول الله ﷺ للكتيبة الأولى بغرس عقيدة التوحيد في أنفسهم غرسا أثر ثماره في الجزيرة العربية، بل في آفاق الدنيا ولا تزال خطة رسول الله ﷺ هي الخطة المثلى التي لا يحل لنا أن نعدل عنها إلى غيرها، حتى تكون لنا العقائد الحقبة التي تدفعنا إلى مجد الحياة وشرف الآخرة»⁽³⁾.

المطلب الثاني: مقاصد القيمة التوحيدية ودورها في مواجهة التطرف

لا شك أن عقيدة التوحيد كما سبق أن بينا تمتاز بخصائص ومؤهلات تجعلها عقيدة متزنة تخاطب الإنسان من جمع جوانبه الفطرية، والروحية، والفكرية، فيؤثر ذلك على نفسية المسلم فيدفعه إلى التفكير السوي، والعاطفة الرشيدة، فلا يخالف بذلك مقتضيات الفطرة الإنسانية، فيصير إنسانا صالحا في نفسه مصلحا في غيره، يتمشى ومعطيات الوجود وما يحيط به، من غير إفراط ولا تفريط.

تنجس هذه المقاصد التوحيدية لتصب في بناء الإنسان المعتدل السوي، الذي يجمع بين سلامة الفطرة، وسداد الفكر والرأي، واستقامة السلوك، فهو بذلك يخاطب الفرد من جوانبه الثلاثة: العقل والفطرة والسلوك، بخلاف الأيديولوجيات والعقائد الأخرى التي اختل توازنها لخروجها عن المسار الصحيح الذي سطرته عقيدة التوحيد.

أولا: التأسيس العقدي للقيم والفضائل ودورها في مواجهة التطرف

فهو القاضي والحكم على كل الأعمال الظاهرة، ففسادها وبطلانها يدل على خلل في هذا

(1) - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم»، رقم: 3435، ج4، ص 165.

(2) - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة، رقم 26، ج1، ص 55.

(3) - السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، مكتبة الشركة الجزائرية، 1988م، ص 85.

التوحيد، وهو خلل في العقيدة كلها، فالتوحيد الصادر من القلب والخالى من جميع شوائب الشرك لا شك وأن تتبعه فضائل ومميزات، أهمها أن يستقل المؤمن في فكره، ويتحرر من عبوديته لغيره، فليس لأحد عليه سلطان⁽¹⁾.

يقول المودودي: «أما التوحيد ومن نتائجه اللازمة الحرية، فهو أن يعتمد الإنسان كل ما سوى الله في هذا الكون متجردا من هذه الصفات، وينكر لأي مخلوق بشرا كان أم غيره حقه في السلطة المطلقة وحكمه اللانهايي»⁽²⁾.

لذا فإن معظم الآيات القرآنية التي تبرهن على صحة عقيدة التوحيد، تخاطب العقل بالدليل والبرهان، دون أن تقيده من التقدم نحو التفكير السليم السوي الذي يوصله إلى هذه العقيدة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁽³⁾.

ثانيا: البعد الفطري لعقيدة التوحيد

من مقتضيات عقيدة التوحيد، أنها عقيدة تتماشى مع الفطرة ولا تخالفها «فالفطرة البشرية كما أنشأها الله عز وجل محكومة بذلك الناموس الذي تصرفه المشيئة الإلهية، وهو ناموس التوحيد، فهي تدركه بطبيعتها، لأنه مستقر في صميمها، وهي تتجه وفق مقتضاه، وتتصرف بما يوحي إذا عريت عن التشويه والخلل، ولم تفسد بفعل الأهواء العارضة»⁽⁴⁾، ﴿فَأَقْرَعْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾⁽⁵⁾.

ثالثا: التأسيس للمنهج الصحيح في التفكير والسلوك

فلا يجيد المسلم إلى أحد الطرفين، إفراط أو تفريط، فهو يوضح منهج الحياة الصحيح ويعمق جذور التفكير العقلي السديد ووحدة التفكير، ووحدة النفس، ووحدة الصبغة الإنسانية، فهو أساس

(1) _عفيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، ط27، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م، ص 93-94.

(2) _أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1985م، ص 125.

(3) _الأنبياء: 22.

(4) _عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط15، مؤسسة الرسالة، دع، 2004م، ص 61.

(5) _الروم: 30.

الوحدة والاتفاق بين المسلمين، من منطلق توحيد أفكارهم ومنابعهم وأهدافهم⁽¹⁾.

وفي ذات السياق يقول عمر الخطيب: «ولو عاد البشر إلى واحة الإيمان الحق، وعاشوا في ظل التوحيد الوارف الندي، لا اختفى ما يعانونه من هذا الشقاء المدمر، والواقع النكد، والفراغ الخطير.. ذلك أن الرجوع إلى منهج الله وحكمه القويم وشرعة الحكيم، يرد كل شيء إلى أصول ثابتة، وقواعد خيرة وموازن عادلة، وبذلك وحده ينتهي التصادم والانقسام، وتتأسق حياة الإنسان مع سنن الله في الكون، وفطرته التي فطر الناس عليها...»⁽²⁾.

رابعا: المقصد الإنساني والحضاري لعقيدة التوحيد

فهي لا تقصي أحدا رغب الدخول إليها أو العيش تحت ظلها، أو بجوارها «فالغاية التي انتهى إليها العلماء في دراساتهم، تلك هي رسالة الإنسانية والعقيدة التي تجمع بين الأمم في نطاق من التعاون والتحابب حيث لا ظلم ولا إحداد ولابغي ولا فساد في الأرض، إن رسالة التوحيد ستظل تؤتي أكلها خيرا وبركة ورقيا للإنسانية فوق هذه الأرض كي تأوي إلى جناب الله فتجد أمنها وسلامها وتسمع نداء الله لها «فماذا بعد الحق إلا الضلال»⁽³⁾»⁽⁴⁾.

كما تقوم على الإيمان بالله الواحد ونبوة محمد ﷺ والحياة بعد الموت، ووحدة النظر إلى الظواهر الكونية المعبرة عن القدرة الإلهية، والإيمان بقيم الإسلام ومثله العليا، كل هذا وإن اختلف المسلمون في مدى الالتزام إلا أنه يعد قدرا مشتركا بين المجتمعات الإسلامية على مر العصور فقد حافظت على صورته الظاهرية وإن تباينت هذه الصورة من زمن إلى زمن، أو من مكان إلى مكان آخر، ثم ينشأ عن هذه الوحدة العقائدية المتمثلة في عقيدة التوحيد وحدة حضارية، ناشئة عن الأحكام والتعاليم والأخلاق التي جاء بها الإسلام، وإن تعددت واختلفت طبائع الشعوب وعاداتهم وانتماءاتهم إلى أنه تجمعهم حضارة متميزة بعقيدتها التي تدعو إلى المساواة بين أفرادها، في دائرة الأخلاق والمنهج التربوي الذي جاء به الإسلام⁽⁵⁾.

(1) _فؤاد محسن الراوي، الفكرة الإسلامية في مواجهة الفكر الغربي، ط1، دار المأمون، 2000م، ص 89-94.

(2) _عمر عودة الخطيب، المرجع السابق، ص 310.

(3) _يونس: 32.

(4) _محمد عللوة، عالمية الإسلام وقضايا العصر، ص 29.

(5) _أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 102، ص 103.

المبحث الثاني: البعد السلوكي- أثر الوسطية والاعتدال في علاج مشكلات السلوك

الإنساني-

يعد البعد الأخلاقي من الأبعاد التي تعالجها قيم العقيدة الإسلامية في الإنسان، وذلك بتهديب سلوكه وفق مقتضيات هذه القيم، لهذا كان الجانب الأخلاقي في الإسلام متصلاً بالعقيدة الإسلامية، فهو جزء منها بخلاف العقائد والمذاهب الأخرى يقول أنور الجندي: «والأخلاق في الإسلام تختلف عن مفهوم الفلسفات التي سيطرت على بعض الأديان والمذاهب، فهي ليست نظرية وليست منفصلة عن العقيدة، فهي تستمد وجودها من الإيمان بالله ومن الترابط بينها وبين المعاملة والشرعية»⁽¹⁾.

ويتميز الجانب الأخلاقي والسلوكي في العقيدة الإسلامية بمنهج الوسطي، فبناء أخلاق الفرد على يكون وفق خط مستقيم بعيد عن الغلو والتطرف، وعلى هذا كانت الوسطية من أهم القيم التي ينبغي بعثها في السلوك الإنساني عامة وسلوك المسلم على وجه الخصوص، وهذا لأجل حماية الإنسان من مختلف المؤثرات الخارجية التي تؤثر على سلوكه.

فالوسطية هي أهم ما ميز الحضارة الإسلامية عن بقية الحضارات الأخرى كونها ليست حبيسة ترف فكري أو تنظير معرفي، وإنما هي منهج حياة للمسلمين منذ بعثته عليه الصلاة والسلام إلى تأسيسه للدولة الإسلامية بالمدينة، على أسس من الوسطية والاعتدال، وزرعه قيم التعايش بين أفراد المسلمين وغير المسلمين تحت مظلة الحكم الإسلامي بالمدينة⁽²⁾.

المطلب الأول: الوسطية (المفهوم-القيمة)

أولاً: مفهوم الوسطية

• المعنى اللغوي

الوسطية في اللغة مأخوذة من الفعل الماضي الثلاثي "وسط"، والوسط من الشيء معناه: ما بين

طرفيه⁽³⁾، يقول الشاعر:

(1) _ أنور الجندي، شبهات في الفكر الإسلامي، دط، الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات، 1984م، ص 54.

(2) _ جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1992 ص 178، ص 183.

(3) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص 426.

إذا رحلتُ فاجعلوني وسطاً إني كبير لا لأطيق العُنْداً⁽¹⁾.

ومنه قولك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار، والوسط يأتي بمعنى أفضل الشيء وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه⁽²⁾.

وفي الحديث: «خيار الأمور أوساطها»⁽³⁾، أي: ما كان مجاناً للإفراط أو التفريط. فالوسطية في اللغة بمعنى الوسط، أو منتصف الشيء، كما يراد بها أفضل الأمور وأحسنها، وعليه جاء مدح القرآن لكل ما هو وسط ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁴ فدل هذا على أن التوسط في الأشياء هو منهج محمود ارتضاه الإسلام.

• المعنى الاصطلاحي

يعرف أحمد الشرباصي الوسطية بأنها تفيد معنى الخيرية والعدالة، فالتوسط خلق عظيم وفضيلة من الفضائل التي جاء بها الإسلام، وهي بمعنى مجانبة الإفراط والتفريط في كل شيء، في مجال الأخلاق، أو العبادات، أو حتى مجال العادات⁽⁵⁾.

فالوسطية خلق وقيمة من القيم التي جاء بها الإسلام، كما تعد منهجاً في التفكير والتعامل، فالوسطية في الإسلام لها عدة مجالات، في العقيدة والأخلاق والعبادة وغيرها.

يقول جمال الدين محمد محمود في كتابه "أصول المجتمع الإسلامي": «وقد سيطرت الوسطية الإسلامية على التفكير الإسلامي في مجالات العقيدة، والأخلاق والتشريع، ونعني بذلك أن علماء المسلمين وازنوا في بحث كل هذه المجالات بين العقل والنقل، وبين الواقع والمثل العليا، وبين الغايات والوسائل...»⁽⁶⁾.

(1) _ الرجز بلا نسبة في لسان العرب، وتاج العروس وجمهرة اللغة، دامليل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية، ط1، دار الكتب العلمية، دع، 1996م، ج9، ص388.

(2) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص426.

(3) _ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: 6176، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، ط1، مكتب الرشد الرياض، 2003م، ج8، ص518.

⁴ الفرقان: 67

(5) _ احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ط3، دار الرشد العربي، بيروت، 1687م، ج2، ص99.

(6) _ جمال الدين محمد محمود، المرجع السابق، ص186.

ثانيا: قيمة الوسطية (تأسيس القرآن الكريم والسنة النبوية للوسطية ونبذ الغلو والتطرف)

• دعوة القرآن الكريم إلى الوسطية

ذكرت الوسطية في القرآن الكريم في العديد من المواضع تشير في مجملها إلى الاعتدال والتوازن
أولا: أكد القرآن الكريم على أن الوسطية خاصية من خصائص الأمة الإسلامية التي تميزها عن
غيرها من الأمم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾⁽¹⁾.

ثانيا: جاءت بمعنى الاعتدال في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا ﴾⁽²⁾، وفي قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾⁽³⁾.

يقول الثعالبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: عدولا روى ذلك عن
رسول الله ﷺ، وتضافرت به عبارات المفسرين، والوسط الخيار، والأعلى من الشيء، وواسطة القلادة
أنفس حجر فيها، ومنه قوله تعالى: « قال أوسطهم »⁽⁴⁾.

ويذكر صاحب تفسير "المنار" محمد رشيد رضا في معنى الوسطية فيقول: «أن الناس كانوا قبل
ظهور الإسلام على قسمين، قسم تقضي عليه المادية المحضة فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية كاليهود
والمشركين، وقسم تقضي عليه تقاليد الروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية،
كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات، أما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها
في دينها بين الحقين حق الروح وحق الجسد، فهي روحانية جثمانية، وإن شئت قلت إنه أعطاهما جميع
حقوق الإنسانية»⁽⁵⁾.

(1) _البقرة: 143.

(2) _الفرقان: 67.

(3) _الإسراء: 29.

(4) _عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ج1، ص 141-

142.

(5) _محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج2، ص

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

فمعالم الوسطية في القرآن الكريم تتحدد من خلال ذكره للنقيضين، ثم الحديث عن الكمال الذي يقتضي الاعتدال والاعتزان، كالحديث عن الدنيا والآخرة، والنعيم والعذاب، والروح والجسد، الليل والنهار، الخوف والرجاء، وغير ذلك من المعاني التي يسوقها القرآن الكريم بغرض إظهار معاني الكمال والانسجام في العقيدة والدين الإسلامي⁽¹⁾.

ثالثا: تعددت أبعاد الوسطية في القرآن الكريم لتشمل عدة مجالات:

- مجال الاعتقاد قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁽²⁾، وهذه دعوة صريحة لأهل الكتاب إلى التحلي بالوسطية وترك الغلو الذي يحجبهم عن الحق .
 - في مجال الأخلاق والسلوك: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽³⁾.
 - وفي مجال التشريع: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾⁽⁴⁾ (١١٦).
- وهكذا نجد أن الوسطية في القرآن تؤسس لبناء النفس الإنسانية المؤمنة المعتدلة⁽⁵⁾.

• تأسيس السنة النبوية للمنهج الوسطي

لقد جسد النبي ﷺ في حياته منهج الوسطية والاعتدال بكل أبعاده، ذلك أنه عمل على ترسيخ قيمها في نفوس أصحابه خاصة والمسلمين عامة، فإذا تتبعنا سيرته العطرة نجد أنها جادت علينا بكل صور الوسطية والاعتدال، قولا وعملا وتقريراً، فقد أسس عليه الصلاة والسلام للوسطية في جميع المجالات، في مجال العقيدة والتعبد، والتعامل، وغيرها من المجالات، حتى صارت الوسطية تمثل منهج حياة، فلا مجال إلى السعادة ولا استقرار إلا في ظلها.

وقد تضافرت نصوص السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية على ترسيخ هذا المنهج والدعوة إليه كنقطة ارتكاز يعتمد عليها المسلم في تقويم أخلاقه وتهذيبها.

(1) _ جمال الدين محمد محمود، المرجع السابق، ص 175-176.

(2) _ النساء: 171.

(3) _ الفرقان: 67.

(4) _ النحل: 126.

(5) _ جمال الدين محمد محمود، المرجع السابق، ص 176-177.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن النبي ﷺ أتى بجفنة أو قال: قصعة من ثريد فقال: «كلوا من حافاتها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها»⁽¹⁾، وهذا يدل على أن التوسط في الأشياء يورث الخير والبركة، فيأتي بالنفع على الفرد في الدين والدنيا.

2- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم: أي رب، فيقول لأمته هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا نبي، فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته فشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾⁽²⁾.⁽³⁾

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع»⁽⁴⁾.

من خلال حديث أبي هريرة رضي الله عنه نجد أن مجال التعبد من المجالات التي دعا فيها النبي ﷺ إلى الوسطية، فإن للنفس حقها وحظها من الراحة، وأن من كمال هيئة العبادة مراعاة أحوال النفس الإنسانية.

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سدّدوا وقاربوا واغدّوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»⁽⁵⁾.

وهنا يشير عليه الصلاة والسلام إلى مصطلح "القصد"، وهو التوسط والاعتدال في شتى المجالات، فلا إفراط ولا تفريط، فربط بلوغ المنزلة الرفيعة بالقصد والتوسط، وهو قوله: سدّدوا وقاربوا.

(1) _أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام، رقم 1805، ج4، ص 260.

(2) _البقرة: 143.

(3) _أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: «إنا أرسلنا نوحا إلى قومه» رقم 3339، ج4، ص 134.

(4) _أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، رقم

787، ج1، ص 543.

(5) _أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم 6463، ج8، ص 98.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تطرف

5- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر فقال عليه الصلاة والسلام: «لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»⁽¹⁾.

وهذا الأخير من أفضل الأحاديث الداعية إلى الوسطية بمفهومها الشامل، عبادة وعادة، فلا مجال في الإسلام للتطرف في جميع الأحوال الدينية كانت أو دنيوية. ومنه فإن «الشرع الإسلامي وسط في أحكامه وأنظمتة القانونية والاجتماعية، بما في ذلك المجالات الأسرية والمدنية والجنائية والدولية»⁽²⁾.

المطلب الثاني: تفعيل قيمة الوسطية في مجالات الحياة لمواجهة التطرف

أولاً: دور العقيدة الإسلامية في التأسيس للوسطية

لاشك أن قيمة الوسطية والاعتدال مستمدة من وسطية العقيدة واعتدالها، وهذا منهج متبع في جميع أركان العقيدة الإسلامية وأصولها، بدءاً بالالهوية حيث تأتي العقيدة الإسلامية وسطاً بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله وبين المشركين الذين يعددون الآلهة وينفون الوحدانية، وفي الإيمان بالغيب وسط بين المسرفين في الاعتقاد بالأرواح واستحضارها والتعامل معها، وبين الماديين المنكرين لكل ما ليس بمحسوس، وفي باب النبوة نجد أن العقيدة الإسلامية سلكت المنهج الوسط، فلا هي تجعل الأنبياء في مقام الآلهة كحال النصراني، ولم تنزل بهم عن مستواهم ومكانتهم فتجعلهم في مقام السفلة من الناس كما هو صنيع اليهود، وهكذا نجد أن منهج الوسطية ظاهر في العقيدة الإسلامية، وبأسطى نفوذه على جميع أركانها وأسسها، ومنه يستمد الإسلام قيمة الوسطية والاعتدال في مقابل التطرف المنبوذ، كخلق واقعي وفعال، يعبر عن المنهج الذي جاءت به وقررت العقيدة الإسلامية دون غيرها من العقائد الأخرى⁽³⁾.

فالمأمل في القرآن الكريم ليجد أن الأنبياء والرسل دينهم واحد ودعوتهم واحدة، ألا وهي الدعوة

(1) - أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم 5063، ج7، ص2.

(2) - محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2007م، ص189.

(3) - عبد الغني حيدر فارح، لغة القرآن والتواصل الحضاري في ضوء العقيدة الإسلامية، رؤية مستقبلية، كلية التربية، جامعة صنعاء، مجلة جامعة الناصر، العدد الثاني، يوليو، ديسمبر، 2013، ص96.

إلى توحيد الله على مر الأزمنة والعصور: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽¹⁾، وعلى هذا مضى المسلمون منذ بعثة النبي ﷺ على توحيد الله، ووصفه بكل صفات الكمال والإجلال والتنزيه، فالأمة الإسلامية وسط في توحيد الله والإيمان بين تشبيه اليهود الذين أفرطوا في وصف الذات الإلهية بصفات البشر، فنسبوا لها أشنع وأقبح الأوصاف: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعَى اللَّهُ مَعْلُوتًا﴾⁽²⁾، وكما جاء في توراتهم المحرفة إن الله ينام ويتصارع تعالى الله عن ذلك، وبين ما جاءت به العقيدة النصرانية التي نسبت إلى الله الولد وأشركت معه في ملكه وحكمه ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾⁽³⁾، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾⁽⁴⁾، كل هذا جاء الإسلام ليرده وينكره على أصحابه ومدعيه، فجاء بالعقيدة الوسط بين أولئك وأولئك، فلا إفراط ولا تفريط، فكانت العقيدة الإسلامية مقرة وشاهده على ما جاء به الأنبياء والمرسلين من قبل، كما هي شهادة ومكذبة قول المحرفين والمبطلين⁽⁵⁾.

وعليه فإن العقيدة الإسلامية جاءت لتكرس منهج الوسطية والاعتدال، وتمنع التطرف والغلو، فكل ما أنتجته العقائد الأخرى من انحرافات، إنما هو نتيجة البعد عن وسطية العقيدة التي تعني الحنيفية السمحة، ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾⁽⁶⁾، فجميع العقائد المنحرفة اختلفت في أصولها عن العقيدة الأم وهي ملة إبراهيم التي ينتسب إليها جميع الأنبياء والرسل، فكان الغلو والتطرف من نتائج هذا الاختلاف.

ثانيا: مجالات الوسطية التي أسست لها العقيدة الإسلامية

• المجال التعبدي

لقد جاء الإسلام ليقرر منهجا وسطا في العبادة، يختلف عن المناهج السابقة والتي تقوم إما على الجفاء وتقديس المادة كما هو حال اليهود في تصورهم لمفهوم العبادة، حيث يعتبرونها لا تحقق إلا

(1) آل عمران: 19.

(2) المائدة: 64.

(3) التوبة: 30.

(4) المائدة: 73.

(5) علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، دط، دع، دت، ص 203-204.

(6) البقرة: 130.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها (التطرف

الغرض الديني، فلا يعمل الشخص إلا لتحقيق كسب عاجل، أو خوفا من عقوبة عاجلة ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾⁽¹⁾.

وقد رفض الإسلام في المقابل ذلك المنهج القائم على الروحانيات، وتمجيدها وإعلائها على حساب العقل والعلم، وقد أغرقت النصارى في هذا المنهج، وهو ما يتمثل في الغلو والرهينة التي حذر منها القرآن ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾⁽²⁾، فكان الإسلام في تحقيق العبودية وسطا بين هذين المنهجين لا إفراط ولا تفريط⁽³⁾.

فقد راعى الإسلام كل جوانب الوسطية في العبادة، فهي لا تتجاوز طاقة المكلف أو تتعدها، فهي دائما تأتي على حسب قدرته، وتراعي كل جوانب الإنسانية فيه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽⁴⁾.⁽⁵⁾

كما راعى ذلك التوافق الدقيق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، حيث جعل الإسلام العمل للدنيا مسخرا للوصول إلى الآخرة، من غير إفراط ولا تفريط، اعلم لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، وقال سبحانه وتعالى مخبرا عن تصرف قارون، وإفراطه في الإقبال على الدنيا دون مراعاة للآخرة «وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁶⁾، فأمره بالتلطف بين إقباله على الدنيا دون ترك الآخرة⁽⁷⁾.

وعليه فالعبادة في الإسلام مفهوم يقتضي الجمع بين المادة والروح، وذلك أن فطرة الإنسان التي تعني تركيبه من جسد وروح، وكل من الجسد والروح له مطالبه، لذا فقد انتزع الإسلام الناس من جوامع

(1) _ البقرة: 96.

(2) _ الحديد: 27.

(3) _ على محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 381-382.

(4) _ البقرة: 185.

(5) _ فؤاد خدرجي العقلي، المرجع السابق، ص 1439.

(6) _ القصص: 77.

(7) _ فؤاد خدرجي العقلي، المرجع السابق، ص 1441.

الرهينة والانعزالية والتفوق داخل الأديرة والكهوف، كما انتشلهم من جحيم المادية الجارحة وطغيان الجسدية البهيمية المستكلبة، فإذا كانت الرهينة والانعزالية عن المشاركة الإيجابية الجادة في شؤون الحياة قد مضى زمانها، وأصبحت الآن لا تشكل خطورة تهدد سير الجماعة البشرية في طريقها الصحيح، فإن هناك طرف آخر من طريقي الانحراف عن الجادة، وهو طرف المادية والانهماك الجشع في ملذات الحياة وشهواتها، حتى ينسى الإنسان ربه، ويغفل عن الله وعبادته ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (1). (2).

• المجال التشريعي

أما في مجال التشريع فإن الإسلام لم يجعل الفرد أو الجماعة يعيش مكرها تحت الأوامر والنواهي التي جاء بها التشريع الإسلامي، كما لم يجعل له حق التصرف وفقا للضمير والمشاعر، بل نسق بين هذا وذاك، حيث رفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهديب وطهر القلوب والنفوس وهبأها لتلقي الأوامر، فتارة يردع بالأوامر والنواهي وأخرى يفسح فيها المجال لإعمال القلب والضمير (3).

فقد جعل الإسلام لكل من الفرد والجماعة حقوقا وواجبات، فلم يبلغ شخصية الفرد ومقوماته حتى يدوب في الجماعة دون حرية رأي أو فكر، كما لم يجعله فردا منطويا ومنغلقا على ذاته، حيث لا هم له إلا ذاته، بل جعله فعالا في نفسه ومجتمعه و وطنه (4).

وعليه فالتشريع الإسلامي جاء ليوافق العقل والروح والجسد، فكل تلك الأوامر والنواهي جاءت منسجمة مع قدرة عقل الإنسان وروحه وجسده، فالتشريع الإسلامي جاء وسطا بين التشريعات الأخرى، التي غلب عليها التنطع والغلو، لذا كان القرآن واضحا في دعوته إلى الوسطية ومجانبة غلو اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿لَنْ كُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (5)، فهم يشهدون على الأمم الأخرى بأنهم خرجوا عن حد الاعتدال، فيشهدون على هؤلاء وهؤلاء، ذلك أن الإسلام الذي حباها الله به،

(1) _يونس: 7.

(2) _فؤاد خدرجي العقلي، المرجع السابق، ص 1442-1443.

(3) _عبد الرحمن النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، ط1، دار الفكر، دمشق، 2006، ص 59.

(4) _ المرجع نفسه، ص 59-60.

(5) _البقرة: 143.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها (التطرف

فيه من الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال، والرقي المادي والروحي، الذي يجعل هذه الأمة أعدل وأوسط الأمم⁽¹⁾.

والخلاصة أن الوسطية من مقومات الأمة الإسلامية، فالإسلام يقوم على هذه القيمة نهجا وحضارة، يقول فؤاد محسن الراوي: « والفكر الإسلامي في توازنه ووسطيته يكون بعيدا عن التطرف من ناحية الحمود والانطلاق غير المنتظم... وهو تطور وثبات في نفس الوقت والحضارة تقوم على أساس من الفكر الإسلامي الذي يستمد مقوماته من القرآن الكريم فأول مقومات الحضارة الإسلامية الجوهرية أنها تستمد من الإسلام وعقيدة التوحيد التي تقوم على الموازنة بين الروح والمادة، والعلم والدين، والقلب والعقل، والدنيا والآخرة، ويقوم نظامها السياسي على الشورى والمساواة واحترام حقوق الإنسان»⁽²⁾.

• المجال الأخلاقي

إن الأخلاق كان لها في المنهج الرباني أهمية كبرى، فصاغها على وفق اتجاهه في الاعتقاد، وبنائها على أساس الحقيقة الكبرى للكون والحياة، وغاية الجنس البشري ومآله، ومهمة وجوده من حيث هو خليفة في الأرض، يقيم فيها شريعة الله ومنهاجه³.

ولقد جاءت الأخلاق في هذا المنهاج على أسنى درجات السمو والارتقاء، ذلك لارتباطها بالعقيدة كونها تعبر عن الصلة بين العبد وخالقه، فالخالق هو المثل الأعلى للمؤمنين في سلوكهم، إذ أن جميع القيم والأخلاق التي يلتزم بها المؤمن صادرة عن الله عز وجل، فالحلم والود والرحمة والعدل وغيرها من الفضائل هي صفات للباري، وعلى هذا فالتزام العبد بها دلالة على قوة الإيمان⁴.

فالعقيدة الإسلامية وسط في باب الأخلاق، فهي توازن بين غلاة المثاليين الذين جعلوا الإنسان ملاكا فحملوه أكثر من طاقته، وبين الواقعيين الذين نزلوا به إلى درجة الحيوان فأرادوا له من السلوك ما لا يليق، فكانت نظرة القرآن وسط بين الطرفين، إذ صورت الإنسان بما أودع فيه من العقل، والشهوة،

(1) _ أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ج2، ص 100، ص 102، ص 103.

(2) _ فؤاد محسن الراوي، المرجع السابق، ص 98.

³ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 438

⁴ المرجع نفسه، ص 439

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

والغريزة، فهو يجمع بين الروح والمادة وقد هياً بفطرته ليسلك أحد السبيلين¹.

ولتكريس قيمة الوسطية في مجال الأخلاق نجد أن القرآن الكريم في خطابه غالباً ما يذكر في هذا الباب الخلق ونقيضه، ثم يبين المنهج الوسط في ذلك قال تعالى: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً² فبين أن الوسط بين هذا وذاك، وفي وصية لقمان لابنه واقصد في مشيك³ وغيرها من الآيات التي ترسخ قيمة الوسطية في مجال الأخلاق.

(1)- محمد علي الصلاحي، المرجع السابق، ص 448

(2)- الفرقان: 67

(3)- لقمان: 19

المبحث الثالث: البعد المعرفي-قيمة العلم ودورها في علاج ومواجهة التطرف-

المطلب الأول: العلم (المفهوم-القيمة)

أولاً: مفهوم العلم

• المعنى اللغوي

العلم لفظ مأخوذ من المصدر "علم"، وهو الفعل الماضي الثلاثي فتقول: علمت الشيء أعلمه علماً: أي عرفته، فالعلم يأتي بمعنى المعرفة بالشيء، وجمع عالم، علماء⁽¹⁾.
والعلم صفة من صفات الله عز وجل، فهو الخلاق العليم⁽²⁾.
والعلم نقيض الجهل، تعلمت الشيء: أي أخذته، أو علمته⁽³⁾.
تقول رجل عالم: من قوم علماء وعالمين، وأعلام القوم ساداتهم ومعالم الدين: دلائله وكذلك معالم الطريق، والواحد معلم⁽⁴⁾.
ويقال أيضاً: رجل علامة إذا كان ذا علم غزير، والهاء للمبالغة، مثل: نسابة وما أشبهه، والمعلوم: ما أدركه علمك⁽⁵⁾.

فالعلم في اللغة يراد به المعرفة والإدراك فهو معرفة الشيء أو إدراكه على ما هو عليه، غير أن معناه يختلف إذا كان وصفاً لله عز وجل، فلا يراد به العلم المسبوق بجهل وإنما هو صفة من صفاته.

• المعنى الاصطلاحي

لقد عرّف العلم من الناحية الاصطلاحية بعدة تعاريف نذكر أهمها:
تعريف الجرجاني: الذي يعرف العلم على أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وهو أيضاً عند الحكماء: حصول صورة الشيء في الفعل ويراد به أيضاً: إدراك الشيء على ما هو به⁽⁶⁾.

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص 417.

(2) _ المصدر نفسه، ج12، ص 416.

(3) _ أحمد ابن فارس القزويني، المصدر السابق، ص 624.

(4) _ أبو بكر بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج2، ص 948.

(5) _ المصدر نفسه، ج2، ص 948.

(6) _ الجرجاني، المصدر السابق، ص 137، 138.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

وهنا قيد العلم بثلاثة شروط وهي: الاعتقاد، فالعلم اعتقاد يستقر في القلب، ثم القيد الثاني: وهو الجزم فلا يقبل الشك أو الريب، وأن يكون مطابقا للواقع.

تعريف التهانوي: الذي يرى فيه أن العلم يطلق على ثلاثة معاني: على التصديق بالمسائل، كما يطلق على نفس المسائل، ويراد به أيضا الملكة الحاصلة منها⁽¹⁾، فالعلم يجمع كل هذه المعاني، إما تصديق بالشيء، أو هو ذات الشيء، أو الفائدة المرجوة من الشيء، فكلها تصب في العلم والمعرفة.

تعريف القاضي عبد النبي الأحمد نكري: «والعلم بكسر الأول وسكون اللام مصدر علم يعلم في اللغة بالفارسية (دانستن) ثم إنه قد يطلق على ما هو مبدأ انكشاف المعلوم وقد يطلق على ما به يصير الشيء منكشفاً على العالم بالفعل...»⁽²⁾.

ويعرفه المناوي بأنه: «الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع إذ هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أخص»⁽³⁾.

ويعرفه جميل صليبياً بأنه: الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، يقينياً كان أو غير يقيني⁽⁴⁾.

فالعلم بهذا المفهوم يخالف التعريفات السابقة إذ لا يشترط الجزم ومطابقة الواقع، وإنما هو الإدراك مطلقاً، فكل ما هو مدرك يعد من قبيل العلم.

ثانياً: قيمة العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية

• قيمة العلم في القرآن الكريم

إذا قمنا باستقراء آيات القرآن الكريم فإننا نجد أن العلم ورد ذكره في القرآن في الكثير من المواضع، تدل في مجملها على أن القرآن الكريم أعطى قيمة للعلم وأولاه مكانة عالية.

(1) محمد بن علي التهانوي، المصدر السابق، ج1، ص 3.

(2) عبد النبي الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة: حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج2، ص 243.

(3) محمد عبد الرؤوف المناوي، المصدر السابق، ص 524.

(4) جميل صليبياً، المرجع السابق، ج2، ص 99.

1. العلم صفة للباري

فالعلم ورد في القرآن على أنه صفة من صفات الباري عز وجل، مثاله في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، ومن أسمائه العليم وقد تكرر هذا الاسم في القرآن في الكثير من الآيات. وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾⁽²⁾.

2. اقتران العلم بتوحيد الله عز وجل

كذلك جاء العلم في القرآن مقترنا بالتوحيد في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾⁽³⁾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه»⁽⁴⁾.

فالعلم يقود العباد ضرورة إلى توحيد الخالق، وإنما ضل المخالفون لعقيدة التوحيد بخروجهم عن مسار العلم الصحيح.

3. قيمة العلماء من قيمة العلم

ولمكانة العلم فإن القرآن الكريم يبين أن أهل العلم هم أهل الفضل والرفعة في الدنيا والآخرة، وذلك لشرف العلم في ذاته، ثم لحيازتهم هذه الفضيلة التي بها يصلحون ويصلحون، يصلحون أنفسهم وغيرهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَسْحُوا بِنُورِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اشْرَوْا

(1) _البقرة: 115.

(2) _ الأنعام: 101.

(3) _ محمد: 19.

(4) _ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة،

2001م، ج21، ص208.

فَأَنْشُرُوا بِرَفْعِ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾.

ذكر المفسرون في معنى الآية، أن الله عز وجل رفع العلماء في الدرجات بأن جعل للمؤمنين أن يفسحوا لهم المجالس تكريماً واحتراماً لهم، مما يدل على فضلهم عند الله في الدنيا والآخرة⁽²⁾، وأنهم السبب في دخول الناس إلى الإيمان.

فمن تكريم الله لأهل العلم جعلهم في مصاف الملائكة، ذلك أنهم شهدوا الله بالتوحيد كما شهدت بذلك الملائكة، وهو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾⁽³⁾، وهي شهادة التوحيد، قال الزمخشري: شبهت دلالاته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولو العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائماً بالقسط مخيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثبت ويعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم⁽⁴⁾.

4. العلم أول خطوة في طريق الدعوة والإصلاح

كذلك جعل القرآن وظيفة الأنبياء والمرسلين تعليم العلم، فما من نبي بعث في قومه إلا جاء برسالة أو تعاليم، ليعلمها لقومه، فإن هم أخذوا بها نجوا وتحققت لهم السعادة في الدارين، وإن خالفوها هلكوا وخسروا، قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾⁽⁵⁾.

فقوله يعلمكم الكتاب والحكمة أي يعلمكم الشريعة، والمقصود بالكتاب هنا هو القرآن، على

(1) _المجادلة: 11.

(2) _محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط1، دار إحياء الكتب العربية، دع، 1957م، ج2، ص 58.

(3) _آل عمران: 18.

(4) _محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار المعرفة، بيروت،

2009م، ج3، ص 164.

(5) _البقرة: 151.

اعتبار أنه كتاب أحكام وتشريع، كونه معجزا يحمل أصول الفضائل، التي تمنع من الوقوع في الزلل والفساد، وهو يشبه دعوة إبراهيم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (1). (2).

5. دعوة القرآن الإنسان إلى توجيه العلم وجهة صحيحة

حيث بين القرآن الكريم أن العلم إن لم يوجه الوجهة الصحيحة، قد يكون سببا في الانحراف الفكري، ودمار الحضارة، وهلاك الإنسان، فالعلم سلاح ذو حدين، فقد أشار القرآن الكريم إلى ضلال اليهود والنصارى بأنه كان انحرافا ناتجا عن علم، فعلمهم دفعهم إلى القول على الله، وتحريف الكتب التي أنزلت من عند الله، كما شعر فيهم كل أشكال الفتن والاختلاف والتطرف.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (3).

قيل إن المراد بهذه الآية هم اليهود خاصة، أو النصارى، أو كليهما، والصحيح أنها تعم ذلك كله، فسبب خروج أهل الكتاب عن الإسلام، هو تفرقهم المقيت في الدين الذي أدى بهم إلى التنافر والافتتال، والتحريف لآيات الله كل ذلك كان عن علم، حيث جعلوا العلم مطية لانحرافهم وضلالهم (4). فالقرآن الكريم ربط بين العلم والعقيدة، فجعل أن الانحراف عن العقيدة الصحيحة مرده إلى الانحراف عن العلم الصحيح، وضرب على ذلك أمثلة بحال اليهود والنصارى، والعديد من الأمثلة في القرآن الكريم التي تبين أن كفر أصحابها وانسلاخهم عن الدين كان نتيجة غرورهم بالعلم الذي أوتوه، وانحرفوا به عن غايته.

• قيمة العلم في السنة النبوية

لا تختلف مكانة العلم في السنة النبوية عن مكانته في القرآن الكريم، فقد حرص النبي ﷺ على الإشادة بهذه القيمة ودعوة الناس إلى الأخذ بها، فاستخدم كل الوسائل والمحفزات التي من شأنها أن

(1) _البقرة: 269

(2) _الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج2، ص 49.

(3) _آل عمران: 19.

(4) _محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج3، ص 213

ترغب في هذه الفضيلة.

وليبيان قيمة العلم في السنة النبوية نسوق جملة من الأحاديث النبوية التي تبين مكانة العلم وقيمه:

1. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁽¹⁾.

فالحديث فيه بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح وأنه على الإنسان أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع⁽²⁾.

2. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع»⁽³⁾ فجعله النبي ﷺ أفضل من العبادة، لتعدي نفعه إلى الغير، فالعبادة تقف عند صاحبها، بينما العلم يتعدى ذلك ليشمل البلاد والعباد، فصاحبة ينفع نفسه وغيره.

3. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السنوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينار ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»⁽⁴⁾.

وهذا الحديث من أفضل ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام في فضل العلم والعلماء ذلك أنه عليه الصلاة والسلام ربط بين العالم ومن حوله من أهل الأرض والسما، فكلاهما مسخر للآخر.

4. كما حذر النبي ﷺ من كتمانها وعدم تعليمه لما فيه من إلحاق الضرر بالغير، فكتمان العلم لغير مصلحة شرعية منعه النبي ﷺ وتوعد صاحبه يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام: «من سئل عن علم

(1) _أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم 1631، ج3، ص 1255.

(2) _بجي بن شرف النووي، المصدر السابق، ج11، ص 85.

(3) _أخرجه الحاكم، كتاب العلم، رقم: 314، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج1، ص 170.

(4) _أخرجه الترمذي، باب: فضل طلب العلم، رقم 2646، ج5، ص 28.

ثم كتبه أجمع يوم القيامة بلجام من نار»⁽¹⁾.

فلا يجل لصاحب العلم أن يمنعه عن الغير، أيا كان نوع هذا العلم وجنس طالبه، قال الطيبي في شرح الحديث: «فإن العالم شأنه أن يدعو الناس إلى الحق، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾⁽²⁾، لاسيما وقد سئل عما يضطره إلى الجواب، فإذا امتنع منه جوزي بما امتنع عن الاعتذار، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَدُونَ﴾⁽³⁾، ويدخل في زمرة ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ﴾⁽⁴⁾، (5).

5. بين النبي ﷺ أن أفضل العلم ما كان على صلة بالعقيدة، فقد جعل عليه الصلاة والسلام العلم بلا إله إلا الله سببا في دخول الجنة، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»⁽⁶⁾، فالعلم بلا إله إلا الله هو العلم بالتوحيد، فهو في أعلى هرم المأمورات التي كلف الله بها العباد.

فالإسلام ينهي أتباعه عن التقليد في العقائد، بل حثهم على الإيمان المبني على العلم والبرهان، لأن التوحيد مطلب ديني وديوي فهو ينفع في الآخرة، كما ينفع في الدنيا بجلب المصالح ودفع المضار عن العباد إذا حققوا التوحيد الخالص.

6. كما بين عليه الصلاة والسلام أن أهل العلم لا يكفي فقط حملهم للعلم أو تعليمه لينالوا الشرف والفضل، وإنما أيضا حراسته وحمايته عن الغلو والتحريف، حتى لا يصبح أداة هدم عند من لم يحسن تفعيله في الواقع، قال عليه الصلاة والسلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه

(1) _أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في كتمان العلم، رقم 2649، ج 5، ص 29.

(2) _آل عمران: 187.

(3) _المرسلات: 36.

(4) _يس: 65.

(5) _شرف الدين بن عبد الله الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط 1، مكتبة نزار مصطفى الباز،

الرياض، 1997م، ج 2، ص 680.

(6) _أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه، دخل الجنة وحرم على النار، رقم 26، ج 1، ص 55.

تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»⁽¹⁾.

فقوله عليه الصلاة والسلام «ينفون عنه تحريف الغالين» أي أن من وظائف العلماء حراسة العلم من تحريف الغلاة والمتطرفين، فأصبح من الواجبات الشرعية في عصرنا الحاضر دفع كل الشبه والتحريفات التي خصوم الإسلام سواء من الداخل أو من الخارج.

المطلب الثاني: موقع العلم في الواقع الغربي

تختلف نظرة العقيدة الإسلامية للعلم عن رؤية العقائد الأخرى، فهذه الأخيرة تنظر إلى العلم انطلاقاً من الأيديولوجية الغربية، التي لا تبصر في العلم إلا زاويته المادية فقط، فما حققه من تطور علمي وتفوق مادي كان على حساب العقيدة والدين، فأصبح العلم على الرغم مما قدمه من نتائج مبهرة للحضارة الغربية على وجه الخصوص، والإنسانية على وجه العموم، إلا أنه حمل معه آثاراً جد قاسية انحرفت بالبشرية وتصادمت مع القيم والأخلاق.

وعليه فإن تصور العلم عند الغرب يتجلى في الآتي:

أولاً: النزعة المادية للعلم في الفكر الغربي

فالعلم الحديث أغفل حقيقة هامة، كون الإنسان السوي الفطرة هو الذي يجمع بين المادة والروح، فالإنسان ليس جسماً فقط، بل هو عقل وجسم وضمير، ففي ظل التقدم الباهر الذي حققه الغرب، يبدو في الوقت ذاته قد تأخر تأخرًا ذريعًا عن مواكبة القيم الأخلاقية والروحية، فقد أصبح لأجل تلك المكاسب المادية التي يسعى ويطمح إليها، يضحى بكل قيمه ومثله العليا، فالإنسان في نظر العلم الحديث المادي مجرد كتلة من الشهوات والغرائز التي يسعى لإشباعها، أو هو آلة إنتاج مجردة عن العواطف والأحاسيس⁽²⁾.

ثانياً: ظهور المذاهب الفكرية الهدامة (الإلحاد، العلمانية، ...)

إن غياب تلك القيم الأخلاقية والروحية المستمدة من العقيدة الصحيحة، جعلت الفرد الغربي ينحرف فكرياً مع ما يملكه من تفوق علمي، وذلك بظهور موجات: العلمانية، والإلحاد، وإنكار حقائق

(1) - أخرجه البيهقي، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، رقم 20911، ج 10، ص 353.

(2) - أحمد عبد الحميد غراب، الإسلام والعلم، دار الطباعة والنشر الإسلامية، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، دت، ص 18.

الإنسان، في حين راجت الشيوعية والعلمانية والوجودية، وغيرها من المذاهب الهدامة فأصبحت مؤثرا فاعلا على الشعوب المتقدمة، وسرعان ما انتقلت عدواها إلى دول العالم الثالث، لاسيما تلك البلدان العربية والإسلامية، فقد ذاع وانتشر التطرف الفكري لدى تلك الشعوب نتيجة البعد عن قيم العقيدة الإسلامية والفهم الخاطئ لمبادئها⁽¹⁾.

ثالثا: توظيف الحركة الاستعمارية للعلم في اضطهاد الشعوب

نظرا لغياب العقيدة السليمة التي يفتقر إليها الغرب، أدى به ذلك التفوق العلمي إلى السير في الاتجاه الخاطئ، وهو تسخير إمكانياته من أجل استعمار الشعوب الضعيفة، ونهب ثروتها ومقدراتها بل محاولة السيطرة والهيمنة عليها في جميع المجالات، مما أضر تقدمها ورفيها الحضاري، بسبب تلك الآلة الاستعمارية⁽²⁾. وقد أدت هذه المادية العنصرية في العلم الحديث إلى اشتداد حدة الصراع بين تلك الدول المتقدمة لأجل توسيع مناطق نفوذها على حساب تلك المستضعفة، فأنتج حروبا عالمية خلفت ملايين الضحايا، ودمار هائل في الممتلكات وال عمران، فأبادت قرى ومدن بأكملها جراء الجشع الاستعماري، حيث سخرت التكنولوجيا والتفوق العلمي لأجل دمار البشرية واخترعت الكثير من الوسائل لأجل إهلاك الحرث والنسل⁽³⁾، فلا قيم ولا مبادئ تحكم هذا الفرد بل المادية المجردة عن كل عاطفة ورحمة، لذا فإن الكثير من تلك القيم الإنسانية قد أهملت، فلم تترك المادية مجالاً للفضيلة.

رابعا: تفاقم هوة العنصرية

كما ساهم التطور العلمي لدى الغرب في تفاقم هوة العنصرية، وذلك باحتكار العلم وجعله وسيلة لمحاربة الشعوب المستضعفة والإبقاء على ضعفها، لأجل استغلالها والاستفادة من مقدراتها وخيراتها، في حين نجد أن العلم في العقيدة الإسلامية مشاع للإنسانية كافة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾⁽⁴⁾ (5).

(1) _ أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 19، ص 20.

(2) _ المرجع نفسه، ص 18.

(3) _ المرجع نفسه، ص 20.

(4) _ البقرة: 159.

(5) _ أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 19.

وفي الأخير وعلى الرغم مما حققه الغرب في المجال العلمي من تفوق باهر، نجد في المقابل بأنه خرج عن دائرة القيم والفضائل وفي هذا يقول أنور الجندي: «ثم كان لمنجزات العلم التي هزت النفس البشرية أثرها البعيد في الاستعلاء بالعلم عن كل ما عداه من قيم، فلما زادت حملة اضطهاد الكنيسة للعلم كان ذلك دافعا للعلم إلى الخروج نهائيا من ساحة القيم كلها وإقامة نفسه فوق القيم عالما مستقلا خالصا لا يخضع بل يخضع سواه»⁽¹⁾.

المطلب الثالث: قيمة العلم في التصور الإسلامي ودورها في مواجهة التطرف

لقد أولى الإسلام العلم أهمية كبيرة وذلك من خلال تلك النصوص التي تدعو إلى العلم والتعلم، فقد أنزل الله عز وجل أول آية تدعو إلى العلم وهي "اقرأ"، داعيا بذلك إلى القراءة والتعلم، فالعلم في العقيدة الإسلامية له طابع خاص به يختلف عن غيره في العقائد الأخرى، إذ هي نظرة متكاملة شاملة، تجعل الإنسان يوازن بين العقل والنقل، والمادة والروح، والدنيا والدين فلا تحيد به إلى جهة دون أخرى، فالكل متكامل ومنسجم مع بعضه البعض، فالعلم هنا يتسم بخصائص تمكنه من البناء السليم للفرد، هذا البناء الذي يحصنه ويحميه من الغلو والتطرف.

أولا: علاقة العلم بالإيمان

فالعلم في العقيدة الإسلامية يربط الإنسان بخالقه، فلا يكون العلم علما حقيقيا إلا إذا أدى إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ۗ ﴾⁽²⁾، فهو يصل المخلوق بخالقه ويعرفه به⁽³⁾.

فإنطلاقا من هذا المفهوم يحرص الإنسان على أن يتصف بكل صفات الكمال الخلقى، والتي تقتضي منه أن يكون على خلق سوى، وسلوك معتدل لا متطرف أو منحرف، فيجعل العلم سلاحا نافعا في يده، ومنه فإن علماء الإسلام ربطوا بين العلم النافع والعمل الصالح فكلاهما يشكلان منطلقا

(1) _ أنور الجندي، الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، ص 24

(2) _ محمد: 19.

(3) _ أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 43.

متينا للبناء الحضاري والأخلاقي⁽¹⁾.

يقول الخطيب البغدادي: «فلا تأنس بالعمل، ما دمت مستوحشا من العلم ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصر في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما»⁽²⁾.

ويقول أبو بكر الآجري: «والعبادة لا تكون إلا بالعلم، واعلم أن العلم فريضة عليه، واعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله عز وجل كما أمره ليس كما تهوى نفسه، فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم»⁽³⁾.

ويذكر محمد عمارة في أهمية العلم كأداة للوصول إلى الإيمان فيقول: «وإذا كانت حضارات أخرى، غير حضارتنا الإسلامية... وشرائع أخرى غير شريعتنا الإسلامية، قد نظرت إلى العلم بريية وحذر، ورأت فيه سبيل إلى «المهرطقة» «والتجديف»... فإن حضارتنا وشريعتنا قد أبصرتنا فيه السبيل الصحيح إلى الإيمان... أي الإيمان المؤسس على الدليل...»⁽⁴⁾.

ثانيا: علاقة العقل بالنقل في المنظور الإسلامي

فالعقل على اعتبار أنه مصدر من مصادر المعرفة، فهو أداة تفاعل مع جميع المدركات التي تحيط بالإنسان، والنقل: ويقصد به تنقل العلوم من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة أو الكتابة: كاللغة، والتاريخ والدين، فكلها تناقلتها الأجيال، والوحي: فالقرآن الكريم والسنة النبوية يعدان مصدرا مهما في حصول المعرفة، فما أخبر به القرآن الكريم من الغيبات لا يمكن إخضاعه إلى منطق التجربة، فهو خارج عن هذا النطاق، فإذا استجمعنا هذه الثلاثة تتكون الملكة العلمية لدى الفرد المسلم فلا يمكن له الاستغناء عن أحدهما⁽⁵⁾.

(1) _ أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 43، ص 44، ص 45.

(2) _ الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 14.

(3) _ أبو بكر الآجري، أخلاق العلماء، دار الشهاب، باتنة، دت، ص 52.

(4) _ محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، عالم المعرفة، دج، 1985، ص 61-65.

(5) _ محمود أحمد أبو سمرة، عماد أحمد البرغوثي، الإسلام والعلم، نور للشرق، دج، 2016، ص 38-39.

ثالثا: أثر العقيدة الإسلامية في تحرير العقل والعلم

العقل منبع العلم وأساسه بعد الوحي، وهو القوة المدركة لحقيقة الكون والإنسان والحياة، وقد دل على ذلك القرآن في خطابه للعقل فأمر الإنسان بالتفكير في الكون والحياة وحتى في نفسه، فدعوة الإسلام إلى استخدام العقل والاهتمام به ليس من قبيل التقديس والتعظيم لهذا العقل كونه السلطان الأعلى الذي لا يخطئ، كما هو سائد في المذاهب الوضعية التي تمجد العقل تجعله أساسا في الوجود، وأداة لا تخطئ في الحكم على الأشياء، فحتى يكون الإنسان عاقلا لا يكفي سلامة العقل فقط، وإنما يستدعي ذلك سلامة الحواس أيضا التي تساعد بدورها العقل على الإدراك والتصور السليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽¹⁾، فقد جعل الإسلام للعقل دور القيادة والتوجيه للسلوك الإنساني، محاولا حمايته عن تلك النزعات النفسية والغرائز التي تستولي عليه، فإذا استولت عليه غاب عقله: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁽²⁾، فالعقل في الإسلام يجب أن يتحرر من كل قيود الشهوات والنزوات التي تكدر عليه صفو التفكير والتصور السليم⁽³⁾.

وبعد أن كان الإنسان قبل ظهور الإسلام يعيش في جو من الخرافة والأساطير، والتي جعلت المجتمعات آنذاك تعيش تحت سطوتها إلى أن جاء الإسلام بتحرير العقول من تلك الخرافات، مستخدما المناهج العلمية الصحيحة في الحوار والإقناع، مبطلا كل دعاوى التضليل وتزييف الحقائق: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁴⁾، فلم يقبل علماء المسلمين ما ورثوه عن الآباء والأجداد، دون تمحيص أو تثبيت في جميع العلوم والمجالات، ففي مجال العقائد استطاع العلماء المسلمون أن يميزوا بين ما هو حق وما هو باطل، من خلال التوجيه الرباني المتمثل في القرآن الكريم، والهدي النبوي⁽⁵⁾.

(1) _الإسراء: 36.

(2) _الفرقان: 44.

(3) _محمود أحمد أبو سمرة، عماد أحمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 66-69.

(4) _سورة البقرة: 111.

(5) _محمود أحمد أبو سمرة، عماد أحمد البرغوثي، المرجع السابق، ص 74، ص 75، ص 76.

يقول ألبرت ماكوب أستاذ في علم الأحياء: «لقد حل العلم اليوم محل كثير من الخرافات القديمة التي غالبا ما طغت على المعتقدات الدينية، واستبدل بها حقائق رصينة تستند إلى المشاهدة والتجربة»⁽¹⁾.

رابعا: البعد الإنساني للعلم في العقيدة الإسلامية

يعتبر مفهوم العلم في الإسلام مفهوم إنسانيا، فهو يخلو من تلك النزعة العنصرية التي تجعل العلم حكرا على أمة دون أمة، أو عنصر دون آخر، فالإسلام يؤكد على أن الناس سواسية في حق التعلم، فمن واجبهم المشاركة في النشاط العلمي والاستفادة منه قدر الإمكان، لذا نجد إن علماء المسلمين الأوائل قد أباحوا علمهم لجميع الشعوب والأمم، ناهيك عن استفادة أعداد غفيرة من المسلمين من تلك العلوم، كذلك الأوروبيون الذين ترجموا الكثير من الكتب إلى اللغة اللاتينية لأجل الاستفادة من تلك العلوم التي برع فيها المسلمون، لاسيما في مجال الطب، والهندسة، والكيمياء، وقد كان لها الدور الفعال في التقدم العلمي الأوروبي⁽²⁾.

خامسا: موازنة العلم في العقيدة الإسلامية بين علوم الدنيا والدين

فالوحدة المعرفية والتكامل المعرفي بين علوم الدنيا والدين في الإسلام، تعنى أن العلم في الإسلام يحرص على تحقيق السعادة الدنيوية للفرد المسلم، كما يحثه على الاتجاه نحو الحفاظ على عقيدته ودينه، فهو يجمع بين هذا وذاك، فالكثير من علماء الإسلام جمعوا بين علوم الدنيا والدين، على غرار، ابن رشد وابن سينا، والفرايبي، والكندي، وغيرهم، كما كانت لهم إسهامات في التفسير والفقه وعلوم القرآن، مما يدل على أن العلم في الإسلام لا يجرى من جانبه الروحي والإنساني⁽³⁾.

يقول محمد الباقر حاج يعقوب: «يتميز التصور الإسلامي للعلم والمعرفة بخصائص ذاتية تعطي لذلك التصور أبعاده الدينية والعقلية والوجدانية معا، لكي تجعل من ذلك التصور أداة فعالة لإدراك الحقيقة إدراكا شاملا في إيصال العلم والمعرفة إلى أعماق النفس الإنسانية المتكونة من عوامل متعددة،

(1) _جون كلو قرمو نسيم، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت، دت، ص 111.

(2) _أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 45-56.

(3) _المرجع نفسه، ص 46، ص 74.

وتسهم في تكوين ذاتية إنسانية ذات أبعاد تتجاوز حدود المنطق الفعلي والإدراك المادي والانفعال العاطفي والحالات الجامدة»⁽¹⁾.

ويقول أنور الجندي أنه: «في الإسلام لا يوجد صراع بين الدين والعلم، لا يوجد في الإسلام تلك المشكلة الموجودة عند غير المسلمين وهي مشكلة أن الدين يقابل العلم والفلسفة أو يعارضهما، فالإسلام مبني على العقل والعلم، وكتابه كتاب علم وحكمه»⁽²⁾.

سادسا: تطابق مقاصد العلم في العقيدة الإسلامية مع القيم والمبادئ

يختص العلم في الإسلام في كونه لم يستعمل في الاتجاه السلبي، والقصد من ذلك الحرمات والخبائث وصناعة وسائل الدمار، التي تعود على البشرية بالضرر الكبير، فنجد أن إسهامات علماء المسلمين كانت كلها أو في أغلبها تعود بالنفع والفائدة على البشرية، فلم يستعمل أطباؤنا المسلمون طبهم في الإجهاض كما هو شائع اليوم في الغرب، كذلك لم يستعمل المسلمون علومهم في التشجيع على الزنا والفواحش كما هو حادث في وسائل الإعلام المختلفة، وعلماء الاقتصاد المسلمين بدورهم لم يجعلوا علمهم في صالح الاقتصاد الفاسد القائم على الربا والاحتكار وغيرها من المعاملات الفاسدة، بل كل علومهم قائمة على دعائم الإسلام⁽³⁾.

فالعلم عامل مهم في رفع قيمة الأخلاق في الأمة، لأنه يرتفع فوق الصغائر والدنايا إلى سماء الحقيقة الخالدة، والعلم علم من أعلام الفضيلة، لأنه يسمو فوق الشهوات، ولا يخفل بالمآرب الفردية، وهو مطهر للنفوس من أدناس الأنانية، لأنه يحمل شعلة مقدسة، تذيب الأثرة، وتمحو حب الذات وتحمل محلها الإيثار والرغبة في الخير للمجتمع⁽⁴⁾.

والخلاصة مما تقدم أن العلم في العقيدة الإسلامية جاء ليعلي من قيمة الإنسان ويصلح الوجود، ويحقق التوازن، كما يهذب النفس ويحد من انحرافات ونزواتها، فيربيها على الاعتدال والسلوك القويم، ويمحو عنها آثار التطرف والانحراف الذي سببته العقائد الأخرى، ويسخر في خدمة البشرية.

(1) _ محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد الرابع، ديسمبر م 2011.

(2) _ أنور الجندي، الأيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، ص 41.

(3) _ أحمد عبد الحميد غراب، المرجع السابق، ص 49-50.

(4) _ علي مصطفى مشرفة، العلم والحياة، ص 80.

المبحث الرابع: البعد الحضاري (الشورى والعدل ودورهما في القضاء على جذور التطرف)
المطلب الأول: قيمة الشورى ودورها في مواجهة تطرف الاستبداد والتأسيس للحكم الرشيد
أولاً: الشورى (المفهوم-القيمة)

1. مفهوم الشورى

• المعنى اللغوي

كلمة الشورى مأخوذة من الفعل "أشار"، تقول: أشار إليه وشور، بمعنى أوماً بالكف والعين والحاجب، أي إشارة، وأشار عليه بأمر كذا: أمره به، وهي الشورى، والمشورة، بضم الشين، ومنه قولك: شاورته في الأمر واستشرته، وفلان خير شير، أي يصلح للمشاورة، واستشاره طلب منه المشورة⁽¹⁾.

فالشورى في اللغة تأخذ معنيين، معنى الإشارة، والآخر: الاستشارة، وهو طلب رأي الآخر في قضية من القضايا.

• المعنى الاصطلاحي

هناك العديد من التعاريف لمصطلح الشورى ذكرها العلماء نأخذ منها:

تعريف الطرطوشي يقول فيه: أن الشورى: «مما تعده الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة ويفتقر إليها الرئيس والمرؤوس»⁽²⁾. فهي أساس في الحكم، إذا أن كلا الفريقين بحاجة إليها رئيساً ومرؤوساً.

تعريف ابن العربي المالكي: قال: «المشاورة أصل الدين وسنة الله في العالمين وهو حق على عامة الخليقة من رسول إلى أقل خلق بعده في درجاتهم وهي اجتماع على أمر يشير كل واحد برأيه، مأخوذ من الإشارة»⁽³⁾.

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 436-437.

(2) _ محمد بن علي الأصبحي الغرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط1، وزارة الإعلام، العراق، دت، ص 310.

(3) _ المصدر نفسه، ص 310.

يزيد هذا التعريف على الأول، في كون الشورى تعم جميع الخلق دون استثناء، فالكل بحاجة إلى الشورى، فهي قيمة حضارية تنسحب على الجميع.

وعرفت على أنها: «مبدأ مهم من مبادئ نظام الحكم في الإسلام، وتهدف الشورى إلى تحري المصلحة العامة، ومشاركة الأمة للقائد في اتخاذ القرارات بشؤون الحكم، حيث تظهر أفضل الحلول للمسائل محل الشورى من خلال مقابلة الآراء بعضها ببعض ونقدها وتشخيصها، وتبين أسباب الخلاف، وإيجابيات كل رأي وسلبياته»⁽¹⁾.

وهنا يظهر الهدف من الشورى، حيث أنها تعمل على تحقيق مصلحة الأمة في مشاركتها للقيادة في الحكم، وإبداء الرأي في تسيير شؤون الدولة، والعمل على إحياء الإيجابيات والحد من السلبيات، وهذا كفيل في درء التطرف والانحراف الناجم عن الاستبداد وخنق الحريات.

والخلاصة من هذه التعاريف أن الشورى تأخذ بعدين هما:

1- البعد العام: وهو تحقيق التشاور في جميع أمور الحياة، فالشورى هنا تقتحم جميع المجالات.

2- البعد الخاص: وهو البعد السياسي حيث تصبح ضرورة في إدارة شؤون الحكم.

2. قيمة الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية

• دعوة القرآن الكريم إلى مبدأ الشورى

ورد ذكر الشورى في القرآن الكريم في موضعين.

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾⁽²⁾.

في هذه الآية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالتشاور مع أصحابه فقال: «وشاورهم في الأمر» وهذا لتحقيق المصلحة العليا في الوصول إلى الحكم الراشد، ثم المصلحة الثانية والمتمثلة في التفاف الناس من حوله بصفته داعياً إلى الله، ولو كان غير ذلك لانفضوا من حوله.

(1) _توفيق بن عبد العزيز السديري، الإسلام والدستور، ط1، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، دع، 1425هـ، ص 134.

(2) _آل عمران: 159.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

قال القرطبي: «يدل على جواز الاجتهاد في الأمور والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي، فإن الله أذن لرسوله ﷺ في ذلك»⁽¹⁾.

ونقل عن مقاتل وقتادة والربيع قولهم: «كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، وأطيب لنفوسهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم»⁽²⁾.

قال الماوردي: وفي أمره بالمشاورة أربعة أقاويل: أحدهما: أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، والثاني: أمره بمشاورتهم لأجل تأليف قلوبهم وتطبيبا لأنفسهم، والثالث: لما علم فيه من الفضل ولتأسى أمته بذلك بعده ﷺ والرابع: أنه أمره بمشاورتهم ليستبين به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيا⁽³⁾.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽⁴⁾.

هذه الآية من سورة الشورى، ولأهمية الشورى في الإسلام ومكانتها أنزل الله سورة باسمها يدعوهم فيها إلى التشاور في الأمر.

قال القرطبي: «وأمرهم شورى بينهم، أي يشاورون في الأمور والشورى مصدر شاورته، مثل البشرى والذكرى ونحوه»⁽⁵⁾.

فقد كان الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ على هذا المبدأ، يتشاورون في كل ما بدا لهم من الأمور، فمدحهم الله وأثنى عليهم لذلك، فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يتمثلون ذلك، وقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام مشاورة أصحابه في قضايا الحروب، ولم يكن يشاورهم في

(1) _ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 381.

(2) _ المصدر نفسه، ج5، ص 381.

(3) _ علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية،

بيروت، دت، ج1، ص339.

(4) _ الشورى: 38.

(5) _ القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص 486.

الأحكام، وذلك لأنها مبسطة في الكتاب والسنة⁽¹⁾.

وهذا يدل على أن الشورى كانت قيمة سائدة عند العرب قبل مجيء الإسلام، وهذا الأخير تم هذا الخلق ودعا إلى تحكيمه في مختلف مناحي الحياة، حيث لم يعد مقتصرًا على وجهاء القوم كما كان في السابق وإنما وسع دائرته ليشمل جميع الناس بصرف النظر عن مكانتهم في المجتمع.

وفي نفس السياق يقول الطاهر بن عاشور: «هذا موصول آخر وصلة أخرى، ومدلولهما من أعمال الذين آمنوا التي يدعوهم إليها إيمانهم، والمقصود منها ابتداء هم الأنصار، كما روى عن عبد الرحمن ابن زيد، ومعنى ذلك أنهم من المؤمنين الذين تأصل فيهم خلق الشورى»⁽²⁾.

ثم يقول: «وإذ قد كانت الشورى مفضية إلى الرشد والصواب وكان من أفضل آثارها أن اهتدى بسببها الأنصار إلى الإسلام أتى الله بها على الإطلاق دون تقييد بالشورى الخاصة التي تشاور بها الأنصار في الإيمان وأي أمر أعظم من أمر الإيمان»⁽³⁾.

وعليه فإن القرآن الكريم بين قيمة الشورى ودعا إليها، وأمر بها نبيه عليه الصلاة والسلام لما لها من أثر على استقرار الحياة في مختلف مجالاتها، كما جعلها القرآن من مقتضيات الإيمان، فما من نبي أو ولي إلا وشاور قومه فلا يستأثر برأيه، وبين أن الاستئثار بالرأي من مظاهر الاستبداد فقال عن فرعون: «ما أرىكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد»⁽⁴⁾.

• قيمة الشورى في الهدي النبوي

سبق وأن ذكرنا أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجد الأنصار يتشاورون فيما بينهم، فأثنى عليهم القرآن بذلك، وجاء النبي عليه الصلاة والسلام ليتمم هذا الخلق العظيم، ويقومه فكان من هدية عليه الصلاة والسلام مشاورة أصحابه امتثالاً لأمر القرآن، وإحياء لهذه القيمة في نفوس الأجيال، ومنه لدرء الفتن والانحرافات الناجمة عن الاستبداد والانفراد بالرأي.

(1) _ القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص 487.

(2) _ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص 111.

(3) _ المصدر نفسه، ج25، ص 112.

(4) - غافر: 29

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

1- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني رسول الله ﷺ فقال: «إني سأعرض عليك أمراً، فلا عليك أن تعجلي فيه حتى تشاوري أبويك» فقلت وما هذا الأمر؟ قالت فتلا علي ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾⁽¹⁾، قالت عائشة: فقلت: وفي أي ذلك تأمرني أشاور أبوي، بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: فسر بذلك النبي ﷺ وأعجبه، وقال سأعرض على صواحبك ما عرضت عليك، قالت: فقلت له فلا تخبرهن بالذي اخترت، فلم يفعل، وكان يقول لهن كما قال لعائشة، ثم يقول: اختارت عائشة الله ورسوله والدار الآخرة، قالت عائشة: قد خيرنا رسول الله ﷺ فلم نر ذلك طلاقاً⁽²⁾.

هنا يعلم رسول الله ﷺ أحد زوجاته معنى التشاور قبل الإقدام على أي أمر وهو قوله: «ولا تعجلي فيه حتى تشاوري أبويك» فالشورى مبدأ ينطلق من الأسرة وصولاً إلى أعلى سلطة وهو الحاكم فالجميع مخاطب بذلك.

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البكر تستأمر والثيب تشاور» قيل: يا رسول الله إن البكر تستحي قال: سكوتهما رضاها⁽³⁾.

وهنا أمر عليه الصلاة والسلام بالمشورة في قضايا النكاح، فلا ينبغي أن يتسلط الوكيل، وأن يستأثر برأيه دون مشاورة من لها حق القبول أو الرفض، وهذا تعليم منه عليه الصلاة والسلام لأئمة كيف تحترم هذا المبدأ قبل الإقبال على أي أمر من الأمور.

3- كما استشار النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد في حادثة الإفك، فأشارا عليه برأيهما⁽⁴⁾.

قال ابن بطال في شرحه للحديث: «اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه، فقالت طائفة: أمره الله أن يشاور في مكائد الحروب وعند لقاء العدو تطيباً لنفوسهم وتألفاً

(1) _ الأحزاب: 28-29.

(2) _ أخرجه مسلم: كتاب الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم 1477، ج 2، ص 1103.

(3) _ أخرجه أحمد، رقم: 7131، ج 12، ص 33.

(4) _ أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: «وامرهم شورى بينهم» رقم: 7369، ج 9، ص 113.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله قد أغناه عن رأيهم بوحيه»⁽¹⁾، ومنهم من قال إنه شاورهم فيما لم يأت فيه وحي، وآخرون قالوا ليعلم أصحاب كيف يدبرون أمورهم فيما نزل بهم من النوازل، فالكل يصب في تحقيق هذه القيمة والعمل بها.

4- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسرى أبابكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عزوجل ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽²⁾، قال: «فلقي النبي ﷺ عمر قال: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء»⁽³⁾.

يتجه هذا الحديث إلى بيان هدية عليه الصلاة والسلام في تفعيله لقيمة الشورى مع أصحابه في مختلف القضايا التي كانت تواجههم، منها قضية أسرى بدر، حيث استشار في ذلك عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأشارا عليه، ثم كان الرأي في الأخير للنبي عليه الصلاة والسلام، وهذا نزولا عند أمره سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽⁴⁾. وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾⁽⁵⁾.

وفي هذا تفويض الأمر إلى الولي وهو سبب في حصول العلم وسداد الأمر، فإن ظهر لهم صواب خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه، ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصواب⁽⁶⁾. والخلاصة مما تقدم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان من هديه وسنته التشاور مع أصحابه في مختلف القضايا والنوازل، فتلك النصوص توحى أن قيمة الشورى في الإسلام لا تقتصر فقط على جانبها السياسي كما هو معهود، بل قيمة حضارية تتعدى ذلك لتشمل الأسرة ومختلف شؤون الحياة.

(1) _ أبو الحسن علي بن خلف ابن بطلال، المصدر السابق، ج10، ص 397

(2) _ الأنفال: 67.

(3) _ أخرجه الحاكم، كتاب التفسير: تفسير سورة الأنفال، رقم: 3270، ج2، ص 359.

(4) _ النساء: 59.

(5) _ النساء: 83.

(6) _ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، دت، ص 83.

ثانيا: صلة الشورى بالعقيدة الإسلامية

يذهب لؤي صافي إلى أن العقيدة الإسلامية هي منطلق الفعل السياسي حيث أن دراسة العقيدة وتحديد معناها وعلاقتها بالفعل السياسي هو المدخل الطبيعي لدراسة النظام السياسي الإسلامي، ذلك أن فالعقيدة هي الأساس العميق الذي تركز إليه وتعتمد عليه الوحدة السياسية للأمة⁽¹⁾.

فأبرز ما يميز العقيدة الإسلامية هو جمعها بين ما هو نظري وما هو تطبيقي، فهي ليست منفكة عن الحياة العملية للأفراد، فهي توجه سلوكهم وفق مجموعة القيم والمبادئ والأحكام التي تنبثق منها، فصلة العقيدة بالسياسية كونها الشرط اللازم والضروري لقيام أي عمل جماعي، فالعمل السياسي يستحيل أن يقوم دون انطلاقه من تلك المنظومة من التصورات والمبادئ التي تنسق جهود أفراد الجماعة، وتحفزهم لتحقيق أهدافهم⁽²⁾.

فحين أدركت قريش تأثير عقيدة التوحيد على أفرادها، خاصة من جانبها السياسي، فهي تؤكد على وحدة الخالق ووحده الخلق، وحماية المظلوم، والاقتصاص من الظالم، كما تسوى بين جميع القبائل والشعوب دون مراعاة للفوارق السائدة في الجاهلية، كل هذا جعل قريش تقف موقفا عدائيا من هذه العقيدة⁽³⁾.

وعلى هذا كانت الشورى قيمة تنطلق من العقيدة الإسلامية، إذ تستمد روحها من الإيمان فهي دعامة من دعائم الإيمان، وصفة من الصفات المميزة للمسلمين، حيث سوى الله بينها وبين الصلاة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽⁴⁾، فتكون الاستجابة لله نتائج وبين لنا أبرزها وأظهرها، وهي إقامة الصلاة والشورى والانفاق، وإذا كانت الشورى من الإيمان فإنه لا يكمل إيمان قوم يتركون الشورى، فلا يحسن إسلامهم إذا لم يقيموا الشورى إقامة صحيحة⁽⁵⁾.

وما يؤكد على أن قيمة الشورى قيمة حضارية ومنبثقة عن العقيدة الإسلامية كونها تؤصل إلى

(1) _ لؤي صافي، المرجع السابق، ص 53.

(2) _ المرجع نفسه، ص 55، ص 56.

(3) _ المرجع نفسه، ص 56.

(4) _ الشورى: 38.

(5) _ عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م، ص 193.

التشاور واحترام الآخر، والتسوية بين الحاكم والمحكوم، كما تحول دون الاستبداد وحنق حرية التعبير. فالحكم الاستبدادي مناهض ومناقض لقيمة الشورى، فإذا غاب التشاور حل مكانه الاستبداد الذي بدوره يهدم الدين والدنيا يقول الغزالي: «والحكم الاستبدادي تهدم للدين وتخرب للعالم، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعاً، وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والآداب تنشط ولا سوق الزراعة والصناعة تروج...!!»⁽¹⁾.

ثالثاً: أثر قيمة الشورى في مواجهة تطرف الاستبداد والتأسيس للحكم الرشيد

1. الشورى وبناء الحكم الرشيد

تعتبر الشورى في الإسلام نظاماً متميزاً يكفل للناس تحقيق ما ينشدونه من خير في أمور حياتهم، مع المحافظة على أحكام الله تعالى، فالشورى في إطارها الإسلامي تختلف عن غيرها من الأطر، فمعالم الشورى في إطارها الإسلامي تتحدد من خلال تحقيق الحكم الرشيد أولاً، ثم اتصالها وتوافقها مع أحكام الشريعة الإسلامية ثانياً، لتكون كما أراد الشارع سبحانه أداة بناء في حياة المسلمين، لذا نجد أن الإسلام لم يحمل كيفية محددة للشورى، بل جعلها مرنة تتواءم مع كل زمان ومكان، فكل أمة لها نظامها الخاص بها فتتماشى الشورى وفق ذلك النظام، شرط أن لا تحيد عن إطارها الإسلامي⁽²⁾.

فالشورى قاعدة من القواعد التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وقانوننا جعل ليسير وفقه من ولاء الله أمر المسلمين، ومن جعلت له السلطة والسيادة في أي شأن من شؤون الدنيا والآخرة، فقد أمر الله رسول الله ﷺ بالشورى وأوجبها عليه ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾⁽³⁾، فإذا أوجب الله الشورى على نبيه مع ما يتمتع به من الكمال الفعلي والروحي واتصاله بالوحي الإلهي فهي في حق غيره من البشر أوجب وأوكد⁽⁴⁾.

(1) محمد الغزالي، الطاقات المعطلة، دار تحفة مصر، القاهرة، 2005م ص 39.

(2) خالد محمد جاسم، الشورى وأحكامها في نظام الحكم الإسلامي، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، كلية التربية

الأساسية، العدد 66، 2010م، ص 276.

(3) آل عمران: 159.

(4) عفيف عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص 294-295.

2. ضمان استقرار الدولة والمجتمع

يذهب العلماء إلى أن الشورى لها آثارها في مختلف المجالات، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فأثرها يكمن في إيجاد الحلول الصحية وبدائلها من خلال إشراك أفراد المجتمع، ومساعدة أجهزة الحكم في إيجاد الأسلوب الصحيح لتنفيذ البرامج والسياسيات المختلفة، فهي تضمن الاستقرار والثبات للدولة، فتصير بمنأى عن الفوضى والمؤامرات، وكل أشكال العنف والتطرف الناتجة عن ممارسات الاضطهاد والاستبداد بالرأي⁽¹⁾.

كما تهدف الشورى أيضا إلى تحري المصلحة العامة ومشاركة الأمة للقائد في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون الحكم، حيث تظهر أفضل الحلول للمسائل محل الشورى من خلال مقابلة الآراء بعضها ببعض ونقدها وتمحيصها، وتبين أسباب الخلاف، وإيجابيات كل رأي وسلبياته، وتبرز ضرورة الشورى في أنها تساعد على ترابط واتحاد المجتمع المسلم، لإحساس أفرادهم بقيمتهم في اتخاذ القرار، وتساعد كذلك على التزام المسلمين طاعة أولى الأمر منهم الذين أتاحوا لهم فرصة تداول الرأي في الأمور العامة⁽²⁾.

3. الشورى مطلب حضاري يستهدف الإنسانية

لا تقتصر الشورى على المسلمين فحسب، بل تفسح المجال لغير المسلمين في ممارسة حق التشاور، فالتشاور مع غير المسلمين من أهل الذمة في أمور الحياة التي لا تتعلق بالعقيدة، فلا مانع في هذا العصر أن يتشاور المسلمون مع غيرهم في الأمور المصيرية المشتركة بين المسلمين وغير المسلمين، فالمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد أن هذا كان صنيع الخلفاء الراشدين، حيث كانوا يستشيرون أهل الذمة في مختلف القضايا، التي تتعلق بالحروب والاقتصاد.... الخ⁽³⁾.

وخلاصة ذلك أن الشورى مبدأ مهم في الحياة السياسية والاجتماعية للأفراد، فهي تعمل على الحد من ظاهرة التطرف والعنف الذي ينتج عن الاستبداد بالرأي وإقصاء الآخر من المساهمة في الحياة السياسية، ودليل ذلك أن المجتمعات المتقدمة التي حققت أعلى نسبة من الاستقرار السياسي

(1) _ عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، الشورى بين التأثير والتأثر، مطابع الشروق، القاهرة، م1982، ص 10، 11، 12.

(2) _ توفيق بن عبد العزيز السديري، المرجع السابق، ص 134.

(3) _ جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، ص 144.

والاقتصادي والاجتماعي، أدركت قيمة تفعيل هذه القيمة في الحياة، فشاركت أفرادها في مختلف القضايا، فأسهم ذلك بشكل كبير في رفع منسوب الاستقرار والرفي الحضاري، بخلاف غيرها التي وقعت في الفوضى والعنف نتيجة التهميش الممارس على أفرادها، مما أسهم في رفع منسوب التطرف إلى حد كبير نتيجة الاستبداد وخنق الحريات.

المطلب الثاني: موقع العدل عقديا وحضاريا ودوره في مواجهة التطرف

أولا: مفهوم العدل

• المعنى اللغوي

العدل لفظ مأخوذ من الفعل الماضي "عدل"، والعدالة والعدولة بالضم والمعدلة كلها تعني "العدل"، ومنه الرجل العدل: الذي لم تظهر منه ريبة⁽¹⁾.

والعدل في اللغة يراد به القسط، والمساواة، ومنه عدل الموازين والمكاييل أي سواها، عادلت بين اثنين، وعدلت فلان بفلان إذا سويت بينهما، وتعديل الشيء تقويمه⁽²⁾.

والعدل لغة يأتي بمعنى: المساواة، الاتزان، أو التقويم، وهو بمعنى آخر نظير الشيء، أو مثيله، فتقول عدل الشيء: أي نظيره ومثيله⁽³⁾.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: عدل بين المتخاصمين: أنصف بينهما وتجنب الظلم والجور، أعطى كل ذي حق حقه⁽⁴⁾. ومنه أيضا الاعتدال، اعتدل في تفكيره، أي صاحب رأي معتدل وسطي، غير متطرف⁽⁵⁾.

فالعدل في اللغة يأخذ عدة معاني، كلها تصب في الاعتدال: أي التسوية والاتزان بين شيئين، وهو ضد الظلم والجور الذي يعني الميل إلى أحد الطرفين، كالتطرف والانحراف.

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص 432.

(2) _ المصدر نفسه، ج11، ص 432.

(3) _ المصدر نفسه، ج11، ص 432.

(4) _ أحمد مختار عبد الحميد عمر، المرجع السابق، ج2، ص 1466.

(5) _ المرجع نفسه، ج2، ص 1467.

• المعنى الاصطلاحي

في تعريف الجرجاني العدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فهو عند النحويين: خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى، وفي اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق والبول، وقيل العدل: مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة وهو الميل إلى الحق⁽¹⁾.

يعرفه المناوي بأنه: الأمر بالتوسط بين الإفراط والتفريط، فالعدالة والمعدلة لفظ يقتضي المساواة، والعدل والعدل متقاربان لكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، والعدل فيما يدرك بالحاسة كالموزون والمعدود والمكيل، والعدل: التقسيط على السواء⁽²⁾.

والعدل ضربان: عدل مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخا نحو الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذى، وعدل يعرف كونه عدلا بالشرع ويمكن نسخه في بعض الأزمنة كالقصاص وأروش الجنايات، وأخذ مال المرتد⁽³⁾.

يذهب المناوي إلى نوعين من العدل، عدل يستحسنه العقل، وعدل استحسنته الشرع، وكلاهما يحمل معنى القسط والإنصاف.

ويعرفه عبد القادر عودة بقوله: «العدالة عند الفقهاء هي التحلي بالفرائض والفضائل والتخلي عن المعاصي والردائل وعن كل ما يخل بالمرءة»⁽⁴⁾، فهناك عدالة مع النفس، وهي الالتزام بالفضائل والتخلي عن الردائل، وهناك عدالة مع الغير، ويقصد بها: القسط والإنصاف في الحكم والقضاء، وهي التي أمر بها الحاكم والقاضي، ويدخل فيها كل من استرعاه الله رعية بأن يحكم فيهم بالعدل.

ويرى على بن محمد السمناني أن العدل في الأصل مصدر، وهو مقابل للجور، وحققيقته التسوية

(1) _ الجرجاني، المصدر السابق، ص 132.

(2) _ زين الدين على المناوي، المصدر السابق، ص 237، ص 238.

(3) _ المصدر نفسه، ص 238.

(4) _ عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، 137.

بين الأمرين أو الخصمين وترك الميل إلى أحدهما⁽¹⁾، ومنه قولك: حكم الحاكم بالعدل بين الخصمين، وإن كان قد نفع أحدهما وأضر بالآخر⁽²⁾.

يتضح من تلك التعاريف أن العدل ينظر إليه من عدة زوايا، فعند اللغويين له معنى وكذلك عند الفقهاء والفلاسفة، غير أن العدل إذا أطلق في الغالب يتجه نحو العدل السياسي، والمقصود به عدل الحاكم تجاه الرعية، وهذا ما أكد عليه القرآن وأيدته السنة النبوية، إذ هو أشرف أوصاف الملك وأقوم لدولته لأنه يبعث على الطاعة ويدعو إلى الألفة وبه تصلح الأعمال وتنمو الأموال وتنتعش الرعية وتكتمل المزية وقد ندب الله عز وجل الخلق إليه وحثهم عليه⁽³⁾.

تمخض لدينا من خلال هذه التعاريف بعدين رئيسيين للعدل الأول: العدل من منظور سياسي الذي يأتي في مقابل الجور والاستبداد، وهو منوط بالحكام تجاه الرعية، حيث يسعى من خلاله إلى بسط ميزان القسط في الحكم، والعطاء، والتعامل، والمشورة، فيتوسط في ذلك بين طرفي الإفراط والتفريط، جلبا للمصلحة ودرءا للمفسدة، وامتنالا لأمر الشارع بذلك، والعدل ببعده الحضاري أين تتسع دائرته لتشمل الجميع، فلا يختص بالجانب السياسي وحسب بل ينسحب على القسط في مختلف التعاملات والعلاقات الإنسانية، فهو بهذا المنظور قيمة عقدية ذات بعد حضاري تحتمي بها الإنسانية جمعاء على اختلاف أعراقها وأجناسها ومذاهبها.

ثانيا: تأسيس القرآن الكريم والسنة النبوية لمبدأ العدل

• دعوة القرآن الكريم إلى العدل وتجرим الظلم

ذكر العدل في القرآن الكريم في أربع وعشرين موضعا مما يدل على أهمية هذه القيمة في القرآن الكريم، فقد ذكر على أنه صفة من صفات الله واسم من أسمائه، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا

(1) _ على بن محمد السمناني، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ج1، ص 204.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص 204.

(3) _ عبد الرحمن بن نصر الشيزري، المنهج المسلوك في سياسية السلوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، دت، ص 242.

وَعَدَلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾^(١)، فقوله تعالى صدقا وعدلا أي: « فيما وعد حكم، لا راد لقضائه ولا خلف في وعده». ^(٢)، لهذا نفى القرآن الكريم كل وصف باطل في حق الله تعالى من قبل اليهود والنصارى، إذ يفترون على الله، ويصفونه بخلاف العدل والقسط، وهذا من الغلو في الذات الإلهية.

كما ذكر في مقابل البغي والظلم المستقبح عقلا وشرعا، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾^(٣). يقول القرطبي: «العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق، والإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن أحد الاجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على الاجزاء داخل في الإحسان»^(٤).

يقول ابن عاشور: «والعدل إعطاء الحق إلى صاحبه، وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات أذ المسلم مأمور بالعدل في ذاته، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٥)، ومأمور بالعدل في المعاملة، وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه ومعاملة مع المخلوقات من أصول المعاشرة والمخالطة الاجتماعية وذلك في الأقوال والأفعال قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾^(٦).^(٧)

وجاء العدل صفة للمؤمن يعبر بها في تعامله مع الخلق قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ

(١) _ الأنعام: 115.

(٢) _ القرطبي، المصدر السابق، ج 9، ص 6.

(٣) _ النحل: 90.

(٤) _ القرطبي، المصدر السابق، ج 12، ص 412.

(٥) _ البقرة: 191.

(٦) _ الأنعام: 152.

(٧) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 14، ص 254، ص 255.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (1).

فبين الله عز وجل في هذه الآية أن العدل أقرب إلى التقوى، فهو من صفات الذين آمنوا في تعاملهم مع الخلق جميعاً، وإن كانوا على خلاف المعتقد الصحيح فإن العدل يقتضي إعطاء كل ذي حق حقه.

وذكر العدل أيضاً في سياق الحكم بين الناس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (2).

والحكم بالعدل مأمور به عند جميع الناس دون استثناء، وإن كان يخص في الغالب أولياء الأمور، بأن يحكموا بين الناس بالعدل، حفاظاً على المصلحة العامة ودرءاً للمفاسد. وفي معنى هذه الآية يذكر الزمخشري أن المخاطب بها في أحد الأقوال هم ولاة الأمور، بأداء الأمانة والحكم بالعدل (3).

وعدل في الإصلاح بين الناس نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (4). فالعدل جاء ليعالج قضية من القضايا الاجتماعية، وهي الإصلاح بين الناس دفعا للظلم والبغي، وكل أشكال العدوان وانتهاك الحرمات، فلا تغطي العصبية الجاهلية أو القبيلة، وغيرها من مظاهر العنصرية على حياة الأفراد.

وعدل مع المخالف في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

(1) _المائدة: 2.

(2) _النساء: 58.

(3) _الزمخشري، المصدر السابق، ج 2، ص 94.

(4) _الحجرات: 9.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾⁽¹⁾. يقول ابن عاشور: «و"سواء" هنا اسم مصدر الاستواء، قيل بمعنى العدل، وقيل بمعنى قصد لا شطط فيها»⁽²⁾، وهذا فيه دعوة لإقامة العدل حتى مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وغيرهم، لأن قيمة العدل جاءت لاحتواء جميع البشر على اختلافهم ألوانهم وأعراقهم وديانتهم. والخلاصة أن العدل في القرآن الكريم يحمل صورا متعددة، مما يدل على أهمية هذه القيمة في حياة الناس، فكل شيء في هذا الوجود خاضع لميزان العدل، فهو سنة من السنن الكونية خاطب بها القرآن الكريم البشر على اختلافهم، انطلاقا من العدل مع النفس إلى العدل مع الخلق، ومنه فالعدل أحد أهم ركائز العمارة والاستخلاف.

• قيمة العدل في الهدى النبوي

لقد حرص الإسلام منذ بداية ظهوره على نبذ الظلم والاستبداد حيث جعلهما من قيم الجاهلية، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام محذرا أمته من مغبة الظلم والاستبداد، داعيا في نفس الوقت إلى بعث روح العدل والقسط في المسلمين وغير المسلمين، وعلى هذا الأساس دعا النبي ﷺ الناس إلى هذه القيمة ورغب فيها من خلال سنته القولية والفعلية والتقريرية.

1- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»⁽³⁾. بين هنا عليه الصلاة والسلام أن العدل في الحكم مع الأهل وغير الأهل، كالولاية أو الإمارة تقرب العبد من الله، وذلك للأثر الذي يحدثه هذا الأخير على الأمة من صلاح للبلاد والعباد، ودفع لكل أشكال العدوان والظلم، التي تولد نزعة العنف والتطرف.

قال النووي: «وأما قوله ﷺ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا فمعناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حاسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو قف

(1) _ آل عمران: 64.

(2) _ الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، 269.

(3) _ أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، رقم: 1827، ج3، ص 1458.

وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك والله أعلم»⁽¹⁾.

2- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر»⁽²⁾.

ذلك لأن ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته وهم جم غفير، فإذا كفه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير بخلاف قتل الكافر⁽³⁾.

لهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان جائر، فالنفع الذي يتحقق عند منع السلطان من الظلم، أكثر من النفع الذي يترتب على الجهاد في حد ذاته.

3- تصف السيدة عائشة النبي عليه الصلاة والسلام بقولها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»⁽⁴⁾.

هنا يشير عليه الصلاة والسلام إلى العدل داخل الأسرة، على اعتبار أنها نواة المجتمع، فكان عليه الصلاة والسلام يعدل بين زوجاته، ليبين لنا أن قيمة العدل تبدأ من الأسرة ثم تمر بالمجتمع وصولا إلى الطبقة الحاكمة التي تدير شؤون الناس.

يقول بدر الدين العيني في شرحه للحديث: «هذا باب في بيان العدل بين النساء، يعني إذا كان رجل له امرأتان أو ثلاثة أو أربع يجب عليه أن يعدل بينهن في القسم، إلا برضاهن، بأن يرضين بتفضيل بعضهن على بعض ويحسن معهن عشرتهن ولا يدخل بينهن من التحاسد والعداوة ما يكدر صحبته لهن، وتقام العدل أيضا بينهن تسويتهن في النفقة والكسوة والبعثة ونحوها»⁽⁵⁾.

فحياة النبي صلى الله عليه وسلم كانت قائمة على العدل، عدل داخل أسرته، وعدل مع أصحابه، وعدل مع رعيته، وعدل مع أعدائه، فأسس بذلك دولة العدل في المدينة، التي كانت مهدا للحضارة الإسلامية التي

(1) _ يحيى بن شرف النووي، يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1312 هـ. ج12، ص 212.

(2) _ أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في الامام العادل، رقم 1329، ج3، ص 609.

(3) _ شرف الدين الطيبي، المصدر السابق، ج8، ص 2581.

(4) _ أخرجه الترمذي، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، رقم: 1140، ج3، ص 438.

(5) _ بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج20، ص 199.

بنيت على أساس العدل.

ثالثا: القيمة الحضارية للعدل ودورها في حماية المجتمع من التطرف

• العدل قيمة حضارية أسس لها الإسلام

لقد عرف العدل عند الأمم السابقة كما عرف الظلم، غير أن حدود كل منهما لم تعرف، شأنها شأن الكثير من المعاني التي أوضح وبين معناها الإسلام فيما بعد فقد عاشت الأمم السالفة صراعا طبقييا قسم المجتمعات إلى طبقات، وطرائق على أساس اللون والجنس والديانة، كما عند اليونان، والرومان، والفرس وغيرهم.

فكان الفرد ينشأ في كنف هذا الصراع الطبقي، إلى أن جاء الإسلام فجعل من المثل العليا إقامة العدالة بين أتباعه، وحتى مع غير المنتسبين إليه، فالعدل في الإسلام لا محدود، بصريح القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽¹⁾، فلا يقف شيء في طريق العدل حتى ولو كان مخالفا بصرف النظر عن جنسه ولونه وعرقه وديانته⁽²⁾.

حتى جاء الإسلام فجعل العدل شامل لجميع جوانب الحياة، في الأقوال والأفعال والمعاملات والعقائد وغير ذلك من أمور الحياة، ففي جانب الأقوال مثلا نجد أن الإسلام شدد على ضرورة الابتعاد عن إطلاق الأحكام الجزافية على الناس كالتكفير، والتبديع، ومحاولة الخط من قيمة الغير مجرد الانتقاص بالظلم والتعدي لا الإصلاح والتقويم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾⁽³⁾، فبين الإسلام أن إطلاق الأحكام على الغير من غير تثبت ولا روية، هو انحراف عن العدل إلى الظلم، فقد حمل هذا الكثير من الناس على التطرف في حق الغير، إذ تصدر عنهم الأحكام الاستباقية من غير علم أو تثبت، مما ولد

(1) _ المائدة: 8.

(2) _ عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 299، 300، 301.

(3) _ الأنعام: 152.

شحناء وعداوة بين المسلمين، ضربت جذور وحدتهم وتآلفهم⁽¹⁾. فأهمية العدل في الإسلام تكمن في كونه يحافظ على استقرار الأوطان، وجلب مصالح العباد، ودرأ كل أشكال الفساد في الداخل أو الخارج.

يقول الماوردي: « وإذا أحكم الملك قواعد ملكه باستعمال الحزم وبسط العدل ولم يغفل عن الحزم في صغير ولا كبير ولم يترخص في الجور من قليل ولا كثير أحاطت السلامة بملكه وحفت السعادة بدولته فأمن غوائل الفساد وسلم من ظهور الفساد وكان الناس معه بين حامد لعدله وإحسانه وحذر من بأسه وسلطانه، فشكره الأخيار واتقاه الأشرار ولم يتطرق إلى ملكه خلل ولا على نفسه وجل فصح أن الحزم والعدل أدفع لشوائب الملك ومخاوف الملوك من كل عدة وأبلغ في صلاحهم من كل نجدة فيستنجد للملك حزمه ويستعد عدله فإنه يستغني بهما عن كل عدة ويستعان بهما في حراسته من الخطر وحفظ ملكه من الغير»⁽²⁾.

ويذكر عبد الرحمن بن نصر الشيزري في بيان أهمية العدل في الحياة فيقول: «اعلم أن العدل أشرف أوصاف الملك وأقوم لدولته لأنه يبعث على الطاعة ويدعو إلى الألفة وبه تصلح الأعمال وتنمو الأموال وتنتعش الرعية وتكمل المزية وقد ندب الله عز وجل الخلق إليه وحثهم عليه»⁽³⁾.

• دور قيمة العدل في صلاح المجتمع وتحسينه من التطرف

لا شك أن العدل والتطرف يجتمعان في معادلة واحدة، مفادها أنه كلما بسط العدل نفوذه ضيق دائرة التطرف، وكلما اتسع مجال الجور والاستبداد تفاقم معه التطرف والانحراف، وهذا ظاهر بين في المجتمعات الراقية التي تعيش على قدر كبير من العدالة، نجد أن نسبة التطرف فيها منخفضة جداً، مقارنة بنظيرتها في البلدان المتخلفة، حيث فسحت المجال للتطرف نتيجة الظلم والاستبداد السياسي. فالاستبداد له أثر كبير على الفرد والمجتمع، يقول الكواكبي: «الاستبداد يتصرف في كثير الأميال الطبيعة والأخلاق الحسنة، فيضعفها أو يفسدها أو يمحوها فيجعل الإنسان يكفر بنعم مولاه، لأنه لم يملكها

(1) _ عبد الوهاب بن لطف الديلمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 14، شعبان، 1430هـ، أغسطس 2009م، ص 14، 15.

(2) _ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 233.

(3) _ عبد الرحمن بن نصر الشيزري، المصدر السابق، ص 242.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

حق الملك ليحمده عليها حق الحمد، ويجعله حاقدا على قومه لأنهم عون لبلاء الاستبداد عليه وفاقدا حب وطنه، لأنه غير آمن على الاستقرار فيه ويود لو انتقل منه، وضعيف الحب لعائلته لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها، ومختل الثقة في صداقة أحبابه، لأنه يعلم منهم أنهم مثله لا يملكون التكافؤ»⁽¹⁾.

ويذكر في موضع آخر أن الاستبداد يخلق الفوضى في حياة الإنسان، فلا نظام في أخلاقه، قد يصبح غنيا فيضحى شجاعا كريما، وقد يمسي فقيرا فيبيت جانا خسيسا، وهكذا كل شؤونه تشبه الفوضى، لا ترتيب فيها، فهو يتبعها بلا وجهة⁽²⁾.

فقد أجمعت الأمة على أن العدل سبب كاف في صلاح المجتمع ونهضته، وأن الظلم آثاره وخيمة على الفرد والمجتمع، وأن تخلف الدول ناجم عن غياب العدل، كذلك مظاهر الانحراف والتطرف تعبر عن خلل في منظومة القيم وأهمها قيمة العدل.

فالعدل في الإسلام يحقق مصالح دينية وأخرى دنيوية، فالدينية: مبسطة في القرآن والسنة كون صاحبه ينال الثواب، ويرفع في الدرجات، وينال القرب من الله عز وجل، وغيرها مما ورد في السنة النبوية⁽³⁾، والدينية: تحقيق العمارة والاستخلاف للذين لا طريق إلى الوصول إليهما إلا بالعدل، ويدفع كل مظاهر وأشكال الفساد، الذي من شأنه كبح جماح التقدم والرقي الحضاري.

والعدل يعزز الثقة بين الحاكم والمحكوم، وبالتالي تقل معه فرص التطرف، كما يقطع الطريق على كل المؤامرات الداخلية والخارجية.

والعدل كذلك يجلب الأمن والاستقرار في المجتمع فهو يحد من انتشار الفتن والحروب نتيجة قيام الثورات التي تبدأ بمطالب اجتماعية وسرعان ما تتحول إلى العنف والإرهاب.

(1) _ عبد الرحمن الكواكبي، المرجع السابق، ص 107.

(2) _ المرجع نفسه، ص 111.

(3) _ محمد بن علي الغرناطي، المصدر السابق، ص 229.

المبحث الخامس: البعد الإنساني (تأسيس عقيدة التوحيد للقيم الإنسانية-الحرية،

التعايش-) ودورها في مواجهة التطرف

المطلب الأول: قيمة الحرية ودورها في معالجة التطرف

أولاً: الحرية (المفهوم-القيمة)

1- مفهوم الحرية

• المعنى اللغوي

الحرية لفظ مأخوذ من "الحر"، والحُر بالضم خلاف العبد⁽¹⁾. والحرّة خلاف الأمة، والجمع حرائر⁽²⁾.

ومنه قوله: تحرير الرقبة، أي: عتقها، وتحرير الولد: أن تفرده لطاعة الله وخدمة المسجد⁽³⁾.

وفي لسان العرب لابن منظور: وحَرَ كل أرض وسطها وأطبيها، والحرّة والحُر: الطين الطيب، ويقال أيضاً للفعل الحسن حُرّاً⁽⁴⁾.

فالحرية في اللغة خلاف الاستبعاد والاستبداد، وهي ترمز إلى الشيء الطيب والحسن.

• المعنى الاصطلاحي

في معجم اللغة العربية المعاصرة أن الحرية: «فلسفة سياسية تقوم على الإيمان بالتقدم واستقلال الفرد الذاتي، وتنادي بحماية الحريات السياسية والمدنية، تعرف كذلك بالليبرالية»⁽⁵⁾.

مفهوم الحرية من خلال هذا التعريف انحصر في الحرية السياسية والمدنية، وهذا مجال من مجالات الحرية، لأن مفهوم الحرية بشكل عام يتعدى ليشمل جميع الحريات، وهذا ما أقره الإسلام بأن وسع دائرة الحرية وجعلها تقتحم كل المجالات، بدءاً من الحرية الدينية إلى السياسية والاقتصادية... الخ

(1) _إسماعيل بن حماد الجوهري، المصدر السابق، ج2، ص 627.

(2) _المصدر نفسه، ج2، ص 628.

(3) _المصدر نفسه، ج2، ص 629.

(4) _ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 182.

(5) _أحمد مختار عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص 468.

وعند الجرجاني الحرية تعني: «الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار، وهي على مراتب: حرية العامة عن رق الشهوات، وحرية الخاصة، عن رق المرادات لفناء إرادتهم من إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة، عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار»⁽¹⁾.

يتجه الجرجاني في تحديد مفهوم الحرية إلى معناها عند أهل الحقيقة وهم الصوفية الذين جعلوها على ثلاث مراتب، كلها تشير إلى الفناء في الذات الإلهية، والتخلي عن كل ما سوى الله، من شهوات، ومرادات، ورسوم وآثار، ليصل العبد إلى مبتغاه.

ويعرفها المناوي بقوله: «والحرية ضربان: الأول من لم يجر عليه حكم السي نحو «الحر بالحر»، والثاني من لم تملكه قواه الذميمة من حرص وشره على المقتنيات الدنيوية»⁽²⁾.

يقسم جميل صليبا الحرية إلى قسمين في إطارها السياسي والاجتماعي فالحرية الأولى وهي الحرية النسبية، والمقصود منها التخلص من القسر والإكراه الاجتماعي، كحرية الفكر، والرأي، والضمير، والدين، والتعبير وغيرها⁽³⁾. والحرية المطلقة: وهي حق الفرد في الاستقلال عن جماعته التي انخرط فيها وليست استقلالاً فعلياً، بل المقصود منها استحسان هذا الاستقلال الفردي واعتباره قيمة خلقية مطلقة، فالحرية في هذا المعنى تدل على حالة شخص لا يقدم على فعل أو عمل إلا بعد التحري عن صوابه، فهو يعرف ما يريد ومالا يريد، فلا يقدم على فعل إلا بعد أن يتحرى أسبابه ونتائجه، ويطلق على هذه الحرية اسم الحرية الأدبية الخلقية⁽⁴⁾.

2- تأسيس القرآن الكريم والسنة النبوية لقيمة الحرية

أ- الحرية في الخطاب القرآني

لم ترد الحرية في القرآن الكريم بهذا اللفظ وإنما جاء ذكرها بما يوافق معناها أو يقارب منه، غير أنها تتجه في مجملها نحو الحرية الدينية، وهي عدم الإكراه في الدين والعقيدة وفسح المجال أمام الإنسان في

(1) _ الجرجاني، المصدر السابق، ص 81.

(2) _ المناوي، المصدر السابق، ص 138.

(3) _ جميل صليبا، المرجع السابق، ج 1، ص 462.

(4) _ المرجع نفسه، ج 1، ص 462، 463.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

اختيار معتقده أو الدين الذي يدين به.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1).

فالآية هنا تدعو إلى عدم الإكراه في الدين، فالإسلام لم يكره أحدا على الدخول فيه، يقول ابن عاشور: «وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال والتمكين من النظر، وبالاختيار» (2).

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (3).

وهنا يخير النبي ﷺ الناس بين الإيمان به أو الكفر، كما أمره بذلك ربه يقول الزمخشري: «وقل الحق من ربكم، الحق خبر مبتدأ محذوف، والمعنى جاء الحق وزاغت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك» (4).

فجمهور المفسرين على أن هذا المراد بالآية بأن دعوة الإسلام لم تأت بالإكراه ولا القسر، وإنما جاءت لتخير الناس بين الإتيان أو الترك، لأن الإكراه في حد ذاته يعد ضربا من ضروب العنف والتطرف وهذا مخالف لما يكفله الإسلام للفرد من حرية المعتقد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (5).

فالعقيدة الإسلامية هنا راعت في مسألة عدم الإكراه جوانب التفاوت الموجود عند البشر، باختلاف مداركهم، وفهمهم وسرعة استجابتهم فلم تكره أحدا على اعتناقها.

(1) _البقرة: 256.

(2) _الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 26.

(3) _الكهف: 29.

(4) _الزمخشري، المصدر السابق، ج2، ص 719.

(5) _يونس: 99.

يقول ابن عاشور: «المعنى: لكنه لم يشأ ذلك، فاقترضت حكمته أن خلق عقول الناس متأثرة ومنفصلة بمؤثرات التفاوت في إدراك الحقائق فلم يتواطؤوا على الإيمان، وما كان لنفس أن تؤمن إلا إذا استكملت حلقة عقلها ما يهيئها للنظر الصحيح وحسن الوعي لدعوة الخير ومغالبة الهدى في الاعتراف بالحق»⁽¹⁾.

وخلاصة القول أن هذه الآيات وغيرها مما ورد ذكره في القرآن الكريم عن موضوع الحرية الدينية، إنما ساقها القرآن للتدليل على أن العقيدة الإسلامية عقيدة سمحة تحمل معها الرفق واللين وتنبذ العنف والإكراه، والذي يوضح ذلك هدية عليه الصلاة والسلام كمثل عن هذه العقيدة وناطق باسمها، إذ أن دعوته كانت من غير إكراه ولا قسر، فكان يحاور ويعايش غيره من مختلف المذاهب والأديان.

ب- تجسيد السنة النبوية لمبدأ الحرية

لقد كفل النبي ﷺ منذ مبعثه حرية أتباعه بأن جعل لهم حق المشورة وإبداء الرأي، وفي الجهة الأخرى امتدت هذه الكفالة إلى غير المسلمين ليضمن لهم الحق في الحرية.

ذلك أن الإسلام ظهر في مجتمع تعددت فيه القبائل والجنسيات المختلفة من فارسي وعربي ورومي، وغيرها من الأعراق المختلفة، كما كان هذا المجتمع يعج بالرق والعبيد، فقد كانت العبودية سائدة على اختلاف أنواعها، فجاء الإسلام فأراد أن يغلق على الناس باب العبودية ويفتح عليهم باب الحرية والكرامة، من خلال محاربه التدرجية لنظام الرقيق، فكان القرآن يرغب في عتق الرقية: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾⁽²⁾.

وقد رغب في ذلك النبي ﷺ بأن كان يأمر الناس ويحثهم على العتق، فأمر ذلك الصائم الذي انتهك حرمة رمضان بعتق الرقبة، كما كان عليه الصلاة والسلام يوصي بالمملوك خيرا، ويحث على حسن معاملته والرفق به فيقول: «للمملوك طعامه وكسوته، ولا تكلفونه من العمل ما لا يطيق»⁽³⁾، حتى آل الأمر إلى إلغاء كلمة العبد والأمة من مصطلحات الحياة الاجتماعية آنذاك، قال عليه الصلاة

(1) _الظاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص 293.

(2) _النساء: 92.

(3) _أخرجه أحمد، رقم 7365، ج12، ص 324.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها (التطرف

والسلام: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي»⁽¹⁾.⁽²⁾.

وفي دعوة منه صريحة إلى حرية الفرد قال عليه الصلاة والسلام: «فكوا العاني، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض»⁽³⁾. والعاني هو الأسير، فهو يشير إلى فكك الأسير من قبضة العبودية على اختلافها، سواء عبودية العدو، أو العبودية الأخرى.

وانطلاقاً من هذا الحديث أسس العلماء فتواهم بأن تحرير الأسير من فروض الكفاية، قال ابن بطلال: «فكك الأسير فرض على الكفاية لقوله عليه الصلاة والسلام: فكوا العاني، وعلى هذا كافة العلماء، وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال: فكك كل أسير من أسرى المسلمين من بيت المال»⁽⁴⁾.

وعليه فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحرص أشد الحرص على أن يبين للناس وحدتهم الإنسانية فيزيل عنهم كل تلك الفوارق، ويشعرهم بالحرية التي جاء بها الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى»⁽⁵⁾.

تعليقاً على هذا الحديث يقول الندوي: «وهذا الإعلان يتضمن إعلانين، هما الدعواتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام، وعليهما قام الإسلام في كل مكان وزمان، وهما وحدة الربوبية، والوحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين، والإنسان أخو الإنسان مرتين، مرة وهي الأساس لأن الرب واحد، ومرة ثانية لأب واحد...»⁽⁶⁾.

فالدين الإسلامي كما بين النبي ﷺ بأفعاله وأقواله حق مشاع، وثروة مشتركة بين بني البشر جميعهم، دون النظر إلى عرقهم ولا لأصلهم ولا جنسهم، فليس فيه احتكار لأمة على أمة، كاحتكار

(1) _ أخرج النسائي، كتاب: عمل اليوم والليلة، رقم 9999، ج 9، ص 100.

(2) _ محمد عمارة الإسلام وحقوق الإنسان، ص 17-20.

(3) _ أخرج البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فكك الأسير، رقم 3046، ج 4، ص 68.

(4) _ ابن بطلال، المصدر السابق، ج 5، ص 210.

(5) _ أخرج البيهقي في شعب الإيمان، رقم 4774، ج 7، ص 132.

(6) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 30، ص 31.

نبي لاوي من اليهود، أو البراهمة من اليهود، فلا يتميز فيه شعب عن شعب، ولا أمة عن أمة، بل مجرد ذلك الاجتهاد في تحصيل التقوى ومدى قدرة كل أمة على الوصول إلى هدف الاستخلاف وتحقيق العبودية لله في أرضه⁽¹⁾.

ثانيا: مبدأ الحرية في التصور الغربي

يعمد الغرب إلى تصوير الإنسان الحر على أنه ذلك الكائن المعزول القلق المحطم، الذي لا يرى سبيلا إلى حريته غير تحطيم تلك القيود قيود القيم والأخلاق والمبادئ، فيتجه بذلك إلى الانحراف والبعد عن إيجابيات الحياة، فالحرية في الغرب انتقلت من معناها الفلسفي إلى المعنى المادي، حيث لا ضابط لهذه الحرية ولا حدود، غير أنها لا تخلو من إيجابيات ساعدت على نهضة الغرب وتفوقه اقتصاديا، وسياسيا وعسكريا، وتمثل هذه الحرية في انفتاح الشعوب الغربية على العلم، وعلى الدعوة إلى التحرر ورفض الاستبداد، كما يتضح من مفهوم الحرية لديهم من خلال تحرير الإنسان من كل إكراه وقيد، وقد أفضى هذا المفهوم بالغرب إلى الطغيان والظلم وسلب الحقوق، في حين يبقى شعار الحرية في الغرب شعارا شكليا أكثر منه واقعيًا، وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام المختلفة، التي تتلاعب بعقول شعوبها، بتوجيهها إلى تبني أفكار معينة تخدم تلك الدول والحكومات الاستعمارية⁽²⁾.

فالحرية في التصور الغربي هي في حقيقة الأمر تطرف من نوع آخر، كونها تخالف القيم والمبادئ، وتدعو إلى الانحلال والانحراف، عكس الحرية في العقيدة الإسلامية، التي تتسم بالتوازن والاعتدال وعلى جميع المستويات، فقد انتقل هذا الشعار من الغرب إلى العالم الإسلامي فأحدث شرخا كبيرا في الهوية والثقافة الإسلامية باسم الحرية وحقوق الإنسان.

فالإفراط في مجال الحريات عند الغرب نجم عنه «إطلاق شعار الحرية دون أن تكون محصورة في المساحة التي تكون فيها نافعة وصالحة، انطلاق الوحش البشري مفسدا مدمرا محطما الفضائل، والأخلاق، والقيم الدينية والنظم الاجتماعية، ومحطما مبادئ الحق والعدل، ومستغلا شعار الحرية لتبرير كل فساد وإفساد، ولاستخدام القوة التي تعتمد عليها الثورات مع ما تشعله من فتن، لمصادرة حياة

(1) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 31، ص 32.

(2) _ راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م، ص 31-35.

خصومها، وأمنهم ومالهم وحقهم، ومحاربة كل منصف يجب الحق والعدل والفضيلة، ويطالب بسيادة هذه القيم»⁽¹⁾.

ثالثاً: مقتضيات الحرية في العقيدة الإسلامية ودورها في القضاء على التطرف

• حماية حرية الاعتقاد ودورها في مواجهة الاستبداد الديني

حرية الاعتقاد تعني: «حرية الاختيار في أن يتبنى الإنسان من المفاهيم والأفكار ما ينتهي إليه بالتفكير أو ما يصل إليه بأي وسيلة أخرى من وسائل البلاغ، فتصبح معتقدات له، يؤمن بها على أنها هي الحق، ويكيف حياته النظرية والسلوكية وفقها، دون أن يتعرض بسبب ذلك للاضطهاد أو التمييز أو التشهير، ودون أن يكره بأي طريقة من طرق الإكراه على ترك معتقداته، أو تبني معتقدات أخرى مخالفة لها»⁽²⁾.

فالمجتمع الإنساني لم يعرف السلام بسبب اختلافه في الدين، فكانت كل جماعة أو أمة تثور على مخالفيها في العقيدة، وكثيراً ما نشأ عن ذلك تطرف وانحراف أفضى إلى صراع وصل إلى حد الاقتتال وسفك الدماء بين أتباع تلك الأديان، ويعود السبب في ذلك إلى نزعة الحقد والكراهية التي بثها المتطرفون من أتباع تلك الأديان، وبمجيء الإسلام غير نظرة الكراهية والحقد وقلل من حدتها، فبث في العالم نظرة مغايرة تماماً، توصل من خلالها إلى نزع الكثير من الأحقاد والكراهية عند أتباعه فضلاً عن أتباع الديانات الأخرى، حيث جعل الاختلاف حق مشروع وسنة كونية، فلا بد من التعايش والتكيف داخل المجتمع الإنساني وبهذا صرح القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْتَلِفِينَ﴾⁽³⁾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ⁽³⁾.

فقد بينت هذه الآية أن الاختلاف والتنوع سنة كونية، وعلى هذا فالمسلمون مطالبون بالابتعاد عن كل أشكال التطرف والتعصب ضد الغير، مهما كان لونه أو جنسه أو عقيدته⁽⁴⁾.

(1) _ حسن حنكة الميداني، كواشف زيوف، ط2، دار القلم، دمشق، 1991، ص 224.

(2) _ المرجع نفسه، ص 42.

(3) _ هود: 118-119.

(4) _ عفيف عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص 280-281.

لأجل ذلك كان الإسلام أسبق الأديان إلى تأسيس التعايش في ظل التعددية الدينية، وهذا انطلاقاً من دستور المدينة، أو وثيقة المدينة التي وضع أسسها النبي ﷺ، حيث أسس لحقوق المواطنة وواجباتها على نحو غير مسبوق وغير ملحق في الإطار غير إسلامي، فلم يتم هذا التأسيس على أنقاض هذه الأديان، أو على استيعابها وإنما كان تأسيساً يجمع بين مختلف الأديان والطوائف، مع كامل الإنصاف والمساواة بينها في الحقوق والواجبات، كل هذا في ظل المرجعية الإسلامية لما نص عليه دستور المدينة⁽¹⁾.

وعليه فإن الحرية في العقيدة الإسلامية تكمن في الآتي:

أولاً: في عدم التضييق على الإنسان في أن يتخذ معبوداً له، فهي من هذه الجهة تكتسب القدسية التي تمنع أن يدخل عليها تسلط البشر، فالحرية أمانة في أعناق المؤمنين يسعون إلى تحقيقها والدفاع عنها، فمن مقتضياتها الدفاع عن المظلوم، أيا كان انتماءه العرقي أو الديني⁽²⁾.

ثانياً: كما تتسم الحرية في العقيدة الإسلامية، كونها تكتسب منها خاصية الشمولية والايجابية التي هي من خصائص العقيدة الإسلامية، فتبتعد بذلك عن الشكالية والجزئية⁽³⁾.

ثالثاً: ترتبط الحرية في العقيدة الإسلامية بالعدل المطلق، الذي لا يكون إلا من الله فلا تعطي سلطة الحكم إلا لله، عكس سلطة باباوات الكنيسة الذين استعبدوا الناس باسم الإله⁽⁴⁾.

رابعاً: من معالم الحرية في العقيدة الإسلامية أن جعل وظيفة الدعاة والمصلحين من الرسل والأنبياء وغيرهم ممن شغل وظيفتهم، جعل مهمتهم البلاغ «إن عليك إلا البلاغ»⁽⁵⁾، ولم يجعل لهم سلطة المحاسبة، أو فرض الإسلام بالقوة على الغير، ونصوص القرآن وشواهد كثيرة في دعوة المسلمين وغير

(1) محمد عمارة، الساحة الإسلامية، ط1، دار نضمة، مصر، دت، ص 20-21.

(2) _فصلت: 46.

(3) _راشد الغنوشي، المرجع السابق، ص 42.

(4) _المرجع نفسه، ص 42.

(5) _ عبد الحميد النجار، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها، ملتقى منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي

الدولي، الشارقة، الإمارات، ص 5.

المسلمين والتي هي أحسن⁽¹⁾.

يقول البوطي: «إن مهنة الداعي إلى الله وقد علمنا أن هذه الدعوة هي جذع الجهاد ومصدر تنوعاته وأحكامه، هي أن يبصر الناس بهوياتهم وبأنهم مكلفون من قبل الله بأداء مهام محدودة في نطاق اليقين والاعتقاد أولاً، وفي نطاق التعامل والسلوك ثانياً، ثم يتركهم أحرار في اتخاذ القرار الذي يشاءون من حيث الاستجابة وعدمها لهذا التكليف، على أن ينتبهوا إلى الجزاء الذي وعد أو توعد الله به عباده المكلفين»⁽²⁾.

خامساً: كما يترتب على حرية الاعتقاد في الإسلام «أن يكون للمخالفين من أهل الكتاب حقهم في العبادة وإقامة شعائر دينهم، وألا يكون هناك تدخل في دائرة الاعتقاد الديني لغير المسلمين، ولا يصح أن تنتقص حقوق أهل الكتاب في أي مجتمع إسلامي، لأن ذلك يتعارض مع الإسلام ولا يصح أن يكون باسمه»⁽³⁾.

سادساً: أن مرجعية الحرية الدينية في العقيدة الإسلامية هو الدين نفسه، يقول عبد المجيد النجار: «إن المرجعية المؤسسة للحرية الدينية في الإسلام، والموجهة لمساراتها، والضامنة لصيرورتها، هي إذن مرجعية تضرب جذورها في تعاليم الدين نفسه، فالدين هو المؤسس للحرية الدينية، تكليفاً إيمانياً وتفصيلاً تشريعياً، فيكون الإخلال بها إخلالاً بالدين في مقتضياته الإيمانية والتشريعية...»⁽⁴⁾.

• العقيدة الإسلامية تضمن حرية الفكر والتعبير

مما يتوافق مع حرية المعتقد، هو حرية التعبير عن هذه العقيدة، فالإنسان حر في التعبير عن عقيدته دون المساس بعقيدة الآخر، فهو حر من جهة الممارسة لهذه العقيدة من عبادة أو تصرفات شخصية، أو توافقات جماعية تعبر عن معتقده، فالإسلام جاء ليشرع ذلك، فالدين الإسلامي هو

(1) _ عبد العظيم إبراهيم محمد المعطي، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية، منهجاً... وسيرة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993، ص 95

(2) _ محمد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1993م، ص 37.

(3) _ جمال الدين محمد محمود، المرجع السابق، ص 88.

(4) _ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 8.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

المؤسس لهذه الحرية، والداعي إليها ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُوتَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٢) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴿١﴾.

فالأنبيا عليهم السلام هم أول من أسس لحرية الفكر والتعبير، محاولين بذلك تقوية الإيمان لدى الأتباع، وإقناع الخصوم بالحجة والبرهان يقول الكواكبي: «وقد سلك الأنبياء عليهم السلام في إنقاذ الأمم من فساد الأخلاق مسلك الابتداء أولا بفك العقول من تعظيم غير الله والإذعان لسواه وذلك بتقوية حسن الإيمان المفطور عليه وجدان كل إنسان، ثم جهدوا في تنوير العقول بمبادئ الحكمة، وتعريف الإنسان كيف يملك إرادته، أي حريته في أفكاره، واختياره في أعماله، وبذلك هدموا حصون الاستبداد وسدوا منابع الفساد» (٢).

وفي العهد النبوي جسد النبي ﷺ مفهوم الحرية في أتباعه بأن جعل لهم الحق في إبداء الرأي والتعبير عن الفكر، فكان عليه الصلاة والسلام يستشيرهم ويطلب رأيهم فيما لا وحي فيه، كما صنع في غزوة بدر، وفي قضية الأسرى، وغيرها من القضايا بل كان عليه ﷺ يشجعهم على ذلك، فكان هذا من أحب الأمور إليه، وكثيرا ما تنازل عن رأيه إزاء رأي أصحابه (٣).

فالعقيدة الإسلامية جاءت لتحرر الإنسان كما قال جعفر لملك الحبشة: «جئنا لنحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد» (٤)، فالإسلام يرى في الحرية الشيء الذي يحقق معنى الحياة للإنسان... فيها حياته الحقيقية التي يفقدها يموت، حتى ولو عاش يأكل ويشرب ويسعى في الأرض كما هو حال الدواب والأنعام» (٥).

فالإنسان الحر المختار المرید في المفهوم الإسلامي للحرية، يزداد تألقا وسموا إذا ما هو مارس هذه

(١) _ الكافرون: 1-2-6.

(٢) _ عبد الرحمن الكواكبي، المرجع السابق، ص 117.

(٣) _ أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، ص 135.

(٤) _ أخرجه أحمد، رقم 1740، ج 3، ص 263.

(٥) _ محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، المرجع، ص 17.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

الحرية، وفعلها على أرض الواقع، فينقلها من المجال النظري إلى التطبيق⁽¹⁾، بأن يكون حراً في إبداء رأيه وممارسة حقه في التعبير.

• الحرية في العقيدة الإسلامية تتماشى والقيم

يذهب طه عبد الرحمن إلى أن حرية التعبير ليست على إطلاقها كما يفهمها الغرب، بل لها حدود تحددها وتضييقها، ذلك أن أفعال الإنسان وأوصافه لا تتمتع بالمطلقية كما لا يتمتع وجوده بذلك، فينتج عن ذلك أن حرية التعبير لا يمكن أن تكون مطلقة، لذا فإن الإنسان مطالب بأن يراعي القيم الأخلاقية عند ممارسة هذا الحق، فحرية التعبير إذا لم تهذب أصبحت حرية مسيئة فوضوية تمس القيم والإنسانية، فما يدافع عنه بعضهم في إطلاق حرية التعبير دون تهذيب إنما المقصود منه التنصل من قيد الأخلاق والقيم⁽²⁾.

فقد أنتجت هذه الحرية المبالغ فيها تطرفاً من نوع آخر، تمثل في الإساءة إلى الأديان والمعتقدات باسم الحرية، ثم بين مختلف الطوائف المسلمة باسم الحرية، ففتح الباب على مصراعيه للنقد اللاذع البعيد عن الأسس العلمية خاضعاً في الغالب للأهواء والنزوات.

فالإسلام جعل منها وسطاً في تصوره للحرية، فهو يقف في موقف معتدل بين طرفي نقيض، بين الحرية المستوردة من الثقافة الغربية التي تؤدي إلى انحلال في القيم والأخلاق والمساس بالشواهد والمقدسات، وبين الجهة الأخرى التي ترى في العقيدة الإسلامية أداة لكبح الحريات وقمع الأفراد ويمثلها التيار المتطرف.

(1) _ محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، المرجع، ص 21-25.

(2) _ طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013م، ص 173-174-175.

المطلب الثاني: مبدأ التعايش مع الآخر ودوره في مواجهة تطرف الإقصاء والعنصرية

أولاً: مفهوم التعايش (لغة واصطلاحاً)

• المعنى اللغوي

التعايش كلمة مشتقة من "العيش" وهو الحياة، عاش يعيش عيشاً وعاشه، عاش معه كقوله
عاشره، قال قعنب بن أم صاحب:

وقد علمت على أنى أعایشهم لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن⁽¹⁾.

والعيشة ضرب من العيش، يقال عاش عيشه صدق وعيشة سوء⁽²⁾.

والمعاش والمعيش والمعيشة هو ما يعاش به⁽³⁾.

ومنه تعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار، وتعايشت الدولتان تعايشاً سلمياً،
والتعايش السلمي بين الدول، أي الاتفاق بينهما على عدم الاعتداء⁽⁴⁾.

والعيش المشترك بين أقوام يختلفون مذهباً أو ديناً أو بين دول ذات مبادئ مختلفة⁽⁵⁾.

فالتعايش يحمل كل معاني الاتفاق والتقارب والتعارف بين الناس على اختلافهم، فهو من السنن
الكونية التي جعلها الله بين خلقه على اختلافهم العرقي واللغوي والمذهبي.

• المعنى الاصطلاحي

للفظ التعايش عدة تعاريف نذكر منها:

1- تعريف عبد المنعم الخفني: وهو أن تعيش جماعات مع بعضها البعض وأن تتآلف وتتواد
وتتوافق، فينتج عن ذلك انصهار بعضها في بعض فلا تتمايز، وقد يحدث عكس ذلك إذ تحتفظ كل

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص 321.

(2) _ المصدر نفسه، ج6، ص 321.

(3) _ المصدر نفسه، ج6، ص 321.

(4) _ أحمد مختار عبد الحميد عمر، المرجع السابق، ج2، ص 1583.

(5) _ المرجع نفسه، ج2، ص 1583.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها التطرف

جماعة بخصائصها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها، ومن ذلك التعايش السلمي، وحوار الأديان، وحوار الحضارات⁽¹⁾.

2- وعند مصطفى مكي الكبيسي: « هو اتفاق بين طرفين مختلفين دينيا أو فكريا أو إقليميا أو عنصريا على تنظيم وسائل عيشها، ولديهما رغبة متبادلة في ذلك وفق قواعد أساسية محددة تقوم على توزيع الموارد والمنافع، وتحمل تكاليف ذلك على قاعدة: الغنم بالغرم، مع الاحترام المتبادل، والاستفادة من خبرات كل طرف، مع احتفاظ كل فريق بخصوصياته⁽²⁾».

من خلال هذين التعريفين نجد أن مصطلح التعايش يتجه معناه نحو التقارب والتفاهم والتسامح بين الشعوب المختلفة على أي جهة كان هذا الاختلاف، إن من جهة اللون، أو العرق، أو اللغة أو الدين... إلخ، مع احتفاظ كل أمة من الأمم بخصائصها الدينية أو اللغوية أو العرقية، فيحدث الانصهار كما عبر عن ذلك عبد المنعم الحفني.

وعلى هذا الأساس جاءت العقيدة الإسلامية من خلال الوحيين داعية الشعوب والأمم إلى التعايش في ظل احترام الحقوق والمبادئ الإنسانية المشتركة.

ثانيا: دعوة القرآن الكريم الإنسانية إلى التعايش

ورد لفظ التعايش في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾⁽³⁾.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾⁽⁴⁾.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾⁽⁵⁾.

(1) عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص 203.

(2) مصطفى مكي الكبيسي، أحكام التعايش مع غير المسلمين في المعاملات والأحوال الشخصية، ط1، دار النفائس، عمان، 2013م، ص 25.

(3) طه: 124.

(4) القصص: 58.

(5) الزخرف: 32.

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾⁽¹⁾، في سورة الحاقة، والقارعة فكل هذه المواضع تصب في معنى واحد، وهو العيش أو المعيشة، وهو ما يجياه الإنسان من سعادة أو شقاء، إما في الدنيا أو الآخرة، نتيجة أعماله وما قدم لأخراه.

فالقُرآن الكريم دعا إلى التعايش والتعارف بين البشر، وجعلها من السنن الكونية، ولعل أهم آية تبين ذلك وتوضحه، هو قوله تعالى في سورة الحجرات ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾.

وقد كانت دعوة الإسلام للتعايش بعد ما عاينه من أحوال العرب في الجاهلية وما كانوا عليه من الاقتتال والتشاحن نتيجة ازدياد القبائل لبعضها البعض، وتفضل بعضها على بعض، في النسب أو الشرف، أو الجاه، جاءت هذه الآية لتؤدب المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية، فكان الخطاب بـ "يا أيها الناس" للتأكيد على أن أصلهم واحد، وأن التفاضل بينهم يكون بالعمل الصالح والتقوى⁽³⁾.

يقول ابن عاشور: «وأما جملة وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا فهي معترضة بين الجملتين الآخرين، والمقصود من اعتراضها: إدماج تأديب آخر من واجب بث التعارف والتواصل بين القبائل والأمم وأن ذلك مراد الله منهم»⁽⁴⁾.

ويؤيد ذلك الثعالبي فيقول في معنى الآية: «يا أيها الناس أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقين، وإنما جعلتم قبائل لأن تعارفوا، أو لأن تعرفوا الحقائق، وأما الشرف والكرم فهو بتقوى الله وسلامة القلوب»⁽⁵⁾.

فهذه الآية من الآيات المفصلية في القرآن الكريم، إذ جاءت صريحة في دعوة الناس إلى التعارف فيما بينهم، وهذا التعارف بدوره يؤدي إلى غاية أسمى وهي التعايش، فالتعارف مقدمة ومنطلق للتعايش بين الأمم والشعوب على اختلافها.

(1) الحاقة: 21.

(2) الحجرات: 13

(3) الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 26، ص 258.

(4) المصدر نفس، ج 26، ص 261.

(5) عبد الرحمن الثعالبي، المصدر السابق، ج 5، ص 277.

ومنه فالعقيدة الإسلامية جاءت لتحد من كل مظاهر التطرف التي كانت متفشية في الجاهلية، نتيجة الافتخار بالأحساب والأنساب مما أدى إلى جفوة وتناحر بين تلك القبائل والأمم، فجاء الخطاب العقدي ليذكرهم بخلقهم الأول ثم يدعوهم إلى التفاهم والتعايش تحت مظلة الإنسانية.

ثالثاً: صور التعايش في العهد النبوي

قبل مجيء الإسلام كانت الأمم والشعوب تعيش حالة من العنصرية واللامساواة بين أفرادها، كونها تدعى أنها أفضل من غيرها، ففي اليهود والنصارى يقول تعالى واصفاً استكبارهم وتعاليمهم على غيرهم بقوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّواهُ ﴾⁽¹⁾، فأنكر عليهم زعمهم في كونهم أفضل الشعوب والأمم، كذلك كان فراعنة مصر يزعمون أنهم تجسيد للآلهة في الأرض، وفي الهند والصين، وعند القياصرة الرومان، حيث كان كل من يحكم أو ينتمي إلى السلطة الحاكمة يعد إلهاً، أو جزء من الإله، كذلك العرب لم يكونوا بمنأى عن تلك العنصرية كونهم يعتقدون أنهم أفضل الأمم، وقد أنكر عليهم القرآن زعمهم هذا ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ ﴾⁽²⁾.

فكونهم سكان مكة ومجاوريها كانوا يرون أنهم أفضل الأمم تشريفاً ومكانة وقرباً من الله، أما الإسلام فقد أعلن مبدأ المساواة البشرية، وجعل التفاضل بينها بالتقوى، والفضائل والقيم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى ﴾⁽³⁾. فلا فرق إلا بالتقوى⁽⁴⁾.

فتلك العنصرية التي كانت سائدة ما بين الشعوب والأمم، لها أثر كبير في عدم التعايش والتسامح فيما بينها، كونها أفرزت حروباً واقتتالاً بين مللها ونحلها على أساس عرقي أو ديني أو طائفي، إلى أن جاءت العقيدة الإسلامية تدعو جميع المكونات إلى التعايش والتعارف فيما بينها، فكان النبي ﷺ أول من جسّد هذه القيمة وعمل على تكريسها في مجتمع المدينة، ثم توسعت رقعة التعايش فيما بعد لتشمل

(1) _ المائدة: 18.

(2) _ التوبة: 19.

(3) _ الحجرات: 13.

(4) _ أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ص 34-38.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

مختلف الأمصار في عهد صحابته، وهنا نورد بعض النصوص التاريخية التي توضح دعوته عليه الصلاة والسلام إلى التعايش مع مختلف الأمم والشعوب:

1- عند وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة، وادع غير المسلمين عاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم، واشترط عليهم، ومما جاء في هذا العهد⁽¹⁾: «وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله...»⁽²⁾.

2- تصالح النبي ﷺ مع قريش في صلح الحديبية، أكبر دليل على دعوته إلى التعايش مع المخالف، فمما كتب في وثيقة الصلح: «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريش مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبته⁽³⁾، مكفوفة، وإنه لا إسلال⁽⁴⁾، ولا إغلال⁽⁵⁾، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه»⁶.

والملاحظ على ما كتب في هذه الوثيقة أن فيه شيء من التنازل عن حقه ﷺ، كل ذلك جلبا للمصلحة ودرء للمفسدة، فهو بذلك يريد أن يرسخ قيم التعايش مع غير المسلمين، فهادن وعاهد أعدائه لأجل تحقيق السلم والتعايش، ولو لفترة محدودة من الزمن.

3- وثيقة المدينة التي تعد الدستور الأول في الإسلام الذي وضعه النبي ﷺ على أسس من التصالح والتعايش مع الآخر، فقد أعطى الأمان والسلام لكل من بالمدينة على أن يعيشوا إخوة في

⁽¹⁾ هاني مبارك، شوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997، ص 59

⁽²⁾ عبد الملك ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشبلي، ط2، مطبعة مصطفى البابي، دع، 1955م، ج1، ص 501-504.

⁽³⁾ العيبة: ما يجعل فيه الثياب، والعرب تكني بما على الصدور والقلوب، ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 634.

⁽⁴⁾ الإسلال: الرشوة والسرقعة، الجوهري، المصدر السابق، ج5، ص 1731.

⁽⁵⁾ الإغلال معناها الخيانة، ابن فارس، المصدر السابق، ص 679.

⁶ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 317

الإنسانية، دون النظر إلى اللون أو الجنس أو الدين⁽¹⁾.

ومما جاء فيها: «وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإن لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار⁽²⁾، حرمة إلا يأذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله⁽³⁾».

تعتبر هذه النماذج عن هدية ﷺ في تجسيد قيمة التعايش بين أهل المدينة، بأن جعل للناس دستوراً يتعايشون به يكفل لهم حقوقهم وواجباتهم، دون النظر في عقيدتهم ولا عرفهم أو انتمائهم، وهنا كسر النبي ﷺ كل حواجز الفرقة والاختلاف، وسد الباب أمام الغلو والتطرف تحت أي مسمى كان.

رابعا: مقتضيات وأسس التعايش في العقيدة الإسلامية

1. السلم أساس في علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

إن أصل العلاقة بين الإسلام وغيره من الأديان لم تكن علاقة مبنية على الصراع والعنف كما يصوره الكثيرون، وإنما العلاقة كانت تبنى على الحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وهو ما صرح به القرآن الكريم في غير موضع، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽⁵⁾.

فالإسلام فسح الطريق لتعاون شامل بين أهل الاعتدال من ورثة الأديان كلها⁽⁶⁾.

(1) _ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 317، 318.

(2) _ مأخوذة من الحرية، وهي الأخذ بذنب الآخرين، فلا يؤاخذ الرجل بذنب غيره، ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 129.

(3) _ ابن هشام، سيرة ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص 502.

(4) _ آل عمران: 64.

(5) _ النحل: 125.

(6) _ محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ط6، دار نضفة، مصر، القاهرة، 2005م، ص 67.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

فالبرهان على أن أصل العلاقة بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى هي علاقة سلم وتعايش في إطار القيم الإنسانية المشتركة، ذلك أن لفظ الإسلام يقتضي الشمولية فهو ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم لدين مشترك يحق لكل فرد الدخول فيه والعيش تحت ظله، فكل الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ مجمعون على كلمة واحدة، وهي كلمة الإسلام: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾.

يقول عباس محمود العقاد: «إن الوقائع العملية هي الشهادة للإسلام بالصبغة الإنسانية العالمية، ولا حاجة بالدين إلى شهادة أخرى من ثبت له من تاريخه الأول أنه يضم إليه شعوبا من جميع السلالات والعقائد، ومن جميع الأطوار في الحضارة والمعيشة البدائية، وإن كتابه يخاطب الناس كافة، ويوجه الرسالة إلى كل سامع»⁽²⁾.

في حين أننا إذا سلطنا الضوء على الحضارات الأخرى كالحضارة اليونانية والحضارة الرومانية، نجد بأن التعامل مع المخالف كان في غاية من العنصرية والتمييز، فعند اليونان مثلا نجد أنهم كانوا ينظرون إلى غيرهم على أنهم برابرة أعدتهم الطبيعة ليكونوا عبيدا وخداما، وأما الرومان فإن تطبيق القوانين والأحكام كانت مقصورة على الرومان وحدهم دون غيرهم، فكان الرعايا الأجانب لا يخضعون لأحكام هذه القوانين، مما جعل النصارى آنذاك يلاقون من الظلم والاضطهاد الشيء الكثير⁽³⁾.

في مقابل ذلك نجد أن نظرة العقيدة الإسلامية مغايرة تماما للنظرة المتطرفة التي كانت سائدة في العقائد الأخرى، حيث كفل حق العيش والتعايش لمن كان تحت ظله وسلطانه، وهو ما يفسره تعامل النبي ﷺ مع أهل الذمة وهم المخالفين الذين كانوا يسكنون بلاد الإسلام، معاملة حضارية وراقية تعبر عن قيم التعايش والتسامح المنبثقة عن العقيدة الإسلامية.

(1) _ البقرة: 133.

(2) _ عباس محمود العقاد، الإسلام والحضارة الإنسانية، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ص 184.

(3) _ على بن عبد الرحمن الطيار، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004م، ص

2. العقيدة الإسلامية تدعو إلى تعايش المسلمين مع أهل الذمة

لقد درج فقهاء الإسلام من مختلف المذاهب على استخدام مصطلح "أهل الذمة" وهو لفظ وضع ويقصد به "العهد والكفالة"⁽¹⁾، وهم المعاهدون من أهل الكتاب الذين يعيشون في ديار الإسلام، لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات، وقد أصل العلماء قواعد في التعامل معهم، كلها تدل على إظهار اللين والرحمة بهم في إطار الضوابط الشرعية، مما يعكس صورة العقيدة الإسلامية في التسامح والتعايش بين الناس دون مراعاة خلفياتهم.

ينقل ابن القيم في كتاب "أحكام أهل الذمة" نبذة عن تعامل المسلمين مع أهل الكتاب، مما يعكس الصورة المشرفة التي رسمها المسلمون في تعاملهم مع المخالف والتعايش معه.

➤ **عيادة مريضهم:** يقول ابن القيم: «قال المروزي: بلغني أن أبا عبد الله سئل عن رجل له قرابة نصراني: يعوده؟ قال: نعم»⁽²⁾، وفي موضع آخر ذكر أن الأثرم وهو من الحنابلة نقل عن الإمام أحمد قال: «وقلت له مرة أخرى يعود الرجل اليهود والنصارى؟ قال: أليس عاد النبي ﷺ اليهودي ودعاه إلى الإسلام؟»⁽³⁾.

➤ **شهود جنازتهم:** نقل عن محمد بن موسى قال: «قلت لأبي عبد الله: يشيع المسلم جنازة المشرك قال: نعم»⁽⁴⁾.

➤ **الإسلام يكفل حقهم في إقامة شعائرهم:** يقول ابن القيم عن الزوجة إذا كانت كتابية: «وليس له منعها من صيامها الذي تعتقد وجوبه، وإن فوت عليه الاستمتاع في وقته، ولا من صلاحها في بيته إلى الشرق، وقد مكن النبي ﷺ وفد نصارى نجران من صلاحهم في مسجده إلى قبلتهم...»⁽⁵⁾.

➤ **جواز نكاح المسلم للكتابية:** فالإسلام لم يمنع ذلك وجعله حقا مشروعاً من حقوق التعايش،

(1) محمد عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دط، دار الفضيلة، دت، ص 107.

(2) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاکر بن توفيق العاروي، ط1، مادي للنشر، الدمام، 1997م، ج1، ص 427.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 427.

(4) ابن قيم الجوزية، لمصدر السابق، ج1، ص 432.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 821-822.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

حتى مع اختلاف العقيدة والانتماء الديني، فأراد بذلك فتح باب التعايش والسلام بين أتباع الأديان من اليهود والنصارى والمسلمين، يقول ابن القيم: «والمقصود أن الله سبحانه أباح لنا المحصنات من أهل الكتاب، وفعله أصحاب نبينا ﷺ، فتزوج عثمان نصرانية وتزوج طلحة بن عبد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية»⁽¹⁾.

يقول البوطي: «وأحكام أهل الذمة، تدور كلها على محور واحد، هو ترسيخ ضمانات العدل في التعامل والمعايشة بين المسلمين وأهل الكتاب، في ظل المجتمع الإسلامي، أي فكل حكم من أحكام أهل الذمة، روعي فيه تحقيق العدالة لكل من المسلمين والكتابيين...»⁽²⁾.

إذن فموقف الإسلام من الآخر، موقفه معتدل يحكم فيه الإسلام خصائصه المتمثلة في عالميته وهيمنته على الشرائع الأخرى، وكونه شاهداً على ما سبقه من الملل، يجعل النظرة الإسلامية للآخر تنبع من الإيمان بأن دين الله واحد بين جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى محمد ﷺ، فالتنوع والتعدد إنما هو في المناهج تحت مظلة الدين الواحد، فوجود الآخر المختلف والمتمايز ليس حقاً يمكن التنازل عنه، وإنما هو قانون دائم وسنة كونية لن تتغير ولن تتبدل سنة الله ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽³⁾، فالقبول بالآخر والتعايش معه ينتقل من كونه قبولاً بأمر الواقع إلى كونه امتثالاً وتسليماً لمشئته الله وإرادته ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾⁽⁴⁾ ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾⁽⁵⁾.

3. الإيمان بالتعددية العقدية مبدأ في التعايش مع الآخر

يقوم مبدأ التسامح في العقيدة الإسلامية على الإيمان بالتعددية العقائدية لدى الأمم والشعوب لأجل تحقيق التعايش المطلوب، وهذا ما صرح به القرآن الكريم والسنة النبوية كما أسلفنا ذكره. فحياة التفاهم والتعايش بين الأفراد في المجتمع الواحد وبين الشعوب المختلفة بعقائدها لا تقوم-

(1) ابن قيم الجوزية، لمصدر السابق، ج2، ص 795.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه، ص 143.

(3) فاطر: 43.

(4) هود: 118.

(5) محمد عمارة، الموقف من الديانات الأخرى، الدين والدولة، دط، دع، 2005م، ص 11-13.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها التظرف

كما يراد لها إنسانيا- إلا أن يؤمن كل الناس بالتعددية العقائدية ضمن المبدأ الخالد ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (1)، ولا تكون عملية التعايش إلا بوجود تسامح حقيقي لدى جميع الأطراف (2).

فالتعايش في العقيدة الإسلامية ينطلق من كون الإسلام يخاطب جميع البشر، فالله هو رب العالمين قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (3)، وليست ربوبية مقتصرة على جنس دون جنس، أو قوم دون قوم، كما أكد على أن التكريم الذي خصه الله بالبشر هو بداية كان لآدم ﷺ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (4)، كما جعل الإسلام القرب من الله ونيل رضاه موكولا بالتقوى والاستقامة على طاعته ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (5)، فليس القرب متصلا بالنسب أو اللون، ولا الموطن، فلم يحتكر الإسلام النجاة لأبناء شريعة دون الشرائع الأخرى، وإنما جعل النجاة بالعمل الصالح ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (6) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (7).

وعليه أسست العقيدة الإسلامية لقيمة التعايش من خلال مبدأ التسامح الذي يقوم على أسس أولها: في التعامل مع المخالف في الملة وفق قواعد البر والقسط التي جاء بها الإسلام، حيث لا عدوان ولا اعتداء إلا بالحق، ثانيا: ثم التسامح يكون بما يحقق الكرامة الإنسانية ويؤسس لثقافتها بين المسلمين وغيرهم، فهناك فرق بين التسامح المؤسس على التعصب والتسامح المؤسس على الكرامة الإنسانية ويحمل عنوان الشفقة والمساواة بين أفراد الأسرة الإنسانية، ثالثا: كذلك فإن من أهم تلك الأسس تحقيق

(1) _البقرة: 256.

(2) _هاني مبارك، شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 38

(3) _الفاحة: 2.

(4) _الحجر: 29.

(5) _الحجرات: 13.

(6) _الزلزلة: 7-8.

(7) _محمد عمارة، السماحة الإسلامية، ص 9-10.

التعارف فالإسلام دعا إلى التسامح انطلاقاً من التعارف بين أفراد المجتمع الإنساني ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽¹⁾، رابعاً: كذلك الدعوة مع المخالف تكون بالتي هي أحسن بعيدة عن الغلو والتطرف، ومبنية على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾، خامساً: والأساس الأخير وهو الحرية، فلا يكون التسامح مع الإكراه والقهر، وإلا جرد من معناه الحقيقي، فهو يقوم على حرية الأفراد وقناعاتهم، حتى يكون تسامح حقيقياً⁽³⁾.

وعليه فإن نظرة الإسلام إلى التعايش مع الشعوب الأخرى نظرة واضحة، تقوم على التفريق بين تلك المعادية للإسلام والتي وقفت في طريق انتشار دعوته، وبين تلك الشعوب المسلمة التي تؤمن بمبدأ التعايش والسلام تحت مظلة الإنسانية ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾، فمواقف الإسلام مع الآخرين أفراد وشعوباً إنما تأتي كردة فعل على العدوان الممارس عليها، فهي في غالبها دفاعاً عن الإسلام ومعتنقيه⁽⁵⁾.

4. الحوار مع الآخر أساس في بناء التعايش بين الشعوب

من مقتضيات التعايش الحوار مع الآخر، فالحوار يعد أساساً معهما في تحقيق التعايش بين أفراد النوع الإنساني، وهذا الذي دعا إليه القرآن الكريم، حيث ساق لنا العديد من النماذج التي تمثل الحوار مع المخالف بغرض دعوته إلى العقيدة الصحيحة أولاً، ثم التعايش معه وفق نقاط مشتركة تتفق عليها الإنسانية.

فقد ذكر القرآن الكريم العديد من الحوارات المهمة التي دارت بين الأنبياء وأقوامهم في ظل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كحوار موسى مع قومه، ويونس ولوط، وسائر الأنبياء، الذين اعتمدوا أسلوب الحوار كحل مبدئي في معالجة ظواهر الانحراف والتطرف التي كانت سائدة في أقوامهم، والتي

(1) _الحجرات: 13.

(2) _العنكبوت: 46.

(3) _عمار جيدل، ثقافة التسامح، ملتقى دولي، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 26، 27، 28 ربيع الأول، 1430هـ،

الموافق: 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39.

(4) _الممتحنة: 8.

(5) _هاني مبارك، شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 38، 39.

يأتي على رأسها قضية الشرك بالله⁽¹⁾.

فمن بين تلك الحوارات حوار إبراهيم مع النمرود الذي تصوره الآية 258 من سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾، فتستشف من الآية أن الحوار غالبا ما يأتي في مواجهة الكثيرين ممن يحاولون تمويه حقائق الدين والدنيا على البسطاء من الناس، باستخدام أساليب في معظمها ساذجة، كما صنع النمرود مع إبراهيم عليه السلام، فلما حاول النمرود إثبات الربوبية لنفسه، انتقل إبراهيم في الحوار إلى مقام الألوهية، فخاطبه بدليل كوني يتعلق بشروق الشمس وغروبها فبهت الذي كفر⁽³⁾.

وعليه فإن أهمية الحوار تكمن في أنه يمكن أن يكون أساسا لتجميع الإنسانية حوله، وعلى الإنسان الاطلاع على أفكار الآخرين، ففي ذلك فهم لفكر الآخر، فالحوار في هذا السياق هو أحد الأفكار والحلول المهمة للخروج من مأزق العنف والتطرف⁽⁴⁾.

يتضح مما تقدم أن الإسلام جاء بهذه القيمة ليسد الطريق على دعاة الغلو والتطرف، الذين يدعون أن علاقة الإسلام مع غيره علاقة عداوة، لتبرير كل أعمال العنف والتطرف التي انجرت عن هذا الاعتقاد السائد، فما تقدم معنا من نصوص القرآن والسنة وسير المسلمين في تعايشهم مع غيرهم تعكس قيم السماحة والتعايش التي دعت إليهما العقيدة الإسلامية.

(1) _ محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، مطبعة سراوي، بومرداس، دت، ص 63-64.

(2) _ البقرة: 258.

(3) _ محمد حسين فضل الله، المرجع السابق، ص 63، 64.

(4) _ يوسف العاصي، إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ط2، صوت القلم العربي، مصر، 2010م،

ج4، ص 15.

المبحث السادس: البعد التعبدي- دور العبادة في بناء الإنسان المعتدل-

المطلب الأول: العبادة (المفهوم، القيمة)

أولاً: مفهوم العبادة

• المعنى اللغوي

العبادة من الفعل "عبد"، والعبد الإنسان كان حراً أو رقيقاً، فهو بذلك مربوب لبارئه سبحانه وتعالى، والعابد: الموحّد، وتعبد الله العبد بالطاعة أي استعبده⁽¹⁾.

وعبد الله يعبد عبادة ومعبداً ومعبدة: تأله له، والتعبد: التنسك والعبادة هي الطاعة، فكل من أطاع الله أي: عبده⁽²⁾.

فالعبادة في اللغة تطلق ويراد بها عدة معاني، منها الطاعة، والتنسك، والتوحيد، والتأليه، فكل هذه الألفاظ تحمل معنى العبادة.

• المعنى الاصطلاحي

يعرفها الجرجاني على أنها: «فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه»⁽³⁾.

فجعل العبادة فعل كل ما يخالف النفس وهواها، فهي تحد لكل ما يحيط بالإنسان من صوارف ومشاغل، مقابل الوصول والتقرب إلى المولى عز وجل.

وفي تعريف المناوي العبادة هي: «الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختص الرب فهي أخص من العبودية لأنها التذلل»⁽⁴⁾.

فالعبادة هنا بمعنى التذلل والخضوع للخالق، فهو فعل يقوم به العبد تجاه خالقه لا يخرج عن التذلل والخضوع والانكسار، وغيرها من المعاني الروحية التي يستشعرها العبد أثناء قيامه بهذا الفعل.

(1) _ ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 270، 271.

(2) _ المصدر نفسه، ج3، ص 272.

(3) _ الجرجاني، المصدر السابق، ص 130.

(4) _ المناوي، المصدر السابق، ص 235.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها التطفرف

ويفرق التهانوي بين هذه المفاهيم للعبادة وبين مفهوم آخر أطلق على العبادة، ويقصد به تلك الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الآخرة، كالصلاة والصوم والحج وغيرها من التكاليف، فهذه كلها تسمى عبادات وهي جمع عبادة⁽¹⁾.

ويراد أيضا من لفظ العبادة تلك الشعائر الدينية، وتشمل طقوس الجاهلية من اتخاذ الأصنام، وعبادة الكواكب، وعبادة الأشياء المادية، وعبادة حتى المجتمع بتقديس روابطه وأعرافه⁽²⁾.

والعبادة عند أهل السلوك والتصوف ثلاث مراتب، عبادة الرجاء وعبادة الخوف، وعبادة المحبة، والعبودية أخص من العبادة، فالعبادة لعوام المؤمنين والعبودية لخواصهم⁽³⁾.

والعبادة أبلغ من العبودية من جهة أنها غاية التذلل، فالتعبد هو التذلل والخضوع، فهو إظهار للخشية من المعبود، فالعبادة هي: التعبد لله بإخلاص، والاستشعار الدائم للخضوع له⁽⁴⁾.

ثانيا: قيمة العبادة في التصور القرآني

لقد أظهر القرآن الكريم عنايته بالعبادة وجعلها في المقام الثاني بعد قيمة التوحيد، وعلى ذلك جاءت جل آياته حاثا الناس على عبادة الله والتقرب إليه بمختلف الوسائل، وجعل الغاية من خلق الإنسان تحقيق العبادة لقوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»⁵.

1- القرآن خاطب جميع الناس بالعبادة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾⁽⁶⁾، فلم يفرق بينهم وجعل النداء يعم كافة الخلق دون استثناء.

يقول الرازي في تفسير الآية: «اعلم أن قوله: يا أيها الناس اعبدوا ربكم يقتضى أن الله تعالى أمر كل الناس بالعبادة فلو خرج البعض عن هذا الخطاب لكان ذلك تخصيصا للعموم»⁽⁷⁾، ثم يقول:

(1) _ التهانوي، المصدر السابق، ج2، ص 1161.

(2) _ جميل صليبا، المرجع السابق، ج2، ص 51.

(3) _ التهانوي، المصدر السابق، ج2، ص 116.

(4) _ أحمد الشراصي، المرجع السابق، ج1، ص 146.

⁵ الذاريات: 56

(6) _ البقرة: 21.

(7) _ أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ج2، ص 92.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة قضايا التطرف

«يأيها الناس» يتناول جميع الناس الذين كانوا موجودين في ذلك العصر فهل يتناول الذين سيوجدون بعد ذلك أم لا؟ والأقرب أنه لا يتناولهم»⁽¹⁾.

وبعد تخصيص جميع الناس بالعبادة يأتي الخطاب إلى الأمة المحمدية قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾.

وهنا جعل الأمر بالعبادة موجه إلى النبي ﷺ، والخطاب له ولأُمَّته بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً.

2- العبادة هي الغاية من خلق الإنسان: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾⁽³⁾.

بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الغاية من خلق العباد، أو من خلق الخلق جنهم وإنسهم، هو عبادة الله وتوحيده، فإذا حققوا هذه الغاية حصلت لهم السعادة في الدارين.

يقول ابن عاشور: «وأن تكاليف الله للعباد على ألسنة الرسل ما أراد بها إلا صلاحهم العاجل والآجل وحصول الكمال النفساني بذلك الصلاح، فلا جرم أن الله أراد من الشرائع كمال الإنسان وضبط نظامه الاجتماعي في مختلف العصور»⁽⁴⁾.

3- العبادة وسيلة لتحقيق العمارة الاستخلاف: لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءَ لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾⁽⁵⁾.

في هذه الآية يؤكد القرآن على قضية مهمة، ألا وهي قضية الاستخلاف وعمارة الأرض، التي لا تكون إلا للعابدين الموحدين، والمقصود هنا دوام تعمير الأرض والبقاء فيها، فهو من نصيب العابدين، وإلا فإن كل حضارة تنهار بفعل البعد عن العبادة الصحيحة للخالق عز وجل، وتغليب الجانب المادي

(1) _ أبو بكر الرازي، المصدر السابق، ج2، ص 92.

(2) _ هود: 123.

(3) _ الذاريات: 56، 57.

(4) _ الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص 27.

(5) _ الأنبياء: 105، 106.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها المتطرف

على الروحي، أين يختل التوازن وتنهار الأخلاق والقيم فيعم الفساد وهذا لا محالة يؤول بها إلى الزوال. وعلى هذا وعد الله في هذه الآية عبادة المؤمنين العابدين بأن مصير الدنيا بأيديهم إذا حققوا ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ خَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽¹⁾. وتبعه رسوله الكريم في تبليغ هذا الوعد للمؤمنين العابدين وهم أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعه وأهل بيته ومن جاء بعدهم الذين من شأهم العبادة، فهي غايتهم وطريقهم إلى الوصول⁽²⁾.

4- العبادة في القرآن مصدر لاستقرار الإنسان: بين القرآن الكريم أن العبادة مصدر لاطمئنان والاستقرار والنفسي والروحي للإنسان قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽³⁾، فجعل الذكر وهو صنف من أصناف العبادة مصدر للاطمئنان والسعادة، وتركه يعني الشقاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾⁽⁴⁾.

ثالثا: السنة النبوية تجسد المفهوم الصحيح للعبادة- بين الإفراط والتفريط-

يتضح من خلال السنة النبوية أن العبادة تهدف إلى إحياء الجانب الروحي في الإنسان، كما أنها تقوم على منهج معتدل بعيد عن الغلو والتطرف.

1. من معاني العبادة في السنة النبوية إقامة الشعائر: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملته يدخلني الجنة قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئا، تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: «والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا، ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا»⁽⁵⁾.

(1) _النور: 55.

(2) _الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص 161، 164.

(3) _الرعد: 28.

(4) _طه: 124.

(5) _أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم: 1397، ج2، ص 105.

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها المتطرف

فقد أرشد النبي ﷺ الأعرابي إلى أصول العبادة في الإسلام وهي الصلاة، والصوم، والحج والزكاة، وهي شعائر تعبدية الغاية منها تهذيب الإنسان من جانبيه الباطني والظاهري.

2. إصلاح النبي عليه الصلاة والسلام لواقع المسلمين من خلال العبادة: حيث عملت العبادة في مجتمع المسلمين آنذاك على مده بالعديد من القيم والفضائل التي أنارت له الحياة وحققت له السعادة، وقد بين ذلك جعفر بن أبي طالب في حديثه مع النجاشي بأن سبب قبول دعوته عليه الصلاة والسلام، أنها غيرت من واقعهم الجاهلي نحو واقع أكثر رقي وتعايش حفظوا به كرامتهم وإيمانهم، فعن أم سلمة رضي الله عنها في حديث هجرة الحبشة، من كلام جعفر ﷺ وهو يخاطب النجاشي قال: « قد دعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...»⁽¹⁾.

3. العبادة تقوي الصلة بين العبد وخالقه: فقد كان من هدية عليه الصلاة والسلام التفرغ للعبادة، فكان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، فيسأل عن ذلك فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا»⁽²⁾. قال المهلب: «وفيه من الفقه: أن الرجل الصالح يلزمه من التقوى والخشية ما يلزم المذنب التائب، لا يؤمن الصالح صلاحه، ولا يؤنس المذنب ذنبه ويقنطه، بل الكل خائف راج، وكذلك أراد الله تعالى أن يكون عباده واقفين تحت الخوف والرجاء اللذين ساسا بهما خلقه سياسية حكمه لا انفكاك منها»⁽³⁾.

4. القصد في العبادة من الهدي النبوي: فقد أثر عن النبي ﷺ أنه كان ينهى عن الغلو والتطرف في العبادة فكان يأمر بالاعتدال فيها، فقد أنكر على أولئك الثلاثة الذين أخذوا على أنفسهم أموراً مخالفة للفطرة والشرع، وضرب لهم مثالا بأن جعل نفسه أمودجا يحتذى به في الوسطية والاعتدال في مجال التعبد فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم

(1) - أخرجه أحمد، رقم: 1740، ج3، ص 263-268.

(2) - أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ حتى تورم قدماه، رقم: 1130، ج2، ص 50.

(3) - ابن بطال، المصدر السابق، ج1، ص 73.

وأفطر وأصلي وأرقد، وأنزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»⁽¹⁾.

فهذا الحديث يحمل العديد من الآداب النبوية:

-منها توجيه النبي ﷺ أصحابه إلى القصد في العبادة، ومجانبة التنطع والغلو.

-يبين هذا الحديث أن لا رهبانية في الإسلام، فهو دين واقعي يتماشى مع أوضاع الناس واحتياجاتهم.

-الحث على ملازمة السنة في المسائل التعبدية، والاقتداء بالأئمة في ذلك، أي علماء الأمة، لما فيه من لم الشمل، وجمع الكلمة⁽²⁾.

المطلب الثاني: العبادة مقاصدها وصلتها بالعقيدة الإسلامية

أولاً: مقاصد العبادة في الإسلام

1- العبادة حق من حقوق الله على الإنسان:

فالباعث الأساسي للعبادة هو استحقاق الله تعالى لذلك، فالإنسان يعبد ربه لأنه مستحق لذلك، وهذا تحقيقاً للغاية التي من أجلها خلق الإنسان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾³، فهو المستحق الوحيد للعبادة لعموم سلطانه على الكون، وعظيم فضله على الخلق أجمعين، ومع ذلك يجب أن نعلم بأن الله تعالى غني عن العالمين، لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁴، وعليه فإن ثمرة العبادة تعود على الشخص العابد نفسه إذ هو المحتاج إلى الله المفتقر إليه قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً ۗ وَزُرَّ آخِرَىٰ﴾^{5 6}.

(1) - أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم 5063، ج 7، ص 2.

(2) - محمد بن عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي، ط 4، دار المعرفة، بيروت، 1423هـ، ص 232.

³ الذاريات: 56

⁴ فاطر: 15

⁵ الإسراء: 15

⁶ ناصر يوسف عبد الله، مقاصد العبادة في القرآن الكريم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 7، العدد: 2/14، السنة: 1434هـ/2013م.

2- العبادة تقرب العبد من خالقه:

لاشك أن المقصد الجوهرى من العبادات كلها هو التقرب إلى الله، وفي هذا يقول العز بن عبد السلام: «مقصود العبادات كلها التقرب إلى الله عز وجل، ويعني التقرب إلى الله عز وجل: القرب من جوده وإحسانه المختصين بعباده المؤمنين، وأن يعامل المتقرب إليه معاملة من تقرب إليه بالطاعة والتعظيم والخضوع والتفخيم، وإلا فالقرب من ذاته محال لأن القرب والبعد من صفات الأجسام»⁽¹⁾.

3- حاجة الإنسان للعبادة لتغذية الروح:

يرجع تكوين الإنسان إلى عنصرين أساسيين هما المادة والروح، فإذا كان العنصر الجسدي له حاجياته من المأكل والمشرب والملبس والتناسل وغير ذلك من الحاجيات الأخرى، فإن العنصر الروحي لا يجد إشباعاً له إلى بالعبادة والتقرب إلى مولاه، وهذا حتى يستشعر معيته والتقرب منه في السراء والضراء قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ١٩ ﴿﴾^{2, 3}.

فحقيقة الإنسان الجوهرية هي تلك الروح التي بها أصبح مكرماً مفضلاً على سائر الخلق، فكلما أخلص المرء العبادة لله، وأداها على أكمل وجه، اهتدى إلى سر وجوده، وتحققت له السعادة الروحية التي لا تضاهيها سعادة⁽⁴⁾.

4- شمولية العبادة في الإسلام

من مقاصد العبادة في الإسلام أنها أشمل وأوسع، فهي تحيط بجميع مجالات الحياة، فما يعتقدده الكثير من الناس من أن العبادة محصورة فقط في أركان الإسلام، كالصلاة والصوم والحج... الخ، اعتقاد خاطئ، لأن هذه جزء من العبادات، وليست هي كل العبادة، فالحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، دائرة رحبة واسعة، تشمل جميع شؤون الحياة⁽⁵⁾.

(1) العز بن عبد السلام، مقاصد العبادات، تحقيق: عبد الرحيم احمد قمحية، ط1، مطبعة اليمامة، حمص، 1995م، ص 11.

(2) الحجر: 98-99

(3) ناصر يوسف عبد الله، المرجع السابق.

(4) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص 97، 98.

(5) المرجع نفسه، ص 49-53.

يصور لنا المودودي حقيقة العبادة في الإسلام وأنها تحمل تصورا شاملا بينى على أمرين هما: العبودية والتسك، فالعبودية هي الإقرار بالكبرياء والجهوت فيذعن ويخضع لذلك، والتسك أن يستشعر الإنسان بوجود قوة أعلى قداسة وعصمة وسموا، فالأول تصور بدائي أساسي، والثاني هو تصور مكتمل نوائي يصل معه الإنسان إلى ذروة العبادة والخضوع⁽¹⁾.

ويقول أيضا: «إن هذا الكون وما فيه يعبد الله تعالى، وإن هذه العبادة هي قوام بقائه ومناط حياته، وما من شيء في الكون يصرف عن عبادته ولو للمح البصر، وإذا صدف لا يتأخر فناؤه ولا لطفرة العين»⁽²⁾.

5- التيسير من مقاصد العبادة:

من مقاصد العبادة في الإسلام التيسير، وهو منهج قرره النبي ﷺ في مجال التبعث الغرض منه الترفق بالإنسان والتدرج به في سبيل التقرب والوصول إلى خالقه، فقد أثبت الغلو والتنعط في أداء التكليف الشرعية فشله في إصلاح العبد، إذ غالبا ما ينحرف بصاحبه ويتجه به نحو التطرف، وهو الحال مع الملل الأخرى التي فند القرآن منهجها في العبادة ووصفه بالغلو فقال: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق»³ وقال تعالى: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها»⁴

فمثلا نجد عند الشرائع السابقة أنهم كانوا لا يميزون الصلاة بغير الماء مهما كانت الظروف، في حين جاءت شريعة الإسلام بخلاف ذلك، فأجازت التيمم بدلا عن الماء مراعاة لأحوال الناس وظروفهم، كما أباحت للمسافر قصر الصلاة، والأمثلة في ذلك كثيرة التي تدل دلالة قاطعة على أن هذا الدين هو دين فطرة وسماحة ويسر⁽⁵⁾.

(1) _ أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، ص 15.

(2) _ المرجع نفسه، ص 18.

(3) النساء: 171

(4) الحديد: 27

(5) _ أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، ص 47، ص 49.

بالنظر إلى الشريعة الإسلامية وما نصت عليه من أحكام، نستطيع القول إن باب العبادات يتجلى فيه اليسر أكثر من غيره، وذلك أن العبادة تصل بين العبد وربّه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت الصلة مبنية على التسامح، وعدم الحرج والمشقة⁽¹⁾.

وعليه فإن أغلب مظاهر الانحراف والتطرف التي توجد في مجتمعاتنا خاصة في باب العبادات، إنما هي ناتجة عن سوء فهم لهذا الدين بشقيه العقدي والتشريعي، وفي نفس الوقت هو مناقض لخصائص العقيدة التي تتسم بالسماحة واليسر، وعلى هذا حذر النبي ﷺ من مغبة التنطع والغلو في هذا الباب فقال عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون»²، قالها ثلاثا ليؤكد على أن هذه الطريقة مرفوضة رفضاً تاماً في ديننا الحنيف.

6- العبادة تحقق حرية الإنسان:

من مقاصد العبادة في الإسلام أنها جاءت لتحرر الإنسان، فالمؤمن إذا حقق العبودية لله وحده فإنه بذلك يتحرر من الخضوع لغير الله، ومن الاستسلام للآلهة المزيفة، ومختلف الأيديولوجيات المنحرفة، فيصبح حراً طليقاً من كل سلطان، وبهذا يدرك قيمة الأشياء من حوله، ويتبين له حقيقتها قال تعالى: «والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم»⁽³⁾، فإذا تحرر الإنسان من كل القيود التي تهدد توازنه استقام له الفكر واهتدى إلى الفضائل والقيم⁽⁴⁾.

فتحرر الإنسان من جميع القيود والأغلال يعني الخروج به عن كونه رقا للمخلوقين إلى عبودية الله وحده، فقلب الإنسان بفطرته بحاجة ذاتية إلى رب يعبد ويتعلق به، فالإسلام حرر العبادة من كل قيود الوساطة والمكان وكل مظاهر العبودية للكهنوت، فحرر المكان بجعله الأرض كلها محراب يعبد الله فيه، كما حرر الضمير من قيود الوساطة، فلا أحد يملك مفاتيح الجنة، فلا تدخل بين المسلم والله في دخول الجنة، كما حال رجال الكنيسة عند النصارى، فلا مكان للوسطاء في الإسلام، كما تحرر العبادة الفكر

(1) _ عبد العزيز بن علي الربيع، صور من سماحة الإسلام، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص 47.

(2) _ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون، رقم: 2670، ج4، ص2055.

(3) _ محمد: 17

(4) _ ناصر يوسف عبد الله، المرجع السابق.

من الخرافة والدجل وطقوس الكهان، فلا يعبد الله إلا بما يشرع⁽¹⁾.

ثانيا: صلة العبادة بالعقيدة الإسلامية

تعتبر العبادة مصدرا من مصادر الرقي الروحي للإنسان والتي تبدأ من خطوات أولها الإيمان، وذلك بترسيخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن، بأن لا إله ولا مالك إلا الله، وأن لا غاية له يقصدها في هذه الحياة إلا ابتغاء وجه الله ومرضاته، وأن لا قانون له في حياته إلا الأمر والنهي الإلهيين، فكلما ترسخت هذه الأفكار، ازداد معها الاضطباع بصبغة العقيدة الإسلامية التي تمكنه من الارتقاء الروحي⁽²⁾.

ثم إن العبادة تتصل بالعقيدة كونها مصدرا لزيادة الإيمان وتقويته، فإيمان العبد ويقينه يزيد بالطاعات، فكلما وازب العبد على العبادة ازداد إيمانه ويقينه بالله، فمن مسح على رأس يتيم وهو يعتقد فيه معنى الرحمة أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل⁽³⁾.

ومن جهة أخرى يوضح القرآن أن ضلال الأمم السابقة وانحرافهم عن العقيدة الصحيحة بدأ من العبادة، وذلك باتخاذهم وسائل يعبدونها ويعظمونها من دون الله، فأشركوا بذلك وانحرفوا عن المنهج القويم، فجاءت العقيدة الإسلامية لتخلص العبادة من كل ما يشوبها، فجعلتها خالصة لله وحده دون ما سواه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾⁽⁴⁾.

وتظهر الصلة بين العقيدة والعبادة في أن العبادة تمثل الجانب التطبيقي في العقيدة الإسلامية، فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة، والشريعة -أي العبادات- تلي حاجات القلب، وتعبّر عن مدى إيمانه فكلما زاد إيمان العبد ويقينه زاد معه العمل، وعليه فمن آمن بالعقيدة آمن بالشريعة، فلا يصح فصل أحدهما عن الآخر أو إغاؤه، فالعقيدة في الوضع الإسلامي هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة، فلا وجود للفرع مع غياب الأصل، فالعقيدة قوة معنوية تستند إليها الشريعة، فالأولى تمثل الجانب النظري، والثانية تمثل الجانب التطبيقي⁽⁵⁾.

(1) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص 148-156.

(2) أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام، ص 82.

(3) أبو حامد الغزالي، قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، ط2، عالم الكتب، لبنان، 1985م، ص 263.

(4) الحج: 73.

(5) شعبان محمد إسماعيل، العبادة في الإسلام مفهومها وخصائصها، ط1، دار الشهاب، القاهرة، 1980م، ص 9، 10، 11.

المطلب الثالث: دور العبادة في مواجهة التطرف - من خلال بناء الإنسان والمجتمع -

أولاً: دور العبادة في بناء الحصانة الروحية والنفسية والسلوكية للفرد

يتجلى دور العبادة في حماية الفرد من التطرف في ثلاث جوانب مهمة، ألا وهي الجانب الروحي، والجانب النفسي، الجانب السلوكي، فإذا استقرت هذه الثلاثة وتوازنت كانت له حصناً حصيناً ضد التطرف.

➤ تغذية الجانب الروحي

يظهر الأثر الروحي للعبادة فيما يلي:

- إذا كان غذاء الجسم بالطعام والشراب فإن غذاء الروح بالإيمان والعقيدة والاستئناس بالخالق جل وعلا، ولهذا فرض الإسلام العبادات والشعائر الدينية والأذكار اليومية لتهديب الروح، ودعم الصلة بالله تعالى، وربط القلب به قال تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا»⁽¹⁾
- كما أن الإنسان إذا أشبع في جانبه الروحي تحرر من كل قيود الخوف والجن والتردد، وسما إلى مصاف الكمال والعزة والكرامة، فيصبح هذا بمثابة المحرك الرئيسي الذي يدفعه نحو البناء والتعمير والنجاح.
- العبادة تهذب روح الإنسان فتزجج في ثوب الله وتخشى عقابه وهو دافع نحو العمل الصالح والإقلاع عن الفساد والشر⁽²⁾.

- إذا كانت المدنية الغربية الحاضرة في شتى مذهبها إنما تعني بترقية هذين الجانبين فقط الجسمي والعقلي، حيث أنتجت نماذج من البشر متجردة من الروح الإنسانية على الرغم من تشبعها الفكري والعقلي بفعل إغفالها للجانب الروحي في الإنسان، في حين نجد أن المدنية الإسلامية قد أنتجت نماذج راقية في الجانب الإنساني لا نجد لها نظيراً في الحضارات الأخرى بفضل إحياء الجانب الروحي في

(1)- الأنفال: 2-3-4.

(2)- محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دع، 1991م، ص73-78

الإنسان من خلال العبادة بشتى أنواعها⁽¹⁾

➤ تقوية المناعة النفسية

- العبادة تحقق الكمال النفسي للإنسان فهي عنصر ضروري لتكميل الوجدان، فهو بحاجة إلى ما يكمل فراغه العاطفي ولا يكون ذلك إلى في ظل العبادة.
- وما يعتري نفس الإنسان من الانفعالات السيئة والميول الجامحة والعواطف المنحرفة، لا يهذهبه إلا العبادة.
- كما شرعت مختلف العبادات من صلاة وصوم وحج وغيرها لتقوية النفس وتدريبها على التحمل.
- العبادة علاج لمختلف الأمراض النفسية كالهتم والحزن والقلق والقنوط وغيرها مما له تأثير على نفس الإنسان، لهذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة⁽²⁾.
- العبادة تبعث على الاستقرار والطمأنينة فالصلاة التي تعد إحدى ركائز الدين هي صلة ومناجاة بين العبد وربّه، فالعبد يستشعر بالصلاة القرب من الله، وأنه يسمع دعاءه ونداءه، فيترك فيه ذلك أثرا نفسيا يتمثل في الاستقرار والطمأنينة، فإن هو واضب على أداءها ازدهرت روحه وحيا قلبه، وأحس بالقوة والعون من الله، فيدفعه ذلك إلى المضي قدما إلى هدفه وغايته دون تردد وضعف⁽³⁾.

➤ تهذيب السلوك الإنساني

- إن سلوك الإنسان وتصرفاته ينمي عن عقيدته، فهو مظهر من مظاهر العقيدة، ذلك أن استقامة السلوك دليل على استقامة العقيدة، فسوخ العقيدة الصحيحة في النفس الإنسانية تسمو بها عن كل الرذائل، وتتوجه بها نحو الفضائل⁽⁴⁾.
- فالصلاة وهي نوع من أنواع العبادات تعد واحدة من الممارسات الحركية والفكرية التي تنطوي

(1) - محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 2003م، ص168

(2) - محمد الزحيلي، المرجع السابق، ص65-70

(3) - السيد سابق، إسلامنا، دار البعث، قسنطينة، دغ، 1988، ص116.

(4) - المرجع نفسه، ص26، ص27.

على عنصر التدريب على السلوك السوي، كما تتضمن نمطا من الإشباع لا حدود له⁽¹⁾

فإذا واطب المؤمن على العبادة والطاعة، خصوصا فريضة الصلاة وحققتها بإخلاص ويقين، فإنها تدفعه إلى أن يجيأ ضميره، فيبعثه ذلك على الخير، والحرص على العمل الصالح والأخلاق الحسنة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾، فهو بالصلاة يسعى دائما إلى التحلي بالأخلاق والقيم والثبات عليها، وبهذا فإنه يتخلص شيئا فشيئا من قيود الانحراف والتطرف⁽³⁾.

ثانيا: أثر العبادة على المجتمع - تعزيز البناء الاجتماعي لمواجهة التطرف -

تهدف العقيدة الإسلامية من خلال قيمة العبادة إلى إقامة المجتمع الفاضل الذي يقوم على الخلاق والفضيلة والتكافل والتراحم والتعاون والمساواة، وينفي من صفوفه الفحشاء والفقر والتفرقة والتخاذل والضعف، فالعبادة تمد المجتمع بكل عوامل القوة والنهضة⁽⁴⁾

فالعبادة تعمل على تعزيز البناء الاجتماعي من خلال:

➤ العمل على تقوية الروابط الاجتماعية

تعمل العبادة على تقوية الروابط الاجتماعية وتدعيمها، انطلاقا من الأسرة، والمقصود من الروابط تلك التي تتعلق بالجانب المعنوي على وجه الخصوص، كالتراحم والتعاطف والتكافل الاجتماعي والمحبة وغيرها من الروابط الجامعة، والهدف من ذلك ربط الفرد بالمجتمع وغرس شعور الولاء والانتماء إليه⁽⁵⁾.

فالفرد بابتعاده عن العبادة وما تدعو إليه من فضائل يصبح في عزلة معنوية، يستشعر من خلالها البعد عن المجتمع والنفور منه إلى أن يصل به الحد إلى عداوة المجتمع، وهنا يصبح تحت رحمة التطرف من خلال ما يعرض له من أفكار تزعزع استقراره النفسي والسلوكي.

وعلى هذا كانت العبادة وعلى رأسها الصلاة تمد المجتمع بتلك الروابط، روابط الأخوة والتعاون،

(1) - محمود البستاني، المرجع السابق، ج2، ص290

(2) - العنكبوت: 45.

(3) - السيد سابق، إسلامنا، ص 118.

(4) - محمد الزحيلي، المرجع السابق، ص85

(5) - المرجع نفسه، ص83

الفصل الثالث: أبعاد قيم العقيدة الإسلامية وورثها في مواجهة تضايها التطرف

فتنمو فيه روح المساواة، فلا فرق بين غني أو فقير، ولا عظيم أو حقير، فهي تذيب كل تلك الفوارق الاجتماعية، فهي تجمع المسلمين تحت مظلة واحدة، فتسد بذلك كل الثغرات التي يلج من خلالها أصحاب دعاوى التطرف باسم اللون أو الجنس أو الدين، فالعبادة تمنع ذلك⁽¹⁾.

إن في انصراف المسلمين إلى صلاة الجماعة وهي شكل من أشكال العبادة معنى استعلاء الروح واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة، وفيه معنى التقاء الناس على اختلاف أحوالهم المالية والاجتماعية على صعيد العبودية لله والمساواة في هذه الصفة⁽²⁾.

➤ تقوية الفرد داخل المجتمع

من أهداف العبادة تقوية الإنسان في معارك الحياة، فالحياة في نظر الإسلام صراع بين الخير والشر وبين الحق والباطل في النفس والمجتمع، والعبادة هي التي تجعل الإنسان قويا داخل هذه المعركة إذ تذكره بالله الدائم الباقي القوي وبمسؤوليته العظمى تجاه خالقه ونفسه ومجتمعه، فهو يعيش لا ليأكل ويشرب ولا ليلهو وينام ولا ليزرع ويجمع ولا ليسيطر ويستعلي، بل ليكون نصيرا للحق، مقيما للعدل، فيحسن القيام بالخلافة في الأرض على أكمل وجه⁽³⁾.

ولهذا كانت العبادة في الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها، بل ملازمة لها ومصالحة وموجهة لها، وليست انعزالا عن المجتمع وفرارا من معارك الجهاد المختلفة وقد جاء في القرآن الكريم «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة»⁽⁴⁾ وقد نهي النبي ﷺ بعض أصحابه الذين فهموا من العبادة على أنها انعزال على المجتمع والحياة، فأرشدهم إلى الطريق الصحيح الذي يجعل من التعبد بابا من أبواب الدخول في الحياة الاجتماعية وإصلاحها⁽⁵⁾.

➤ إمداد المجتمع بالقوة الروحية

ذلك أن المجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفسية أفرادها نحو القيم والمثل العليا، وذلك

(1) _ السيد سابق، إسلامنا، ص 118-119.

(2) _ محمد المبارك، المرجع السابق، ص 180

(3) _ المرجع نفسه، ص 168-169

(4) _ البقرة: 153

(5) _ محمد المبارك، المرجع السابق، ص 169

خشية أن تنحصر روابط الأفراد في الحاجات المادية والمصالح الشخصية مما يؤدي إلى الفساد في الأرض، والصلاة هي ما يمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لا بد منها لصالح المجتمع⁽¹⁾.

تحقيق وحدة المسلمين

فتعارف المسلمين، وتآلفهم من خلال تلك العبادات التي تعبر عن وحدة مشاعرهم، ووحدة أفكارهم، ووحدة قبلتهم، فالعبادة تجمع بين مختلف أصناف الناس، فيشعر كل مسلم بأخيه، فينتج عن ذلك تعاطف وتراحم فيما بينهم، بل إن المسلمين الأوائل على عهد النبي ﷺ كانوا يعقدون مجالسهم واجتماعاتهم في مختلف المجالات في أماكن العبادة، وهذا يدل على أن العبادة سبيل إلى وحدة المسلمين وجمع كلمتهم⁽²⁾.

فقد كان لتلك التجمعات التي يعقدها المسلمون تحت مظلة العبادة أثر مهم في الحفاظ على وحدة المسلمين، وعصمة الدين من التحريف، كما كانت سببا عظيما في تضامنهم، وجمع كلمتهم، لهذا حرص الإسلام على العبادة التي يجتمع فيها الناس حتى في أوقات الخن والشدائد ليجمع المسلمين ويوحد صفوفهم، وفي هذا زيادة في قوة المجتمع وضموده أمام مختلف التحديات⁽³⁾.

(1) عفيف عبد الفتاح طيارة، المرجع السابق، ص 242.

(2) شعبان محمد إسماعيل، المرجع السابق، ص 26، 27.

(3) ناصر يوسف عبد الله، المرجع السابق.

جامعة الأمير
عبد القادر
العلم الإسلامية

الفصل الرابع:
دور مؤسسات المجتمع
في معالجة قضايا التطرف

تمهيد

إن قضية التطرف وما خلفته من آثار وانعكاسات على المجتمع برمته، إذ لم تستثن مخاطره مؤسسة من مؤسساته التي يقوم عليها إلا وأثر فيها التطرف، وبالتالي فإن هذا المجتمع بحاجة إلى استجماع قواه والنهوض بجميع مؤسساته في سبيل مواجهة ظاهرة التطرف على اختلاف أشكالها ومظاهرها، وعندما نقول مؤسسات المجتمع لا نعني بها الهياكل وإنما القصد من ذلك أن لكل فرد في المجتمع دور تجاه قضية التطرف، سواء أكان دورا تربويا أو سياسيا أو دينيا أو إعلاميا... إلخ.

وعليه جعلت هذا الفصل الأخير في بيان دور مؤسسات المجتمع في معالجة قضايا التطرف، حيث كان التركيز فيه على المؤسسة التربوية (الأسرة، المدرسة، المحيط الاجتماعي)، والمؤسسة السياسية من خلال تفعيل مقاصد السياسة الشرعية وبناء فكر سياسي نضوي، المؤسسة الدينية بتفعيل دور المسجد والزوايا في ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال، وكذا العمل على تجديد الخطاب الديني لمواجهة التطرف، والمؤسسة الرابعة وهي الإعلامية وهنا الحديث عن واقع الإعلام العربي والإسلامي وآلياته في مواجهة التطرف.

المبحث الأول: دور المؤسسة التربوية (الأسرة-المدرسة-المجتمع)

المطلب الأول أهمية وظائف الأسرة في بناء الفرد المعتدل

أولاً: الوظيفة الأخلاقية-بعث القيم الأخلاقية-

تعتبر الأسرة أهم لبنة في العملية التربوية، كونها المهد الأول للإنسان فمنها يستقي الفرد قيمه ومبادئه، فأى خلل في عملية التربية ينعكس سلباً على الناشئة فكراً وسلوكاً.

وعليه «يعتبر الإسلام بناء الأسرة خيراً وسيلة لتهديب النفوس وتنمية الفضائل الإنسانية، حيث تقوم الحياة في محيطها على التعاطف والتراحم، والتضحية والإيثار، وحيث يتعود أفرادها تحمل المسؤوليات، والتعاون في أداء الواجبات»⁽¹⁾.

فبالأسرة تعمل على غلق جميع منافذ التطرف، وتحصين الفرد من كل التيارات الوافدة والأفكار المنحرفة، إذا أدت وظيفتها المنوطة بها على أكمل وجه.

وعلى هذا كان من مقاصد الإسلام في الأسرة إنباب الأبناء والعمل على تربيتهم وتزويدهم بكل عناصر البناء والإعمار، فالمجتمع الصالح يتكون من مجموع أسر قوية، فالإنسان يحتاج إلى أسرة في جميع مراحل نشأته، منذ الطفولة إلى أرذل العمر، فالطفل لا بد له من أسرة لتحميه من الانحراف، فعليها يقع القسط الأكبر من واجبات التربية الخلقية والوجدانية الدينية في جميع مراحل النشأة، وبفضل الحياة في الأسرة فإن الطفل ينشأ على الروح العائلية والعواطف الأسرية، وهذا يدفعه إلى اقتحام الحياة بشكل منظم وإيجابي، خالي من الفوضى والانحراف⁽²⁾.

لا يمكن للأسرة أن تستغني عن تربية أخلاقية جيدة ترعى بها أفرادها من بنين وبنات، وفق منهج سوي يقوم على الوسطية والاعتدال. ولا مناص في ذلك من الرجوع إلى منهج الإسلام في التربية أولاً: إذ هو «منهج متكامل، لا يعتريه نقص ولا يكتنفه غموض، لأنه منهج سماوي منزل من لدن حكيم خبير، وهو منهج يتعهد الإنسان منذ ولادته حتى يلقي خالقه، ولذلك فهو متميز بالشمول لكل ما يسعد الإنسان في حياته الدنيا والآخرة، فهو يشمل النفس الإنسانية في جميع حالاتها ومعاملاتها ويحدد

(1) - حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، دار بوسلامة، تونس، دت، ص 116

(2) - المرجع نفسه، ص 46-47

لها حقوقها وواجباتها، كما يبين للإنسان ما ينتظره من حساب وثواب أو عقاب»⁽¹⁾.

ثانيا: العناية بتنمية القيم السلوكية وأخلاق التعامل مع الآخر عند الناشئة، ومختلف اتجاهات الالتزام الخاص للفرد وكل ما تعلق بالغير من ممتلكات وحقوق⁽²⁾.

ثالثا: تخصيص الأبناء أمام مختلف عوامل التأثير الخارجية والتي تكمن في:

- عدم الوضوح في الاتجاه التربوي العام، وغياب مخطط واضح في التربية.
- الركود الاقتصادي وانخفاض المستوى المعيشي.
- أثر الإعلام على الأبناء.
- انتشار الأمية في المجتمع وخطرها على الناشئة.
- الهجرة التي تؤثر على استقرار الأبناء.
- الفساد السياسي والإداري وما تعلق بالمحسوبية.
- التيارات الفكرية المتطرفة، سواء الوافدة من الداخل أو الخارج.
- إهمال الرعاية الخاصة بالطفولة والأمومة.
- الانسلاخ من الثقافة والهوية الوطنية، والاتجاه نحو تقليد الغرب⁽³⁾.

ثانيا: الوظيفة الفكرية - تحقيق المناعة الفكرية اللازمة -

تهدف الأسرة من خلال وظيفتها الفكرية تجاه الأبناء إلى تحقيق المناعة اللازمة والكافية التي تمكنهم من مواجهة مختلف الوافدات والعوارض التي تؤثر على النمط الصحيح لتفكيرهم.

بما أن الوالدين أحد أهم الركائز الأساسية في تربية الطفل، وتعتبر أساليبيهما القاسية مدعاة للاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية والفكرية لدى الأبناء، حيث تشير أغلب الدراسات الاجتماعية أو النفسية إلى أن القسوة في التعامل مع الأبناء يحدث شرخا وضعفا في شخصية الطفل،

(1) - كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع المسلم، ط1، دار المعرفة الجامعية، دق، 1998م، ص85

(2) - عبد المنعم محمد حسين، الأسرة ومنهجها التربوي لتنشئة الأبناء في عالم متغير، النهضة المصرية، القاهرة، 1989م، ص40-41

(3) - المرجع نفسه، ص45-46

فيؤدي به ذلك إلى التطرف والانحراف⁽¹⁾.

ولتعزيز المناعة الفكرية لدى الأبناء وجب على الأسرة العمل على عدة جبهات:

• أن تكون أفكار الوالدين من أساسها معتدلة لا تحمل تطرفاً، فإن ذلك ينعكس سلباً على تربية الأبناء.

• القدوة في التعامل سواء مع النفس أو الأبناء، فإن ذلك يهيئ المناخ للتربية الجيدة.

• المراقبة الدائمة للأبناء لا سيما في ظل الانفتاح العلمي والتكنولوجي (الإنترنت)، فغالبا ما يتعرض الأبناء للأفكار الهدامة خاصة في مقتبل العمر.

• العمل على غرس القيم والأخلاق الفاضلة، وبناء التصور الصحيح عن الدين والوطن⁽²⁾.

• تعليمهم المهارات الأساسية للقراءة والكتابة والحساب، لفتق أذهانهم نحو العلم والمعرفة.

• تعليم المهارات العقلية المعرفية الأخرى اللازمة لشؤون الحياة اليومية.

• تكوين الضمير، وتعلم التمييز بين الصواب والخطأ، والخير والشر، ومعايير الأخلاق والقيم.

• تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعات والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية.

• بناء المفاهيم والمدرجات الخاصة بالحياة اليومية⁽³⁾.

وهذا يسهر عليه أبوين يحملان فكراً معتدلاً وناضحاً، ليتسنى لهما صقل الأبناء بالمهارات المعرفية المختلفة، فضلاً عن تحديد مسار معتدل بعيداً عن الغلو والتطرف، لخطورة هذه المرحلة بالذات كونها تتطلب حرصاً زائداً على فكر الطفل وسلوكه.

ثالثاً: الوظيفة النفسية-الإعداد النفسي اللازم للناشئة-

يعد الجانب النفسي أحد الجوانب المهمة في بناء الفرد داخل الأسرة، فالاستقرار النفسي لدى

(1) - وردة بلقاسم العياشي، المنظور الإسلامي لدور الأسرة في تعزيز المناعة الفكرية لدى الأبناء، مجلة دراسات إسلامية، العدد: 18،

السنة 2013م، ص 87

(2) - المرجع نفسه، ص 88-89-90

(3) - أحمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1992م، ص 145-146-147

الطفل يعني تقدمه نحو النمو الحسن، والاستعداد الكامل لتلقي العلوم والمعارف، إضافة إلى سهولة تفاعله مع القيم والفضائل بالاستجابة والتطبيق.

فمهمة الأسرة في هذا الجانب تكمن في توفير الرعاية النفسية الكاملة للطفل، بأن توفر له القدر الكافي من الأمن والطمأنينة، وشحنه بكل عوامل الثقة في النفس التي تسهل عليه طريقة العيش والتعايش مع الآخر⁽¹⁾.

وفي ظل تزايد تهديد الجماعات المتطرفة التي تستخدم أساليب نفسية للسيطرة على ضحاياها من خلال العمل:

أولاً: على اصطلياد الضحية عن طريق شخص مدرب، يحسن عملية الإقناع.

ثانياً: ممارسة الحصار النفسي والاجتماعي على الضحية، وعزله عن محيطه، حيث تتفرد به الجماعة الضاغطة.

ثالثاً: التأثير من خلال استغلال نقاط الضعف: (فقر، اضطراب نفسي، مستوى تعليمي متدني...).

رابعاً: ثم تأتي مرحلة غسيل المخ بزراعة أفكار العنف والتطرف.

خامساً: وأخيراً مرحلة التوجيه نحو ممارسة أعمال العنف⁽²⁾.

إذا نظرنا إلى هذه المخاطر وجب على الآباء إمداد الأبناء بالطاقة النفسية الكافية التي تمكنهم من مواجهة موجات العنف والتطرف ويكون ذلك باتباع الخطوات التالية:

- العمل على ترقية الأبناء من الجانب الروحي، وفق منهج سليم ومعتدل.
- عدم مقابلة السلوكيات العنيفة والمنحرفة لدى الأبناء بعنف آخر من الآباء، فينبغي سلوك منهج قويم في المعالجة.
- متابعة الوضع التعليمي للطفل داخل المدرسة، وما قد يتعرض له من ضغوطات قد تتسبب في تغيير سلوكه من الطبيعي إلى العدواني.

(1) - عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 40-41

(2) - عثمان أبو زيد عثمان، مسؤولية الأسرة والمجتمع في تحصين الشباب من الإرهاب والتطرف، مجلة الرابطة، العدد: 592،

السنة: 52، مارس 2016م، ص 10-11.

- ضرورة نبذ الأسرة للعنف في سلوكياتها وتعاملاتها الداخلية، سواء مع الأبناء أو بين الزوجين، فهذا من شأنه أن يؤثر على النشأة السليمة للطفل لا سيما الجانب النفسي⁽¹⁾.

رابعا: الوظيفة الدينية-التربية الدينية الصحيحة للناشئة-

تلعب التربية الدينية دورا مهما في تكوين الطفل والتأثير عليه، ذلك أن القانون وحده لا يمكن أن يضبط سلوك الفرد وأخلاقه، لأن القانون سلطة عامة ولا تتحكم في خصوصية الأفراد، فالدين وحده هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبحها، وهو الذي يربط الإنسان بالمثل الأعلى والقيم التي يسمو بها، وهو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكبح جماح غرائزه، ويسيطر على عاداته وتقاليده، ويخضعها لميزانه، ويربي الضمير الحي الذي يوقظه ويعلي همته للأخلاق الحسنة⁽²⁾.

فمجال التربية الدينية مجال رحب، يبدأ مع تربية الأبناء على العقيدة الصحيحة التي تعد من ضروريات التربية، فهي تدفع الإنسان إلى الخير وتردعه عن كل ما هو شر، ذلك أن إيمان الإنسان بالله وبوجود حياة أخرى يدفعه إلى عمل الخير وتهذيب سلوكه، إما خوفا من مصيره الذي وعد به من الشقاوة الدائمة والعذاب، أو طمعا في السعادة الدائمة والنجاة من العذاب، كل هذا يدفعه باستمرار إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل⁽³⁾.

وعلى هذا ربط الإسلام بين الإيمان والسلوك، فهما متصلان اتصالا دائما، وهذا بين في نصوص القرآن والسنة، مثاله قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»⁽⁴⁾ فربط الإيمان بمحبة الخير للغير وهي من الأعمال الصالحة⁽⁵⁾.

كما تهدف الأسرة من خلال التربية الدينية إلى توطين الأسرة على الثقافة والهوية الإسلامية، ذلك أن ابتعاد الأسرة عن تقاليدها، وتأثرها بسموم المدنية الغربية التي زادت ذيوعا وانتشارا، في حين نرى أن

(1) - محمد بودبان، ترشيد العاطفة الدينية في التربية الأسرية وأثرها في مواجهة مخاطر الغلو والتطرف، مجلة المعيار، العدد: 42،

ديسمبر 2016م/1423هـ، ص 89

(2) - أحمد عبده عوض، العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانقسام بينهما، ط 1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2002م، ص 308-309

(3) - مقداد الجمن، التربية الأخلاقية في الإسلام، ط 1، مكتبة الخانجي، دع، 1977م، ص 182-183-184

(4) - أخرجه البخري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13، ج 1، ص 12

(5) - مقداد الجمن، المرجع السابق، ص 182-183-184

التربية الدينية أصبحت مجرد معلومات نظرية خالية من التطبيق والممارسة، كل هذا أدى إلى إضعاف الروح المعنوية في المجتمعات الإسلامية⁽¹⁾.

وقد أثبتت التربية الدينية نجاعتها حتى في الأوساط الغربية فضلا عن العربية والإسلامية، يقول أحمد مبارك الكندري: «هناك اتجاهات حديثة بين علماء النفس تنادي بأهمية الدين في علاج الأمراض النفسية، وترى أن في الإيمان بالله قوة تمد الإنسان بطاقة روحية، تعينه على تحمل مشاق الحياة، وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس، الذين يعيشون في العصر الحالي»⁽²⁾.

وبما أن التطرف يصنف من الأمراض النفسية الخطيرة كان لزاما الرجوع إلى الدين والتربية الدينية من أجل علاج هذا المرض، ولا تزال التجربة الدينية الإسلامية رائدة في هذا المجال وتحقق نجاحات باهرة على جميع المستويات بما فيها النفسي، فهي تحمل معها خصائص تجعلها مؤهلة لتقوم الفرد من جميع النواحي.

- فهي تعتمد على ترسيخ دعائم الإيمان في نفس الفرد، وهذا بدوره له قيمة علاجية.
- وهي علاج خلقي لمشكلات العصر: فهي تدعو إلى احترام كرامة الإنسان، وبث المبادئ والفضائل الحميدة في نفس الفرد.
- وهي علاج امتثالي: بدعوها الفرد للامتثال للقيم والمبادئ العليا والأعراف السائدة في المجتمع.
- وهي علاج تعضيدي بلغة العصر: حيث تمد يد العون لكل مريض أو من استشعر النقص، فتعمل على صقله بالروح المعنوية العالية.
- كما أنها علاج إقناعي: تقوم على الإقناع العقلي.
- وعلاج سلوكي: حيث تستهدف تعديل سلوك الفرد من الانحراف إلى الوسطية والاعتدال.
- علاج شمولي: تتناول شخصية المسلم بجميع جوانبها، الجسمية والعقلية، الروحية والنفسية..إخ.
- وفي الأخير هي علاج واقعي: لا يعتمد الأمور الفلسفية أو الخيالية والوهمية⁽³⁾.

⁽¹⁾ - حسين محمد يوسف، المرجع السابق، ص 46-47

⁽²⁾ - أحمد مبارك الكندري، المرجع السابق، ص 235

⁽³⁾ - المرجع نفسه، ص 235-236-237

خامسا: الوظيفة الروحية-العناية بالجانب الروحي-

غالبًا ما نجد الآباء يركزون على جوانب مختلفة من تربية الأبناء، كحرصهم على الجوانب العلمية مثلا والمادية وغيرها، في حين يكاد ينعدم الجانب الروحي الذي يمثل ركنا أساسيا في تنشئة الجيل، وهذا ما أكد عليه الإسلام من خلال القرآن والسنة النبوية.

فالروح دائما في حاجة إلى ما يغذيها ويسد حاجتها، فلا يكتمل الجيل إلا إذا استجمع مختلف جوانب التربية، بما فيها التربية الروحية التي جعل لها الإسلام عناية خاصة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم الصبيان ويمدهم بطاقة روحية منذ الطفولة، وقد قال لمعاذ: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...»⁽¹⁾.

فهذا الحديث النبوي يحمل من المعاني الروحية التي تسمو بالفرد وترتقي به، فهو يعلمه معنى مراقبة الله، ومعنى التوكل، والاستعانة والصبر، وكلها في النهاية مقامات روحية ينبغي أن يحرص الآباء على تلقينها للأبناء.

وفي ذات السياق يقول عبد الحليم محمود: «وإذا ربيت الروح تربية إسلامية انعكس ذلك على الأسرة بجميع أفرادها-عائلة ومجتمع- في صورة تعامل حسن يستهدف رضا الله تبارك وتعالى الذي أمر بهذا الإحسان في المعاملة، واتسعت دائرة التعامل الحسن حتى تشمل المجتمع كله ناسه وأشياءه، ومثل هذه المعاملة الحسنة القائمة على القيم الإسلامية، من شأنها أن تعرس بين الناس الحب والوثام والتعاون، وتزيل عن طريقهم العقبات والعراقيل وأسباب الخلاف والتفرق والخصام»⁽²⁾.

إن إحاطة الأسرة بمختلف جوانب التربية التي ذكرناها، يشكل دافعا مهما في بناء الجيل والسيطرة عليه فكريا وسلوكيا، وتحصينه من مختلف الانحرافات الوافدة، والاتجاه به نحو الوسطية والاعتدال.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، باب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2516، ج 4، ص 667

(2) -علي عبد الحليم محمود، التربية الروحية، ص 265-266

المطلب الثاني: المدرسة ودورها في معالجة قضايا التطرف

أولاً: بناء منهج دراسي تربوي (يهدف إلى الحفاظ على الثوابت الدينية والوطنية)

بما أن شخصية التلميذ تتكون في هذه الأطوار الثلاثة التعليمية، ينبغي على القائمين على العمل التربوي، تنسيق المناهج للمواد التعليمية، فتكون مواكبة لأحوال العصر، متماشية مع التطور العلمي والعالمي، مع المحافظة على الثوابت والخصائص الإسلامية في سيرورة العملية التربوية⁽¹⁾

وعلى هذا بات من الضروري بناء منهج دراسي وتربوي بما يتماشى ومتطلبات العصر، دون المساس بهويتنا وثوابتنا الدينية والوطنية، فالعمل على تجديد وتجويد المنظومة التعليمية في وطننا العربي تعد من أولى الأولويات، لأجل محاربة الانحراف الفكري والسلوكي الذي يتعرض له ناشئتنا عبر مختلف الوسائل والوسائط التي تستهدف العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه.

يرى عبد الحليم محمود أن المنهج الدراسي الذي يتماشى وخصوصية العالم الإسلامي يجب أن يحمل المواصفات الآتية:

- لا بد أن يكون المنهج الدراسي على علاقة بكل ما هو إنساني في الحياة، بخلاف المناهج الأخرى التي تعتمد نظرة ضيقة في التربية تقوم على زرع بذور التعصب العنصري، أو التمايز العرقي، أو اللوني، فهي أساساً تربية تقوم على التطرف، بخلاف التربية الإسلامية التي تخطت تلك الحدود الضيقة إلى مجال أوسع، لا يعمل على إعداد المواطن الصالح فحسب، وإنما يسعى لهدف أكبر وأشمل هو إعداد إنسان صالح مصلح، على إطلاقه، إنسان بمعناه الإنساني الشامل⁽²⁾.

- أن يكون على صلة بالمجتمع الذي هو فيه من حيث إدراكه لحاجياته ومتطلباته الآنية والمستقبلية، وأن تكون له القدرة على بعث القيم الأخلاقية والإسلامية.

- أن تكون للمنهج علاقة بعلوم الحياة، يعمل على تحقيقها المعلمون والمتعلمون على حد سواء، بما يحفظ للطالب سلامة المعرفة ويحقق التوازن النفسي والاجتماعي المطلوب.

(1) - كمال الدين عبد الغني المرسي، المرجع السابق، ص 125

(2) - مصطفى محمد الطحان، المرجع السابق، ص 75-76

- أن يتدرج في تلبية حاجات المجتمع، كل حسب مجاله وتخصصه⁽¹⁾.
 - أن تراعي البرامج التعليمية حاجيات الفرد الفكرية والدينية والنفسية، وكل ما يحصنه في وجه مختلف الأفكار والأيدولوجيات المنحرفة.
 - ضرورة مواكبة المدارس في العالم الإسلامي لنظيرتها في الدول المتقدمة، من حيث تهيئة كل ظروف التعليم والتعلم، لا سيما ونحن في عصر الانفتاح التكنولوجي والعلمي.
- وفي الجهة المقابلة يرى اللويحق أن بناء المنهج الدراسي التربوي يقوم على أربعة أسس أولها: إصلاح المنهج المتبع في عملية التعليم بأن يكون هذا المنهج على صلة بمبادئ الإسلام عقيدة وشريعة. الثاني: الكتاب المدرسي، وهذا يقوم إصلاحه على تنقيته من كل شوائب الغلو والتطرف، وتعبئته بكل ما يخص المبادئ والقيم الإسلامية. الثالث: اختيار المعلم، الذي يقوم على عملية التربية والتعليم، من حيث مراعاة الكفاءة ومراعاة التخصص، فغالبا ما يكون المعلم سببا في التغيير الفكري والأيدولوجي لدى التلميذ والمتلقي. الرابع: السياسة التعليمية، التي ينبغي أن تكون منبثقة من دين المجتمع وعاداته وتقاليده⁽²⁾.

ثانيا: ترسيخ القيم الدينية والوطنية في الوسط الدراسي

ويكون ذلك ب:

1- غرس القيم الدينية في الوسط الدراسي

تقوم عملية غرس القيم الدينية والأخلاقية لدى الناشئة في الوسط الدراسي من خلال العمل على تربية الشباب والصغار وتهيئتهم للمشاركة الفاعلة في الحياة العامة، وتمكينهم من كل ما يؤهلهم لأن يكونوا مواطنين مسؤولين داخل مجتمعاتهم، ملتزمين بواجباتهم وحقوقهم، ومحافظين على القيم الإسلامية وكل المبادئ السياسية للوطن الذي يعيشون فيه⁽³⁾.

(1) - علي عبد الحليم محمود، التربية الروحية، ص73

(2) - عبد الرحمان بن معلا اللويحق، المرجع السابق، ص225-228

(3) -نورة بوعيشة، آيت حمودة ذهيبية، أساليب تنمية القيم السلوكية لدى التلاميذ في الوسط الدراسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية،

ينبغي أن تحرص المدرسة بعد العملية التعليمية والتربوية على إمداد التلميذ بالتربية الدينية الكافية، التي من خلالها يتسلح الجيل بمجموعة القيم، التي تساعد على مواجهة مشكلات الحياة اليومية، كما أنها تهدف إلى إحياء الوازع الديني والأخلاقي حتى لا تغطي المادية المفرطة التي تهدد الإنسان في قيمه ومبادئه⁽¹⁾.

كما ينبغي أن تتجاوز هذه القيم التلميذ لتشمل كل الأسرة المدرسية بما فيها المعلم والإدارة والكتاب والمنهج الدراسي، فتعم بذلك كل مرافق المدرسة معلمين ومتعلمين، وبذلك تكون التربية الدينية قد هيمنت على جميع الجوانب التعليمية والتربوية داخل المؤسسة، ومنه تمد المجتمع بالعناصر الصالحة لبناء الحضارة⁽²⁾.

وتبدأ عملية غرس القيم الدينية في الوسط الدراسي مع التكوين العقدي الصحيح وفي هذا الصدد يقول علي عبد الحليم محمود: «التربية الإسلامية بمختلف مبادئها ومؤسساتها، والقائمين عليها في البيت والمسجد والمدرسة والنادي والمجتمع، يجب أن تعمل على تكوين العقيدة الصحيحة في الإنسان»⁽³⁾.

والتربية العقائدية الصحيحة تقوم على تخبيب طريقة التلقين الصوري، التي تقتصر على الإيمان التقليدي الذي لا يحرك الإنسان في اتجاه العمل والتفاعل الإيجابي مع واقعه ومجتمعه، ثم هي تركز على جوانب العقيدة المؤثرة التي تقوم على تمين الصلة بين العبد وخالقه.. وكذلك التركيز على ما في الإسلام من إعجاز علمي وتشريعي وتربوي، وكل ما تعلق بالإعجاز في القرآن والسنة واستخدامه في مجال الدفاع والمحااجة عن العقيدة الصحيحة⁽⁴⁾.

وعليه بات من الضروري التوجه بالمنهج الدراسي إلى تعميق إيمان الناشئة بعقيدة الإسلام وشريعته، خاصة ما تعلق بالجانب العملي مع إبراز قيم السماحة، وإعمال العقل في الآيات الكونية والنفسية، مستثمرين بذلك جهود السلف وتاريخهم في البناء الحضاري للأمة⁽⁵⁾.

(1) - تركي رابح، التربية الدينية والأخلاقية للشباب الجزائري، مجلة الثقافة، العدد 55، السنة العاشرة، صفر، ربيع الأول 1400هـ، يناير فبراير، 1980م، ص 123-124-125

(2) - علي عبد الحليم محمود، التربية الدينية الغائبة، دار التوزيع والنشر، القاهرة، 2000م، ص 89-90

(3) - المرجع نفسه، ص 27

(4) - مصطفى محمد الطحان، المرجع السابق، ص 84

(5) - رائدة خليل سالم، المرجع السابق، ص 41

فالأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى تربية عقائدية فعالة، تجمع بين الإيمان والعمل، فالتربية العقائدية هي الأساس في بناء الأمة الإسلامية، فالعقيدة طاقة لا تنفذ للأفراد والجماعات، ويقدر هذه الطاقة يسير المؤمنون في اتجاه تحمل مسؤولياتهم والالتزام بالعمل⁽¹⁾

وعليه فإنه إذا مكنت العقيدة الإسلامية في نفوس الأجيال ورافقتهم في كل الأطوار التعليمية، فإن هذا كفيل بغلق الباب في وجه مختلف الأفكار والانحرافات الوافدة التي تدفعهم نحو العنف والتطرف.

ومما يساعد أيضا على غرس القيم الدينية في الوسط الدراسي وضع مخطط تربوي ديني يتماشى والمراحل التعليمية للطالب ويكون ب:

- اختيار التوقيت المناسب للتدريس بما يتناسب واستعداد الطالب.
- إعداد المعلم إعدادا جيدا، فالخلل الموجود في المؤطرين قد ينعكس سلبا على المتلقي.
- الاهتمام بالمادة الدينية في مقابل المواد الأخرى⁽²⁾.
- مراعاة محتوى هذه البرامج بما يفيد الطالب، وينعكس إيجابيا على فكره وسلوكه، ويخدم المنهج الوسطي والمعتدل.
- ضرورة ملازمة المادة الدينية للطالب عبر كل مراحل التعليم، ولا تقتصر على مرحلة معينة.
- مراعاة المادة الدينية لمتطلبات العصر، ومواكبتها لجميع التطورات الحاصلة.
- أن يكون الهدف من وضع هذه المواد الدينية وتدريسها في مختلف المراحل الدراسية من قرآن، وتوحيد وحديث وفقه وتفسير، وثقافة إسلامية وسيرة نبوية، لتكامل تربية الناشئة على الإسلام من جميع جوانبه، النفسية والاجتماعية والروحية، والسلوكية والعقلية، وعلى تحقيق العبودية لله جلا جلاله، بكل ما في هذه الغاية من معنى ومدلول، وبكل ما تؤدي إليه من نتائج في الحياة والعقيدة والعقل والتفكير⁽³⁾

(1) - مصطفى محمد الطحان، المرجع السابق، ص70-71

(2) - حسن محمد حسان، محمد عطوة مجاهد، محمد حسنين العجمي، التربية وقضايا المجتمع المعاصرة، دار الجامعة الجديدة، 2007م،

ص125-126

(3) - عبد الرحمان النحلاوي، المرجع السابق، ص105

2- تعزيز قيم المواطنة والانتماء

بما أن المواطنة قيمة لها مكون اجتماعي، في كون الإنسان يحمل مواصفات إنسانية واجتماعية لا يستطيع العيش من دونها، فهو بحاجة ماسة إلى العيش في الوسط الاجتماعي والإنساني، مما يتعين على المدرسة أن تنمي هذا الانتماء للوطن في نفوس التلاميذ، ويكون ذلك من خلال المساهمة في الأنشطة المجتمعية التي تربط الصلة بين التلميذ ومؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية، وهي الإدارة القائمة على المؤسسات التربوية، ويعد المعلم صاحب القسط الأكبر في تنمية روح المواطنة لدى التلاميذ من خلال تفاعله معهم، وفتح المجال أمامهم للتعبير عن آرائهم وأفكارهم ومشاركتهم في الأنشطة بالتركيز على تاريخهم الوطني والديني⁽¹⁾

تبدأ عملية غرس قيم المواطنة والانتماء من المراحل الأولى للتعليم انطلاقاً من المرحلة الابتدائية مروراً بالإعدادي والثانوي ثم المرحلة الجامعية، وعليه يجب وضع المؤسسات التعليمية تحت رعاية الوزارة الوصية، مع حرص هذه الأخيرة على تعليم الأجيال وتربيتهم على ثقافة العصر المبنية على الحوار والتسامح والانفتاح على الآخر، بمراعاة تاريخ الأمة وحضارتها، مع التركيز على البحث العلمي من أجل الرقي الثقافي والحضاري للأجيال⁽²⁾

والهدف من ذلك العمل على إعداد مواطنين يكون لديهم الوعي الكافي بأولويات الوطن وحاجاته، ثم إحساسهم بالمسؤولية تجاه الوطن على جميع الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية والأمنية وغيرها، والتصدي لمختلف المشكلات التي تواجههم في طريق النهوض بالتنمية⁽³⁾

إذن فالمدرسة تلعب دوراً مهماً في تحقيق الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي بين المواطنين، حيث تذيب كل عوامل الفرقة الناتجة عن العرق والإقليم أو الطائفة، ولعل خير نموذج يحتذى به ما قامت به بعض المدارس الغربية من جمعها لمختلف المكونات العرقية والدينية وغيرها تحت غطاء المواطنة

(1) - عروبة جميل محمد، دور المدرسة في غرس قيم المواطنة، www.ahewar.org تاريخ الدخول: 2019/11/24

(2) - عبيد بسبوي، رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة و بروز الطائفية، ط1، دار السلام، دع، 2012م،

ص150-151

(3) - رائدة خليل سالم، المدرسة والمجتمع، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2006م، ص42-43

والانتماء⁽¹⁾

وحتى لا نقع في فخ التغريب والمساس بالهوية والمقدسات باسم المواطنة والانتماء، وجب التفريق بين المواطن في المفهوم الغربي، وبين مفهومه في الإسلام، فهناك تباين بين المفهومين، فالمواطن الصالح في المجتمع الغربي هو الذي يخدم أمته ولو على حساب الآخرين، فلا يهمله الضرر الذي يلحقه بالآخر مقابل خدمة وطنه، بينما المواطن في الإسلام هو الذي تتحقق فيه عبودية لله وحده كمنطلق لجميع القيم والفضائل، فينشأ الفرد في ظل التربية الإسلامية، فردا صالحا متشبعا بالانتماء للوطن والأمة، دون تطرف، أو استهتار أو انقياد أعمى، أو فقدان للمواهب والمقومات الشخصية، فالمقومات الإسلامية توازن بين مقومات الفرد والمجتمع في آن واحد⁽²⁾.

وفي هذا السياق يقول البوطي: «إذ لا ريب أن التربية الإسلامية هي أشد ما يحمل الأمة على الوحدة الوطنية والتضامن حتى عندما تشيع فيما بينها مختلف المذاهب والآراء. كما أن فقدان التربية الإسلامية هو أشد ما يعرض الأمة للتفرق والتدابير حتى عندما لا يوجد فيما بينها أي سبب من أسباب التفرق والشقاق»⁽³⁾

والخلاصة أن المواطنة هي الدرع الواقي الذي يحمي المجتمع من العنف والتطرف، كونها تصهر أفراد المجتمع في بوتقة واحدة، لذا يجب تنمية وتعزيز قيم المواطنة في نفوس أطفالنا منذ الطفولة المبكرة، من أجل إعداد المواطن الصالح المتمسك بقيم وعادات وتقاليد مجتمعه، وكذلك من أجل تحقيق التلاحم الاجتماعي، والعمل على ما من شأنه أن يحقق رفعة الوطن وتقدمه⁽⁴⁾.

(1) - سعيد التل، المرجع السابق، ص 78

(2) - عبد الرحمان النحلاوي، المرجع السابق، ص 102

(3) - محمد رمضان البوطي، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، دار الهدى، عين مليلة، دت، ص 125

(4) - محمد محمود العطار، تربية الطفل على الانتماء والمواطنة، مجلة الرابطة، العدد: 60، السنة 53، محرم 1432هـ، أكتوبر 2016م،

المطلب الثالث: المجتمع (بناء التصور الصحيح للمجتمع وتفعيل دوره في مواجهة التطرف)

أولاً: بناء التصور الصحيح للمجتمع في الإسلام

بعد الأسرة والمدرسة يأتي الدور على المجتمع في عملية التربية، فقد يفسد المجتمع ما أصلحته الأسرة والمدرسة، ذلك أن الكثير من الانحرافات السلوكية والفكرية يتلقفها الطفل من المجتمع، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، فأغلب المنحرفين والمتطرفين هم في الحقيقة ضحايا لمحيطهم الاجتماعي الذي تربوا فيه، وعلى ذلك بات من الضروري بناء مجتمع قوي ومتماسك يمد الفرد بكل ما يحتاجه من عوامل تربية تجعل منه فرداً سوياً، محصناً من كل تشويه نفسي أو فكري أو سلوكي.

وإذا نظرنا في المجتمع الإسلامي على وجه الخصوص وجدناه على خلاف المجتمعات الأخرى يتمتع بمزايا تؤهله لأن يهيب أجيالاً صالحة في نفسها ومصلحة مع غيرها، قادرة على منافسة نظيراتها في المجتمعات الغربية.

فالمجتمع الذي يسعى الإسلام إلى بناءه هو ذلك المجتمع الذي يوازن بين تنظيمه لصالح الأسر والأفراد، فلا يجوز للقائمين عليه أن يهضموا حقه باسم الاشتراكية أو الشيوعية، كما لا يجوز أن يغلبوا مصالح الفرد على مصلحة الأمة، فهو مجتمع معتدل متوازن يقوم على حقوق وواجبات لكل من الحاكم والمحكوم، وعليه فالمجتمع المسلم هو ذلك الذي اصطبغ بالصبغة الإسلامية في مرافقه وأنشطته، وقيمه ووسائل تحقيق أهدافه⁽¹⁾.

وعليه فإن المجتمع المسلم الناجح هو الذي يتمتع بهذه الخصائص:

- هو المجتمع الذي تشرب المبادئ والقيم الإسلامية.
- هو المجتمع الذي يحيا فيه الفرد متمتعاً بحريته وكرامته.
- مجتمع متعاون متكافل.
- مجتمع إنساني يحفظ للإنسان حقوقه.
- الفرد في المجتمع المسلم مطالب بأن يحترم قيم ومبادئ مجتمعه الذي يعيش فيه.

(1) علي عبد الخليم محمود، التربية الروحية، ص 63

- المجتمع الإسلامي لا يقبل التفرقة العنصرية أو العرقية أو الدينية فهو يجمع كل المكونات.
- كما أنه مجتمع يحمل مسؤولية التغيير على الجميل فالكل مسؤول قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»⁽¹⁾.
- جل التعاملات والعلاقات التي تتم بين الأفراد تخضع لقوانين وأحكام الشريعة الإسلامية.
- كما لا يمنع المجتمع الإسلامي الاستفادة من تجارب المجتمعات الأخرى، شريطة ألا تتعارض مع قيم ومبادئ الإسلام.
- إذا تمتع أي مجتمع بهذه المواصفات صار مؤهلاً لبناء جيل معتدل ومتوازن لا يقبل أي شكل من أشكال التطرف.

ثانياً: تفعيل دور المجتمع في محاربة التطرف

يمكن للمجتمع أن يقف في وجه التطرف إذا عمل على تحقيق مقومات المجتمع المسلم، والتي يهدف من خلالها إلى وضع أسس المجتمع القوي والمتماسك، الذي يمتص كل الأزمات التي تواجهه بما فيها ظاهرة التطرف، وعليه لا بد من اتباع الخطوات التالية:

1. تقوية الروابط والعلاقات بين الناس

لقد جاء الإسلام لتمتين الروابط والعلاقات بين الناس، ليدفع عنهم ما عاينوه وعاشوه في جاهليتهم، وليكون حصناً لمجتمعاتهم من الاختلاف والتفرق في المستقبل، فقدم حلولاً من خلال روابط الدين والرحم والجغرافيا والوطن، وهي روابط بمجموعها تحقق الانسجام النفسي والعقلي والروحي والفطري للمسلم، فإن قويت هذه الروابط في مجتمعات المسلمين كانت حصناً منيعاً من شتى أنواع الفساد، سواء على الصعيد السياسي أو الأخلاقي أو الديني-كالتطرف- أو حتى الاقتصادي⁽²⁾.

(1) التوبة: 171

(2) محمد التهامي، منهج الإسلام في بناء المجتمع، دار التقوى، القاهرة، 2015م، ص122

2. تأسيس موقف جماعي مشترك ضد القضايا السلبية

من الحلول التي يقدمها المجتمع المعاصر للتصدي لظاهرة التطرف، هو أن يعمل أولاً على تأسيس موقف جماعي يشترك فيه جميع أفراد المجتمع أو أغلبهم، بأن يكون موقفهم واحد في نبد العنف والتطرف، وهو حالة ذهنية متشابهة لدى أغلب الناس، ولتكوين هذا الموقف الاجتماعي وجب تسخير آليات ومخططات الوصول إلى ذلك، نظراً لأن الذين ينادون بالتطرف هم قلة في المجتمع الإسلامي، وأن غالبية المجتمع التزم طريق الإسلام⁽¹⁾.

3. وضع ضوابط تحكم علاقاته ومعاملاته

لا شك أن المجتمع الناجح هو المجتمع القائم على النظام، ولا يتأتى هذا النظام والتوازن إلا من خلال ضوابط وأسس تحكم هذا المجتمع، وفي ديننا الإسلامي -انطلاقاً من العقيدة الإسلامية- رصيد كاف من المؤهلات التي تحفظ للمجتمع قوته وهيئته.

فإذا استقام الشخص على الإيمان انتظمت حياته، كذلك فإن مجموع الأفراد عندما يخضعون لعلاقاتهم فيما بينهم وسلوكهم وسيرتهم إلى الإيمان بفكرة واحدة مشتركة مشتملة على أمور روحية ربانية، فإنهم بذلك ينسجون أمة واحدة متجانسة متجاوبة مع عقيدتها ودينها، فيصبحون بذلك موجهون توجيهاً صحيحاً، فيحصل التناغم بين حضارة الأمة ومنظومتها الاجتماعية، فيصبح المجتمع المسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فتقل أمراضه وانحرافات أفراد⁽²⁾.

يقول أحمد عبده عوض: «إن المجتمع في حاجة إلى ضوابط تحكم علاقاته ومعاملاته بعضه لبعض، فلا تطغى الغريزة على العقل، ولا القوة على الحق، ولا الهوى على الواجب، ولا المنفعة الخاصة على المصلحة العامة، وهذه الضوابط لا تؤدي مهمتها إن لم تكن ضوابط أخلاقية، مبعثها النفس، ومصدرها الضمير...»⁽³⁾.

(1) نخبه من الباحثين، ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،

الدوحة، 2015م، ص94-95-96

(2) عبد الرحمان النحلوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط25، دار الفكر، دع، 2007م، ص66

(3) أحمد عبده عوض، المرجع السابق، ص306

- يذهب عبد الكريم بكار إلى أن المجتمع إذا أراد محاربة التطرف عليه إلى الطرق الآتية:
- تحقيق العدل، فالظلم والتجاوز على الحق يدفع الشباب إلى الركون إلى التطرف والعنف.
 - تصحيح الفهوم عن الإسلام عقيدة وشريعة.
 - بث الروح الإيجابية في المجتمع وتعليم الناس المبادرة إلى الخير والإصلاح.
 - التركيز على النقاط المشتركة داخل المجتمع، والابتعاد عن نقاط الاختلاف والتفرق.
 - فسح المجال أمام حرية التعبير وإبداء الرأي، أي مشاركة الجميع في عملية البناء.
 - التصدي لكل الثغرات العنصرية والإقليمية والطائفية والقبلية، التي من شأنها زعزعة استقرار المجتمع والدفع به نحو العنف والتطرف⁽¹⁾
 - إضافة إلى ذلك ينبغي تكوين مؤسسة اجتماعية لها سلطة إدارية تعمل على ترشيد التربية الأخلاقية، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، فمحاربة الفساد الاجتماعي بمختلف مظاهره لا تتأتى إلا بسلطة سياسية تسخر كافة الوسائل لأجل إنجاح عملية تهذيب وتربية المجتمع⁽³⁾.
- إذا التزم أي مجتمع خصائص المجتمع المسلم واستجمع قيمه ومبادئه التي نصت عليها العقيدة السليمة فإنه بذلك يجني مكاسب مهمة أهمها:
- 1- تماسكا اجتماعيا يؤدي إلى الاستقرار للنظم الاجتماعية كما يؤدي إلى التضامن بين أفراده.
 - 2- يحقق توازنا اجتماعيا بين أفراده يمنع الغلو والتطرف بكل أشكاله، كما يدرأ عنه العنف والصراعات العرقية والمذهبية.
 - 3- تحقيق الأمن والاستقرار في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية... إلخ.

⁽¹⁾ عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 182-183

⁽²⁾ آل عمران: 104

⁽³⁾ مصطفى الطحان، المرجع السابق، ص 98-102

4- يؤمن أفرادهم ضد المخاطر الاجتماعية، بما فيها الآفات الاجتماعية.

5- إحداه وعي اجتماعي في تحمل أفرادهم لكافة مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وأوطانهم⁽¹⁾.

وفي ختام هذا المبحث نجد بأن التكامل بين الأسرة والمدرسة والمجتمع جد مهم في عملية التربية، فلا يمكن الصمود في وجه العنف والتطرف مع وجود خلل في إحدى حلقات هذه السلسلة، فالكل متكامل وله دوره.

فالإسلام حريص على تحقيق هذا الترابط والتكامل بين الأسرة والمجتمع، فالأسرة تعمل على تكوينه القاعدي الذي يكسبه الحب والولاء، ومن ثم ينتقل بهذه القيم والمبادئ إلى المدرسة والمجتمع، فالتربية الإسلامية الصحيحة هي التي تعمل على تزويد الإنسان بمعرفة كل الوسائل التي تمكنه من الإسهام في بناء مجتمع راشد قادر على تطوير الحياة الإنسانية إلى الأحسن⁽²⁾.

(1) علي عبد الحليم محمود، التربية الدينية الغائبة، ص 93-94

(2) علي عبد الحليم محمود، التربية الروحية، ص 35-36

المبحث الثاني: دور المؤسسة السياسية (دور العمل السياسي في ترسيخ الأمن والاستقرار)

إن أهمية المؤسسة السياسية تكمن في كونها المهيمنة على جميع المؤسسات الأخرى، فلا يمكن تطبيق الإصلاحات في ظل سلطة سياسية هشّة، بل لا بد من إرادة قوية تحرص بدورها على جميع المؤسسات الأخرى وتدعمها لتحقيق النهضة المطلوبة، ومحاربة أي آفة من الآفات التي تشكل خطراً على المجتمع. وفي هذا يقول سعيد التل مبرزاً أهمية السياسة الرشيدة في حفظ أمن واستقرار الفرد والمجتمع يقول إن السياسة: «بمبادئها وأخلاقياتها وممارساتها في المجتمع، وفي جميع مؤسساته الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها، فهي تؤثر تأثيراً مباشراً على المواطن في كل ناحية من نواحي حياته، فغذاء المواطن وتعليمه وصحته ورفاهه مرتبط بالسياسة، وكذلك مستقبله ومستقبل أبنائه وأحفاده وأمنهم واستقرارهم»⁽¹⁾

المطلب الأول: تفعيل مقاصد السياسة الشرعية

إن الإسلام ومنذ ظهوره حرص على رسم سياسة متكاملة تحفظ للمواطن ماله ودينه وعرضه وعقله ونفسه، وهو ما اصطلح عليه علماء الأصول بالمقاصد أو الكليات الخمس، التي تضمن حماية الفرد واستقرار الوطن، وجعل علامة السياسة الناجحة مرهون بتحقيق هذه المقاصد وتفعيلها على أرض الواقع، يقول عبد الحلیم محمود في كتابه "التربية السياسية": «وتقوم شريعة الإسلام على تحقيق مصالح الإنسان في دنياه وآخرته على السواء، فهذا يحمل مقاصدها الخمسة المعروفة، وهي حماية نفس الإنسان وعقله ودينه ونسله وماله، وليس من المستغرب القول بأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يخلو أي منها من آية كريمة أو حديث شريف أو عمل مارسه الرسول ﷺ أو أقره من استهداف مصلحة حقيقية من مصالح الإنسان وجلبها إليه»⁽²⁾.

أولاً: حفظ النفس

لكل مواطن في الشريعة الإسلامية الحق في الحياة، وليس فقط حياة عادية بل كريمة تتماشى ومتطلباته، فالإسلام حرم إتلاف النفس أو جزء منها، كما حرم التعدي عليها بالتعذيب النفسي والبدني

⁽¹⁾ سعيد التل، دور التربية السياسية في التربية الوطنية، مؤسسة الوراق، عمان، 2012م، ص 20-21

⁽²⁾ علي عبد الحلیم محمود، التربية السياسية، دار التوزيع، بورسعيد، 2001م، ص 106-107

والاجتماعي، كما منع حتى الاعتداء على حريتها بالاعتقال والسجن أو المنع من الحركة والتنقل، من أجل ذلك فرضت الشريعة عقوبات صارمة في حق كل معتد على هذه النفس، ومنه فالحياة الكريمة للإنسان في الإسلام تقتضي استمتاعه بجميع حقوقه، كحقه في الفكر والرأي والتعبير، وحقه في العمل، والتملك، والحرية والإقامة وغيرها من الحقوق المرتبطة بكرامة النفس الإنسانية⁽¹⁾.

وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽²⁾ وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽³⁾، فمن أجل حفظ هذا المقصد منعت الشريعة الإسلامية القتل، وشرعت القصاص، ومنعت كل ما يمس بالنفس البشرية من الاستنساخ والتلاعب بالجينات، والمتاجرة بالأعضاء، وحرق الأجساد، وسلطت أغلظ العقوبات على المعتدين على حرمة النفس من المحاربين وقطاع الطرق⁽⁴⁾.

يقول الطاهر بن عاشور: «إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقرة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو النوع الإنساني، ويشمل صلاحه وصلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»⁽⁵⁾، فقوله صلاح النوع الإنساني يريد به حفظ النفس الإنسانية بما فيه صلاحها وحياتها، لتحقيق غاية الاستخلاف وعمارة الأرض الذين أمر بهما الله عز وجل جميع بني آدم.

ويندرج ضمن مقصد حفظ النفس:

- توفير الأمن، وتحريم قتل الغير والاعتداء عليه، وقد جعلت الشريعة الإسلامية لذلك منهجا خاصا في التعامل مع هذه الحالات.

(1)- علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، المرجع السابق، ص 107-108

(2)- الإسراء: 70

(3)- التين: 4

(4)- نور الدين بن مختار الخادمي، علم مقاصد الشريعة، ط1، مكتبة العبيكان، 2001م، ص 82

(5)- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،

دت ج3، ص 194

- توفير كفاية النفس مما يحتاجه الجسد، وتوفير كل الوسائل الضرورية في العناية به وحفظه.
 - توفير الحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، ذلك أن الإنسان يتكون من جسد وروح، فالإسلام حرم التعدي الجسدي إضافة إلى التعدي المعنوي⁽¹⁾.
- وعليه فإن الإسلام يبرأ من جميع مظاهر العنف والتطرف، التي فيها تعدي على حرمة النفس الإنسانية بصرف النظر عن عقيدتها أو عرقها أو لونها، ويجرم الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال، لأجل ذلك وضع من الأحكام والتشريعات ما يصون هذه النفس ويحفظ كرامتها، بل سطر أنواعا من العقوبات كإجراءات عقابية تغليظا وتأكيدا على حرمة النفس الإنسانية.

ثانيا: حفظ العقل

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل، فهو نعمة كريمة تستدعي من الإنسان المحافظة عليها ورعايتها، فبها يحيا الإنسان حياة كريمة تليق بذلك التكريم الإلهي، فمن حقوقه أن يظل عقله سليما قادرا على الإبداع والتفكير والنقد، وأن يكون صاحب عقل حر غير مقيد، فلا يفرض عليه تفكير معين، كما لا تسلب إرادته في إبداء أي رأي أو موقف، وللحفاظ على ذلك حرمت الشريعة التعدي على العقل سواء من الإنسان ذاته، بالمسكرات أو كل ما يتلفه ويهدد سلامته، أو من قبل الغير حيث فرضت عقوبات مادية وتأديبية أو معنوية، لكي تحافظ على عقله الذي يعد مناط التكليف الشرعي⁽²⁾.

وتكون المحافظة على العقل ب:

- المحافظة على سلامة المخ والحواس والجهاز العصبي ككل، واجتناب كل ما يؤدي إلى إتلافه.
- اكتساب كل ما يساعد على تنمية العقل من الناحية الفكرية بالتعليم، وهذا عمل توطده السلطة السياسية حفاظا على عقول الأجيال.
- اجتناب السلوكيات المؤدية لتعطيل العقل أو التشويش عليه، بأي فكر أو سلوك دخيل.

⁽¹⁾ جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001م، ص142-

⁽²⁾ علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، ص108

- إعمال العقل كملكة فطرية.

- تدريب العقل على الوظائف العليا من الاستدلال العقلي، وعلى ذلك شرع الإسلام مختلف العبادات العقلية من تفكير وتعقل، وتذكر وتدبر، وتبصر ونظر⁽¹⁾.

وفي نفس السياق يذكر الخادمي أن من ضروب العناية بالعقل أيضا: نجد أن الإسلام قد جعل له حدودا وقيودا لا يتعداها ولا يتجاوزها، وذلك لأن إطلاق العقل وتحريره بشكل مطلق يؤدي لا محالة إلى مفاسد لا تقل خطورة عن مفاسد تعطيله وتحجيم دوره، فحفظ العقل مصان بالوسطية المعهودة بإثبات دوره ومكانته وضبطه بقيود معتبرة وضوابط معلومة⁽²⁾.

وعليه فإنه يظل على عاتق المؤسسة السياسية أن تسعى بكل الوسائل المادية والمعنوية لأجل تحسين وتجويد التعليم والعمل على ترقيته، وهذا لحماية الأجيال من التطرف الفكري المتربص الذي طور من أساليبه في ظل الانفتاح العلمي والتكنولوجي، مع الحفاظ على حرية الرأي والتعبير المكفولة للجميع بصرف النظر عن هوياتهم وانتماءاتهم العرقية والدينية.

ثالثا: حفظ الدين

إن حاجة الإنسان للدين حاجة فطرية بل هي أقوى من حاجته للعلم، وعلى إثر ذلك جعل الإسلام لكل إنسان الحق في حماية دينه من أي عدوان أو انتهاك، وحفاظا على هذا المقصد العظيم جعلت الشريعة الإسلامية كل العبادات ميسرة على المكلف، وكذلك في مجال المعاملات وغيرها، حتى يسهل على المكلف ممارسة شعائره، وعلى غير المسلم اعتناق الإسلام من غير خوف ولا حرج، ومنعت كل عدوان على أي ديانة كانت أو على أحد من معتنقيها⁽³⁾.

فمسألة حفظ الدين تعد من أرقى الكليات الخمس، وتعني تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية، وصيانتها عن كل ما يخالفه ويشوهه من أفكار ومعتقدات⁽⁴⁾.

(1) جمال الدين عطية، المرجع السابق، ص 143-144

(2) نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 83

(3) علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، ص 108-109

(4) نور الدين الخادمي، المرجع السابق، ص 81

وحفظ الدين مقصد لا يختص بالمسلمين فقط، إنما حق حماية الدين مكفول لدى جميع الأديان والمعتقدات، سواء في الداخل في ظل الحكم الإسلامي أو في الخارج بعدم التعدي على مقدسات الغير، وهذا ما تفسره السياسة الراشدة التي انتهجها النبي ﷺ وخلفاؤه في تعاملهم مع المخالف في الدين والعقيدة، من منطلق التعايش السلمي في ظل دستور المدينة الذي ضمن حرية المعتقد لجميع الطوائف والأديان، فكان هذا بمثابة النهج الذي رسمه النبي ﷺ لأمته من بعده في تعاملهم مع هكذا قضايا، حتى يضمن استقرار الحكم بتحصيل الرعايا من كل ما من شأنه أن يولد العداوة بين الحاكم والمحكوم، أو يحدث فوضى داخلية تهدد أمن الوطن والرعية باسم الحرية واسترجاع الحقوق.

ويكون حفظ هذا المقصد ب:

- تأسيس العقيدة السليمة وتقويتها، واجتناب ما يهدمها أو يضعفها.
- التأسيس يكون بالنظر والتفكر والاعتبار، واستيعاب عناصر العقيدة من الكتاب وصحيح السنة.
- اجتناب كل ما من شأنه تشويه العقيدة من شرك ونفاق وغيرهما.
- إقامة الشعائر الدينية والعبادات المفروضة، وتسهيل عملية التعبد.
- التحلي بقيم الإسلام وفضائله⁽¹⁾.

فالمؤسسة السياسية هنا مدعوة لأن تعمل جاهدة على سن قوانين تجرم المساس بحق التدين، وتدين كل اعتداء على المقدسات باسم الإسلام أو غيره من الأديان، ثم حماية الأجيال من كل أشكال التطرف الديني، من خلال وضع مخطط شامل ينطلق من المدرسة ثم يعمم على جميع مؤسسات المجتمع الأخرى، بالعمل على ترسيخ قيم المواطنة والانتماء التي تقتضي العيش في الوطن الواحد بصرف النظر عن الدين والعرق أو اللون.

رابعا: حفظ النسل

المحافظة على النسل حق أساسي للإنسان، فهو شريك في تعمير الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها، ولا يكون ذلك إلا بممارسة حقه في الزواج والإنجاب وتربية الأبناء والقوامة، وألا يتعدى أحد على

(1) - جمال الدين عطية، المرجع السابق، ص 145

حياته الأسرية اعتداء ماديا أو معنويا، وعلى ذلك حدثت الشريعة حدودا لا ينبغي تجاوزها فمنعت كل مظاهر الفساد، من زنى وما يدعو إليها، ودعت إلى تسهيل الزواج، كما أمرت الرجل بالإفراق وتحمل مسؤولية الأسرة وحمايتها، وتربية الأبناء تربية سليمة⁽¹⁾.

ومنه فإن حماية مشروع الزواج وتكوين أسرة واستمرارها، واجب يتحمله الجميع مجتمعا ودولة، بتقديم تسهيلات مادية ومعنوية من شأنها أن ترفع من سقف الزواج وتحد من عزوف الشباب، وقد مر معنا أن افتقار الفرد إلى إشباع حاجاته النفسية والمادية قد يفضي به إلى التطرف والانحراف، مما يحتم على الدولة مراعاة هذا الجانب والعمل على توفيره.

وللحفاظ على هذا المقصد رسم الإسلام خطوات مهمة بدءا ب:

- منع الزنا وسد جميع منافذه وذرائعه.
- جعل عقوبات للمنحرفين من شأنها أن تحد من الظواهر التي تخالف الشرع والفطرة.
- دعا إلى الأخلاق والقيم العليا، ونهى عن الرذائل والفواحش.
- ولسلامة الأسرة والحفاظ على النسب منع التبني، وأمر بأن يدعى الإنسان لأبيه: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁽²⁾ ⁽³⁾.

- كما رغبت الشريعة في الإنجاب وحرمت الوأد والإجهاض، وكل ما يعرقل عملية التناسل ويخل التوازن، كالعلاقات الشاذة التي تتنافى مع قيم ومبادئ الإسلام⁽⁴⁾.

وحفظ النسل لا يكون فقط بالنكاح والإنجاب، وإنما برعاية الأجيال وفق منهج سليم ومعتدل، فبقاء النوع الإنساني وتحقيقه لمراد الله في الأرض يقتضي الحرص على سلامة الناشئة من الناحية الفكرية والنفسية والسلوكية، وهذا المسعى يكون بإرادة سياسية تعمل جاهدة على بناء جيل يتمتع بالقدرة اللازمة في حماية نفسه ووطنه.

⁽¹⁾ علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، ص 109-110

⁽²⁾ الأحزاب: 5

⁽³⁾ نور الدين الخادي، المرجع السابق، ص 84

⁽⁴⁾ جمال الدين عطية، المرجع السابق، ص 150

خامسا: حفظ المال

يعد المال أحد وسائل التعامل الضرورية في حياة الإنسان، ولضمان استمرارية الحياة على الوجه الحسن دعت الشريعة الإسلامية إلى الحفاظ على المال من خلال سن تشريعات عديدة:

أولا: تشريع الطريق الصحيح لكسبه على الوجه المرغوب والمشروع دون الحرام، فدمت كل المعاملات المحرمة كالربا، والبيوع المحرمة، والسرقه... إلخ.

ثانيا: كما جعل الإسلام لهذا المال سبيلا في إنفاقه مع النهي عن تبذيره والإسراف فيه، فدعا إلى الزكاة والصدقة وغيرها من وجوه الإنفاق المشروعة التي في منفعة العام والخاص⁽¹⁾.

ثالثا: يجب على صاحب المال أن يسعى به نحو الغاية المطلوبة التي تنطلق من المنظور الإسلامي في أن المال هو مال الله، وأن الإنسان مستخلف فيه، ومطلوب منه عمارة الأرض⁽²⁾.

ويندرج ضمن هذا الإطار سعي صناع القرار في الحفاظ على هذا المقصد درءا لكل انحراف أو تجاوز قد ينتج عن إهماله، فهي مطالبة بأن توسع مجال الكسب والتعامل بين الناس، وأن تعمل على إقامة برامج تنموية من شأنها أن تمتص البطالة والفقر، لتحتوي بؤر الفساد والانحراف وتمنع أي اختلال فكري أو سلوكي قد ينتج في الغالب عن الأوضاع الاقتصادية المتردية، ومنه تضيق دائرة التطرف وإعادة الثقة بين مختلف عناصر المجتمع ومكوناته.

والخلاصة أن تفعيل هذه المقاصد الشرعية بمجموعها وما يندرج ضمنها، من شأنه أن يحقق المطلوب في صلاح الفرد وتأمينه، ومنه إلى استقرار المجتمع وانتظام أمره، يقول ابن عاشور: «لم يبق للشك مجال يخالج به نفس المناظر في أن أهم مقصد للشريعة من التشريع انتظام أمر الأمة، وجلب الصالح إليها، ودفع الضر والفساد عنها، وقد استشعر الفقهاء في الدين كلهم هذا المعنى في خصوص صلاح الأفراد، ولم يتطرقوا إلى بيانه وإثباته في صلاح المجموع العام، ولكنهم لا ينكر أحد منهم أنه إذا كان صلاح حال الأفراد، وانتظام أمورهم مقصد الشريعة، فإن صلاح أحوال المجموع وانتظام أمر الجامعة أسمى وأعظم، وهل يقصد إصلاح البعض إلا لأجل إصلاح الكل»⁽³⁾.

⁽¹⁾ علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، ص 110-111

⁽²⁾ جمال الدين عطية، المرجع السابق، ص 148

⁽³⁾ الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة، ج 3، ص 391

المطلب الثاني: بناء فكر سياسي نهضوي

أولاً: التربية السياسية أو نشر الوعي السياسي

التربية السياسية كما عرفها سعيد التل هي: «بعد من أبعاد التربية بمعناها العام، مثلها في ذلك مثل التربية الدينية والتربية المهنية والتربية الاجتماعية والتربية الأسرية وغيرها، وأبعاد التربية بمعناها العام هذه، وكما هو معروف، أبعاد متداخلة وتكمل بعضها البعض، وكما تعني التربية المهنية وعلى سبيل المثال بإعداد المواطن ليؤدي دوره في الإنتاج والخدمة، أو وظيفة محددة في مرافق المجتمع الذي يعيش فيه، بكفاية ووعي وخلق ومسؤولية، كذلك الأمر فإن التربية السياسية تعنى بإعداد المواطن ليؤدي دوره السياسي بمعناه العام في مجتمعه بوعي وخلق ومسؤولية أيضاً»⁽¹⁾.

والتربية السياسية عملية تعليمية تعلمية يعد بها الإنسان بغرض أداء دوره السياسي بوعي وخلق ومسؤولية، وتقوم على مبادئ الديمقراطية والعقلانية، وغير مقيدة بفكر أيديولوجي محدد، فهي منفتحة على الفكر السياسي الإنساني بمختلف مدارس السياسية⁽²⁾.

في حين نجد أن التربية السياسية من منظور الإسلام مقيدة بقيم الإسلام ومبادئه، وفي نفس الوقت لا تمنع الاحتكاك بخبرات وتجارب غيرها.

وعلى ذلك فالتربية السياسية تقوم على إعداد المواطن الصالح المدرك لجميع مسؤولياته السياسية تجاه وطنه وأمته، المطلع على حقوقه وواجباته، فهي تعمل في النهاية على سد جميع الثغرات التي تخل بالتوازن المطلوب سواء على مستوى القاعدة (المواطن)، أو على مستوى القمة (السلطة).

ولبناء فرد صالح يتمتع بالوعي السياسي الكافي وجب العمل على النقاط الآتية:

• ترسيخ الوعي السياسي عند المواطن

إن مسألة النضج السياسي من المسائل المهمة التي يجب أن تسعى إليها مختلف الحكومات السياسية في الدول الإسلامية، من خلال تربية الأبناء في البيوت والمدارس على الوعي السياسي، وذلك

(1) سعيد التل، المرجع السابق، ص 36

(2) المرجع نفسه، ص 40-41

بالتخلص من الرؤية التقليدية للمواطن التي تجعله سيدا دون رقيب أو حسيب، إلى رؤية أخرى أكثر واقعية تضعه موضع المواطن الصالح المدرك لمسؤولياته وحقوقه في آن واحد⁽¹⁾.

ولترسيخ هذا الوعي وجب الانطلاق من هذه المرتكزات:

1. ضرورة اطلاعه على الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فمن خلالها يتحدد موقفه وسلوكه العام في المجتمع.

2. معرفة المواطن بطبيعة نظام الحكم له أهمية في تحديد أدائه لدوره السياسي.

3. منهج الحكم: فمن خلاله يتعرف المواطن على مبادئ وأخلاقيات وممارسات هذا المنهج القائم، ليفتح له المجال لأداء دوره السياسي، وغالبا ما يكون هذا المنهج المتبع منهجا ديمقراطي.

4. مرجعية الدولة (الدستور): وهذا أمر في غاية الأهمية خاصة ما تعلق بالحقوق والواجبات، فهو يسهل عملية تفاعل المواطن مع الدولة.

5. توعية المواطن بقضايا الدولة: من حيث جذورها وأبعادها ووسائل وأساليب التصدي لها، ليكون المواطن على إدراك تام بالمخاطر، فيصبح بذلك أداة من أدوات العلاج لهذه القضايا⁽²⁾.

إذا أحاط المواطن بهذه القضايا، فإنه يخرج من عزلته وتعزز ثقته تجاه وطنه، وهذا بدوره يخلق مناخا جيدا للإبداع والتقدم، على عكس البلدان التي يفتقر مواطنوها إلى الوعي السياسي، حيث هناك تنعدم الثقة وينتشر الانحراف ويجد التطرف ضالته.

• مشاركة المواطنين في اتخاذ القرار السياسي (تفعيل مبدأ الشورى)

يعد إشراك المواطن في العمل السياسي بما في ذلك اتخاذ القرارات السياسية، جانبا مهما في دفع الانحراف، وتقليص نسبة الخطأ، فأغلب الكوارث السياسية لا سيما في عالمنا العربي، كانت نتيجة الانفراد بالسلطة، وعدم إشراك المواطن في اتخاذ القرار السياسي، لهذا فإن إشراك المواطن في السياسية يعد ضرورة أخلاقية وواجبا اجتماعيا، فهو من قبيل إشباع حاجاته النفسية التابعة عن دوافعه الفطرية

(1) عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص 208

(2) سعيد التل، المرجع السابق، ص 61-62

التي تتعلق بحياته وأمنه واستقراره، وافتقاره إلى مثل هذه الحاجيات قد يدفعه إلى التطرف حيث يجد متنفسا لتلبية رغباته⁽¹⁾.

• ترسيخ قيم المواطنة

سبق الحديث على أن غرس قيم المواطنة يتوزع على العديد من المؤسسات بما فيها المؤسسة التربوية، التي تلعب دورا مهما في تنشئة الأجيال على المواطنة وحب الانتماء للوطن، وتكون المسؤولية أكبر عندما يتعلق الأمر بالمؤسسة السياسية صاحبة القرار والتي تمتلك كل أدوات التغيير، إذ من أولوياتها بناء جيل يتمتع بالقدر الكافي من الحس الوطني، الذي بدوره يساهم في حفظ واستقرار المجتمع ومؤسساته.

يقول محمد ولد ديب في كتابه "الدولة وإشكالية المواطنة" مبرزا كيفية تحقيق هذه القيمة على المستوى الفردي: «يتمثل حس المواطنة أو الإخلاص للوطن على المستوى الفردي في احترام القوانين والقواعد المعمول بها، وفي الوعي بالواجبات تجاه المجتمع، وبصفة عامة يرتبط حس المواطنة بسلوك نشط للمواطن في الحياة العمومية، إنه العمل من أجل ترجيح المصلحة العامة على المصالح الشخصية، وعلى هذا فهو يمثل بعدا أساسيا من أبعاد المواطنة»⁽²⁾.

وتعزيز قضية المواطنة لا تعني فقط الوطن المحلي فهو جزء من التربية السياسية، ولكن يتعد ذلك ليشمل الوطن العربي الذي يمثل لغة القرآن والسنة، ومنه إلى الوطن الإسلامي الذي يضم المسلمين حيث ما وجدوا، فتعزيز الانتماء إليه يعني تعزيز الانتماء إلى الإسلام⁽³⁾.

فالانتماء إلى الإسلام يعني إذابة كل الفوارق اللغوية والعرقية والمذهبية، وبالتالي تحقيق التعايش تحت سقف واحد يتمثل في العقيدة الإسلامية، وهذا من شأنه أن يمنع التطرف الناتج عن الصراعات الطائفية والعرقية التي لطالما كانت سببا في زعزعة استقرار وأمن الأوطان العربية والإسلامية.

(1) رائدة خليل سالم، المرجع السابق، ص 41

(2) سيدي محمد ولد ديب، الدولة وإشكالية المواطنة، دار كنوز المعرفة، عمان، 2010م، ص 61-62

(3) علي عبد الخليم محمود، التربية السياسية، ص 281

• الرقابة الإعلامية

تعد الآلة الإعلامية في عصرنا الحاضر الحلقة الأقوى في نشر الغلو والتطرف بمختلف صورته وأشكاله، خاصة إذا انفلتت من رقابة المؤسسة السياسية، التي تمتلك كل مؤهلات التسيير والتوجيه، لا سيما إذا تعلق الأمر بالأمن الفكري للأجيال.

من هنا ينبغي على المؤسسة السياسية أن تدرك خطورة الوضع، وأن تعي أهمية الدعوة الإعلامية السمحة في المجال الإعلامي ودورها في التصدي للغلو والتطرف، إذ يجب عليها أن تفسح المجال أمامها كشريك فعال في إصلاح الوضع الاجتماعي بمختلف قواعده (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الدينية...) ⁽¹⁾، مع رسم خارطة طريق في التعامل مع مختلف القضايا المعاصرة بمنهج معتدل، يتسم بالموضوعية وإرادة جادة في الإصلاح.

ثانيا: بناء فقه سياسي معاصر

لا يقتصر عمل المؤسسة السياسية أو دورها على الجانب العقابي أو الردعي فقط، وإنما على المؤسسة السياسية أن تراجع نفسها في بناء فقه سياسي معاصر يتواءم ومتطلبات واقع المسلمين، تكون فيه الكلمة العليا للقيم والمبادئ الإسلامية، وكيفية تفعيلها في واقع المسلمين، بهدف إصلاح قضايا المجتمع وحل مشكلاته، والتي على رأسها قضية التطرف.

وعليه فإن بناء فقه سياسي معاصر يعني العمل على تحقيق أهداف جد مهمة تخدم الفرد والمجتمع.

أولها: تحقيق إسلامية علم السياسة سدا لذريعة إبعاد الدين عن السياسة، فينبغي أن تكون الأحكام السياسية لا تتصادم مع قيم ومبادئ الدين والعقيدة مثل: الشورى، العدل، الحوار... إلخ، كما يتطلب ذلك مراجعة منهجية لبعض المفاهيم السياسية الوضعية بسند علمي دون عاطفة أو تحيز ⁽²⁾.

الثاني: تحقيق هيمنة الإسلام في تنظيم شؤون الحياة، بما يعبر عن شمولية الإسلام لجميع مناحي الحياة، حيث إن من خصائص العقيدة الإسلامية الشمولية التي تستوعب كل المجالات الفردية

(1) محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة، 2004م، ص78

(2) فاتح ربيعي، نحو بناء فقه سياسي إسلامي معاصر، مجلة دراسات إسلامية، العدد9 جوان 2010م/ رجب 1431هـ، ص55-56

والجماعية، ويدخل في ذلك المجتمع والأسرة والدولة⁽¹⁾.

الثالث: إقحام النظرية السياسية في الواقع المعاصر ومعالجة السلبيات في عمق المجتمع وعلى جميع الأصعدة، والتصدي لكل أشكال الاستبداد وفوضى الفتاوى التي من شأنها تغذية التطرف وتعميق الجرح⁽²⁾.

ومنه فالنظام العام في الإسلام يبنى على ثلاثة أصول رئيسة: الأول: سلطة تبنى على هيمنة الشريعة، فيكون الحاكم فيها وكيلا على الأمة، والأمر شورى، الثاني: أمة متماسكة بروابط الدين والقربة والجغرافيا، الثالث: تتعاون السلطة والدولة في إصلاح أمر الأمة وأمر الناس جميعا، فبهذه الثلاثة بفروعها وتفصيلها تصلح أحوال الناس في الدنيا وتحقق العمارة والاستخلاف⁽³⁾.

ومنه يجب أن يكون العمل السياسي في البلدان الإسلامية ناجعا لجميع جوانب الهزيمة والضعف داخل العالم الإسلامي، كالاستبداد السياسي والقطيعة بين الحاكم والمحكوم، والتخلف الاقتصادي، وأن يساهم في المحافظة على الهوية والانتماء الثقافي والديني، ومنه فحل المشكلة السياسية في بلداننا يمر عبر رؤية حضارية شاملة تنطلق من العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد⁽⁴⁾.

وخلاصة القول في ختام هذا المبحث أن السياسة الجيدة هي التي تسعى إلى الوقاية من التناقضات والانشقاقات المحتملة، وتعمل على تخفيف مصادر العنف الاجتماعي، بالتعرف على المسببات، وتوقع ما يمكن أن ينجم عن النزاعات والتوترات، ذلك أن العنف ليس نتيجة مباشرة للواقع الموضوعي، بل هو انعكاس هذا الواقع في النفوس، والإدراك الغير صحيح لذلك الواقع، وما يترتب عنه من وجود الشعور بالغبن والعداء والإحباط⁽⁵⁾.

(1) فاتح ربيعي، المرجع السابق، ص 55-56

(2) المرجع نفسه، ص 55-56

(3) محمد التهامي، المرجع السابق، ص 142

(4) برامة احسن، المرجع السابق، ص 341

(5) عبد المجيد النجار وآخرون، المرجع السابق، ص 3

المبحث الثالث: المؤسسة الدينية (المسجد-الزوايا-الخطاب الديني) وأهميتها في بناء المسلم

تمهيد

تناولنا في الفصل الثالث قضايا التطرف وعلى أنه متعدد الصور والمظاهر، إلا أن التطرف الديني يظل الأكثر حضوراً في ماضي الأمة وحاضرها، إذ لا يزال يشكل خطراً حقيقياً حتى على أمنها واستقرارها ما لم تعالج مشكلته.

وبما أن الدين الإسلامي في نظر المسلمين له قداسة ومكانة خاصة، إذ يشكل مصدراً روحياً لاستقرار الإنسان، كما أنه منبع لأمن المجتمعات وصلاحها، وحين أدرك خصوم الإسلام أهمية الدين في حياة المسلمين أصبح مستهدفاً من كل النواحي، بما فيها العمل على تشويه صورته من خلال نشر التطرف والعنف في الأوساط الإسلامية، فكان من الواجب العمل على التصدي لحمالات التشويه هذه من خلال إبراز الصورة الناصعة للإسلام ونشر قيم الوسطية والاعتدال.

وهنا يجب تفعيل دور المؤسسة الدينية من خلال العودة بالمساجد والزوايا إلى دورها الريادي في إصلاح الفرد والمجتمع، ومن ثم العمل على إيجاد خطاب ديني تجديدي إصلاحي أكثر توافقاً وملائمة مع عصرنا الراهن، وهذا لأجل الوقوف على ظاهرة التطرف لا سيما الديني ومعالجتها.

المطلب الأول: أهمية مؤسسة المسجد ودورها في محاربة التطرف

أولاً: تفعيل الدور الحقيقي للمسجد في بناء الإنسان

يعد المسجد من مقدسات المسلمين، حيث إن مكانته لا تقف عند كونه بيتاً للعبادة والطاعة، وإنما أدواره متنوعة وشاملة لمختلف جوانب الحياة، وهذا الذي جرى عليه العمل في زمن النبوة ومن بعد عند الخلفاء المسلمين، فقد كان المسجد مؤسسة للتربية والتفاعل مع مختلف قضايا الحياة، دينية كانت أو دنيوية، وعلى ذلك وجب العودة برسالة المسجد وتفعيل دورها الحقيقي في مجال الدعوة والإصلاح، بأن تصبح أداة من أدوات المجتمع للتصدي لكل أمراض المجتمع بما في ذلك العنف والتطرف.

ومن أدوار المسجد المساهمة في بناء الفرد وإصلاحه نأخذ:

1) الدور التعليمي: حيث يساهم المسجد بشكل كبير في تعليم الناشئة ومختلف شرائح المجتمع بدءاً من التعليم القرآني ومختلف العلوم الأخرى، كاللغة والفقه وغيرها للأطفال، وصولاً إلى الوعظ والإرشاد الموجه لمختلف الفئات رجالاً ونساءً، فلا تزال المساجد تحمل دوراً تثقيفياً وتعليمياً لأبناء المسلمين منذ نشأتها إلى عصرنا الحاضر⁽¹⁾.

ولكي يؤتي المسجد ثماره من هذه الناحية لا بد من وجود الكوادر العلمية المؤهلة، لبناء خطاب مسجدي سليم ومعتدل، يتماشى مع قضايا العصر ونوازلها، فتكوين الخطباء والأئمة جد مهم في هذا المجال.

2) الدور السياسي: ويتمثل في تربية المواطن تربية سياسية، يكون من خلالها مواطناً صالحاً في مجتمعه، فثلاثة أرباع الفرائض والواجبات الإسلامية لا تتم بدون مجتمع مسلم، فصلاة الجماعة خلف إمام واحد تعكس تلك الصورة السياسية في الإمام والرعية، وبالتالي يتعلم المصلون من خلال تلك العبادة، قيمة التعايش والحوار بين الحاكم والرعية، كما يتعلم الإمام معنى الشفقة والرحمة على الرعية، كذلك يعمل المسجد من هذه الناحية على إخماد نيران الفتنة في المجتمع التي أشعلتها السياسة، فكان للمسجد دوراً بارزاً في إخمادها⁽²⁾.

ليس هذا فحسب بل للمسجد دور مهم في توجيه الرأي العام لما فيه صلاح للبلاد والعباد، فمحطات التاريخ الإسلامي حافلة وشاهدة على ما قدمه المسجد في هذا المجال.

3) الدور الروحي: وهذا من أهم أدوار المسجد حيث يعمل على إحياء الجانب الروحي في الإنسان، من خلال التزام هذا الأخير بالعبادة والأذكار، والمحافظة على الصلوات والمواظبة عليها، وبالتالي يتحرر شيئاً فشيئاً من المادية المقيتة، كما يتعد من كل ضغوط الحياة وهمومها، فيستقيم سلوكه، ويعتدل تفكيره، وهذا الذي كان عليه المسجد في الحقبة الاستعمارية إذ كان صمام أمان للجزائريين ضد كل حملات التنصير وتشويه الهوية الدينية والوطنية، فبقي محافظاً على تعاليم الإسلام وعادات البلد وتقاليده⁽³⁾.

(1) جفال نور الدين، دور المسجد في تقويم سلوك الأفراد في ظل الانفتاح على الفكر العالمي الحديث، مجلة دراسات إسلامية، العدد 17،

السنة 2013م، ص 130

(2) المرجع نفسه، ص 130-131-132

(3) المرجع نفسه، ص 132-133

ومنه فالتربية الروحية في نظري تعد لب الإصلاح في العمل المسجدي حاضرا ومستقبلا، لما لها من أهمية في تحقيق التوازن النفسي والفكري والسلوكي للأفراد، فهي تساهم بشكل كبير في حماية الفرد والمجتمع من كل مظاهر الغلو والتطرف.

4) الدور الاجتماعي: أما عن الدور الاجتماعي فالمسجد تقام فيه صلاة الجماعة والجمعة التي بدورها تعمل على اجتماع أفراد المجتمع بمختلف طبقاته، فهو يجعلهم في حالة تفقد دائم لبعضهم البعض، وهذا يدعوهم إلى التعاون والتكافل الاجتماعي، وهدم كل الفوارق والعنصرية التي من شأنها أن تعكر صفو الأخوة والوحدة.

فهو بذلك يعمل على انتشار الفرد من العزلة السلبية التي تتولد معها أفكار عدوانية تجاه المجتمع، إذ يشعر معه بالأمان والاستقرار النفسي الذي يمدّه بالطاقة الإيجابية التي تدفعه للبناء والإعمار.

يقول علي عبد الحليم محمود مبرزا دور المسجد في هذا الجانب: «وبمجرد التردد على المسجد تربية للمسلم دون درس أو حلقة علم تعقد فيه، وحسبه ما يتعلمه من الصلاة ومن تسوية الصفوف ومن الإنصات خلف الإمام ومن متابعتة له، ومن تعارفه على إخوانه المصلين»⁽¹⁾.

إذا حافظ المسجد على هذه الأدوار، كان مصدرا مهما من مصادر الأمن والاستقرار في المجتمع، وهذا من أهم وظائفه تحقيق الأمن والاستقرار، فالمسجد أساس حماية المسلم من الانقسامات والشائعات، وأساس لمواجهة التحديات التي تواجه المجتمع، فهو يعمل عمل مؤسسة إعلامية متكاملة ترفع الوعي الإنساني، وتغرس العقيدة الصحيحة بمبادئها وقيمها في نفوس الجماهير⁽²⁾.

5) الدور الخطابي يرتكز الخطاب المسجدي على دعامين رئيسيين هما: الخطيب وهو القائم على عملية الإرشاد والتوعية، ومضمون الخطاب وهو المادة المعروضة على الجماهير.

فإذا أردنا أن نرتقي بالخطاب المسجدي إلى ما هو أفضل، وأن نعمل على أن يكون فاعلا في مختلف ميادين الحياة، مواكبا لقضايا العصر ومستجداته، مساهما في حل مشاكل المجتمع، خطاب يؤسس لحضارة، علينا أن نجود هذا الخطاب من خلال تكوين خطباء مؤهلين قادرين على توجيه الرأي

(1) علي عبد الحليم محمود، التربية الروحية، ص 59

(2) محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 358-359

العام وإرشاده، حيث يكونون صمام أمان للمجتمع ضد كل التحديات التي تواجهه، ثم العودة إلى مضمون الخطاب وهي المادة المعروضة على الجماهير من خلال تجويدها وتحسينها لتصبح أكثر واقعية وتأثير في المجتمع.

1. صناعة الخطيب المؤهل

يلعب التأهيل العلمي للخطيب دورا مهما في التأسيس لخطاب واقعي ومعتدل بعيد عن الغلو والتطرف، فالتطرف ينمو في تلك الحواضن التي تعمل على التحريض وشحن الجماهير، دون النظر في مآلات الأمور وعواقبها، لذا يجب مراعاة الجوانب الأساسية في تكوين الخطيب، خاصة ما تعلق بالمستوى العلمي والأخلاقي.

إن الخطيب الناجح هو الذي يخترق خطابه العقول والقلوب، وهو الذي استوعب جيدا قضايا عصره ومستجداته، فلا يغرد خارج السرب، إذ أن الجهل بما يدور حوله سبب في أن تغلب عليه نزعة التطرف والغلو في الخطاب، وهذا وحده كفيل في تضليل المستمعين، فتزداد المشكلة تعقيدا، يقول علي المؤمن: «المعرفة بالواقع، وفهم حاجات المجتمع وإدراك الموضوعات إدراكا كاملا، مع الأخذ بنظر الاعتبار تحولاتها وتغيرها من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر، أو بتعبير آخر: أن "وعي العصر" هو الذي يمكن الفقيه من تحديد مصالح المجتمع الإسلامي الجديد، وهذا التجديد هو الذي يجسد مقاصد الشريعة»⁽¹⁾.

وفي دراسة نموذجية أجراها عمر زقاي عل عينة من أئمة وخطباء الجزائر من حيث المستوى الدراسي والتأهيل العلمي قبل سنة 2012م، خلص إلى أن هناك 31% من الأئمة ليس لهم تكوين في المدارس أصلا، بينما 33% منهم توقفوا في المراحل الابتدائية، 19% من الخطباء ذوو المستوى المتوسط والجامعي، في حين استقر عدد منهم بنسبة 13% في المستوى الثانوي، وعليه فإن أكثر من 64% من الخطباء لم يتجاوزوا المرحلة الابتدائية⁽²⁾.

⁽¹⁾ علي المؤمن، الإسلام والتجديد، ط1، دار الروضة، بيروت، 2000م، ص93

⁽²⁾ عمر زقاي، تجديد الخطاب الديني في الجزائر، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، سنة 2011م-2012م، ص166

إذا نظرنا في هذه الأرقام فإننا نستشف خطورة الوضع بالنسبة للخطاب الديني في الجزائر أو غيرها، كما يدل على ضعف تكوين الخطيب، مما ينعكس سلبا على عملية التفاعل بين الإمام والمستمعين، فيؤثر لا محالة على التوازن الفكري والنفسي والسلوكي للمجتمع، وهذا يستدعي المسارعة في إعداد نخبة من العلماء والأئمة المؤهلين للارتقاء بالخطاب المسجدي، حتى لا يصير الخطاب الديني أداة في أيدي المتطرفين يوجهون به عموم المسلمين نحو العنف والتطرف.

ومنه فعملية تكوين الخطيب الناجح مصلحة تقتضيها الضرورة لحماية أجيالنا ومجتمعنا من مختلف الأفكار والأيدولوجيات المنحرفة، والعمل على نشر القدر الكافي من الوعي، وهذا يعتمد أساسا على خطباء وعلماء مؤهلين.

2. تجويد المضمون الخطابي

يرى الكثير من المتبعين للوضع الخطابي في العالم الإسلامي، خاصة ما تعلق بخطبة الجمعة أنها بعيدة في معظم الأحيان عن تحقيق أهدافها التربوية والتوعوية سواء من ناحية المضمون أو أسلوب الإلقاء فهي:

3. تميل إلى التشديد على الناس بشكل عام، بعيدة كل البعد عن التيسير ورفع المشقة.
 4. تعتمد المرويات والأحاديث الضعيفة لتمرير بعض الأفكار والقصص التي لا يقبلها العقل ولا يستقيم لها المنطق.
 5. ضعف مستوى الخطباء من الناحية اللغوية، وكذا حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.
 6. تناول موضوعات جانبية في الغالب، التي لا تتناول مشاكل العصر وقضاياها.
 7. عدم ارتباط الخطاب المسجدي بالسلوكيات المرافقة له، فغالبا ما ينفصل عنها ويتناقض معها⁽¹⁾
- وعليه إذا أردنا أن يحقق الخطاب الديني غايته في التصدي لظاهرة التطرف، ينبغي أن يكون خطابا مصحوبا بنشر ثقافة التسامح والتيسير على الناس ورفع المشقة عنهم، بما يحفزهم على التجاوب أكثر مع تعاليم الإسلام وأحكامه.

(1) جعفر عبد السلام، الإسلام.. وتطوير الخطاب الديني، ط1، دار البيان، القاهرة، 2002م، ص17-18

فالشريعة الإسلامية جاءت لرفع الحرج عن الناس والرفق بهم، يجلب المصالح ودرء المفاسد، وهذا من قيم العقيدة الإسلامية، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾⁽²⁾، وما جاء في السنة النبوية أيضا ما يدل على انتهاجه عليه الصلاة والسلام نهج التيسير ورفع الحرج على أمته، والرفق بهم⁽³⁾.

يلزم من هذا أن على كل من يشتغل بالخطاب الديني من أئمة وخطباء، أن يعمل على تصدير خطاب ديني متوازن، يوازن بين مصالح الدنيا والآخرة، كما ييث في الناس الأمل في الحياة ويدفعهم إلى البناء والإعمار حضارة، ويستهدف من خلاله فئة الشباب خاصة كونها الفئة الأكثر عرضة لمخاطر العنف والتطرف.

المطلب الثاني: مكانة الزوايا ودورها في المجتمع

أولا: تفعيل دور الزوايا في المجتمع لمواجهة التطرف

بعد المسجد يأتي الدور على الزوايا في مواجهة التطرف، كونها أحد فروع المؤسسة الدينية المنتشرة في العالم الإسلامي، وما لها من مكانة اجتماعية ودينية عند المسلمين، وتاريخها حافل بالإنجازات حيث كانت ولا زالت شريكا فعالا في بناء الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

وعليه يجب استغلال الزوايا بإعادة تفعيل دورها في مجابهة التطرف ومختلف مشاكل العصر.

فمن الأدوار التي يجب على الزوايا أن تعيد بعثها في المجتمع:

• **الدور التعليمي:** حيث عرفت بنشاطها التعليمي من تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الطلبة ما يلزمهم من مختلف العلوم الشرعية، ونشر الأخلاق والقيم⁽⁴⁾، فالعودة إلى بعث النشاط العلمي في الزوايا

(1) البقرة: 185

(2) الشرح: 5-6

(3) نصر سلمان، أهم الوسائل العلاجية لظاهري الغلو والتطرف، مجلة الإحياء، العدد 8، السنة: 1424هـ، 2003م، ص 174-175

(4) طيب حاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة معارف، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة البويرة، العدد 14، السنة: 8،

أكتوبر 2013م، ص 40

هدفه نشر الوعي والقضاء على الجهل، الذي يهدد الأمن الفكري للأجيال.

• **الدور التربوي:** فقد حرص شيوخ الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم⁽¹⁾، فكانت الزوايا تعمل على تهذيب الطالب وتحصنه من كل ما يشوه خلقه وسلوكه، فجعلوا لذلك علما أسموه بعلم السلوك مدون في كتبهم وممارساتهم، يهدف إلى تهذيب النفس من خلال تحليلتها بالفضائل وتحليلتها عن الرذائل، وعلى ذلك كان شيوخ الصوفية وأتباعهم من أبعد الناس عن العنف.

• **الدور الاجتماعي:** اشتهرت الزوايا عبر التاريخ بأنها ملاذ الفقراء والمساكين، ومختلف طبقات المجتمع، حيث كانت تمد المجتمع بكل ما يحتاجه، بل تساهم في حل مشاكله وقضاياها، بالإصلاح بين المتخاصمين، وحقن الدماء، وإخماد نار الفتن وغير ذلك من الأعمال الإيجابية التي آن لها أن تعود في عصرنا الحاضر.

• **الدور السياسي:** وهو من الأدوار التي لازمت الزوايا منذ ولادتها، فقد عملت على المحافظة على استقرار الأوطان، ولم الشمل وجمع الكلمة، كما برز دورها خلال الحقبة الاستعمارية في مجابهة الاستعمار بالتعليم والجهاد.

حيث ساهمت في حل النزاعات السياسية، والصراعات الطائفية والعرقية، بل وحماية حتى أتباع الأديان الأخرى من يهود ونصارى وغيرهم من الاعتداءات، ومنه فتفعيل دور الزوايا من هذا الجانب مكسب مهم للمؤسسة الدينية، بأن تصبح هي الأخرى شريك فعال في مختلف المجالات.

• الدور الروحي

بما أن الزوايا والمدرسة الصوفية عموما رائدة في مجال التربية الروحية والتهذيب النفسي والسلوكي، يجب أن يستغل ذلك في تربية الأجيال، من خلال إعادة بعث التربية الروحية في الزوايا، والعمل على خلق مناخ روحي معتدل، وتكوين جيل محصن من كل مظاهر الغلو والتطرف، يوازن بين المادية المفرطة والروحية السلبية.

⁽¹⁾ طيب جاب الله، المرجع السابق، ص 140.

إن الكثير من الأزمات والمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية نابعة عن الافتقار الروحي، والميل إلى المظاهر والشكليات في التدين، وهذا أسس إلى انفصال واضح بين العقيدة ومبادئها، وتطبيق ذلك على مستوى السلوك وتفعيله في حل الأزمات، وبالتالي فالتدين العميق بكل جوانبه هو مصدر التوهج الروحي في نفوس المؤمنين، ولا تزال أزمة الفراغ الروحي قائمة ما لم نعمل على إنشاء تيار روحي قوي ومتين، يقوم على أحكام شرعية تضبطه⁽¹⁾.

يقول القرضاوي: «نحن في حاجة إلى لون من الصوفية الربانية الإيجابية المعتدلة، التي عبر عنها بعضهم بأنها: الصدق مع الحق، والخلق مع الخلق، وإليها يشير قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»⁽²⁾ وهذا هو روح الدين الحق: التقوى لله، والإحسان للناس، فالتصوف الحقيقي: تقوى وأخلاق قبل كل شيء»⁽³⁾.

وعليه إذا أردنا أن تكون الزوايا نموذجاً ناجحاً في مواجهة التطرف والحد منه وجب التركيز على جانبين مهمين هما:

أولاً: تجديد العمل الدعوي والتربوي للزوايا من خلال مواكبتها لقضايا الواقع، ومساهمتها في حل مشاكل المجتمع، والخروج بها من عزلتها نحو مختلف الفضاءات التربوية والتعليمية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وهذا من مقتضيات هذا العصر.

ثانياً: الاستثمار في الجانب الروحي الذي يعد مكسباً مهماً للزوايا، والعمل على إيجاد آليات معاصرة لتوسيع نطاقه وتفعيله في مختلف ميادين الحياة، بما يمنح دفعة إضافية للمؤسسات الأخرى في محاربة التطرف وكل أشكال العنف.

⁽¹⁾ عبد الكريم بكار، المرجع السابق، ص75

⁽²⁾ النحل: 128

⁽³⁾ يوسف القرضاوي، تجديد الإيمان.. التصوف المقبول والمردود <http://www-alqradawi.net> تاريخ الدخول:

المطلب الثالث: الخطاب الديني (نحو تجديد الخطاب الديني لمواجهة التطرف)

إن الدارس لخصائص المجتمع الإسلامي في العصر الحاضر يلتمس شيئا من البلى في بعض أطرافه، ونقصا في بعض جوانبه، وهذا لا يعود لخلل في الإسلام وإنما إلى تعقد الحياة واتساع نطاقها، فوجب بذلك أن يتسع إطار الإسلام ليشمل جميع مناحي الحياة، فلا يبقى محصورا في جوانب العبادة فقط وإنما يتعدى ليعم كل شيء في حياتنا، حيث نضع إطارا شاملا لجميع محتويات عصرنا، مقتبسا روحه من روح الإسلام، ليتوافق ذلك مع أحد أهم أصوله وهما المرونة والشمولية⁽¹⁾.

من هنا كانت الحاجة ماسة لإعادة النظر في الكثير من القضايا المطروحة على الساحة الدينية على وجه الخصوص، بإعادة صياغتها وترشيدها فهمها بما يتماشى وقيم العقيدة الإسلامية ومبادئها، مع مراعاة مقتضيات العصر ومستجداته.

فتجديد الخطاب لا يقتضي بالضرورة المساس بالثوابت المجمع عليها، ولا بالقرآن وصحيح السنة النبوية، وإنما التجديد يراد به تنقيح تراثنا الإسلامي من كل الأفكار والأيدولوجيات التي تخدم التطرف وتغذيه، وتتصادم مع قيم ومبادئ الإسلام.

وهذا ما قرره العلماء من خلال وضعهم لحزمة من الشروط التي تتصل بعملية التجديد و لا تتصادم مع الثوابت والأصول المجمع عليها، وإنما هو من مقتضيات الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان، يقول الريسوني: « كثير من العلماء تكلموا في موضوع تجديد الدين، نبهوا على كون الدين معرضا لأنواع شتى من الرثاثة والبلى والحمول والجمود والانحراف، تصيب الناس في عقائدهم ومعارفهم الدينية، وفي عباداتهم، وتطبيقاتهم العملية، مما يجعل مواجهة هذه الآفات بالإصلاح والتجديد والتقويم أمرا لازما لا غنى عنه، على الأقل بين الفينة والأخرى وهذا ما كان يتولاه من قبل الأنبياء والرسل»⁽²⁾.

(1) مقدار يالجن، منهاج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث، ط1، المطبعة المصرية، القاهرة، 1969م، ص107-108

(2) أحمد الريسوني، التجديد والتجويد تجديد الدين وتجويد التدين، ط1، دار الكلمة، القاهرة، 2014م، ص19

أولاً: مفهوم التجديد في الخطاب الديني

• المعنى اللغوي للتجديد

من معاني التجديد في اللغة العربية: تصيير الشيء جديداً، ومنه جد الشيء أي صار جديداً⁽¹⁾، وهو خلاف القديم، وجدد فلان الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه⁽²⁾.

ومنه فالتجديد في اللغة يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وبדله، فإذا أعيد إلى حالته الأولى مثل ما كان عليه قبل أن يصيبه البلى صار جديداً⁽³⁾

• المعنى الاصطلاحي للتجديد

من المعاني الاصطلاحية للتجديد: أنه صفة لبعض الفلسفات التي تحاول إحياء بعض المذاهب القديمة على أسس جديدة⁽⁴⁾.

ذكر المناوي معنى التجديد ونقل قول العلقم يياً التجديد: «إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهاها»⁽⁵⁾.

وعرف التجديد على أنه: إتيان ما ليس مألوفاً أو شائعاً كابتكار موضوعات أو أساليب تخرج عن النمط المعروف والمتفق عليه جماعياً، أو هو إعادة النظر في الموضوعات الرائجة، وإدخال تعديلات عليها بحيث تبدو مبتكرة لدى المتلقي⁽⁶⁾.

ومنه فإن التجديد بصورة عامة يطرح دائماً كإجابة عن الأسئلة التي يطرحها العصر بتعقيداته المتشابكة، فكان دائماً بمثابة إجابة طموحة تسعى للإجابة عن هذه الأسئلة من منطلق المواكبة والقدرة على التجدد الذي يعني فتح باب الإبداع على مصراعيه بما يحمل من اجترافات يتفتق عنها الذهن،

(1) ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص203

(2) محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص95

(3) عدنان محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1424هـ، ص16

(4) جميل صليبا، المرجع السابق، ج1، ص395

(5) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1972م، ج1، ص14

(6) أحمد مختار عبد الحميد، المرجع السابق، ص20

ويخلقها العقل الموار بالأسئلة القلقة التي تتطلب إجابات سريعة وضرورية⁽¹⁾.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول إن تجديد الخطاب الديني هو: «عملية إحياء، وهي أشبه بمراهنة سيكولوجية أولا وما يستتبع ذلك من تحول باتجاه التغيير والعمل حتى يتحقق الدين في صورته الأولى زمن الصحابة»⁽²⁾.

ثانيا: صور التجديد في الخطاب الديني

لا شك أن رؤى التجديد تختلف من باحث لآخر، كل حسب فهمه وطريقته في الإصلاح، غير أن الهدف والغاية واحدة، فالجميع يسعى إلى حماية الإسلام عقيدة وشرعة، والعمل على وضعه في إطاره الصحيح، ودجمه في مختلف مناحي الحياة دون المساس بثوابته وأصوله.

وعليه نسلط الضوء على أهم صور التجديد التي نادى بها العلماء والمفكرون قديما وحديثا.

1- التجديد بمعنى التقيح والتصفية

وذلك بتنقية نصوص القرآن والسنة من كل ما يشوبها، أو يشوه فهمها من خرافات وقصص إسرائيلية لطالما لازمت أذهان الناس، وازدادت حدتها مع مرور الزمن، فكان لزاما على المختصين أن يعملوا على غربلة التراث من هذه الشوائب وإعادة صياغته في ثوب جديد بما يتلائم مع واقعنا المعاصر، دون المساس بأصوله وثوابته⁽³⁾.

فالمطلوب من التجديد هنا أن يعيد الإسلام أو يعيدنا إليه بصفته النقية الخالصة، لحظة صفائه الأولى، وهذا يتطلب تصفية عقائد المسلمين من جميع الانحرافات والتصورات الخرافية⁽⁴⁾.

2- التجديد بمعنى ربط الإسلام بالواقع

من صور التجديد أيضا ربط الخطاب الديني بالواقع المعاصر، وإثبات فاعليته في مختلف مجالات الحياة، وإخراج الإسلام من تلك الصورة النمطية العالقة في أذهان الناس سواء من المسلمين أو غير

(1) - رضوان جودت زيادة، خطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة، ط1، دار الفكر، دمشق، 2003م، ص16

(2) - المرجع نفسه، ص18

(3) - مقداد يالجن، منهج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث، ص116

(4) - رضوان جودت زيادة، المرجع السابق، ص17

المسلمين، على أنه دين حبيس المساجد وأماكن العبادة ولا يصلح لإدارة شؤون الحياة.

وهذا ما أوضحه مقدار يالجن بقوله: « وفي مجال الإسلام كذلك فإن الذين أسأوا فهم الإسلام جعلوه سلبيا تجاه جميع الأحداث والتطورات الطبيعية في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، حيث جعلوا الإسلام سدا أمام الواقع، ذلك لأن هذه الوقائع لما تراكمت وتضخمت انهار أمامها هؤلاء وأبعد الإسلام عن مجال الحياة، ومن ثم جلب هذا التصادم من ورائه فكرة هي أن الإسلام يدعو إلى الجمود وأن رجال الدين جامدون»⁽¹⁾، ومما ساعد على ترسيخ هذا الفكر عند الناس، المتعصبون والمتطرفون الذين شوهوا صورته ولم يحسنوا عرض بضاعته، حتى أصبح الإسلام في مرمى سهام أعدائه وخصومه من الغربيين والمستشرقين الذين تفتنوا في العمل على تشويه صورته والحط من مكانته.

3- التجديد بمعنى تصحيح الفهم الخاطئة

لا شك أن الصورة الذهنية التي يحملها كثير من الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي، تفتقر في معظمها إلى الفهم الصحيح للإسلام، أو أنها تأخذ بجانب وتهمل جوانب أخرى، ومنه فتصحيح هذه الصورة يتوقف على قدرة الدعاة في تغيير نظرة المسلمين عن الإسلام، حيث يجب العمل على عرض الإسلام على أنه منهج متكامل يشمل جميع مناحي الحياة، فيتوجه المسلمون نحو إقامة مجتمع إسلامي نظيف وعادل، تسوده القيم والمبادئ الإسلامية⁽²⁾.

فالتجديد بهذا المعنى هو الأقرب إلى التجديد بمعناه الحقيقي، حيث أن المظاهر السلبية المشوهة لصورة الإسلام إنما هي نتاج الفهم السيئ، ولا يمكن تغيير المسار وتصحيحه والعودة إلى وسطية الإسلام إلا من خلال هذه الآلية.

4- التجديد بإعادة النظر في تاريخ الأمة من زاوية موضوعية

إذا أردنا الوصول إلى خطاب ديني معتدل ينبغي علينا أن ننظر في تاريخنا نظرة متأنية وموضوعية، فمشكلة الغالين في العودة إلى الماضي أنهم يقرؤون الماضي قراءة انتقائية، فيظهرون الصور المشرفة ويتجاهلون صور الانكسار والهزيمة وهذا من الأخطاء المنهجية، وهم بذلك يحجبون عن المسلم الرؤية

(1)-مقداد يالجن، المرجع السابق، ص114

(2)-محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص100

الصحيحة للحضارة الإسلامية، وكيفية الوصول إلى حلول لأزماتها⁽¹⁾، ليس هذا فحسب بل الاستفادة من الأخطاء وأسباب الفشل واستثمارها في الانطلاق الصحيح.

كانت هذه صور التجديد التي أدلى بها العلماء والمفكرون كل حسب رؤيته، غير أن التجديد بمعناه الحقيقي والمتكامل يجمعها كلها، فلا يمكن الاستغناء عن أحد تلك العناصر، حتى نضمن خطاب دينيا بصبغة جديدة، ذات فاعلية في مواجهة التطرف وكل المظاهر السلبية الأخرى التي لا تترك واقع الأمة الإسلامية وتحدد مستقبلها.

وفي هذا يقول علي المؤمن في كتابه الإسلام والتجديد أين يعطي صورة متكاملة عن التجديد فيقول بأن: « التجديد الفكري في الإسلام ليسا نسخا لفكر قائم، أو تأسيس لفكر جديد، أو إحياء لفكر قديم، بل هو عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره، وفقا للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر، أي أنه لا ينطلق من فراغ، بل له قواعده، ومنهجه ومرجعياته وثوابته، وفي النتيجة يكون التجديد خطابا نضويا، يستهدف البنية الفكرية، لتلبية جميع حاجات الإنسان المعاصر، وبكلمة أخرى فإنه يهدف في كل زمان ومكان إلى صياغة مشروع الإسلام الحضاري، الذي يشتمل على عملية استيعاب جميع متطلبات الحياة...»⁽²⁾.

ثالثا: آليات تجديد الخطاب الديني لمواجهة ظاهرة التطرف

لكي يتجدد الخطاب الديني وتبعث فيه روح الفاعلية والتأثير، ينبغي المرور على آليات من شأنها أن تعيد الخطاب الديني المعاصر إلى سكته الأصلية، ومنه إيجاد حلول ناجعة لقضية التطرف، التي يعد الخطاب الديني المتطرف أحد أسباب استفحالها، فالعلاج يكون انطلاقا من معرفة الداء، ولا يختلف اثنان على أن داءها بالأمس واليوم يكمن في الخطاب الديني المتطرف.

وعليه يجب العمل على الآتي:

1- عرض سماحة الإسلام وتهميش الغلو

انطلاقا من قول النبي ﷺ: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق وما شاد الدين أحد إلا

(1)- محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 102

(2)- علي المؤمن، المرجع السابق، ص 18،

غلبه»⁽¹⁾، من هذا الحديث ينطلق نبيل السمالوطي في بيان كيفية عرض حقائق الإسلام وقيمه من التسامح والوسطية يقول: «الدين الإسلامي بسيط يتفق مع الفطرة السوية والعقل الموضوعي، وهنا يجب الابتعاد تماما عن التشدد أو التعصب في عرض حقائق الإسلام في سماحتها ووسطيتها واستهدافها لصالح الإنسان-مطلق الإنسان- في الدنيا والآخرة، ويجب إبراز قبول الإسلام لكل الديانات السابقة وجعل الإيمان بكل الأنبياء والكتب السابقة شرطا لصحة الإيمان الإسلامي، وإبراز القيم العليا للإسلام في العدل مع الجميع وتحريم الاعتداء وتحريم الإرهاب والتطرف والعنف بكل أشكاله، وقبول الإسلام على كل الحضارات، على العكس من أغلب الحضارات والديانات الأخرى»⁽²⁾.

فمسؤولية الخطاب الإسلامي الحالي تمهيش الغلو والتطرف بكل أشكاله، لا سيما في مجال العلاقات الدولية والتعامل مع الآخر، فقد أعطى الذريعة للغرب في زيادة الضغط على المسلمين بحجة الإرهاب، وليس هذا فحسب بل عمل طيلة سنوات على تشويه مبادئ وسمعة الإسلام العالمية، والخطاب الديني الصحيح الذي ينطلق من قيم ومبادئ الإسلام هو وحده القادر على تصحيح الرؤية، من خلال الفهم العميق لروح الشريعة وأحكامها ومقاصدها، وهذه ميزة الخطاب الإسلامي⁽³⁾.

2- الابتعاد عن الرؤية الغربية في عملية التجديد

لكي يحافظ التجديد في الفكر الإسلامي على غايته، لا بد وأن يركز على أساسات تجعله يبقى داخل الإطار الإسلامي، فلا يجيد عن مساره كما فعل المتأثرون بالتيار الغربي في التجديد، فلا بد من الحفاظ على الثوابت التي يستند إليها، وهي القرآن والسنة باعتبارهما المرجعية الأعلى في الإسلام، ثم أدوات الفهم كالإجماع والقياس... إلخ، ثم الاعتماد على التراث الكلامي والفقهية والفكرية للمسلمين، فهذه في مجملها من أدوات التجديد التي لا يستغنى عنها⁽⁴⁾.

وعلى ذلك فإن التجديد من خلال الاعتماد على النمط الغربي الذي يتجه نحو تمهيش ثوابت الأمة والمساس بمقدساتها، هي فكرة قائمة على التطرف من أساسها، لأنها لا تحقق التجديد بمعناه الحقيقي، بقدر ما تخدم التطرف الغربي الذي يسعى إلى تشويه صورة الإسلام وتغريب المسلمين.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 13052، ج20، ص346

(2) جعفر عبد السلام، المرجع السابق، ص63

(3) عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2006م، ص45

(4) علي المؤمن، المرجع السابق، ص20-21

3- توحيد الخطاب الديني

تعد الدعوة إلى الوحدة الإسلامية من أولويات الخطاب الديني المعاصر، كونها من الحلول المهمة في احتواء ظاهرة التطرف، كون التفرق والاختلاف بيئة حاضنة للغلو والتطرف، وعلى هذا لا بد من توحيد صف المسلمين، وجمع كلمتهم ولم شملهم.

يرى على المؤمن أن السبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية في جميع المجالات بما في ذلك وحدة الخطاب، يقوم على أربعة قواعد:

الأولى: التسليم بوجود خلاف.

الثاني: الإيمان بأن الوحدة ضرورة شرعية ومن الواجب السعي لها.

الثالثة: لا سبيل إلى تحقيق الوحدة في ظل تغليب المصالح.

الرابعة: أن تكون الوحدة الإسلامية تحمل أهدافا بعيدة المدى وليس آنية⁽¹⁾

وعليه فإن توحيد الخطاب الديني يقوم على تحقيق الوحدة الإسلامية في شتى المجالات، ليكون الخطاب الديني الواحد ثمرة اجتماع المسلمين وتآلفهم.

ومنه فتوحيد الخطاب وتطويره والتخطيط له والتنسيق بين الجهود داخل الدولة وخارجها من الدول الإسلامية الأخرى، يهدف إلى تقوية الجبهة الداخلية لكل دولة وجعل المسلمين أكثر قدرة على الإنتاج والابتكار وأكثر مساهمة في الحياة الاجتماعية، وأكثر قدرة على تحمل المشكلات والمشاركة في تخطيطها، ومواجهة مختلف التحديات الصعبة التي تلوح في الأفق والتي هي واقعة تهدد مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتحدد الخصوصية الثقافية لهذه البلدان ووجودها كله⁽²⁾.

4- تنقية كتب التراث من شوائب الغلو والتطرف

هناك حقيقة حتمية ينبغي الوقوف عندها، مفادها أن كتب التراث الإسلامي تحمل معها أحاديث مكذوبة وموضوعة، وكذا فهوما خاطئة عن الدين والتدين، حيث كان لها أثرا بالغا في نشر ثقافة العنف والتطرف، لا سيما ما تعلق بالفرق والطوائف الإسلامية، وظهور الغلاة من تلك المذاهب

(1)-علي المؤمن، المرجع السابق، ص 57-58

(2)-محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 247

والفرق، حيث كانوا ولا يزالون سببا في نشر الكراهية والبغضاء بين المسلمين، ومما زاد الطين بلة وسائل الإعلام التي ساعدت على تغذية التطرف وتأجيج الفتن⁽¹⁾.

فالتراث الإسلامي جهد توارثته الأجيال يمثل تراكما حضاريا ودينيا قلما تجد مثله عند بقية الأمم، ورغم كل ما يحتويه من اجتهادات علمية ينبغي أن نتعامل معه على أنه اجتهاد بشري في إطار معطياته الزمانية وحتى المكانية، وكل جهد بشري يؤخذ منه ويرد إلا القرآن وما صح من السنة النبوية، وعليه فالتنقية تكون من العلماء بإعادة عرض هذا التراث على القرآن والسنة وما يتعارض معهما لا يؤخذ به، ومنه فالإشكالية لا تكمن في تنقية التراث فحسب، وإنما فيمن يتعرض للتراث بقصد أو بغير قصد، فيسيء إما فهمه أو استخدامه⁽²⁾.

وليست تنقية التراث تقتصر فقط على مواجهة التطرف الديني فحسب، وإنما هو وظيفة أيضا تشمل الدفاع عن الإسلام ضد المشككين والمتربصين، ممن يحاولون الإساءة إليه مستغلين التطرف التاريخي وتوظيفه لتقديم طعنات متفرقة للإسلام⁽³⁾.

فتنقية التراث إذن لابد وأن تكون قائمة على منهج علمي صحيح، دون الخضوع لأي جهة من الجهات التي من شأنها أن تحذف أو تضيف إلى التراث كل ما يخدمها ويحقق مآربها، وعليه فأشراك المؤسسات الرسمية بأن تكون أداة خادمة للتراث محافظة عليه، حيث تسعى من خلاله إلى نشر كل قيم الوسطية والاعتدال، وما فيه صلاح للحاكم والرعية⁽⁴⁾.

من خلال ما تقدم يتضح أن هناك دعوات جادة من قبل العلماء والمختصين، إلى ضرورة تنقيح التراث من الشوائب التي علقت به على مر العصور، والتي تركز للغلو والتطرف وتعمل على تشويه صورة الإسلام في الداخل والخارج، وبالتالي فإن إعادة النظر في التراث واستقرائه أصبح حتمية لا مناص منها، لا سيما في هذا العصر أين أصبح الإسلام عرضة إما للتطرف الداخلي الذي طال أتباعه، أو من

(1)- زاهر المحروقي، تنقية التراث الإسلامي ضرورة حتمية <https://alroya.com> تاريخ الدخول: 2019/12/14

(2)- ضرورة تنقية التراث الإسلامي.. لسد الباب أمام المشككين <https://aymna.com> تاريخ الدخول: 2019/12/14

(3)- زاهر المحروقي، المرجع السابق.

(4)- أحمد التلاوي، أثر التطرف وفوضى المدارس الفكرية على التراث الإسلامي ومستقبله <http://sasar-online.com> تاريخ

الدخول: 2019/12/16

التيارات الوافدة من الخارج التي تحمل معها أفكارا تهدد الإسلام في بنائه الفكري والحضاري.

5- انتهاء الوسطية في الخطاب الديني المعاصر

لكي يكون الخطاب الديني المعاصر خطابا يتسم بالوسطية والاعتدال ويجانب الغلو والتطرف شكلا ومضمونا ينبغي أن يحمل المواصفات الآتية:

- خطاب يميل إلى التيسير في الفروع كالمسائل الفقهية التي يتسع فيها مجال الخلاف وتباين فيها الآراء، والتشديد في الأصول (العقيدة) أين ينبغي حماية الدين من الدجل والخرافة والغلو.

- التضييق فيما أوجبه الشرع أو حرّمه، فلا يتوسع في ذلك، فيوجب على الناس ما ليس بواجب، أو يحرّم عليهم الحلال

- مراعاة جانب الرخص إلى العزائم، فغالبا ما يميل الغلاة إلى العزائم على حساب الرخص وهذا من الغلو المنهي عنه شرعا

- التحرر من العصبية المذهبية وما يتجه في معناها، كالتعصب للقبيلة أو الأيديولوجيات المختلفة، مما يؤثر على سلامة الخطاب كونه يصبح مرهونا بين يدي مختلف العصبيات.

- التيسير في القضايا التي عمت بها البلوى في مجتمعاتنا اقتداء بمنهج الصحابة في ذلك، إذ كانوا يسقطون بعض الحدود إذا عمت البلوى كما حدث في زمن عمر رضي الله عنه في عام الرمادة عندما أسقط حد الردّة⁽¹⁾.

- أن يكون خطابا مصحوبا بدليل من القرآن والسنة حتى لا يصبح مضنة للخلل والنقص، إذ يجب أن يصبغ بالدليل ليصبح أكثر وضوحا وقبولا عند جماهير المسلمين.

- التحرر من الهيمنة السياسية أو غيرها من التبعيات التي قد تفرض عليه قيودا تجرد به عن تحقيق أهدافه

(1) سعيد شبار، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 2007م، ص585-

رابعاً: تجديد الخطاب العقدي لمواجهة التطرف

لا شك أن الكثير من القضايا العقدية فهمت على غير مرادها، أو وجهت توجيهها غير صحيح، مما جعلها تساهم بشكل أو بآخر في تغذية التطرف والعنف، لا سيما ما تعلق بالتطرف الديني الذي لا يزال رهن المفهوم الخاطئ لقضايا العقيدة الإسلامية، فكان لزاماً إعادة النظر في الفكر العقدي وإصلاحه بما يتماشى ومتطلبات العصر الحاضر، فتصير العقيدة الإسلامية مصدراً للأمن والاستقرار كما هي عليه في الأصل، لا أن تستخدم كأداة للترويج إلى العنف والتطرف.

وعليه فإن: «تجديد الفكر العقدي هو الأساس موقف عقلي يتجه إلى إعادة قراءة وفهم العقيدة الإسلامية فهما شمولياً كلياً يتناول الفكر والمجتمع على السواء»⁽¹⁾.

فتجديد الخطاب العقدي يتجه نحو تصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والخرافة والبدع ونحوها، مع فتح باب الحوار أمام مختلف الملل والنحل الأخرى، وصبغها بالصبغة الاجتماعية والحضارية⁽²⁾.

ومنه فالإصلاح العقدي يرتكز على أربع نقاط أساسية أفاد بها عبد المجيد النجار وهي:

- فهم العقيدة الإسلامية من خلال التصور الصحيح لها الذي يقوم على الوحي.
- التصديق بحقيقتها، سواء من جهة النسبة إلى مصدرها، أو في قيمتها الذاتية المطابقة للواقع، كونها مصدراً للخير والصلاح.

➤ من حيث توجيهها للفكر في كل ما يتجه إليه البحث، وما ينتهي إليه من نتائج كونها مرجعاً.

➤ وصلها بالجانب العملي كونها تدفع إلى الفعل والإنجاز.

وكل هذه النقاط الأربع تحتاج إلى ترميم وإصلاح، وبذلك يصبح الوضع العقدي للمسلمين عاملاً مهماً في النهضة الحضارية⁽³⁾

(1) برامة احسن، التجديد في الفكر العقدي عند كل من أي الأعلى المودودي ومالك بن نبي، رسالة دكتوراة (غير منشورة)، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، 2009م-2010م، ص114

(2) برامة احين، المرجع السابق، ص115

(3) عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الأول، السنة الأولى، ص58

وبالجملة فإن تجديد الخطاب العقدي يرجع إلى ثلاث عناصر أساسية وهي:

أولاً: ترشيد الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية: والمقصود بترشيد الفهم العقدي أولاً: أن يتطابق التصور العقدي لدى المسلم مع ما يملك من إمكانيات، وأن يكون هذا التصور خالياً من كل زيادة أو نقصان أو تغيير أو اضطراب، وبدوره هذا الترشيح يقوم على ثلاث عناصر أولها: مصادر الفهم: وهما القرآن والسنة حيث يكونان المصدر الوحيد لفهم معاني العقيدة الإسلامية ومدلولاتها، وأما أفهام العلماء فلا تعدوا أن تكون وسيلة مساعدة على الفهم المباشر من القرآن والسنة، ذلك أن دراسة مسائل العقيدة انطلاقاً من الوحي دراسة متأنية بعيدة عن كل العوامل الخارجية التي من شأنها أن تعيق الفهم الصحيح، الذي يجمع الأمة ويوحدها، وحينئذ فإن الأمة تتجاوز أوضاع الفرق المستنزفة للطاقت، وتتوحد جهودها حول البحث عن الوصول إلى نخبتها، انطلاقاً من تصورهما الصحيح للوجود والإنسان والكون⁽¹⁾.

ثانياً: مدلول العقيدة: لمدلول العقيدة الأثر البالغ في تحديد المسلك العملي الناشئ عنها، ويتمثل مدلول العقيدة في الأسس الكبرى من المعاني العقدية مثل: الوحدانية والنبوة والبعث وما يتفرع عنها من معاني جزئية، أو هو ذلك المتعارف عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقد ظل هذا المدلول سائداً في أذهان المسلمين طيلة فترة من الزمن، رغم بعض المحاولات من قبل العلماء في تلك المرحلة الذين كتبوا في علم العقائد وفي قضايا تتركز أساساً على وجود الله تعالى وصفاته والنبوة والبعث والقضاء والقدر والإيمان وما تعلق بها من مسائل، والسبب في ذلك دفاعهم عن العقيدة الإسلامية، وللخروج بالعقيدة الإسلامية من هذا الخندق وجب توسيع المجال العقدي ليشمل مناقشة مسائل ذات صلة بالواقع، كحاكمية الشريعة الإسلامية، وموالات الكفار، والروح والعدالة الاجتماعية وغيرها، وإدخالها ضمن دائرة المدلول العقدي⁽²⁾.

ثالثاً: مفردات العقيدة: وهو إعادة النظر في مفردات العقيدة بما يتوافق مع ترشيح مدلولها، وهذا النظر يقتضي إدخالاً جديداً للمزيد من المفردات العقدية في الوعي العقائدي للأمة الإسلامية، انطلاقاً

⁽¹⁾ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 59-63

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 63-68

من تسليط الضوء عليها، وتأصيلها في نصوص الوحي، فتصبح بذلك سلماً دعويًا وتربويًا يعتمد على الدعاة والمربون في هذا المجال⁽¹⁾.

وترشيد مفردات العقيدة يشمل أيضًا تجديد تصورها في الوعي العقدي للأمة بأن تتناول قضايا متنوعة تشمل أبعادًا مختلفة، كالبعد الخلقي، والبعد الاجتماعي، والبعد الكوني، والبعد التشريعي، فالأول يتناول خلافة الإنسان على الأرض، والثاني يشمل حقيقة العدالة الاجتماعية، والثالث قضية تسخير الكون للإنسان، والرابع يشمل كل أحكام الشريعة من حيث الإيمان بحقيقتها، فصارت أحكامًا عقديّة من هذا الوجه وهو الإيمان بها⁽²⁾.

1. إعادة صياغة العقيدة الإسلامية

مما يدخل في التجديد أيضًا إعادة صياغة العقيدة الإسلامية من خلال إعادة صياغة «المضمون القرآني في عصرنا بأسلوب زماننا، كما صاغ من قبلنا ذلك بأسلوب عصرهم، صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم التي شوهت أو حرفت، مع وضع مكاسب الحضارة الحديثة التي يقبلها الإسلام في مكانها من إطاره، متحررين كذلك من النظرات الأجنبية المقحمة»⁽³⁾.

وهذا ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية، بإعادة بعث العقيدة الإسلامية بثوب جديد يتماشى ومتطلبات العصر الحديث، دون المساس بالثوابت والأصول، حيث تعود إلى مكانتها ودورها المنوط بها، وهذا يصرف عنها تهمة أنها منبع العنف والتطرف كما هو سائد اليوم، وما يروج له الغرب عن طريق مثقفيه ومختلف أدواته الإعلامية.

وبالتالي فإنه بات من الضروري تحرير العقيدة الإسلامية من قبضتين، الأولى قبضة المتطرفين الذين أساءوا فهمها واستخدامها، والقبضة الثانية من أعدائها الحقيقيين الذين يسعون في تشويه صورتها وتزييف حقائقها.

⁽¹⁾ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 68-69

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 69-70-71

⁽³⁾ محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ط1، الدار العالمية، الرياض، 1989م، ص 21

2. إحياء العاطفة والروح في الخطاب العقدي

إن إعادة الاعتبار للخطاب العقدي تبدأ من خلال التخلي عن الخطاب القديم الجاف، الخالي من الروح والعاطفة، فقد أضحى هذا الخطاب مهيمنا على الساحة الإسلامية، مما انعكس سلبا على الفكر والسلوك، ذلك أن الخطاب العقدي الجديد يتطلب الجمع في مخاطبة الإنسان بين المادة والروح فلا يغلب جانبا على آخر، فيصبح في النهاية مصدرا للأمان النفسي والفكري، اللذان يؤسسان بدورهما للاستقامة والاعتدال في مجال السلوك.

وعن هذا يقول عبد المجيد النجار: «ويمكن أن يتم هذا الترشيد بتخفيف الدعاة والمربين في خطابهم العقدي من غلواء العقل الصارم في تقرير العقيدة، بأن يتجه الخطاب أيضا إلى الفطرة العاطفية الروحية في الإنسان إلى جانب خطاب العقل، فتستثار تلك الفطرة لتحمل هي أيضا الإيمان بالعقيدة بما يناسب طبيعتها، وذلك بتقرير العقيدة وعرضها في أبعادها العقلية والروحية في الآن نفسه، فيكون الدليل العقلي مقرونا بالدليل العاطفي...»⁽¹⁾.

وعليه يمكن القول إن الفهم السقيم لقضايا العقيدة الإسلامية، والتخلي عن تفعيل قيمها ومبادئها ساهم ولا يزال بشكل كبير في تفشي ظاهرة التطرف بمختلف أشكاله، لذا صار من الضروري تجديد الخطاب العقدي لتغيير هذا الواقع، بإخراج العقيدة الإسلامية من حيزها الضيق إلى فضاء أوسع، يشمل جميع مجالات الحياة وميادينها.

تلخيصا لما سبق في قضية تجديد الخطاب الديني نجد أن الخطاب الإسلامي المعاصر يحتاج إلى مراعاة جميع الجوانب الروحية والأخلاقية والنفسية في مسألة النهضة، لأن استقراء الإسلام عقيدة وشريعة يدل على أنه راعى هذه الاعتبارات كما هو ظاهر في القرآن والسنة النبوية، ومن وجه آخر فإن التركيز على هذه القضايا يستهدف توفير الحماية للمسلمين من أن يقعوا أسرى المدنية الغربية من جهة، أو الغلو والتطرف المتربص من جهة أخرى⁽²⁾.

(1)- عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 87

(2)- المرجع نفسه، ص 109

المبحث الرابع: المؤسسة الإعلامية (تعزيز دور الإعلام في تنوير الإنسان)

إن للإعلام دور كبير في نشر التطرف في العالم العربي والإسلامي، فقد عمل لعقود من الزمن على تغذية ثقافة العنف والكراهية بين المسلمين، لا سيما في عصرنا الحديث أين عرفت وسائله تطورا تكنولوجيا ملفتا، فأنتجت أدوات كان لها أثر ظاهر في نشر التطرف بمختلف أشكاله، وقد أظهرت أغلب الدراسات الحديثة في مجال التطرف على أن أغلب المتطرفين تأثروا من قريب أو بعيد بما تبثه وسائل الإعلام عبر مختلف الوسائط بما فيها الشبكة العنكبوتية التي حازت الصدارة في مجال الترويج للتطرف.

ولا يزال الإعلام في عالمنا العربي يعاني على عدة جبهات أبعدته عن تحقيق غايته، انطلاقا من المادة الإعلامية التي لم تستوف الشروط اللازمة إذ غالبا ما تتأثر بمختلف الأيديولوجيات العرقية والدينية والسياسية، ثم انحراف الإعلام عن مبادئ وقيم الإسلام واتجاهه نحو المدنية الغربية التي تعمل على ضرب الدين والهوية، كما لا يخفى أن إعلامنا أصبح مستهدفا من مختلف التيارات الفكرية الغالية المدعومة من الغرب، أو تلك المتطرفة التي سخرت الإعلام لنشر العنف والتطرف باسم العقيدة والدين.

وعلى ضوء هذا أصبح من الضروري وضع الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي على السكة الصحيحة، بدءا بصبغه بالصبغة الإسلامية ثم نفخه بروح القيم والمبادئ الإسلامية، والعمل على توجيه الجماهير والرأي العام توجيهها صحيحا يقوم على الوسطية والاعتدال ونبتذ الكراهية والعنف، بما يخدم المجتمع ويمده بالقوة اللازمة لمواجهة مختلف التحديات.

المطلب الأول: الإعلام الإسلامي (الواقع والتحديات)

أولا: تشخيص حالة الإعلام العربي في عصرنا

يبدو أن حالة الإعلام العربي في عصرنا الراهن ليست في وضعية جيدة، حيث أصبح خطابه خطابا حائرا لا مرجعية له، يتنكر لأهله، ويخاطبهم بما لا يحبون، إنه خطاب متغرب بلغة الغرب في التعبير عن مجتمع شرقي إسلامي، كما أنه بعيد عن الإقناع ومرفوض في أغلب الناس، بل أصبح مسؤولا عن كثير من الانزلاق في السلوك والانحدار عن القيم التي يعرفها الإسلام⁽¹⁾.

(1) جعفر عبد السلام، المرجع السابق، ص 63

وبالتالي فإن أهم ما يميز إعلامنا العربي والإسلامي أنه:

- إعلام لا يستند إلى مرجعيته الأصلية المتمثلة في الإسلام وما تعلق به من قيم ومبادئ.
- انحرف عن عقيدته متأثراً بأيدولوجيات وعقائد أخرى.
- لا يصل خطابه إلى الفئات المطلوبة في المجتمع، فهو بعيد عن واقع المجتمع الإسلامي وتطلعاته.
- متأثر بالحضارة الغربية، يسوق أفكارها وثقافتها، التي بدورها أصبحت تزاحم الهوية والثقافة الإسلامية.

- تعارض مادته الإعلامية مع قيم ومبادئ الإسلام، مما جعله مصدراً للانحراف الفكري والخلقي.
- إعلام يميل إلى التطرف والغلو، حيث تتنافى إسهاماته مع وسطية الإسلام شكلاً ومضموناً.
- كما أنه إعلام لا يتمتع بالحرية الكافية التي تساعد على التأثير والإبداع، فهو في أغلبه موجه بإحدى التوجهات السياسية أو الدينية أو العرقية.

وعليه يتعين على الإعلام المعاصر أن يتحلى بخصائص الإعلام الإسلامي، والتي من شأنها إحداث تغيير على المستوى القيمي والأخلاقي، وتوجيه الرأي العام نحو البناء والإعمار وفق منهج رباني يرفض كل أشكال الانحراف والتطرف.

ثانياً: مقومات الإعلام الإسلامي المعتدل

يملك الإعلام الإسلامي انطلاقة من خلفيته العقدية ترسانة من الخصائص التي تؤهله لأداء وظيفته في المجتمع على الصعيدين الديني والدنيوي فمن مميزات:

1. **الصدق:** المنبثق عن رسالة القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو سمة المجتمع الإسلامي برمته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأن الإعلام الإسلامي مستمر وليس مرحلياً، إذ يستمد جذوره من خصائص الإسلام شريعة وعقيدة⁽¹⁾.

فقد أصبح الخبر في الإعلام المعاصر يعاني من أزمات، حيث انحرف عن مساره المهني الصادق إلى اختلاق الأخبار الكاذبة أو إشاعتها، فهو وسيلة الأيدولوجيات-المتطرفة-المعاصرة الواقعية: والمقصود بالواقعية هو أن يكون الإعلام متصلاً بالآخرين، عاملاً على نشر وفرض أفكارها، كما هو أداة الأنظمة

(1) محمد كمال الدين إمام، الإعلام الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، 2004م، ص136

السياسية في احتواء الجماهير، أو قمع المعارضين⁽¹⁾.

2. تبني المنهج الدعوي الصحيح، والواقعية من خصائص الإسلام، فرجل الإعلام المسلم يعمل على أن يتطابق واقع المجتمع مع الإسلام⁽²⁾.

3. المرونة: والمرونة في الإعلام الإسلامي تعني الاستمرارية والقدرة على مواجهة التطورات الراهنة، ومختلف المظاهر السلبية في المجتمع والتي من بينها ظاهرة التطرف التي اجتاحت العالم الإسلامي، أين يلعب الإعلام الإسلامي دوره في التعامل معها والعمل على الحد من انتشارها⁽³⁾.

4. الشمولية: « والشمولية في النظرة الإسلامية للإعلام لا تعني فقط هذا الامتداد في المكان ليستوعب الدنيا كلها، وهذا الامتداد في الزمان ليحتوي البشرية في كل أجيالها، بل هو أيضا منهج شمولي تتمدد زوايا الرؤيا فيه ليشمل الإنسان في حياته العقلية وحياته الوجدانية وحياته الجسدية، ومن هنا كانت النظرة الصحيحة إلى الإعلام الإسلامي لا تحصره في المعلومة الدينية التي تقدم من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، تلك نظرة ضيقة تعزل الدين عن الحياة، والإعلام الإسلامي منهج متكامل ينسحب على كل مادة إعلامية توجهها الأجهزة الإعلامية كرسائل للجماهير⁽⁴⁾»

وعليه كان من المؤاخذات على الإعلام الحالي أنه أحادي النظرة في مجمله، إذ غالبا ما يركز على مخاطبة الإنسان إما من الزاوية الروحية فقط، أو من الزاوية المادية، وإغفاله بقايا الجوانب بقصد أو بغير قصد، وهذا الخلل بدوره ساعد على تكريس التطرف، لأن الوسطية تقتضي إحاطة الإنسان من جميع جوانب النفسية والروحية والمادية والعقلية... وغيرها أين لا يجد الغلو ضالته في الاستحواذ على الجماهير.

5. التوازن: والتوازن في الإعلام الإسلامي يقتضي تغليب سياسة الوسطية والاعتدال على سياسة التطرف والغلو، وهذا حال الإعلام الإسلامي اليوم الذي أصبح مستهدفا من هذا الجانب، وبالتالي تجويد الخطاب الإعلامي أصبح ضرورة قائمة، بأن يتجه نحو قيادة الرأي العام وتوجيهه إلى قيم الوسطية

(1) محمد كمال الدين إمام، المرجع السابق، ص 139

(2) المرجع نفسه، ص 144-149

(3) المرجع نفسه، ص 150-151

(4) المرجع نفسه، ص 154.

والاعتدال، بأن يسلك المسلك الوسط بين ذلك الخطاب التغريبي المميع، وآخر يميل إلى الغلو والتشديد، والخطاب المتوازن هو ما تجرد عن كليهما.

كانت هذه مزايا الإعلام الإسلامي وهي نفسها قيم العقيدة الإسلامية وخصائص الإسلام بوجه عام، ولكي يكون الإعلام فاعلا في مختلف المجالات، ومستهدفا كل فئات المجتمع، وجب مخاطبة الجماهير بهذه القيم والمبادئ.

ويؤيد هذا منتصر حاتم في كتابه "أيدولوجيات الإعلام المعاصر" أن أداء الإعلام لوظائفه الحقيقية من تربية وتوعية الشعوب، وترسيخ قيم الوسطية والاعتدال عند الرأي العام مرهون بحمل الإعلام لنفس خصائص الإعلام الإسلامي وهي:

- 1- أن يكون إعلاما قاعدته الحرية، وهذه الحرية تنطلق من ضوابط: العقيدة والأخلاق، وعدم المساس بالآخرين، وقيمه المسؤولية: بأن يخضع الإعلام إلى المحاسبة عما أوكل إليه.
- 2- أن يحفظ الحرمات (حرمة الدين، العرض، المال...)، ويرعى الحقوق فلا يتعدى عليها، فالإعلام الإسلامي بعيد عن التلون والتملق والكذب، فهو يعمل على تعليم الناس القيم والفضائل، ولا ينشر الفضائح والردائل.
- 3- ملتزم بالإسلام وأخلاقه، إذ أن الإعلام الإسلامي مرتبط بالدين من جميع جوانبه، عقيدة وأخلاقا وشريعة، وهذا الذي يكسبه المصادقية والثقة.
- 4- يمتاز الإعلام الإسلامي عن غيره بالاستقلالية التامة، فهو يرفض الهيمنة والتوجيه وكل أشكال التبعية.
- 5- يعمل على إخراج نماذج حسنة للمجتمع، أو بالأحرى القدوة الحسنة، التي من خلالها يقدم رسالة للعالم.
- 6- إعلام موضوعي هادف بعيد عن الخرافة والعصبية، قائم على التحليل والتأمل، فهو يركز على بناء الإنسان الصالح.
- 7- إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه، وهذا أسلوبه في مخاطبة الجماهير، مستخدما كل وسائل الدعوة التي تتماشى ومتطلبات العصر، من غير تعنيف ولا غلو⁽¹⁾

(1) منتصر حاتم حسين، أيدولوجيات الإعلام الإسلامي، ط1، دار أسامة، عمان، 2013م، ص58-62

وهذا يحتم على رجل الإعلام أن يبقى على اتصال دائم بقيم ومبادئ الإسلام، وأن «انفصاله عن قيم الإسلام وأخلاقه بسيرته وسلوكه جريمة كبرى في أي بلد إسلامي تجعل من اللص (محافظة على بيت المال)، والجرم (مسؤولاً عن حفظ الأمن!!)، كما تقيم الهوة السحيقة بين أجهزة الإعلام وثقة الناس بها، ومن هنا كان من أعظم الواجبات التي يجاهد لتحقيقها العلماء إنقاذ أجهزة الإعلام من التوجيه الفاسد المنحرف في البلاد الإسلامية، والقيام بمسؤولياتهم في توجيه الأمة من خلالها بلغة العصر وأسلوبه وكفاءته»⁽¹⁾.

إذن لا بد أن تلتزم المؤسسة الإعلامية سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية، بأن تنشر مادة إعلامية نظيفة، لا تخالف قيم المجتمع الإسلامي ومبادئه وكذا عاداته وتقاليده، وبالتالي تعمل على تشكيل رأي عام يستظل بمظلة الإسلام، من خلال تعظيمه ونشر حقائقه، وتعميق قيمه في نفوس المسلمين⁽²⁾.

المطلب الثاني: آليات الإعلام الإسلامي لمعالجة ظاهرة التطرف

أولاً: أهم الأساليب المتبعة في المعالجة

ينبغي على المؤسسة الإعلامية أن تتبع أسلوباً منظماً للقضاء على ظاهرة التطرف في المجتمع، بدءاً بالوقوف على أسباب الظاهرة وانعكاساتها على الواقع، حيث تعتمد منهاجاً يقوم على المتابعة والمعالجة في آن واحد، مستهدفة بذلك منابع التطرف ودوافعه، مستخدمة كل وسائل الإقناع والتوجيه الصحيح للرأي العام، فلا يمكن القضاء على التطرف بتطرف آخر يحل محله، وبالتالي فالمعالجة تنطلق من أسلوب وسطي ومعتدل يقوم على قيم ومبادئ الإسلام، ثم تأتي مرحلة طرح الحلول والبدائل وهي بدورها مهمة في محاربة التطرف.

1) استهداف فئة الشباب

من خلال الاستقراء لمختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والإلكترونية، تبين أن الفئة

⁽¹⁾ إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 61، السنة السادسة محرم-صفر

–ربيع الأول 1404هـ، 1989م، ص

⁽²⁾ محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 123

الأكثر استهدافا هي فئة الشباب، التي تعتبر الأكثر استخداما للوسائط الإعلامية لا سيما ما تعلق بالإنترنت، وبالتالي فهي عرضة لأنواع من الانحراف الفكري أو الخلفي الذي تبثه وسائل الإعلام، وقد ظهرت بوادر هذا الانحراف على الشباب من خلال انتشار تلك المظاهر السلبية في المجتمع، والمتهم الأول هو الإعلام الفاسد.

وعليه فإن عملية إنقاذ الفرد والمجتمع والدولة من تدمير القيم الأصيلة عبر تلك الوسائط الإعلامية الجديدة، تتطلب أن يكون الشباب هو منصة الانطلاق في تلك المواجهة، عبر تعزيز ثقافته العامة ورفع مستويات الخطاب الثقافي للمؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية، ليكون لها الدور الحاضن للشباب، ومن الضروري أن تلتزم وسائل الإعلام بالشفافية والمصدقية في طرح المعلومات، وتقوم بتشجيع روح التسامح والحوار والابتكار والإبداع، وذلك لأن ثقافة المستخدم هي السبيل الوحيد للوقاية من مخاطر التعرض للخطاب المتطرف⁽¹⁾.

كما يجب العمل على وضع تشريعات لمواجهة الجريمة الإلكترونية ونشر الكراهية والعنف عبر وسائل الإعلام، خاصة مجتمعاتنا العربية، ورصد كل ظواهر الإرهاب، والكشف عن الفاعلين والمتورطين، وكشف زيف أفكارهم وخطابهم المتطرف، والعمل على رفع القدرة النفسية لدى الناشئة والشباب، وتشجيع روح الاعتدال والوسطية والحوار الهادئ وقبول الآخر⁽²⁾.

ومنه فإن من مهام الإعلام تجاه فئة الشباب:

- أن يستهدف فئة الشباب في اغلب خطاباته خاصة الدعوية منها.
- أن يتفاعل مع حاجيات الشباب النفسية والفكرية والتربوية.
- يعالج مشكلات الشباب (التطرف، المخدرات، الانحراف الخلفي...).
- يعمل على تحصين الشباب من الخطابات التغريبية التي تهدف إلى ضرب الهوية الإسلامية.
- يخلق مناخا تفاعليا يبعث الأمل في نفوس الشباب، لا خطاب بؤس وقنوط.

⁽¹⁾-عادل عبد الصادق، الإعلام الإلكتروني والتطرف الديني لدى الشباب بين المسؤولية والمواجهة، www.mominon.com

تاريخ الدخول: 2020/08/30

⁽²⁾-المرجع نفسه.

- إعلام يشارك الشباب في عملية البناء والإعمار للأمة.
 - إعلام يتجنب كل خطابات الكراهية والتحريض، التي من شأنها أن تثير العواطف وتميجهها لممارسات التطرف والعنف.
 - يعتمد الخطاب الهادئ والمعتدل في تواصله مع الشباب.
- إذا أخذ الإعلام المعاصر هذه النقاط بعين الاعتبار واعتمدها في إصلاح المنظومة الإعلامية ككل، لا سيما تلك الموجهة لفئة الشباب خاصة، فسيجني ثمارها بتربية وتكوين جيل معتدل وفاعل في مجتمعه وأمته، بعيد كل البعد عن الانحرافات السلوكية والفكرية والنفسية، وبالتالي فهو يعبد الطريق بناء جيل محصن من جميع الجوانب قادر على إحداث تغيير في ذاته ومجتمعه.

2) ترشيد أسلوب الخطاب الإعلامي

ينبغي أن يكون الخطاب الديني في الإعلام الإسلامي خطابا هادفا وراقيا مدركا لما يحوم حوله من حقائق ومستجدات على جميع الأصعدة، وأن يكون إعلاما متعايشا مع الآخر، بأن يعكس صورة التسامح والتعايش في العقيدة الإسلامية، وهذا يجعل التقارب والتفاهم مع الآخر ممكنا، بحيث يسهل عملية الدعوة إلى هذا الدين، عكس ما يذهب إليه الكثيرون ممن اعتلوا المنبر الإعلامي، بأن جعلوا التهجم والتهمك على غير المسلمين منهجهم، والتطرف في الخطاب عنوانهم، وهذا ما شوه الصورة النقية للإعلام الإسلامي⁽¹⁾.

فالمؤسسة الإعلامية غالبا ما تتجه في معالجتها لظاهرة الغلو والتطرف إلى أساليب غير مجدية، تسيئ إلى هذا الدين أكثر مما تعالج المشكلة، وذلك أن وسائل الإعلام المعاصرة تستخدم طرقا تقوم على التضخيم والتهويل للظاهرة، ومن ثم المعالجة الانفعالية والعاطفية غير العلمية في الغالب، لذلك فهي لا تراعي الضبط العلمي للمصطلحات (تشدد، غلو، تطرف... إلخ)، كما أنها تحجب الحقائق والمعلومات الصحيحة، وتعتمد نشر الأكاذيب، ضف إلى ذلك عدم مراعاة التوثيق للأخبار والمعلومات في معالجة الظاهرة، مع استخدام أساليب الإثارة والتشويق⁽²⁾.

(1)-منتصر حاتم حسين، المرجع السابق، ص 307

(2)-عبد الرحمان بن معلا اللويحق، المرجع السابق، ص 1070-1076

وعليه فإن المعالجة الإعلامية لظاهرة التطرف ينبغي أن تقوم على أسلوب علمي وموضوعي، تستهدف من خلاله أسباب المشكلة ودوافعها والوقوف عند الحلول الممكنة، ومن ثم فلا مجال للعاطفة والأكاذيب وتزييف الحقائق في الإعلام الإسلامي.

3) استغلال الوسائط الحديثة (الأنترنت) في مواجهة التطرف

سبق الحديث على أن الوسائط الإعلامية الحديثة أصبحت الأكثر تداولاً واستعمالاً في تناقل المعلومة ونشرها، بل أضحت أشد تأثيراً من غيرها على المجتمع لا سيما فئة الشباب، حيث جندت الشبكة العنكبوتية في عصرنا الراهن الآلاف من المتطرفين، وعملت على الزج بهم في حروب داخلية أنهكت قوى البلدان الإسلامية حيث لا تزال آثارها إلى اليوم.

فلا بد إذن من تحرير هذه الوسائط من قبضة المتطرفين وترشيدها من جميع النواحي بما فيها الجانب الدعوي، وأن تتحول إلى فضاء للإصلاح والتربية من خلال نشر الفكر الوسطي بين الشباب، وإبراز الصورة الناصعة للإسلام في الداخل والخارج.

فهذه الوسيلة الإعلامية تحمل من الخصائص ما يؤهلها لأن تكون رقماً مهماً في حل مشكلة التطرف، وذلك باستغلال هذه الخصائص نحو الأحسن، وتفعيلها في المجالات الإيجابية وذلك من حيث:

- تسهيلها الاتصال بالمسلمين وغير المسلمين في مختلف أرجاء المعمورة، من خلال الأعداد الغفيرة من الناس الذين يطلعون عليها.
- تسخير الطاقات الهائلة من شباب الأمة في نشر الخير، من خلال استغلال القدرات وتوظيفها، وقد بدأ العمل على هذا من خلال صفحات التوعية عبر "الفايسبوك" و"التويتر" وغيرها.
- فضاء تفاعلي يمكن من خلاله إيصال وجهة نظرنا إلى الآخر.
- تقطع الطريق أمام أهل الباطل، ودعاة الفتن والتطرف، من خلال فضح أباطيلهم، وتعرية شبههم، لا سيما ما تعلق بالتطرف والفكر المنحرف⁽¹⁾.

(1) محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص 221-222-223

وعليه فهذا الجهاز كغيره سلاح ذو حدين، إما أن يوظف في نشر الخير والعلم وتثبيت العقيدة الصحيحة، وتدعيم الأخلاق والقيم وربط الأمة بأمجادها وتاريخها وبالتالي فالدفع بها نحو البناء والإعمار، أو يصبح وسيلة لنشر الفساد وهدم المبادئ والقيم وتكريس ثقافة الانحراف، وتغريب المجتمع وسلخه عن عقيدته وهويته، عندئذ يصبح هذا الفضاء وسيلة هدم لا بناء⁽¹⁾

4) تفعيل دور العقيدة الإسلامية في الوسائط الإعلامية

لقد أصبحت الحاجة إلى وصل المؤسسة الإعلامية بالعقيدة الإسلامية جد ملحة، بالنظر إلى المتغيرات التي أحدثتها وسائل الإعلام في العصر الحديث والتي:

أولاً: زعزعة العقائد وأحدثت فيها اضطرابات، بدءاً ببث الشبهات حول مختلف القضايا التي لها صلة بالعقيدة الإسلامي (الدين، الكون، الخالق...)، بهدف تشويه التصور الصحيح عنها.

ثانياً: أساءت إلى الدين عبر استخدام مختلف الطرق، كالسخرية، والاستهزاء، ومختلف حملات التشويه.

ثالثاً: روجت للعقائد والأفكار الباطلة، كالإلحاد، العلمانية، وغيرها من الأيديولوجيات المتطرفة.

رابعاً: عملت على نشر التطرف على حساب الوسطية والاعتدال، بغرض تشويه صورة الإسلام الصحيحة، وطمس معالمها⁽²⁾.

انطلاقاً من هذه المعطيات يتحتم على الإعلام مسؤولية تجاه العقيدة الإسلامية، كون هذه الأخيرة تغرس في الإنسان المسلم قيمة المسؤولية أمام الله وأمام المجتمع المسلم والحياة الإنسانية، وفي ضوء هذا التأثير العقدي فإن الإسلام مسؤول عن تبصير الناس بالحقائق التي جاء بها القرآن والسنة، وبذلك تكون المسؤولية أمام الله الدافع الأول للالتزام والشعور بالمسؤولية الإعلامية، فالعقيدة الإسلامية لها تأثيرها القوي في وجدان المسلم وأقواله وأفعاله، إذا كانت هذه الأخيرة صحيحة خالية من كل شوائب الغلو والانحراف⁽³⁾.

(1) -محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص323

(2) -ماهر عارف صالح موسى، عطا الله بخيت المعاينة، المرجع السابق، ص373

(3) -عبد الحليم عويس، العقيدة ووسطية الإعلام الإسلامي، [https:// www.alukah.net](https://www.alukah.net) تاريخ الدخول: 2020/03/03.

وعليه فإن أول خطوة يقوم بها الإعلام الهادف هي: ترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية والتوحيد في نفوس المسلمين، وبيان الأركان الأساسية للإيمان، والتي بدورها تحصن الأمة من مكر أعدائها من خلال العمل على تكوين جيل صلب ومتماسك، ولهذا لا بد من صياغة هذا الإعلام كي يكون إعلاماً منضبطاً بحدود التوجيه، يوضح المفاهيم الصحيحة للإسلام الحق، ويحذر من كل ما يتنافى مع مقتضيات الإسلام شريعة وعقيدة⁽¹⁾.

وفي الوثيقة الصادرة عن الورشة الدولية حول التعاطي الإعلامي مع ظاهرة التطرف والإرهاب، حيث خلصت هذه الورشة إلى إجراءات عملية لتطوير التعاطي الإعلامي مع الظاهرة تمثلت في:

- 1- إنشاء وحدة إعلام متخصصة في التعاطي مع قضايا التطرف والإرهاب.
- 2- وضع استراتيجية واضحة المعالم في التعامل مع قضايا التطرف والإرهاب.
- 3- الاهتمام بالأنواع الصحفية المختلفة لتغطية قضايا الإعلام والإرهاب، فلا تقتصر على المادة الإعلامية المجردة، وإنما يتبعها البعد التحليلي والاستقصائي.
- 4- إنتاج مضامين إعلامية تساهم في مكافحة التطرف والإرهاب (السينما، برامج الأطفال، الدراما...).
- 5- إنشاء وحدة رصد لدراسة التغطيات الإعلامية المختلفة لقضايا التطرف والإرهاب.
- 6- التخلي عن خطاب العنف والكرهية والتحريض في الخطاب الإعلامي، فلا يعالج بتطرف آخر.
- 7- إصدار مدونة سلوك وميثاق أخلاقيات، يتم من خلاله ضبط قواعد التعامل مع قضايا التطرف المطروحة إعلامياً.
- 8- تنمية مهارات الصحفيين والإعلاميين على كيفية تغطية القضايا ذات الصلة بالتطرف من خلال دورات تكوينية تدريبية.
- 9- تطوير أشكال وأساليب التفاعل مع الجمهور والجهات ذات الصلة⁽²⁾.

⁽¹⁾ منتصر حاتم حسين، المرجع السابق، ص308

⁽²⁾ الورشة الدولية للتعاطي الإعلامي مع ظاهرة التطرف والإرهاب، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، أبريل - نيسان، 2015م، ص193-194.

وفي ختام هذا المبحث فإن أبرز التحديات التي تواجه الإعلام المعتدل في طريق مواجهته للتطرف والعنف تتمثل في:

- مواجهة الأفكار الجديدة بأسلوب جديد ومادة معرفية جديدة انطلاقاً من الثوابت المتمثلة في القرآن والسنة.

- كما ينبغي على الإعلام الحديث أن يتبنى المنهج الشمولي في فهم الإسلام، الذي يقتضي الجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والبناء الحضاري، من خلال منهج عقلي أصولي سليم.

- الإيمان بفاعلية الفقه الإسلامي الذي يقوم على التجديد وتفاعله مع مختلف القضايا بصرف النظر عن الزمان والمكان⁽¹⁾.

- تفعيل دور العقيدة الإسلامية وبعثها في المؤسسة الإعلامية، كطرف مهم في حل مشاكل وقضايا الأمة الإسلامية بما فيها قضايا العنف والتطرف.

⁽¹⁾ ماهر عارف، صالح موسى، عطا الله بجيت المعاينة، المرجع السابق، ص 372

خاتمة

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

في خاتمة بحثي هذا الذي تناولت فيه البحث في دور قيم العقيدة الإسلامية في معالجة قضايا التطرف خلصت إلى النتائج التالية:

- أن القيم بصفة عامة تشكل المعلم الذي تهمدي به الإنسانية فضلا عن الأمة الإسلامية.
- تباين القيم من مجتمع إلى آخر ومن أمة إلى أخرى يعود إلى الاختلاف في العقائد والأيدولوجيات، في حين تبقى قيم العقيدة الإسلامية الأكثر شمولا وثباتا مهما تعاقب عليها الزمان والمكان.
- ثراء العقيدة الإسلامية بالقيم التي تشكل في مجملها منظومة متكاملة، يؤهلها لأن تكون عنصرا فاعلا في إيجاد حلول لمختلف مشاكل العصر بما في ذلك قضية التطرف.
- يصعب إحصاء القيم المنبثقة عن العقيدة الإسلامية وحصرها، فهو يقتضي منا النظر في الإسلام من كل زوايا العقيدة والتشريعية والأخلاقية.
- ضرورة إقحام قيم العقيدة الإسلامية وتفعيلها في مختلف جوانب الحياة، دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية... إلخ.
- بات من اللازم التخلص من النظرة الكلاسيكية للعقيدة الإسلامية تلكم الرؤية القاصرة التي أفرغت العقيدة الإسلامية من روحها وفعاليتها تجاه قضايا الواقع، والعمل على تشكيل صورة متجددة تتماشى ونوازل الزمان والمكان وتساهم في حلحلة مختلف المشاكل والأزمات.
- من أجمع الوسائل التي قدمتها العقيدة الإسلامية في معالجة التطرف نشر قيم الوسطية والاعتدال انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية.
- إن قضية التطرف قضية الساعة وبالتالي وجب الوقوف عندها، والإحاطة بأسبابها وقضاياها وإيجاد الحلول اللازمة لعلاجها.
- التطرف ظاهرة اتضح أنها متعددة الأسباب والعوامل حيث أنها تنطلق من خلفيات مختلفة، وهذا يلزمنا بأن التطرف لا يقتصر على جانبه الديني فقط كما هو شائع، بل يسري على كل جوانب الحياة.

- من الخطأ النظر إلى أسباب التطرف في عالمنا العربي والإسلامي من جانب واحد، أي حمل التطرف على تلك الأيديولوجيات والخلفيات الفكرية الدينية على وجه الخصوص، بل أثبتت الدراسة أن أسبابه متعددة ومتنوعة.
- كما أظهر البحث في قضية التطرف أنه ظاهرة لا تخلو منها أمة من الأمم ولا مجتمع من المجتمعات حيث أصبح مشكلة العصر تؤرق الإنسانية بأسرها.
- بالنظر إلى ما خلفه التطرف من آثار على الواقع هذا يستدعي من المجتمع ومؤسساته التعامل بجدية مع الظاهرة.
- من بين كل قضايا التطرف يبقى التطرف الديني الأكثر شيوعا وانتشارا في عالمنا العربي والإسلامي.
- لأجل التصدي لظاهرة التطرف علينا بالعودة إلى تراثنا والنظر فيه من جانبيين الأول: جانب التمحيص والتنقية من الرواسب التي علقّت به والتي تتنافى مع قيم العقيدة الإسلامية، والثاني: من حيث تجديد الرؤية في مختلف قضايا الدين بما يتماشى والواقع دون المساس بالثوابت والأصول.
- التطرف ظاهرة أثبتت فاعليتها وتأثيرها في المجتمع برمته على نحو متسارع، حيث مست مختلف جوانب الحياة، وهذا يدعو جميع المؤسسات في المجتمع إلى التعاون والعمل على معالجة الظاهرة.
- بما أن الجيل يمر في مراحل نشأته عبر مؤسسات تربوية وتعليمية سواء كانت دينية كالمساجد والزوايا أم مؤسسات حكومية كالمدارس والجامعات، وبالتالي وجب إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية لهاته المؤسسات بما يتماشى وقيم العقيدة الإسلامية مع الحفاظ على المرجعية الدينية والهوية الوطنية.
- الإعلام سلاح ذو حدين برهن على مدى قوته في التعامل مع قضايا العصر، سواء سلبا أو إيجابا بما في ذلك قضية التطرف التي كان للإعلام الحظ الأوفر في نشرها في المجتمع، وهذا يقتضي منا العمل على توجيه الأدوات الإعلامية وتسخيرها في نشر القيم والمبادئ ومحاربة كل أشكال العنف والتطرف.
- يشكل العامل السياسي نقطة تحول مهمة في حل مختلف الأزمات في عالمنا العربي والإسلامي.

➤ الأسرة هي النواة التي تنطلق منها عملية بناء وإصلاح الفرد في مجتمعاتنا، وعليه يجب اعتماد أساليب تربية وتعليمية أكثر فاعلية، حتى يستقيم الجيل على الوسطية والاعتدال، ويتحصن من مخاطر الغلو والتطرف.

يبقى البحث في التطرف مفتوحا وقابلا للتوسع والتجديد، إذ يتماشى والتطورات والمستجدات الحاصلة في كل عصر.

عبد القادر للعوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير
العلوم الإسلامية

أولاً: فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾	02	223
سورة البقرة		
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾...﴾	3-2	54
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾﴾	3	3
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾	20	64
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾	21	227
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾	30	61
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿٤٣﴾﴾	43	161
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾	61	93
﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ يُسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾	75	32
﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾	81	133
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿٨٥﴾﴾	85	56
﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ حَيَاتِهِمْ ﴿٩٦﴾﴾	96	166
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ...﴾	111	65، 181
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾﴾	115	172

31	119	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾
165	130	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾
220	133	﴿ قَالُوا تَعْبُدُوا إِلَهَكُمْ وَإِلَهَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾
53	134	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
57	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾
ج	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
163	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
167	143	﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
35، 173	151	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا... ﴾
239	153	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾
178	159	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾
153	163	﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾
154	164	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾
166	185	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾
196	191	﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾
62	205	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾
223	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ... ﴾
205	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾

225	258	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرهَمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمَلِكَ ... ﴾
174	262	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ ﴾
58	277	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ ﴾
154	285	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهٖ مِنْ رَبِّهٖ وَالْمُؤْمِنُونَ ۗ ﴾
31	285	﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهٖ مِنْ رَبِّهٖ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾
278	185	يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
سورة آل عمران		
173	18	﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوَلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
174	19	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ ... ﴾
165	19	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللهِ أَلْسِنَةٌ ﴾
198	64	﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾
219	64	﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
259	104	وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
75	127	﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
185	159	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ ... ﴾
39	159	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾
191	159	﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
176	187	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾
النساء		
135	35	﴿ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ۗ ﴾
31	36	﴿ وَأَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾
197	58	﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ... ﴾

189	59	﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾
132	82	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾
189	83	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ ... ﴾
206	92	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً ﴾
56	136	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾
74	171	﴿ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾
76	171	﴿ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾
162	171	﴿ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾
233	171	﴿ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... ﴾
سورة المائدة		
197	2	﴿ يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾
200	8	﴿ يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ... ﴾
217	18	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ﴾
129	18	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ
145	32	﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ... ﴾
32	48	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾
165	64	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾
93	64	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾
165	73	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾
153	73	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ... ﴾
94، 76	77	﴿ قُلْ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ... ﴾
93	82	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾
135	95	﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾

94	120	لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
سورة الأنعام		
35	83	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾
172	101	﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٧٢﴾﴾
196	115	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
200	152	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾
196	152	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾
57	153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾
6	161	﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾
سورة الأعراف		
60	31	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾
48	54	﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾
35	59	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾
143	116	﴿قَالَ الْقَوْمُ فَلِمَ آلَقُوا سِحْرًا وَعِينِ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾
67	156	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
44, 33	158	﴿قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
104	180	﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾
59	-175 176	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَاوِيسِ ﴿١٧٥﴾...﴾
سورة الأنفال		
236	4-2	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ...﴾
189	67	﴿مَا كَانَتْ لِيَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الْأَرْضِ﴾
سورة التوبة		

217	19	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ﴾
55، 165	30	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ...﴾
165	30	﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾
4	36	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ...﴾
69، 257	71	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾
110	115	﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
39	128	﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
سورة يونس		
167	7	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾
64	9	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾
60	22	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
158	32	﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾
205	99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
سورة هود		
61	61	﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾
75	114	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾
209	-118 119	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ...﴾

222	118	﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
228	123	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾
سورة يوسف		
153	39	﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
4	40	﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ...﴾
135	40	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
سورة الرعد		
229	28	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾
154	30	﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمْ ...﴾
76	41	﴿نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾
سورة ابراهيم		
75 ، 72	43	﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاءً﴾
سورة الحجر		
33	4	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾
223	29	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
231	99-98	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ ...﴾
سورة النحل		
03	60	﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
46	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾
196	90	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾
219	125	﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
162	126	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾

		﴿١٦٦﴾
280	128	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾
سورة الإسراء		
231	15	﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾
161	29	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٢٩﴾
181	36	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
35	39	﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾
59	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
سورة الكهف		
6	2-1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا﴾ ﴿١﴾ ...
205	29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
45	46	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾
153	110	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ...﴾
سورة طه		
215، 229	124	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾
سورة الأنبياء		
157	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٢٢﴾
228	-105 106	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عٰكِدِينَ ﴿١٠٦﴾
سورة الحج		
103	25	﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابِ الْعِزِّ﴾

235	73	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾
سورة النور		
229	55	﴿لَيْسَتْ خَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
44	61	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾
سورة الفرقان		
134	35	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ﴾
134	30	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾
181	44	﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾
160، 161	67	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا...﴾
160	67	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾
سورة الشعراء		
134	195	﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾
سورة النمل		
75	40	﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾
سورة القصص		
215	58	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾
48، 166	77	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾
31	86	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
سورة العنكبوت		
238	45	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
224	46	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

سورة الروم		
53، 4، 54 157	30	﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾
4	43	﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴾ (٤٣)
سورة الأحزاب		
266	5	﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾
188	29-28	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا كُفُّوا أَيْدِيَهُمْ وَأَقْرِبُوا إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
37	40	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ... ﴾
43	43	﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾
سورة سبأ		
44 ب،	28	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾
سورة فاطر		
231	15	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ... ﴾
66	28	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ﴾
222	43	﴿ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ... ﴾
سورة يس		
176	65	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ﴾
سورة الصافات		
75	48	﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾
سورة ص		
74	20	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾
75	52	﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الطَّرْفِ أُنْزَابٌ ﴾
سورة الزمر		

65	18-17	﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾
67	53	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾
سورة غافر		
187	29	ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
سورة فصلت		
55	42	﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبُطْلُ مِمَّن بِيَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
210	46	﴿ مَّن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾
سورة الشورى		
190، 186	38	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾
75	45	﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾
سورة الزخرف		
57	43	﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
130	22	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾
215	32	﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
56	84	﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾
سورة محمد		
234	17	﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ وَقَوْهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾
66، 172	19	﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾
62	22	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾
سورة الفتح		

39	29	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾
سورة الحجرات		
44	6	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ يُنْبِئُ فَيَتَّبِعُونَ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾
126، 147 197	9	﴿ وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾
82، 13، 102، 217، 223، 224 216	13	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
سورة الذاريات		
155	54	﴿ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ طَغَافًا مَلْمُومًا ﴾
228	57-56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾
227، 231	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
سورة النجم		
67	41-38	﴿ الْأَنْزِيلُ وَارِزَةٌ وَذُرَّاتُهَا ﴿٣٨﴾ ﴾
سورة الرحمن		
75	56	﴿ فِيهِنَّ قَصَصَاتُ الْغُرَفِ لَمْ يُطْمِئِنَّ نَفْسٌ مِنْهُنَّ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾
سورة الحديد		
49	25	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾
166	27	﴿ وَرَهَابِيَةَ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ عَرَّوْهَا حَقًّا ﴾

		رِعَايَتِهَا ﴿﴾
233	27	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾
سورة المجادلة		
173	11	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ...﴾
سورة الممتحنة		
224	8	﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ﴾
سورة التغابن		
68	117	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾
سورة الحاقة		
216	21	﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾
سورة نوح		
61	20-19	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾
133	52	﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾
سورة المزمل		
49	20	﴿وَأٰخَرُونَ يَصْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾
سورة الإنسان		
145	8	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَأَسِيرًا﴾
سورة المرسلات		
176	36	﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾
سورة عبس		
60	17	﴿قُلِ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾
سورة النبأ		
61	11	﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾

سورة الانفطار		
60	6	﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾
سورة الطارق		
61	7	﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾
سورة الشرح		
278	6-5	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
سورة التين		
60	4	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
سورة العلق		
60	6	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطٍ﴾
سورة البينة		
7	3	﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾
7	5	﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
سورة الزلزلة		
223	8-7	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ...﴾
الكافرون		
212	6-2-1	﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾...﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	المصدر	الحديث
38	البخاري	إذ ضيعت الأمانة فانتظر الساعة
163	مسلم	إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن
175	مسلم	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة
38	مسلم	استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله
188	البخاري	استشار النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد
101	البخاري	أفدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم
230	البخاري	أفلا أكون عبدا شكورا
37	مسلم	ألا ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى
199	الترمذي	إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة
198	مسلم	إن المقسطين عند الله على منابر من نور
151	البخاري	أن تجعل لله ندا وهو خلقك
154	مسلم	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر كله
175	الحاكم	إن فضل العلم خير من فضل العبادة
45	أحمد	إنّ لنفسك عليك حق
286	أحمد	إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق
231	البخاري	أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله
155	مسلم	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله
41	البيهقي	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
188	مسلم	إني سأعرض عليك أمرا، فلا عليك أن تعجلي
155	أحمد	إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال
207	البيهقي	أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد

44	أحمد	بعثت إلى الأحمر والأسود
188	أحمد	البكر تستأمر والثيب تشاور
229	البخاري	تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، تقيم الصلاة
212	أحمد	جئنا لنححر العباد من عبادة العباد
160	البيهقي	خيار الأمور أوساطها
109	النسائي	رفع القلم عن ثلاث
68	مسلم	عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير
39	مسلم	عذبت امرأة في هرة أوثقتها، فلم تطعمها، ولم تسقها
207	البخاري	فكوا العاني، وأطعموا الجائع
38	أحمد	قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه
230	أحمد	قد دعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد
189	الحاكم	كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء
48	مسلم	كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
35	أحمد	كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
199	الترمذي	كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل
163	الترمذي	كلوا من حافاتها ولا تأكلوا من وسطها
37	أحمد	لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له
36	مسلم	لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني
207	النسائي	لا يقل أحدكم عبدي وأمتي
247	البخاري	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
43	البيهقي	لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا
164	البخاري	لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء
206	أحمد	للمملوك طعامه وكسوته، ولا تكلفونه

163	البخاري	لن ينجي أحدكم عمله
109	مسلم	اللهم أنت عبدي وأنا ربك
132	البخاري	ما أسفل الكعبين من الأزار ففي النار
33	البخاري	مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داره فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة
175	الترمذي	من سلك طريقا يطلب فيه علما
176	الترمذي	من سئل عن علم ثم كتبه ألجم يوم القيامة
156	البخاري	من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
145	البخاري	من قتل دون ماله فهو شهيد
110	البخاري	من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت
176	مسلم	من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله
156	مسلم	من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله
74	البيهقي	من يشاد هذا الدين يغلبه
234	مسلم	هلك المنتطعون
39	البخاري	وما أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك
249	الترمذي	يا غلام إني أعلمك كلمات
163	البخاري	يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى
177	البيهقي	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله

قائمة المصادر والمراجع

➤ الكتب

➤ القرآن الكريم

(أ)

- 1- إبراهيم بن صالح العابد، التكفير عند جماعات العنف المعاصر، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014م.
- 2- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم الهلالي، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1992م.
- 3- أحمد الريسوني، التجديد والتجويد تجديد الدين وتجويد التدين، ط1، دار الكلمة، القاهرة، 2014م.
- 4- أحمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ط3، دار الرائد العربي، بيروت، 1987م.
- 5- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975م.
- 6- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، ط1، دار الحديث، القاهرة، 1995م.
- 7- أحمد بن فارس القزويني، مجمل اللغة: تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- 8- أحمد بن فارس القزويني، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- 9- أحمد بن فارس القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دع، 1975م.
- 10- أحمد بن نعمان، التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي لماذا وكيف، ط2، دار الآية، الجزائر، 1997م.

- 11- أحمد عبد الحميد غراب، الإسلام والعلم، دار الطباعة والنشر الإسلامية، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، دت.
- 12- أحمد عبده عوض، العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2002م.
- 13- أحمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1992م.
- 14- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتاب، دع، 2008م.
- 15- إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: سعيد زهران، دار عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
- 16- أبو الأعلى المودودي، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1985م.
- 17- أبو الأعلى المودودي، نظام الحياة في الإسلام، الدار السعودية، جدة، 1984م.
- 18- أنور الجندي، الإيديولوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، دع، دت.
- 19- أنور الجندي، معلمة الإسلام، دار الصحوة، القاهرة، 1991م.
- (ب)
- 20- برهان الدين بن خليل الجعبري، رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار، تحقيق: حسن محمد الأهدل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م.
- 21- أبو بكر الآجري، أخلاق العلماء، دار الشهاب، باتنة، دت.
- 22- أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- 23- أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.
- 24- أبو بكر بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

(ت)

25- توفيق بن عبد العزيز السديري، الإسلام والدستور، ط1، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، دع، 1425هـ.

26- توماس كارليل، محمد المثل الأعلى، ترجمة: محمد السباعي، ط1، دار طيبة، الجيزة، 2008م.

(ج)

27- جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت.

28- جان بول رزقير، فلسفة القيم، ترجمة: عادل العوا، دار عويدات، بيروت، 2001م.

29- جعفر عبد السلام، الإسلام.. وتطوير الخطاب الديني، ط1، دار البيان، القاهرة، 2002م.

30- جلال الدين محمد صالح، الإرهاب الفكري أشكاله وممارساته، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2008م.

31- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

32- جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001م.

33- جمال الدين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1992م.

34- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994م.

35- جون كلو قومو نسيما، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، دار القلم، بيروت، دت.

(ح)

36- أبو حامد الغزالي، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

- 37- أبو حامد الغزالي، قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، ط2، عالم الكتب، لبنان، 1985م.
- 38- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج علم النفس، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1975م.
- 39- أبو الحسن الندوي، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، ط1، دار الصحوة، دع، 1986م.
- 40- أبو الحسن الندوي، العقيدة والعبادة في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، ط2، دار القلم، الكويت، 1983م.
- 41- حسن جنبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط11، دار القلم، دمشق، 2002م.
- 42- حسن جنبكة الميداني، كواشف زيوف، ط2، دار القلم، دمشق، 1991م.
- 43- أبو الحسن علي ابن خلف ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر ابن ابراهيم، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م.
- 44- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة على أصول الديانة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.
- 45- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، ط1، المكتبة العصرية، دع، 2005م.
- 46- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، دت.
- 47- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، دت.
- 48- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تحقيق: محمد هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، دت.
- 49- حسن محمد حسان، محمد عطوة مجاهد، محمد حسنين العجمي، التربية وقضايا المجتمع المعاصرة، دار الجامعة الجديدة، دع، 2007م.

50- حسين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992م.

51- حسين محمد يوسف، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة، دار بوسلامة، تونس، دت.

52- أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

(خ)

53- الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984م.

54- خلدون عبد الله، الإعلام وعلم النفس، ط1، دار أسامة، عمان، 2010م.

(د)

55- ديزيزه سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م.

(ر)

56- راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م.

57- راشد المبارك، التطرف خبز عالمي، ط1، دار القلم، دمشق، 2006م.

58- رائدة خليل سالم، المدرسة والمجتمع، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2006م.

59- الربيع ميمون، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

60- رشدي أبو شبانة علي الرشيد، الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، ط1، دار السبعين، المنصورة، 2008م.

61- رضوان جودت زيادة، خطاب التجديد الإسلامي الأزمنة والأسئلة، ط1، دار الفكر، دمشق، 2003م.

(ز)

- 62- زين الدين محمد المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1990م.
63- زينب عبد العزيز، الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، دمشق، 2004م.

(س)

- 64- سعاد جبر، سعيد، القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، ط1، دار الكتاب العالمي، عمان، 2008م.
65- سعيد التل، دور التربية السياسية في التربية الوطنية، مؤسسة الوراق، عمان، 2012م.
66- سعيد شبار، الإجتهد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، 2007م.
67- سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
68- سيد إسماعيل، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، ط1، دار ذات السلاسل، الكويت، 1988م.
69- سيد سابق، إسلامنا، دار البعث، قسنطينة، 1988م.
70- سيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، دت.
71- سيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1988م.
72- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، دط، دع، دت.
73- سيد قطب، معالم في الطريق، ط6، دار الشروق، بيروت، 1979م.
74- سيدي محمد ولد ديب، الدولة وإشكالية المواطنة، دار كنوز المعرفة، عمان، 2010م.

(ش)

- 75- شرف الدين الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط1، مكتبة نزار، مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1997م.

76- شعبان محمد إسماعيل، العبادة في الإسلام مفهومها وخصائصها، ط1، دار الشهاب، القاهرة، 1980م.

77- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

(ص)

78- صابر عبد الرحمان طعيمة، الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، ط1، دار الجليل، بيروت، 2004م.

79- الصادق عبد الرحمان الغرياني، الغلو في الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2011م.

80- صلاح الصاوي، التطرف الديني الرأي الآخر، الآفاق الدولية للإعلام، دع، دت.

81- صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، 2010م.

82- طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013م.

(ع)

83- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، ط1، طلاسندار، دمشق، 1987م.

84- ابن عباد الطالقاني، المحيط في اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

85- عباس محمود العقاد، الإسلام والحضارة الإنسانية، المكتبة العصرية، بيروت، دت.

86- عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

87- عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، الشورى بين التأثير والتأثر، مطابع الشروق، القاهرة، 1982م.

88- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، دت.

89- أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، ط5، دار المغرب، 1420هـ.

- 90- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.
- 91- عبد الرحمان الكواكي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، دار النفائس، دع، 2006م.
- 92- عبد الرحمان النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط25، دار الفكر، دمشق، 2007م.
- 93- عبد الرحمان النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، ط1، دار الفكر، دمشق، 2006م.
- 94- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1984م.
- 95- عبد الرحمان بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- 96- عبد الرحمان بن نصر الشيرازي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، دت.
- 97- عبد الرحمن بن معلا اللويجق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر- الأسباب، الآثار، العلاج ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.
- 98- عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1972م.
- 99- عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- 100- عبد العزيز بن علي الربيعة، صور من سماحة الإسلام، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
- 101- عبد العظيم إبراهيم المعطي، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1993م.
- 102- عبد الغني عبود، العقيدة الإسلامية والأيدولوجيات المعاصرة، ط2، دار الفكر العربي، دع، 1989م.
- 103- عبد القادر عودة، الإسلام وأوضاعنا السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

- 104- عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،
- 105- عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، دار عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
- 106- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- 107- عبد الله المطلق، الإرهاب وأحكامه في الفقه الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1431هـ.
- 108- عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 109- عبد المجيد النجار، سلمان بن فهد العودة، عثمان أبو زيد، ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 2015م.
- 110- عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ط3، قرطبة، الجزائر، 2006م.
- 111- عبد الملك ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشبلي، ط2، مطبعة مصطفى البابي، دع، 1955م.
- 112- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- 113- عبد المنعم الحفني، الموسوعة النفسية في علم النفس والطب النفسي، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003م.
- 114- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.
- 115- عبد المنعم محمد حسين، الأسرة ومنهجها التربوي لتنشئة الأبناء في عالم متغير، النهضة المصرية، القاهرة، 1989م.
- 116- عبد النبي الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة: حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
- 117- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، مصر، 1999م.

- 118- عبير بسيوني رضوان، أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، ط1، دار السلام، دع، 2012م.
- 119- عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة السوادي، جدة، 1999م.
- 120- عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، ط1، دار أسامة، دار المشرق الثقافي، عمان، 2006م.
- 121- عدنان عبد الرزاق الربيعي، قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية، ط1، دار النفائس، عمان، دار الفجر، بغداد، 2011م.
- 122- عدنان محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1424هـ.
- 123- العز بن عبد السلام، مقاصد العبادات، تحقيق: عبد الرحيم أحمد، ط1، مطبعة اليمامة، حمص، 1995م.
- 124- عزت سيد إسماعيل، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، ط1، ذات السلاسل، الكويت، 1988م.
- 125- عفيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، ط27، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م.
- 126- علي المؤمن، الإسلام والتجديد، ط1، دار الروضة، بيروت، 2000م.
- 127- علي الوردي، وعاظ السلاطين، ط2، دار كوفان، لندن، 1995م.
- 128- علي بن عبد الرحمان الطيار، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004م.
- 129- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ط1، مؤسسة الحسن، الدار البيضاء، 2006م.
- 130- علي بن محمد السمناي، روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.

- 131- علي عبد الحليم محمود، التربية الدينية الغائبة، دار التوزيع، بورسعيد، 2001م.
- 132- علي عبد الحليم محمود، التربية الروحية، دار التوزيع، بورسعيد، 2001م.
- 133- علي عبد الحليم محمود، التربية السياسية، دار التوزيع، بورسعيد، 2001م.
- 134- علي عبد الحليم محمود، الدعوة الإسلامية، ط3، مكتبة عكاظ، الرياض، 1984م.
- 135- علي عبد العزيز موسى، إحسان خليل الآغا وآخرون، علم النفس الديني، دار عالم المعرفة، القاهرة، 1993م.
- 136- علي محمد الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، دط، دع، دت.
- 137- علي موسى الددا، موقف الإسلام من العنف والإرهاب الدولي، ط1، دار البداية، عمان، 2012م.
- 138- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس، عمان، 2005م.
- 139- عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط15، مؤسسة الرسالة، دع، 2004م.
- 140- عمرو شريف، وهم الإلحاد، الأزهر، دع، 2013م.
- 141- عياض بن موسى البستي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط1، دار الوفاء، مصر، 1988م.

(ف)

- 142- فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، دار قتيبة، دمشق، 1988م.
- 143- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981م.
- 144- أبو الفدا عماد الدين ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة، 2004م.
- 145- فرج الله عبد الباري، العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، دار الآفاق العربية، دع، 2004م.
- 146- فهمي هويدي، التدين المنقوص، ط1، دار الشروق، بيروت، 1994م.

147- فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، ط1، دار المأمون، عمان، 2009م.

(ق)

148- أبو القاسم الحسن بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007م.

(ك)

149- كارل يوسف كوشل، الأديان من التنازع إلى التنافس، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، منير قنبري، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009م.

150- كمال الدين عبد الغني المرسي، من قضايا التربية الدينية في المجتمع المسلم، ط1، دار المعرفة الجامعية، دع، 1998م.

(ل)

151- لحميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2000م.

152- لؤي صافي، العقيدة والسياسة، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 1996م.

(م)

153- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، ط1، دار الشروق، عمان، 2006م.

154- ماجد موريس إبراهيم، الإرهاب.. الظاهرة وأبعادها النفسية، منشورات آنيب، الجزائر، دار الغرابي، بيروت، 2005م.

155- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1988م.

156- مايكل هرت، الخالدون مائة، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، القاهرة، دت.

157- مبارك بن محمد المليي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: أبي عبد الرحمان محمود، ط1، دار الراية، دع، 2001م.

- 158- محب الدين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، 1994م.
- 159- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر، القاهرة، دت.
- 160- محمد أبو زهرة، في المجتمع الإسلامي، دار الفكر العربي، دع، دت.
- 161- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر، القاهرة، دت.
- 162- محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح مسلم بن الحجاج، ط1، دار المنهاج، دار طوق النجاة، دع، 2009م.
- 163- محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م.
- 164- محمد التهامي، منهج الإسلام في بناء المجتمع، دار التقوى، القاهرة، 2015م.
- 165- محمد الحسن، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1986م.
- 166- محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دع، 1991م.
- 167- محمد الصادق عفيفي، العقيدة الإسلامية: مبادئها، أسسها، أبعادها، طبيعتها، دار الرائد العربي، بيروت، 1987م.
- 168- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- 169- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، دت.
- 170- محمد الغزالي، الإسلام والطاقت المعطلة، دار نهضة مصر، القاهرة، 2005م.
- 171- محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية، ط6، دار نهضة مصر، القاهرة، 2005م.
- 172- محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام، ط3، دار نهضة مصر، القاهرة، 2005م.
- 173- محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، دت.

- 174- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الشهاب، باتنة، 1985م.
- 175- محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ط1، الدار العالمية، الرياض، 1989م.
- 176- محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 2003م
- 177- أبو محمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث، بيروت، دت.
- 178- محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروي، ط1، مادي للنشر، الدمام، 1997م.
- 179- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ط5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
- 180- محمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006م.
- 181- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، دع، 1422هـ.
- 182- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 2001م.
- 183- محمد بن عبد العزيز الخولي، الأدب النبوي، ط4، دار المعرفة، بيروت، 1423هـ.
- 184- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1994م
- 185- محمد بن علي الأصبحي الغرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط1، وزارة الإعلام، العراق، دت.
- 186- محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

- 187- محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- 188- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط1، دار إحياء الكتب العربية، دع، 1957م.
- 189- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، مطبعة سراوي، بومرداس، دت.
- 190- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط2، دار المعرفة، بيروت، دت.
- 191- محمد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1993م.
- 192- محمد رمضان البوطي، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، دار الهدى، عين مليلة، دت.
- 193- محمد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دار الفكر، دمشق، 1982م.
- 194- محمد سيد أحمد المسير، التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية، ط1، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1998م.
- 195- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1996م.
- 196- محمد عبد الرحمان بيبصار، العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، المكتبة العصرية، بيروت، 1980م.
- 197- محمد عبد الرحمان عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، دع، دت.
- 198- محمد عبد المجيد عبد العال، السلوك الإنساني في الإسلام، ط1، دار المسيرة، عمان، 2007م.
- 199- محمد عللوة، عالمية الإسلام وقضايا العصر، ط1، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1990م.
- 200- محمد علوي المالكي، مفاهيم يجب أن تصحح، ط1، دار الإنسان، القاهرة، 1985م.
- 201- محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان، عالم المعرفة، دع، 1985م.

- 202- محمد عمارة، السماحة الإسلامية، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، دت.
- 203- محمد عمارة، الموقف من الديانات الأخرى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
- 204- محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
- 205- محمد عمارة، مقالات الغلو الديني واللاذيني، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
- 206- محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط11، دار الشروق، القاهرة، 1993م.
- 207- محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ط6، دار الشروق، القاهرة، 1993م.
- 208- محمد كمال الدين إمام، الإعلام الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، 2004م.
- 209- محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2007م.
- 210- محمد منير حجاب، تحديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة، 2004م.
- 211- محمد نفيسة، الإسلام وظاهرة العنف، ط1، دار السقا، دمشق، 1996م.
- 212- محمد يونس، التكفير بين الدين والسياسة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، دت.
- 213- محمود أحمد أبو سمرة، عماد أحمد البرغوثي، الإسلام والعلم، نور الشرق، دع، 2016م.
- 214- محمود البستاني، دراسات في علم النفس الإسلامي، ط1، دار البلاغة، بيروت، 1988م.
- 215- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط3، دار المعرفة، بيروت، 2009م.
- 216- مروان شحادة، تحولات الخطاب السلفي، ط1، الشبكة العلمية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010م.
- 217- مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح عن رسول الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دت.

- 218- مصطفى سعيد الخن، محي الدين ديب متو، العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، معتقداتها، ط2، دار ابن كثير، دمشق، دت.
- 219- مصطفى مكّي الكبيسي، أحكام التعايش مع غير المسلمين في المعاملات والأحوال الشخصية، ط1، دار النفائس، عمان، 2013م.
- 220- أبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة إمام الحرمين، دع، 1401هـ.
- 221- مفيد الزبيدي، تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة، عمان، 2011م.
- 222- مقداد يالجن، التربية الأخلاقية في الإسلام، ط1، مكتبة الخانجي، دع، 1977م.
- 223- مقداد يالجن، منهاج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث، ط1، المطبعة المصرية، القاهرة، 1969م.
- 224- موسى معيرش، فلسفة القيم ماهيتها طبيعتها، ط1، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2016م.
- 225- موسى معيرش، تصنيف القيم بين الدين والفلسفة، ط1، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2016
- 226- منتصر حاتم حسين، أيديولوجيات الإعلام الإسلامي، ط1، دار أسامة، عمان، 2013م.
- 227- نجيب محفوظ، حول التطرف والتدين، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.
- 228- أبو نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

(ن)

- 229- نوال كريم زرزور، معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، ط1، لبنان ناشرون، بيروت، دت.
- 230- نور الدين الخادمي، علم مقاصد الشريعة، ط1، مكتبة العبيكان، 2001م.

(هـ)

- 231- هاني مبارك، شوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997م.
- 232- هبة محمد عبد العزيز، معجم مصطلحات التربية وعلم النفس، ط1، دار البداية، عمان، 2009م.
- 233- هيرت.أ. سيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، دار عالم المعرفة، الكويت، 1999م.
- (و)
- 234- وضاح زيتون، المعجم السياسي، دار أسامة، عمان، 2006م.
- (ي)
- 235- يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1312هـ.
- 236- يوسف العاصي، إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي، ط2، صوت القلم العربي، مصر، 2010م.
- 237- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م.
- 238- يوسف القرضاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، ط1، أندلسية، المنصورة، 2000م.
- 239- يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، دت.
- 240- يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط3، دار الحديث، القاهرة، الدار السودانية، الخرطوم، 1997م.
- 241- يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة، ط1، مكتبة لنان ناشرون، بيروت، 2006م.

➤ الرسائل الجامعية

- 242- برامة احسن، التجديد في الفكر العقدي عند كل من أبي الأعلى المودودي ومالك بن نبي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009م-2010م.
- 243- دنيا زاد سابع، دلائل التوحيد وتأثيره في الحياة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م-2012م.
- 244- صالح عسكر، أثر العقيدة على الفرد والمجتمع من خلال القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م-2007م.
- 245- عبد الحليم الألوسي، منظومة قيم حياة الإنسان بين عقيدة التوحيد والعلمانية الشاملة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014م-2015م.
- 246- عبد الله محمد أحمد حريري، القيم في القصص القرآني، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1988م.
- 247- عمر زقاي، تجديد الخطاب المسجدي في الجزائر، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م-2012م.
- 248- المثنى عبد الفتاح محمود، السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة اليرموك، الأردن، 2001م.
- 249- محمد أحمد ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

➤ المجالات العلمية

- 250- إبراهيم زيد الكيلاني، الرأي العام في المجتمع الإسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: 61، السنة: 6، محرم-صف-ربيع الأول، 1404هـ/1989م.
- 251- أبكر آدم، التطرف الديني (أسبابه، نتائجه، علاجه)، المجلة الليبية العالمية، العدد: 13، 2017م.
- 252- أحمد علي الإمام، القرآن الكريم هيمنته، وخطميته، وعالميته، وخلوده، مجلة كلية القرآن الكريم، العدد: 1، 1427هـ/2006م.
- 253- أحمد رمضان محمد، الإرهاب الدولي وتداعياته على الزمن والسلم العالمي -دراسة تحليلية من منظور اجتماعي-مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل، المجلد 11، العدد: 1، 2011/06/23م.
- 254- إسماعيل صديق عثمان، التطرف والتعصب الديني أسبابه والعوامل المؤدية إليه، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، جامعة بنغازي، العدد: 28، 2017/09/25م.
- 255- أروى الفقيه، بحث في القيم، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1430هـ/1431هـ ص 6-7
- 256- بوفولة بوخميس، التطرف والانحراف...مقاربة نفسية اجتماعي، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، قسم علم النفس، عنابة، العدد: 25، 2010م.
- 257- تركي رابح، التربية الدينية والأخلاقية للشباب الجزائري، مجلة الثقافة، العدد: 55، السنة: 10، صفر-ربيع الأول 1400هـ/يناير-فبراير 1980م.
- 258- جفال نور الدين، دور المسجد في تقويم سلوك الأفراد في ظل الانفتاح على الفكر العالمي الحديث، مجلة دراسات إسلامية، العدد: 17، 2013م.
- 259- خالد محمد جاسم، الشورى وأحكامها في نظام الحكم الإسلامي، مجلة كلية التربية الأساسية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد: 66، 2010م.

- 260- سعد الدين الجيزاوي، دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة، مجلة الأزهر، العدد:34، 1962م.
- 261- طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة معارف، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة البويرة، العدد:14، 08 أكتوبر 2013م.
- 262- عبد الغني حيدر فارح، لغة القرآن والتواصل الحضاري في ضوء العقيدة الإسلامية- رؤية مستقبلية- مجلة جامعة الناصر، كلية التربية، صنعاء، العدد:2، يوليو-ديسمبر 2013م.
- 263- عبد المجيد الزنداني، الإيمان هو المنقذ، مجلة البيان، العدد:200، ربيع الآخر 1425هـ.
- 264- عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 1، السنة:10.
- 265- عبد الوهاب الديلمي، منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى إقامة العدل، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد:14، شعبان 1430هـ/أغسطس 2009م.
- 266- عثمان أبو زيد عثمان، مسؤولية الأسرة والمجتمع في تحصين الشباب من الإرهاب والتطرف، مجلة الرابطة، العدد:522، السنة:52، مارس 2016م.
- 267- عثمان بن جمعة ضميرية، العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم-المنهج والخصائص-، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات، المجلد:7، العدد:1، صفر 1431هـ/فبراير 2010م.
- 268- عزيزوا سعاد/شرناعي، البروفيل السيكولوجي للفرد الإرهابي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد:3، ديسمبر 2013م.
- 269- العياشي عنصر، العولمة والتطرف نحو اكتشاف علاقة ملتبسة، مجلة سياسات عربية، العدد:21، السنة:2016م.
- 270- فؤاد خدرجي العقلي، وسطية الإسلام، مجلة الأزهر، مجلد:53، العدد:10، السنة:1981م.

- 271- فاتح ربيعي، نحو بناء فقه سياسي إسلامي معاصر، مجلة دراسات إسلامية، العدد:9، رجب 1431هـ/جوان 2010م.
- 272- مالك بدر الكندري، دور العلم في وقاية الناشئة من التطرف الفكري، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد:142، السنة: 2009م.
- 273- محمد الباقر حاج يعقوب، التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، العدد:4، ديسمبر 2005م.
- 274- محمد بودبان، ترشيد العاطفة الدينية في التربية الأسرية وأثرها في مواجهة مخاطر الغلو والتطرف، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد:42، ديسمبر 2016م/1423هـ.
- 275- محمد خلف سلامة، محمد قلاح الخوالدة، التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في ظل أزمة المتطرفين دينيا -التفكك الأسري- مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد:44، ملحق:1، السنة:2017م.
- 276- محمد عزت عربي كاتبي، العنف الأسري الموجه نحو الأبناء وعلاقته بالوحدة النفسية، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق، المجلد:28، العدد:1، السنة:2019م.
- 277- محمد عبد الله الشرقاوي، أثر الإيمان في الفرد والمجتمع، مجلة أصول الدين، العدد:17.
- 278- محمد محمود العطار، تربية الطفل على الانتماء والمواطنة، مجلة الرابطة، العدد:60، السنة:53، محرم 1432هـ/أكتوبر 2016م.
- 279- محمد المدني، المثالية في نظر الإسلام، مجلة الأزهر، العدد:34، السنة:1962م.
- 280- مسفر بن علي القحطاني، التطرف الفكري... وأزمة الوعي الديني، مجلة دراسات إسلامية، العدد: 11، ربيع الآخر 1426هـ/مايو 2005م.
- 281- وردة بلقاسم العياشي، المنظور الإسلامي لدور الأسرة في تعزيز المناعة الفكرية لدى الأبناء، مجلة دراسات إسلامية، العدد:18، السنة:2016م.

- 282- ناصر يوسف عبد الله، مقاصد العبادة في القرآن الكريم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد 7، العدد: 2/14، السنة: 1434هـ/2013م
- 283- نصر سلمان، أهم الوسائل العلاجية لظاهري الغلو والتطرف، مجلة الإحياء، العدد: 8، السنة: 1424هـ/2003م.
- 284- نورة بوعيشة، آيت حمودة ذهبية، أساليب تنمية القيم السلوكية لدى التلاميذ في الوسط الدراسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 14، السنة: جوان 2015م.
- 285- الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد: 11، السنة: 43، الثلاثاء 28 فبراير 2006م.
- **الملتقيات والمؤتمرات والندوات العلمية**
- 286- أحمد بشير، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، الرياض، 1401هـ/1981م.
- 287- أحمد غاوش، فقه موانع التكفير وأثره في مواجهة الغلو والتطرف، مؤتمر نقض شبهات التطرف والتكفير
- 288- عبد الله موسى، يعقوب أمين، شبهات غلاة التكفير في تكفيرهم المجتمعات المسلمة، عرض ونقد، مؤتمر نقض شبهات التطرف والتكفير، دار الإفتاء العام، الأردن، 10-11 شعبان 1407هـ.
- 289- عبد المجيد النجار، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ملتقى منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الشارقة، الإمارات، 01-05 جمادى الأولى 1430هـ/ 26-30 نيسان، أبريل 2009م.
- 290- عمار جيدل، ثقافة التسامح، ملتقى دولي، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 26-27-28 ربيع الأول/ 23-24-25 مارس

291- محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، موقف الإسلام من الإرهاب، التسامح في الحضارة الإسلامية، المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 8-11 ربيع الأول 1425هـ / 28-05-2004م.

292- الورشة الدولية للتعاطي الإعلامي مع ظاهرة التطرف والإرهاب، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، أبريل - نيسان 2015م.

➤ المواقع الإلكترونية

293- أحمد التلاوي، أثر التطرف وفوضى المدارس الفكرية على التراث الإسلامي ومستقبله، <http://sasar.online.com> تاريخ الدخول: 2019/12/16م.

294- أيمن حسان، دور مواقع التواصل الاجتماعي في نشر الفكر المتطرف، www.imh.org.com، تاريخ الدخول: 2020/11/16م.

295- جميل حمداوي، التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري، www.thakafamag.com، تاريخ الدخول: 2018/02/26م.

296- خالد شمت، التطرف بإفريقيا بين الفقر و الإسلام دراسة أممية، برلين، <https://www.aljazeera.net.hews>، تاريخ الدخول: 2019/03/13م.

297- زاهر المحروقي، تنقية التراث الإسلامي ضرورة حتمية، <https://alroya.com>، تاريخ الدخول: 2019/12/14م.

298- ضرورة تنقية التراث الإسلامي... لسد الباب أمام المشككين، <https://aymna.com>، تاريخ الدخول: 2019/12/14م.

299- عادل عامر، المنافذ الإعلامية ودورها في إبراز الظاهرة الإرهابية ومكافحة التطرف، www.elsada.net، تاريخ الدخول: 2019/07/13م.

300- عادل عبد الصادق، الإعلام الإلكتروني والتطرف الديني لدى الشباب بين المسؤولية والمواجهة، www.mominon.com، تاريخ الدخول: 2020/08/30م.

- 301- عبد الحليم عويس، العقيدة ووسطية الإعلام الإسلامي،
<https://www.alukah.net>، تاريخ الدخول، 2020/03/03م.
- 302- عروبة جميل محمد، دور المدرسة في غرس قيم المواطنة، www.ahewar.org، تاريخ
الدخول: 2019/11/24م.
- 303- محمد حماد الناصر، الوفاء بين الجاهلية والإسلام، www.midad.com، تاريخ
الدخول: 2018/06/05م.
- 304- محمد عبد الرحيم، الوحدة الوطنية وأثرها نظرة دينية،
<https://www.europarabct.com>، تاريخ الدخول: 2019/04/04م.
- 305- يوسف القرضاوي، تجديد الإيمان... التصوف المقبول والمردود،
<https://www.alkaradawi.net>، تاريخ الدخول: 14/12/02م.
- 306- إحصائيات القتل في الوطن العربي، aman.center.org، تاريخ الدخول:
2019/07/15م.
- 307- تاريخ الدخول: 2021/09/22 <https://www.aljazeera.net>.

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة
	الفصل الأول: تحديد المفاهيم (القيم-العقيدة-التطرف)
2	المبحث الأول: القيم ماهيتها وأهميتها في الحياة الإنسانية
2	المطلب الأول: ماهية القيم
2	أولاً: المدلول اللغوي
7	ثانياً: المدلول الاصطلاحي
16	المطلب الثاني: أهمية القيم في الحياة الإنسانية
19	المبحث الثاني: القيم بين التصورين الغربي والإسلامي
19	المطلب الأول: تصنيف القيم بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي
19	أولاً: تصنيف القيم في الفكر الغربي
20	ثانياً: تصنيف القيم في الفكر الإسلامي
21	المطلب الثاني: القيم بين التصورين الغربي والإسلامي
22	أولاً: القيم في التصور الغربي
30	ثانياً: القيم في تصور الفكر الإسلامي
43	ثالثاً: خصائص القيم في العقيدة الإسلامية
51	المبحث الثالث: العقيدة الإسلامية خصائصها وأثرها على الحياة الإنسانية
51	المطلب الأول: العقيدة الإسلامية مفهومها، خصائصها
51	أولاً: مفهوم العقيدة الإسلامية
52	ثانياً: خصائص العقيدة الإسلامية
62	المطلب الثاني: أثر العقيدة الإسلامية على حياة الإنسان

62	أولاً: أثرها على الفرد
69	ثانياً: أثرها على المجتمع
71	المبحث الرابع: مفهوم التطرف ودلالته النفسية والاجتماعية
71	المطلب الأول: مفهوم التطرف
72	ثانياً: المعنى اللغوي للتطرف
75	ثانياً: معنى "التطرف" و "الغلو" في القرآن الكريم
77	ثالثاً: المعنى الاصطلاحي
81	المطلب الثاني: دلالة التطرف بين المنظورين النفسي والاجتماعي
81	أولاً: التطرف من منظور نفسي
85	ثانياً: التطرف من منظور اجتماعي
<p>الفصل الثاني:</p> <p>التطرف جذوره وأبعاده، أسبابه وانعكاساته</p>	
91	المبحث الأول: جذور التطرف (دراسة في منشأ التطرف عند المسلمين وغير المسلمين)
91	المطلب الأول: التطرف في العقائد الأخرى
91	أولاً: التطرف اليهودي
94	ثانياً: التطرف النصراني
97	المطلب الثاني: التطرف عند المسلمين
97	أولاً: منشأ التطرف عند المسلمين
99	المبحث الثاني: أبعاد التطرف
99	المطلب الأول: البعد الفكري للتطرف
99	أولاً: مفهوم التطرف الفكري

100	ثانيا: نماذج معاصرة عن التطرف الفكري
105	المطلب الثاني: البعد الديني للتطرف
106	أولا: مفهوم التطرف الديني
107	ثانيا: مظاهر التطرف الديني
112	المطلب الثالث: البعد السياسي للتطرف
112	أولا: طبيعة الدين الإسلامي وعلاقته بالسياسة
113	ثانيا: مظاهر التطرف السياسي
117	المبحث الثالث: عوامل التطرف
117	المطلب الأول: العوامل النفسية
117	أولا: أثر العامل النفسي على السلوك الإنساني
118	ثانيا: دور العامل النفسي في نشأة التطرف
120	المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية والاقتصادية
120	أولا: العامل الاجتماعي
122	ثانيا: العامل الاقتصادي
124	المطلب الثالث: العوامل السياسية
124	أولا: أثر الاستبداد في تغذية التطرف
125	ثانيا: العنف السياسي
127	المطلب الرابع: العوامل الدينية
128	أولا: التعصب ومظاهره في الوسط الإسلامي
131	ثانيا: تحريف الفهم الصحيح للنص وأثره في تغذية التطرف
135	المطلب الخامس: الإعلام ودوره في صناعة التطرف
136	أولا: أساليب الخطاب الإعلامي الحديث

137	ثانيا: دور الخطاب الإعلامي في صناعة التطرف
139	المبحث الرابع: انعكاسات التطرف على الفرد والمجتمع
139	المطلب الأول: أثر التطرف على الفرد
139	أولا: على المستوى النفسي
140	ثانيا: على المستوى الفكري
140	ثالثا: على المستوى السلوكي
142	المطلب الثاني: أثر التطرف على المجتمع
142	أولا: انتشار ظاهرة العنف في المجتمع
143	ثانيا: ظاهرة الإرهاب
147	ثالثا: ظاهرة التفرق بين المسلمين
الفصل الثالث:	
أبعاد قيم العقيدة الإسلامية ودورها في مواجهة قضايا التطرف	
151	المبحث الأول: البعد العقائدي-قيمة التوحيد وأثرها في حياة الإنسان-
151	المطلب الأول: التوحيد (المفهوم-القيمة)
151	أولا: مفهوم التوحيد
152	ثانيا: قيمة التوحيد في القرآن الكريم والسنة النبوية
156	المطلب الثاني: مقاصد القيمة التوحيدية ودورها في مواجهة التطرف
156	أولا: التأسيس العقدي للقيم والفضائل ودورها في مواجهة التطرف
157	ثانيا: البعد الفطري لعقيدة التوحيد
157	ثالثا: التأسيس للمنهج الصحيح في التفكير والسلوك
158	رابعا: المقصد الإنساني والحضاري لعقيدة التوحيد
159	المبحث الثاني: البعد السلوكي-أثر الوسطية والاعتدال في علاج مشكلات

	السلوك الإنساني -
159	المطلب الأول: الوسطية (المفهوم-القيمة)
159	أولاً: مفهوم الوسطية
161	ثانياً: قيمة الوسطية (تأسيس القرآن الكريم والسنة النبوية للوسطية ونبذ الغلو والتطرف)
164	المطلب الثاني: تفعيل قيمة الوسطية في مجالات الحياة لمواجهة التطرف
164	أولاً: دور العقيدة الإسلامية في التأسيس للوسطية
165	ثانياً: مجالات الوسطية التي أسست لها العقيدة الإسلامية
170	المبحث الثالث: البعد المعرفي-قيمة العلم ودورها في علاج ومواجهة التطرف-
170	المطلب الأول: العلم (المفهوم-القيمة)
170	أولاً: مفهوم العلم
171	ثانياً: قيمة العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية
177	المطلب الثاني: موقع العلم في الواقع الغربي
177	أولاً: النزعة المادية للعلم في الفكر الغربي
177	ثانياً: ظهور المذاهب الفكرية الهدامة (الإلحاد، العلمانية، ...)
178	ثالثاً: توظيف الحركة الاستعمارية للعلم في اضطهاد الشعوب
178	رابعاً: تفاقم هوة العنصرية
179	المطلب الثالث: قيمة العلم في التصور الإسلامي ودورها في مواجهة التطرف
179	أولاً: علاقة العلم بالإيمان
180	ثانياً: علاقة العقل بالنقل في المنظور الإسلامي
181	ثالثاً: أثر العقيدة الإسلامية في تحرير العقل والعلم
182	رابعاً: البعد الإنساني للعلم في العقيدة الإسلامية

182	خامسا: موازنة العلم في العقيدة الإسلامية بين علوم الدنيا والدين
183	سادسا: تطابق مقاصد العلم في العقيدة الإسلامية مع القيم والمبادئ
184	المبحث الرابع: البعد الحضاري (الشورى والعدل ودورها في القضاء على جذور التطرف)
184	المطلب الأول: قيمة الشورى ودورها في مواجهة تطرف الاستبداد والتأسيس للحكم الرشيد
184	أولا: الشورى (المفهوم-القيمة)
190	ثانيا: صلة الشورى بالعقيدة الإسلامية
191	ثانيا: أثر قيمة الشورى في مواجهة تطرف الاستبداد والتأسيس للحكم الرشيد
193	المطلب الثاني: موقع العدل عقديا وحضاريا ودوره في مواجهة التطرف
193	أولا: مفهوم العدل
195	ثانيا: تأسيس القرآن الكريم والسنة النبوية لمبدأ العدل
200	ثالثا: القيمة الحضارية للعدل ودورها في حماية المجتمع من التطرف
203	المبحث الخامس: البعد الإنساني (تأسيس عقيدة التوحيد للقيم الإنسانية- الحرية، التعايش-) ودورها في مواجهة التطرف
203	المطلب الأول: قيمة الحرية ودورها في معالجة التطرف
203	أولا: الحرية (المفهوم-القيمة)
208	ثانيا: مبدأ الحرية في التصور الغربي
209	ثالثا: مقتضيات الحرية في العقيدة الإسلامية ودورها في القضاء على التطرف
214	المطلب الثاني: مبدأ التعايش مع الآخر ودوره في مواجهة تطرف الإقصاء والعنصرية
214	أولا: مفهوم التعايش (لغة واصطلاحا)
215	ثانيا: دعوة القرآن الكريم الإنسانية إلى التعايش

217	ثالثا: صور التعايش في العهد النبوي
219	رابعا: مقتضيات وأسس التعايش في العقيدة الإسلامية
226	المبحث السادس: البعد التعبدي- دور العبادة في بناء الإنسان المعتدل-
226	المطلب الأول: العبادة (المفهوم، القيمة)
226	أولا: مفهوم العبادة
227	ثانيا: قيمة العبادة في التصور القرآني
230	ثالثا: السنة النبوية تجسد المفهوم الصحيح للعبادة- بين الإفراط والتفريط-
231	المطلب الثاني: العبادة مقاصدها وصلتها بالعقيدة الإسلامية
231	أولا: مقاصد العبادة في الإسلام
235	ثانيا: صلة العبادة بالعقيدة الإسلامية
236	المطلب الثالث: دور العبادة في مواجهة التطرف -من خلال بناء الإنسان والمجتمع-
236	أولا: دور العبادة في بناء الحصانة الروحية والنفسية والسلوكية للفرد
238	ثانيا: أثر العبادة على المجتمع -تعزيز البناء الاجتماعي لمواجهة التطرف-
الفصل الرابع:	
دور مؤسسات المجتمع في معالجة قضايا التطرف	
243	المبحث الأول: دور المؤسسة التربوية (الأسرة-المدرسة-المجتمع)
243	المطلب الأول أهمية وظائف الأسرة في بناء الفرد المعتدل
243	أولا: الوظيفة الأخلاقية-بعث القيم الأخلاقية-
244	ثانيا: الوظيفة الفكرية -تحقيق المناعة الفكرية اللازمة-
245	ثالثا: الوظيفة النفسية-الإعداد النفسي اللازم للناشئة-
247	رابعا: الوظيفة الدينية-التربية الدينية الصحيحة للناشئة-

248	خامسا: الوظيفة الروحية-العناية بالجانب الروحي-
250	المطلب الثاني: المدرسة ودورها في معالجة قضايا التطرف
250	أولا: بناء منهج دراسي تربوي (يهدف إلى الحفاظ على الثوابت الدينية والوطنية)
251	ثانيا: ترسيخ القيم الدينية والوطنية في الوسط الدراسي
256	المطلب الثالث: المجتمع (بناء التصور الصحيح للمجتمع وتفعيل دوره في مواجهة التطرف)
256	أولا: بناء التصور الصحيح للمجتمع في الإسلام
257	ثانيا: تفعيل دور المجتمع في محاربة التطرف
261	المبحث الثاني: دور المؤسسة السياسية (دور العمل السياسي في ترسيخ الأمن والاستقرار)
261	المطلب الأول: تفعيل مقاصد السياسة الشرعية
261	أولا: حفظ النفس
263	ثانيا: حفظ العقل
264	ثالثا: حفظ الدين
265	رابعا: حفظ النسل
267	خامسا: حفظ المال
268	المطلب الثاني: بناء فكر سياسي نهضوي
268	أولا: التربية السياسية أو نشر الوعي السياسي
271	ثانيا: بناء فقه سياسي معاصر
273	المبحث الثالث: المؤسسة الدينية (المسجد-الزوايا-الخطاب الديني) وأهميتها في بناء المسلم
273	المطلب الأول: أهمية مؤسسة المسجد ودورها في محاربة التطرف

273	أولاً: تفعيل الدور الحقيقي للمسجد في بناء الإنسان
278	المطلب الثاني: مكانة الزوايا ودورها في المجتمع
278	أولاً: تفعيل دور الزوايا في المجتمع لمواجهة التطرف
281	المطلب الثالث: الخطاب الديني (نحو تجديد الخطاب الديني لمواجهة التطرف)
282	أولاً: مفهوم التجديد في الخطاب الديني
283	ثانياً: صور التجديد في الخطاب الديني
285	ثالثاً: آليات تجديد الخطاب الديني لمواجهة ظاهرة التطرف
290	رابعاً: تجديد الخطاب العقدي لمواجهة التطرف
294	المبحث الرابع: المؤسسة الإعلامية (تعزيز دور الإعلام في تنوير الإنسان)
294	المطلب الأول: الإعلام الإسلامي (الواقع والتحديات)
295	أولاً: تشخيص حالة الإعلام العربي في عصرنا
295	ثانياً: مقومات الإعلام الإسلامي المعتدل
298	المطلب الثاني: آليات الإعلام الإسلامي لمعالجة ظاهرة التطرف
298	أولاً: أهم الأساليب المتبعة في المعالجة
306	خاتمة
الفهارس	
310	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
324	فهرس الأحاديث
327	قائمة المصادر والمراجع
352	فهرس الموضوعات
	الملخص

ملخص البحث

إن التطرف ظاهرة متعددة الأبعاد أصبحت تؤرق الإنسانية بأسرها فضلا عن عالمنا العربي والإسلامي، أين أصبح هذا الأخير واقعا معاشا أثر على البنية النفسية والفكرية والسلوكية للفرد، ومنه شكل خطرا حقيقيا على المجتمع بأن ساهم ولا يزال في خلق العديد من الأزمات والمظاهر السلبية.

وفي ظل هذا بات من الضروري الوقوف بجديّة أمام مشكلة التطرف ودراستها من جميع جوانبها ومختلف زواياها، وعلى هذا أصبح لزاما كحل من الحلول الناجعة العودة إلى العقيدة الإسلامية، من خلال استهداف قيمها ومبادئها وتفعيلها في مواجهة ظاهرة التطرف والقضاء عليها.

وبعد أن أصبح التطرف تحد يهدد المجتمع بمختلف مؤسساته (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، التربوية، الدينية..)، وجب التجند له باستخدام كافة مؤسسات المجتمع على تنوعها لا سيما تلك التي لها تأثير ظاهر على المجتمع، انطلاقا من المؤسسة التربوية التي تضم الأسرة والمدرسة، والمؤسسة الدينية من خلال تفعيل دور المسجد والزوايا والخطاب الديني المعتدل، ثم المؤسسة السياسية والإعلامية، وهكذا بتوجيه كل وسائل المجتمع ومقدراته لمعالجة هذه القضية والحد منها.

Abstract

Extremism is a multi-dimensional phenomenon that has become a concern for all of humanity as well as for our Arabic and Islamic world, it has become a lived reality that has affected the psychological, intellectual and behavioral structure of the individual, and posed a real danger to society by contributing and still creating many crises and negative manifestations.

In light of this, it has become necessary to stand seriously in front of the problem of extremism and study it from all its aspects and different angles, and one of the effective solutions is to return to the Islamic faith, its values and principles, to face the phenomenon and eliminate it.

After extremism became a challenge that threatens society with its various institutions (social, political, economic, educational, religious..), it is necessary to respond to it by using all the institutions of society in their diversity, especially those that have a visible impact on it, starting from the educational institution, the religious institution by activating the role of the mosque, the corners and moderate religious discourse, the political and media institution, so directing all the means and capabilities of society to address and limit this issue.

العلوم الإسلامية

Résumé

L'extrémisme est un phénomène multidimensionnel qui est devenu une préoccupation pour toute l'humanité ainsi que pour notre monde arabe et islamique, où ce dernier est devenu une réalité qui a affecté la structure psychologique, intellectuelle et comportementale de l'individu, et à partir de là représentait un réel danger pour la société en contribuant et en créant de nombreuses crises et manifestations négatives.

À la lumière de cela, il est devenu nécessaire de se poser sérieusement face au problème de l'extrémisme et de l'étudier sous tous ses aspects et sous différents angles, et par conséquent, il est devenu nécessaire comme l'une des solutions efficaces de revenir à la foi islamique, en cibler ses valeurs et ses principes et les activer face au phénomène de l'extrémisme et l'éliminer.

Après que l'extrémisme soit devenu un défi qui menace la société avec ses diverses institutions (sociales, politiques, économiques, éducatives, religieuses..), il faut s'y engager en utilisant toutes les institutions de la société dans leur diversité, surtout celles qui ont un impact sur la société, à commencer par l'institution éducative qui comprend la famille et l'école, l'institution religieuse en activant le rôle de la mosquée, des coins et du discours religieux modérés, puis l'institution politique et médiatique, et ainsi en dirigeant tous les moyens et capacités de la société à traiter et à limiter ce problème.